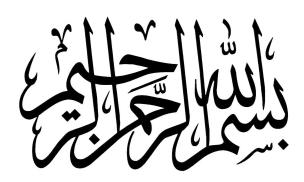


HOOW







# ضياء الفرقان في قسير القرآن تفسير القرآن

مجلد ۱۲

سرشناسه : نقوى قائني، محمد تقي، ١٣٠٨.

عنوان و نام پدیدآور : ضیاء الفرقان فی تفسیرالقرآن / لمؤلفه محمدتقی نقوی قائنی.

: تهران: قائن، ۱۳۹۶. مشخصات نشر

> مشخصات ظاهري : ۱۸ج.

شابک : دورت-24-8981-964-978 ؛ ج. ۲\$-56-881 :

وضعیت فهرست نویسی : فیپا.

يادداشت : عربي.

موضوع : تفاسير شيعه قرن ١٤.

موضوع: Qur'an - - Shiite hermeneutics - - 20th century

ردەبندى كنگرە : ۱۳۹۵ وض ۷ن/BP هض ۱۳۹۵

Y9V/1V9 :

ردەبندى ديويى شماره کتابشناسی ملی 44.4901:

#### ضياء الفرقان في تفسير القرآن مجلد الثاني عشر

المؤلف: محمد تقى نقوى قائني الكمية: ١٠٠٠ الطبعة: الأوّل تاريخ الطبع: ١٣٩۶ ش. - ١٤٣٩ ق. تنسيق الصفحات: محسن نقوى ليتوغرافي: لوح محفوظ المطبعة: گوهر انديشه انتشارات: قائن تلفن: ۹۱۲۳۱۷۳۵۵۰

مركز التوزيع: تهران - شارع انقلاب - بازارچه كتاب - رقم١٠ - دارالكتب الاسلامية



شایک: ۸ - ۵۶ - ۸۹۸۱ - ۹۶۴ - ۹۷۸ شارک دوره: ۷ - ۲۴ - ۸۹۸۱ - ۹۶۴ - ۸۷۸

الجزء الثامن عشر
سُورَةُ ٱلْمُؤْمِنُونَ
شُورَةُ النُّورِ
سُورَةٌ ٱلْفُرْقَانِ
الجزء التاسع عشر
سُورَةُ ٱلشُّعَزاءِ
سُورَةُ ٱلنَّمْلِ
الفهرست

# الجزء الثامن عشر

قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ (١) اللَّذينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَ ٱلَّذينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَ ٱلَّذينَ هُمْ لِلزَّكُوةِ فَاعِلُونَ (٢) مُعْرِضُونَ (٣) وَ ٱلَّذينَ هُمْ لِلزَّكُوةِ فَاعِلُونَ (١) إلَّا عَلَى وَ ٱلَّذينَ هُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (١) فَمَنِ ٱبْتَغٰى وَرِآءَ ذَلِكَ فَأُولُينَكَ مَلُومِينَ (١) فَمَنِ ٱبْتَغٰى وَرِآءَ ذَلِكَ فَأُولُينَكَ هُمُ ٱلْعادُونَ (٧) وَ ٱلَّذينَ هُمْ عَلَى صَلَواتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ راعُونَ (٨) وَ ٱلَّذينَ هُمْ عَلَى صَلَواتِهِمْ يَعْطُونَ (١) أُولِيكَ هُمُ ٱلْوارِثُونَ (١٠) ٱلَّذينَ يَرثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فيها خَالِدُونَ (١١) ٱلَّذينَ يَرثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فيها خَالِدُونَ (١١)

ضياء الغرقان في تفسير القرآز



#### ◄ اللّغة

أَفْلَحَ: الفلح الشقّ قيل الحديد بالحديد يفلح أي يشقّ، و الفلاح بفتح الفاء الظَّفر و إدراك بغيةٍ.

خاشِعُونَ: خاشعة فاعل من الخشوع و هو الخضوع والتذلّل.

لِقُرُوجِهِمْ: الفروج بضمّ الفاء و الرّاء جمع فرج بفتح الفاء و سكن الرّاء و الجيم و هو بمعنى الفتق و الشقّ.

، تفسير القرآن

أَيْمَانُهُمْ: بفتح الألف جمع يمين.

مَلُومِينَ: جميع مَلُوم، و هو مفعول من لام يلوم و اللُّوم الذُّم.

آبْتَغٰي: الإبتغاء الطّلب.

### ◄ الإعراب

إِلَّا عَلَىٰٓ أَذْواْجِهِمْ في موضع نصب يحافظون على المعنىٰ و قيل هو حـال أي حفظوها في كلُّ حال إلاَّ في هذه الحال هُمْ فِيهَا خْلِدُونَ الجملة حال مقدّرة إمّا من الفاعل أو المفعول.

## ▶ التّفسير

## قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ

قلنا في شرح اللّغات الفلاح الظّفر و إدراك بغيةٍ، و ذلك ضربان، دنيّوي و أخرُّوي. فالدنيوي الظَّفر بالسّعادات التّي تطيب بها حياة الدّنيا و هو البقاء و الغني و العزّ، و فلاحٌ أخرّوي و ذلك أربعة أشياء، بقاءٌ بل فناء، و غنىً بلا فقرٍ، و عزٌّ بلا ذلَّ، و علمٌ بلاجهلٍ و لذلك قيل لا عيش إلاّ عيش الأخرة، و كلمة، قد، للتّحقيق و المؤمنون جمع مؤمن و الإيمان عبارة عن الإعتقاد بالقلب و الإقرار بـاللّسان و العمل بالجوارح و الأركان على مذهب الحقّ و من النّاس من يقول أنّه عبارة عن الإعتقاد فقط، و المؤمن يقال لمن إتَّصف بالإيمان كما أنّ المسلم يقال لمن يزء ١٨ ﴾ إتَّصف بالإسلام أعنى الشّهادتين و قد حكم اللّه تعالى في الآية بأنّ الفلاح مختصّ بالمؤمن و لذلك لم يقل قد أفلح النّاس، أو قد أفلح المسلمون، و قد مرًّ الكلام في الفرق يين الإسلام و الإيمان غير مرّةٍ فيما مضى مع أنّه يكفينا:

قال الله تعالى: قَالَتِ ٱلْأَعْرابُ أَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لَكِنْ قُولُوٓا أَسْلَمْنَا وَ لَمَّا يَدْخُلِ ٱلْايمَانُ في قُلُوبِكُمْ (١). قيل معنى أفلح، فار أي فازوا بثواب الله الذين صدَّقوا بالله بوحدانيّته و صدَّقوا رسله و قيل معناه قد سعدوا، قال لبيد:

فأعقلي أن كنت لمّا تعقلى ولقد أفلح من كان عقل وقيل معنى أفلح، أي بقيت أعمالهم الصّالحة و منه قولهم، حيّ على الفلاح، أي بقاء أعمال الخير و معنى قد تقريب الماضى من الحال فدَّل على أنَّ فلاحهم قد حصل بما هم عليه في الحال.

هذا وقد نقل بعض المفسّرين من العامّة عن الحاكم في صحيحه عن الرسول الله الله الله المعنّف الرسول الله الله الله النولت على عشر أيات من أقامهن دخل الجنّة ثمّ قرأ قد أفلح المؤمنون إلى عشر أيات، قال و مناسبتها لأخر السُّورة قبلها ظاهرة لأنّه تعالى خاطب المؤمنين بقوله: في أَيُّهَا الله الله الله الله الله الله على سبيل التَّرجية فناسب ذلك قوله: قَدْ أَفْلَحَ الله مُؤْمِنُونَ إخباراً بحصول ما كانوا رجوه من الفلاح إنتهى.

أقول ما ذكره و نقله عن الحاكم لا بأس به و هو كلذلك فأنّ من أقام هذه الأيات دخل الجنّة و أمّا قوله في وجه المناسبة و أنّ قوله تعالى: يَآ أَيُّهَا ٱلّذين أَفْلُحُ الْفَاوِ الله الله الله الله قوله: قَدْ أَفْلُحَ الْفَلْحُونَ على سبيل التَّرجية فناسب ذلك قوله: قَدْ أَفْلُحَ الْمُؤْمِنُونَ إخباراً بحصول ما كانوا رجوه من الفلاح فليس بشي و لعلّه تخيّل أنّ لكمة، لعل، في قوله: لَعَلَّكُمُ تُقْلِحُونَ، للتَّرجي و لم يعلم أنّ التَّرجي بالنسبة إلى علم الغيوب لا معنى له و أنّما هو كذلك بالنسبة إلينا فهذه الكلمة من الله تعالى، بمعنى، كى، فقوله: لَعَلَّكُمُ تُقْلِحُونَ أي لكي تفلحون أي أنّ إقامة هذه الأيات بمعنى، كى، فقوله: لَعَلَّكُمُ تُقْلِحُونَ أي لكي تفلحون أي أنّ إقامة هذه الأيات توجب الفلاح قطعاً و إن شئت قلت لا نعني بالفلاح إلاّ هذه و على هذا فكأنّه قيل وكيف يحصل الفلاح فقال تعالى هو يحصل بكذا وكذا ثمّ أنّ الله تعالى وصف المؤمنين الذين يحصل لهم بالفلاح بأمور لابدّ من حصولها حتّى يترتب عليه الفلاح الذي ذكره في صدر الآية.

الصّلاة على ما قال أكثر أهل اللّغة هي الدُّعاء و التَّبريك و التَّمجيد يقال صلّيت عليه أي دعوت له و زكَّيت و إلى هذا المعنى أشير بقوله تعالى مخاطباً للنّبى:

وَ صَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوْتَكَ سَكَنُ لَهُمْ وَ ٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيمٌ (١). قال الله تعالىٰ: يا ٓ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ أَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ (٢).

فصلوات الله و صلوات الرّسول للمسلمين في التّحقيق تزكية إيّاهم و منه: قال اللّه تعالىٰ: أُ**ول**ٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواٰتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ<sup>٣)</sup>.

و الصَّلوة من الملائكة في حقّ المسلمين هي الدُّعاء و الإستغفار كما هي كذلك من النّاس:

قال الله تعالىٰ: إِنَّ ٱللَّهَ وَ مَلْآئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ (\*).

فالصّلاة التّي هي العبادة المخصوصة أصلها الدُّعاء و سميّت هذه العبادة بها كتسمية الشّيّ بإسم بعض ما يتَّضمنه و قيل أنّها من العبادات التّي لم تنفك شريعة منها و أن إختلفت صورها بحسب شرع فشرع و لذلك:

قال اللّه تعالىٰ: إِنَّ ٱلصَّلُوةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا (٥٠).

و قال تعالى حكايةً عن عيسى إبن مريم: وَ أَوْصَنَي بِالصَّلُوةِ وَ الزَّكُوةِ مَا دُمْتُ حَيًّا <sup>6</sup>.

و قال بعض المحققين أصل الصّلاة من الصَّلاء قال و معنى صلّى الرّجل أنّه أزال عن نفسه بهذه العبادة الصَّلاء الّذي هو نار اللّه الموقدة أقول و أنّما قال ذلك لأنّ أصل الصَّلي لإيقاد النّار يقال صلى بالنّار بكذا أي بلي بها، و صلّيت الشّاة شوَّيتها وهي مصلّية و منه:

٧- الأحزاب = ٥٤

۴- الأحزاب = ٥٤

٣- البَقَرة = ١٥٧

قال الله تعالى: ألَّذي يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرِي. قال الله تعالى: تَصْلَى نَارًا خَامِيَةً (١). قال الله تعالى: وَ يَصْلَى سَعِيرًا (٢). قال الله تعالى: وَ سَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا<sup>(٣)</sup>. قال الله تعالى: سَأُصْلِيهِ سَقَرَ<sup>(۴)</sup>.

و هكذا إذا عرفت الصّلاة بحسب اللُّغة فإعلم أنّ موضع العبادة أيضاً يسمّى بالصّلاة و لذلك سمّيت الكنائس صلوات كقوله تعالى: لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَ بِيَعْ وَ صَلُواتُ وَ مَسَاجِدُ (۵).

و أنَّما خصَّ المؤمنين بذلك لأنَّ المؤمن ينتفع بـالصَّلاة و هـو الَّـذي يـقوم بالأمر و النّهي ثمّ أنّ الصّلاة من أعظم الواجبات و أشرفها و أفضلها و أوَّل ما يحاسب العبد به يوم القيامة فأن قبلت قبل ما سواها و أن ردّت ردّ ما سواها، و قيل هي أوّل الواجبات في الشّريعة المقدّسة و كفي في فضلها أنّها لا تسقط بحالٍ لا في سفرٍ و لا في حضرٍ و لا في صحّةٍ و لا في مرض حتّى الغريق و المطار فلا يتركها بل يؤتي بهاكيف ما تيَّسر وكذا لا تسقط عن الشّيخ الكبير ولوكان همًّا بخلاف غيرها من المفروضات فأنّه قد يسقط في بعض الأحوال كالصّوم بالنّسبة إلى الشّيخ الفاني و المريض و المسافر و الحجّ و الزّكوة و أمثالها من الواجبات المشروطة و قد يستفاد من بعض الأخبار وجوبها على فاقد الطّهارة أىضاً.

و في قوله: قَدْ أَفْلُحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ، إشارة بل دلالة عليٰ عدم وجوبها عليٰ غير المكلُّف من الصّغير و المجنون لعدم إتَّصافهما بـالإيمان نـعم هـما فـي حكـم المؤمنين، و أعلم أنَّ وجوبها من ضروريّات الَّدين و هي من أفضل الأعمال.

١ - الغاشبة = ٢

٢- الانشقاق = ١٢

٣- المدثر = ٢۶

۵- الحج = ۴۰

٣- النساء = ١٠

ففي صحيحة معاوية بن وهب أنّه سأل أبا عبد اللّه من أفضل ما يتّقرب بـه العباد إلى ربّهم فقال التَّلِيدِ لا أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من الصّلاة إنتهى.

كيف و قد روي أنّها عمود الدّين و أنّه أوّل ما ينظر فيه من عمل إبن آدم.

و روي عن أبي جعفر عاليه أنه قال قال رسول الله وَلَوْ الله عَلَى باب دار أحدكم نهر فإغتسل منه كلّ يوم خمس مرّات أكان يبقى على جسده من الدّرن شئ قلنا لا قال وَلَوْ اللهُ وَالْ مَثْلُ الصّلاة كمثل النّهر الجاري كلّما صلّى صلوةً كفّرت ما بينهما من الذّنوب إنتهى.

و الأخبار في فضل الصّلوة كثيرة جدّاً و لا نحتاج إلى ذكرها في المقام بعد أن ذكر اللّه تعالى الصّلوة و فضلها في كثير من الأيات و هو ظاهر و أمّا الخشوع فيها، فقد قلنا في شرح اللّغات أنّ الفلاح هو القول بالأماني و الظفر بالمطلوب و هو هنا الخلاص من العذاب المقيم و الخلود في النّعيم الدّائم، و دخول، قد، على الماضي أفاد القطع بذلك أي أنّ الفلاح يحصل بذلك قطعاً و هذه من البشارات المؤكّدة و فيها حثّهم و ترغيبهم على الإتّصاف بتلك الصّفات لينالوا تلك السّعادة، و الخشوع بضّم الخاء و الشّين المراد به خشية القلب و قد ينسب إلى الجوارح بأن يلزم كلّ جاريةٍ بما أمر به في الصّلاة من النّظر و وضع اليدين و الرّجلين كما هو مفصلً في الأخبار الواردة من أهل البيت عليهم السّلام.

روي الشّيخ في الحسن عن زرارة عن أبي جعفر التَّالِا قال إذا إستقبلت القبلة بوجهك فلا تقلّب قلبك عن القبلة فتفسد صلواتك فأنَّ الله قال لنبّيه:

فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَراٰمِ وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَه (١٠).

و أخشع بصرك و لا ترفعه إلى السّماء و ليكن حذاء وجهك في موضع سجودك إنتهي.

و في الفقيه إذا دخلت في صلواتك فعليك بالتَّخشع و الإقبال على صلواتك فأنَ اللّه تعالى يقول: أَلَّذينَ هُمْ في صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ و يقول و أنّها لكبيرة إلاّ على الخاشعين و إستقبل القبلة بوجهك ثمّ قال للظِّلاِّ و أحسّع ببصرك و لا ترفعها إلى السّماء و ليكن نظرك إلى موضع سجودك و أشغل قلبك بصلواتك فأنّه لا يقبل من صلواتك إلا ما أقبلت عليه منها بقلبك حتّى أنّه ربّما قبل من صلوة العبد ربعها أو ثلثها أو نصفها و لكّن اللّه عزّ و جّل يتَّمها للمؤمنين بالنُّوافل و ليكن قيامك للصّلوة قيام العبد الذّليل بين يدي الملك الجّليل و أعلم أنّك بين يدي من يراك و لا تراه و صلَّ صلوة مودّع كأنّك لا تصَّلي بعدها و لا تعبث بلحيتك و لا برأسك و لا بيديك و لا تتثائب و لا تتمطى و لا تكُّفر فإنَّما يفعل ذلك المجوس و لا تلُّثم و لا تحتقن و تتفَّرج كما يتَّفرج البعير و لا تقُّع عملي قدميك و لا تفرش ذراعيك و لا تفرقع أصابعك فأنّ ذلك كلّه نقصاً في الصّلوة و لا تقم الى الصّلوة متكاسلاً و لا متناعساً ولا متثاقلاً فأنّها من خلال النّفاق فأنّ اللّه نهى المؤمنين أن يقوموا للصّلوة و هم سكاري يعني سكر النَّوم و قال للمنافقين و إذا قاموا الى الصّلوة قاموا كسالى يراؤن النّاس ولا يذكرون اللّه إلاّ قليلاً و هذا معنىٰ الخشوع في الصَّلُوة إنتهي.

و قال الصّادق النَّالِا: لا تجتمع الرَّغبة و الرَّهبة في قلبٍ إلاَّ و جبت له الجَّنة فإذا صلَّيت فأقبل بقلبك على الله عزَّ وجّل فأنّه ليس من عبدٍ مؤمن يقبل على الله إلاَّ أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه و أيَّده مع مودَّتهم إيّاه بالحسنة إنتهى.

و عن الصّادق للسلِّلِ قال اللَّلِهِ: كان علّي بن الحُسين إذا قام في الصّلوة تعَير لونه فإذا سجد لم يرفع رأسه حتّى يوفض عرقاً إنتهى.

و عنه النَّه قال كان أبي يقول كان علّي بن الحسين إذا قام في الصّلاة كأنّه ساق شجرة لا يتّحرك منه شيً إلاّما حرَّكت الرّيح منه إنتهى.

و روي أنّ أميرالمؤمنين التَّلِا إذا قام في الصّلاة أزيلت عنه النصال المثبتة في بدنه الشّريف ولم يخش لذلك و ذلك لشّدة إقباله على الله في تلك الحال إنتهى و الأخبار في الباب كثيرة (١).

و حيث إنّجر الكلام إلى هذا المقام فلا بأس بذكر ما ينبغي مراعاته في الصّلاة فنقول:

قال بعض المحقِّقين إعلم أنَّ الصّلاة معجون سماوي و تركيبٌ إلهيِّ ركّبت من أجزاء كثيرة مختلفة متفاوتة في الفضل و الإهتمام بها فبعضها بمنزلة الرُّوح و بعضها بمثابة الأعضاء الرّئيسية و بعضها بمنزلة سائر الأعضاء إذا عرفت هذا فإعلم أنّ صلاتك قربةً و تحفةً تتَّقرب بها إلى حضرة الملوك كوصيفة يهديها طالب القرب و الجاه من السّلاطين إليهم و هذه التُّحفة تعرض على اللّه ثمّ ترّد اليك في يوم العرض الأكبر فإليك الخيرة في تحسين صورتها أو تقبيحها فَمن أدَّاها على النَّحو المأمور به بأعمالها الواجبة و المندوبة و شرائطها الظَّاهرة و الباطنة مع الإخلاص و حضور القلب كان كمن أهدى عبداً صحيحاً سوّياً شابّاً جميلاً عقلاً كاملاً إلى ملك الملوك ومن إقتصر على أعمالها الظَّاهرة و غفل عن الحضور و التَّوجه و القربة و الإخلاص كان كمن أهدى عبداً ميتاً بــلا روح إلى ملك من الملوك و قد ورد أمّ كلّ صلاةٍ لا يتّم الإنسان ركوعها و سجودها فهي الخصم الأوّل على صاحبها يوم العرض الأكبر تقول ضيَّعك اللّه كما ضيَّعتني إلى أن قال فتقول المعاني للباطنة التّي هي روح الصّلاة و حقيقتها سبعة:

الأوّل: الإخلاص و القربة و خلّوها عن شوائب الرّياء.

١- أيات الأحكام للجزائري ص ٣٢

الثَّاني: حضور القلب و هو أن يفّرع القلب عن غير ما هو ملابس له و متكلّمٌ به حتّىٰ يكون العلم مقروناً بما يفعله و ما يقوله من غير جريان الفكر في غيرهما فمهما إنصرف الفكر عن غير ما هو فيه و كان في قلبه ذكر لما هو فيه من غير غفلةٍ عنه فقد حصل حضور القلب ثمّ حضور القلب قد يعبّر عنه بالإقبال على الصّلاة و التّوجه و قد يعبّر عنه بـالخشوع بـالقلب فأنّ الخشـوع فـي الصّـلاة خشوعان، خشوعٌ بالقلب و هو أنّ يتَّفرغ لجمع الهمّة لها و الإعراض عمّا سواها بحيث لا يكون في قلبه غير المعبود.

و خشوعٌ بالجوارح و أن يغُّض بصره و لا يلتفت و لا يعبث و لا يتِّثائب و لا يتَّمطيٰ و لا يفرقع أصابعه و بالجملة لا يتّحرك لغير الصّلاة و لا يفعل شيئاً من المكروهات و ربّما عبّر عن ذلك بالخضوع.

الثَّالث: التُّفهم معنى الكلام و هو أمرُّ وراء حضور القلب فربَّما يكون القلب حاضراً مع اللَّفظ و لا يكون حاضراً مع معناه فالمراد بالتَّفهم هو إشتغال القلب على العلم بمعنى اللَّفظ و هذا مقام يتفاوت فيه النَّاس قطعاً.

الرّابع: التّعظيم و هو أمرّ ثراء حضور القلب و التّفهم إذا الرّجل ربّما يخاطب غيره و هو حاضر القلب فيه و متَّفهمّ لمعناه و لا يكون معظماً له.

الخامس: الهيبة و هي زائدة على التّعظيم لأنّـها عبارة عـن خـوفٍ مـنشأه التّعظيم لأنّ من لا يخاف لا يسمّىٰ هائباً ثمّ كلّ خوفٍ لا يسمّىٰ مهابة بل الهيبة خوف مصدره الإجلال.

السّادس: الرّجاء و لا ريب في كونه زائداً عمّا ذكروا لعبد ينبغي أن يكـون راجياً بصلاته ثواب الله كما أنّه خائف بتقصيره عقابه.

السّابع: الحياء و مستنده إستشعار تـقصير و تـوُّهم ذنبٍ و هـو زائـد عـلى التَّعظيم و الخوف و الرّجاء و غيرها وفي أخبار موسى النِّيَّالِا يا موسى إذا ذكرتني فأذكرني و أنت تبغض أعضائك وكن عند ذكري خاشعاً مطّمئناً و إذا ذكرتني

من تواضع لعظمتي ولم يتَّكبر على عبادي و الأُحاديث في الباب كثيرة جدًاً و فيما ذكرناه كفاية لأولي الألباب.

بقلبِ وجل و لسانِ صادقِ.

الأمر الثّانى: ممّا يدخل تحت الفلاح قوله تعالىٰ: وَ ٱلَّذَبِنَ هُمْ عَنِ ٱللَّـغْوِ مُعْرِضُونَ.

فأجعل لسانك من وراء قلبك و إذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذّليل و ناجني

و في بعض الأحاديث القدسيّة ليس كلّ مصّلِ أتَّقبل صلاته أنّما أقبل صلاة

هذا هو الوصف الثّاني للمؤمنين الذّين حكم اللّه لهم بالفلاح، و هو الإعراض عن اللّغو قبل اللّغو من الكلام ما لا يعتّد به و هو الّذي يورد لا عن روّيةٍ و فكر فيجري مجرى اللّغا و هو صوت العصافير و نحوها من الطّيور و قد يسمّى كلّ كلام قبيح لغواً:

قال اللَّه تعالَى: لا يَسْمَعُونَ فيها لَغْوًا وَ لا كِذَّابًا (١).

قال الله تعالى: وَ إِذَا سَمِعُوا ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ (٢).

قال الله تعالى: لا يَسْمَعُونَ فيها لَغْوًا وَ لا تَأْثيمًا (٣).

قال اللّه تعالى: لا يَسْمَعُونَ فيها لَغْوًا إلَّا سَلامًا (٢).

قال اللّه تعالى: وَ اللَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَ إِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٥).

و غيرها من الأيات و الإعراض عن اللّغو تركه و لوضوح المعنى و دلالة الأيات على قبحه و لا نحتاج إلى بسط الكلام فيه و ذكر الأخبار الواردة في الباب فأنّ كلّ عاقلٍ يعلم معنى اللّغو و يحكم عقله بقبحه فضلاً عن الشّرع و من المعلوم أنّ القبح العقلى ملازمٌ للقبح الشّرعى فيجب الإجتناب منه.

١- النّبأ = ٣٥

العجلد الثان

# الثَّالِث: قوله تعالىٰ وَ ٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكُوةِ فَاعِلُونَ

هذا هو الوصف الثَّالث للمؤمنين و المعنى الذِّين يؤدُّون الزُّكوة عن أموالهم إذا وجبت، الزَّكاة في الأصل النُّمو الحاصل عن بركة اللَّه تعالى و يعتبر ذلك بالأمور الدُّنيوية و الأخرويَّة يقال زكا الزَّرع يزكو إذا حصل منه نمُّو و بركة هذا في اللُّغة و أمّا في الإصطلاح عند المتّشرعة فهي تطلق على القدر المخرج بأمر الشَّارع من المال الذِّي بيِّن تعلُّقها فيه و قد تطلق على ما يشمل الصَّدقة المندوبة و لا إشكال في أصل وجوبها بل هي من ضروريّات الإسلام ولذلك يحكم بإرتداد من أنكرها في الدّين وكفي في فضلها و شرفها ذكرها عقيب الصّلاة في أكثر الموارد وكيف كان فهي واجبة كتاباً و سنّةً و إجماعاً و عقلا:

قال الله تعالى: وَ أَقيمُوا ٱلصَّلُوةَ وَ اٰتُوا ٱلزَّكُوةَ وَ ٱرْكَعُوا مَعَ اَلرُّاكِعينَ (١).

قال الله تعالى: وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَ أَقيمُوا اَلصَّلُوةَ وَ اٰتُوا اَلزَّكوٰةً <sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: فَإِنْ تَابُوا وَ أَقَامُوا ٱلصَّلُوةَ وَ اٰتَوُا ٱلزَّكُوةَ فَإِخُواٰنُكُمْ فِي اَلدِّين (٣).

قال الله تعالى: مَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَ ٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَ أَقَامَ ٱلصَّلُوةَ وَ أَتَى اَلزَّ كُوةً (<sup>٢)</sup>.

قال اللّه تعالى: وَ كَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلُوةِ وَ ٱلزَّكُوةِ وَ كَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَوْضِيتًا (<sup>۵)</sup> و غيرها من الأيات.

و أمَّا الأخبار فهي أيضاً كثيرة نشير إلىٰ شطر منها تيَّمناً وتبركاً بها.

٢- البقرة = ٨٣

۴- التّو بة = ۱۸

١ - البَقَرة = ٤٣

٣- التّوبة = ١١

، الفرقان في تفسير القرآن \

مارواه الشّيخ بأسناده عن أبي عبد الله النِّلاِ قال النَّلاِ: صلاةً مكتوبة خير من بيت مملؤ دهباً ينفق في بّرٍ حتّى ينفد ولا أفلح من ضيّع عشرين بيتاً من ذهب بخمسة وعشرين درهماً قال قلت ما معنى خمسة وعشرين قال النَّلاِ: من منع الزّكوة وقفت صلاته حتّى يزّكى إنتهىٰ.

و روى في الكافي عن أبي بصير عن أبي عبد الله الله الله عن من منع قيراطاً من الزّكوة فليس بمؤمنٍ و لا مسلمٍ و هو قول الله عزّ وجلّ ربّ أرجعون لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت إنتهى.

و في روايته الأخرى عنه التلا قال: من منع قيراطاً من الزّكوة فليمت أن شاء يهودياً و أن شاء نصرانياً إنتهى.

و قد ورد أنّ النّبي قد أخرج خمسة نفر من المسجد قال اللّه المُعَالَّة : أخرجوا من مسجدنا لا تصّلوا فيه و أنتم لا تزّكون إنتهى.

و عن أبي عبد الله المُن قال: دمان في الإسلام حلال لا يقضي فيهما أحد حتى يبعث الله قائمنا أهل البيت فإذا بعثه الله عز وجل حكم فيهما بحكم الله لا يريد عليهما بيّنة الزّاني المحصن يرجمه ومانع الزّكوة يضرب عنقه إنتهى.

و روي في الكافي عن محمّد بن مسلم قال سألت أبا عبد الله عن قول الله عزّ وجلّ سيطًوقون ما بخلوا به يوم القيامة الآية فقال النيالية عزّ وجلّ يا محمّد ما من أحدٍ منع من زكوة ماله شيئاً إلاّ جعل الله عزّ وجلّ ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار مطّوقاً في عنقه ينهش من لحمه حتّى يفرغ من الحساب ثمّ قال النيالية هو قول الله عزّ وجلّ سيطّوقون الآية ما بخلوا به من الزّكوة إنتهى.

و في الموّثق عن أيّوب بن راشد قال سمعت أبا عبد اللّه لمَّ اللّهِ عَلَيْهِ اللّه عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللّه عَلَيْهِ يقول: مانع الزّكوة يطّوق بحيّةٍ قرعاء تأكل من دماغه و ذلك قول الله عزّ وجلّ: سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا به.

و إذا كان الأمر على هذا المنوال فمعنى الآية لا خفاء فيه وقد مرَّ الكلام في الزّكوة و وجوبها و ما يتّعلق بها في سورة البقرة و غيرها.

## الرَّابع: قوله تعالىٰ وَ ٱلَّذينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ

هذا هو الوصف الرّابع الثَّابت للمؤمنين الذِّين فازوا بالفلاح ثمَّ إستثنى منه فقال:

إِلَّا عَلَىٓ أَزْواْجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَاِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فَمَنِ ٱبْتَغٰى وَرْآءَ ذٰلِكَ فَأُولٰتِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ

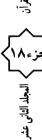
الظّاهر أنّ الجار أعني قوله: لفروجهم متعلّق، يحافظون، و التقدير و الذين هم حافظون لفروجهم، قدّم الجار للإهتمام و المبالغة في صونها و عدم كشفها للزّناء أو ما يشمل النّظر إليها.

روي في الكافي بأسناده عن أبي عبد الله عليه في قوله قُلْ لِلمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ، قال عليهِ : كلّ شي في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزّناء إلاّ هذه الآية فأنها من النَّظر إنتهى.

أقول و على هذا فمعنى قوله: وَ ٱللَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، يحفظونها عن النَّظر إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم و هو النّكاح بالملك أي بملك يمين فأنّهم غير ملومين في النَّظر فمن إبتغى أي طلب غير ما ذكرناه فأولئك هم العادون.

إعلم أنّ الفرج بفتح الفاء و سكون الراء و الجيم في الأصل الشَّق بين الشَّيئين كفرجة الحائط و الفرج يطلق على ما بين الرَّحلين في الذّكر و الأنثى و كنّىٰ به عن

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



ضياء الفرقان في تفسب

السّوأة و كثر حتّى صار كالصّريح فيه، و قال في المجمع الفرج من الإنسان كفلس، قبله و دبره لأنّ كلّ واحدٍ منهما منفرج و كثر إستعماله في العرف في القبل و الجمع فروج كفلوس، و الفرج الثّغر و موضع المخافة إنتهى.

و نقل الطّبرسي عن اللّيث أنّ الفرج إسم يجمع سوأت الرّجال و النّساء و المراد بالفروج هاهنا فروج الرّجال بدلالة قوله: عَــلْتَ أَزُو أُجِــهِمْ أَوْ مُــا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ إِنتهى.

و قال صاحب الكشّاف و المعنى أنّهم لِ فَرُوجِهِمْ حَافِظُونَ في كافّة الأحوال إلاّ في حال تزَّوجهم أو تسريهم، أو تعلّق على، بمحذوف يدلّ عليه قوله: غَيْرُ مَلُومينَ كأنّه قيل يلامون إلاّ على أزواجهم أي يلامون على كلّ مباشر إلاّ على ما أطلق لهم فأنّهم غير ملومين عليه، فأن قلت هلاّ قيل من ملكت، قلت لائنه أريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء و هم الأناث إنتهى.

و قال البيضاوي في قوله: لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، أي لا يبذلونها إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم، زوجاتهم أو سرّياتهم إلى أن قال و أنّما قال، ما ملكت، إجراءً للماليك مجرى غير العقلاء إذ الملك أصلٌ شائع فيه إنتهى موضع الحاجة من كلامه.

أقول دلّت الآية على حفظ الفرج إلاّ على الأزواج أعني بها الزَّوجة أو ما عزء ١٨ ملكت أيمانهم و هو ملك يمين ويعبّر عنه بالأمة، ثمّ أنَّ الزَّوجة على قسمين، دائمة ومنقطعة و على هذا فالفروج تحلّ بثلاثة وجوه:

نكاح بميراث، و نكاحٌ بلا ميراث و نكاحٌ بملك يمين، و المراد بالأوّل الدّائم و بالثّاني المنقطع و قد ثبت عندنا إباحة الفروج بالمتعة و أمّا عند العامّة فالنّكاح منحصرٌ بالدّائم و قد حكموا بتّحريم المتعة و لا دليل لهم عليه الأقوال عمر بن الخطّاب حيث قال متعتان محللتان من زمن النّبي أنا أحرّمهما و أعاقب عليهما.

نفسير القرآن ﴿ \* ﴾ العجلداً

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

ر القرآن 🔰 🏲 المجلد الثاني عشر

و للبحث فيه مقام أخر، و أمّا الأمة فيجوز وطئها لسيّدها و يجوز له تحليلها للغير أيضاً.

إذا عرفت هذا فنقول قوله: إِلا عَلْمَ أَزُواْجِهِمْ يَسْمُل الزّوجة الدّائمة و المنقطعة و قول بعض المفسّرين المتعة حدَّها حدَّ الإماء فمراده أنّها في حكم الإماء في عدم حصرها في الأربع و عدم الإحتياج إلى المحلّل في النّلاث و عدم التّحريم في التّاسعة.

قال الشّيخ في التّبيان ثمّ إستثنى من الحافظين لفروجهم من لا يحفظ فرجه عن زوجته أو ما تملك يمينه من الإماء على ما أباحه اللّه له لأنّ الفروج ينبغي أن يكون على وجه أباحه اللّه تعالى و ملك اليمين في الآية المراد به الإماء لأنّ للذّ كور من المماليك لا خلاف في وجوب حفظ الفرج منهم ومن ملك الأيمان لا يجمع بين الأختين في الوطئ و لا بين الأمّ و البنت وكلّ ما لم يجز الجمع بينهم في العقد فلا يجوز الجمع بينهم في الوطئ بملك اليمين و لا يخرج من الآية وطئ التّمتع بها لأنّها زوجة عندنا و أن خالف حكمها حكم الزّوجات في أحكام كثيرة كما أنّ حكم الزّوجات مختلف في نفسه و ذكره تعالى هذه الأوصاف و مدحه عليها يكفي و يغني عن الأمر بها لما فيها من التّرغيب كالتّرغيب في الأمر و أنّها مرادة كما أنّ المأمور به مراد و كلّها واجبّ إنتهي.

قال بعض المفسّرين أنّما قبل للجارية ملك يمين ولم يقل في الدّار، ملك يمين، لأنّ ملك الجارية أخصّ من ملك الدّار أذله نقض بنية الدّار و ليس له نقض بنية الجارية، وله عارية الدّار ولى له عارية الجارية حتّى توطأ بالعارية، فلذلك خصّ الملك في الأمة و أنّما قال: عَلْق أَزُواْجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتُ أَيْمَانُهُمْ فَإِدَّهُمْ فَلِدُهُمْ فَلْكُومَيْنَ، مع تحريم وطئها على وجوه كتحريم وطئ الزّوجة والأَمة في حال الحيض و وطئ الجارية إذا كان لها زوج أو كانت في حدّة زوج، و تحريم وطئ المظاهرة قبل الكفّارة، لأنّ المراد بذلك على ما يصحّ و يجوز ممّا بنيّة اللّه و بيّنة المظاهرة قبل الكفّارة، لأنّ المراد بذلك على ما يصحّ و يجوز ممّا بنيّة اللّه و بيّنة

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷

رسوله في غير هذا الموضع و حذف لأنّه معلوم و هي من الأمور العارضة في هذه الوجوه أيضاً فأنّ من وطئ الزّوجة أو الأمة في الأحوال التّي حرم عليه وطئها فأنّه لا يلزمه اللّوم من حيث كانت زوجة أو ملك يمين و أنّما يستّحق اللّوم من وجهٍ أخر و اللّوم و الذّم واحد إنتهىٰ.

# فَمَنِ ٱبْتَغٰى وَرٰآءَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ

أي ومن طلب سوى ذلك من الزّوجة و ملك اليمين فهو عاد و العادون هم الذّين يتَّعدون الحلال إلى الحرام أعاذنا الله منه.

## الخامس: وَ ٱلَّذينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رَاعُونَ

قرأ إبن كثير لأمانتهم على التّوحيد و الباقون بصيغة الجمع، هذا هو الوصف الخامس الّذي ذكره الله من أوصاف المؤمن أشار الله تعالى في هذه الآيةإلى وصفين. أحدهما: حفظ الأمانة.

#### ثانيهما: رعاية العهد:

قال اللّه تعالىٰ: إِنَّ اَللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا اَلْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴿ ' ). قال اللّه تعالىٰ: لا تَخُونُوا اَللّه وَ اَلرَّسُولَ وَ تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ ﴿ ` ' ).

قال اللّه تعالىٰ: إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمْانَةَ عَلَى ٱلسَّمُواْتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ ٱلْجَبْال<sup>(٣)</sup>.

قال الله تعالىٰ: قَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا قَلْيُؤَدِّ الَّذِي اَؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ (٢). و قال تعالىٰ في العَهد: وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اَللّٰهِ إِذا عاهَدْتُمْ (٥).

قال الله تعالىٰ: أَلَّذَيِنَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ ٱللهِ مِنْ بَعْدِ ميثاقِه (٤٠).

٢- الأنفال = ٢٧

۴- البقرة = ۲۸۳

قال اللّه تعالىٰ: وَ ٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا (١٠).

قال الله تعالىٰ: فَأَتِقُوٓا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ (٢).

قال الله تعالىٰ: وَ أَوْفُوا بِعَهْدِيَ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَ إِيَّاىَ فَارْهَبُونِ<sup>(٣)</sup> و غيرها من الأيات.

و قد ظهر لك ممّا ذكرناه من الأيات أنّ ردّ الأمانة إلى صاحبها و رعاية العهد ممّا صرَّح به الكتاب و لا نحتاج بعد ذلك إلى ذكر الأخبار الواردة في الباب و مع ذلك نشير إلى شطر منها.

من كتاب المحاسن عن أبي عبد الله المُنْكِلِا قال النَّلِا: أَدُّوا الأمانة ولو إلى قاتل الحسين النَّلِلِا إنتهى.

و قال التَّلِيْ: إتقوا الله و عليكم بأداء الأمانة إلى من إئتمنكم فلو أنّ قاتل على الثَّلِيْ إئتمنني على الأمانة لأدّيتها إليه إنتهى.

و عن الكاظم التلا قال: أنّ أهل الأرض لمرحومون ما تحابُّوا و أدّوا الأمانة و عملوا بالحقّ إنتهى.

و سئل أبو عبد الله عن قول الله عزّ وجلّ: إنّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ما الّذي عرض عليهن وما الّذي حمل الإنسان و ما كان هذا فقال اللّيلاِ: عرض عليهن الأمانة بين النّاس و ذلك حين خلق الخلق إنتهى.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

و قال رسول الله عَلَيْهِ وَاللهِ عَلَيْهِ وَاللهِ عَلَيْهِ وَاللهِ عَلَيْهِ وَاللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

و عن أبي عبد الله التَّالِا قال: ما بعث الله نبياً قط إلا بصدق الحديث و أداء الأمانة إنتهى.

و قال النبي المُ الله الله المعروف و منظروا إلى كثرة صلاتهم و صومهم و كثرة الحج و المعروف و طنطنتهم بالله أنظروا إلى صدق الحديث و أداء الأمانة إنتهى (١).

و ممّا جاء في الوفاء بالوعد و العهد ما رواه في البحار بأسناده عن أبي مالك قال قلت لعلّي بن الحسين التله أخبرني بجميع شرائع الدّين، قال التله قول الحقّ و الحكم بالعدل و الوفاء بالعهد إنتهى.

و بأسناده عن الحسين بن مصعب قال سمعت أبا عبد الله على الله على الله على الله على الله على الله على يقول ثلاثة لا عذر لأحد فيها أداء الأمانة إلى البر و الفاجر و الوفاء بالعهد للبر و الفاجر و بر الوالدين برين كانا أو فاجرين إنتهى.

و بأسناده عن أبي عبد الله النه الله عن الله لأحدٍ من النّاس فيهنّ رخصة و ساق الحديث كما مرّ.

و بأسناده عن الصّادق المُلِيَّةِ عن أباءه قال رسول الله وَ اللَّه وَ اللَّه وَ اللَّه وَ اللَّه وَ اللَّه وَ ا أقربكم مني غداً في الموقف أصدقكم للحديث و أداء الأمانة و أوفاكم بالعهد و أحسنكم خلقاً و أقربكم من النّاس إنتهى (٢).

و الأحاديث كثيرة هناك و فيما نقلناه كفاية لأولى الدّراية.

١- مشكاة الأنوار = ص ٥١ و ٥٢ و ٥٣

٢- بحار الأنوار كتاب العشرة ص ١٤٣ باب لزُّوم الوفاء بالوَعد والعَهد

و من عجائب ما نقلوه في الوفاء بالعهد و الوعد هو قضيّة الطَّائي و شريك نديم النّعمان إبن المنذر و تلخيص معناها على ما ذكره في المستطرق هـو أنّ النّعمان قد جعل له يومين، يوم بؤسٍ من صادفه فيه قتله و أرداه و يوم نعيم من لقيه فيه أحسن إليه و أغناه و كان هذا الطَّائي قد رماه حادث دهره بسهام فاقته و فقره فأخرجته الفاقة من محلّ إستقراره ليرتاد شيئاً لصبيته و صغاره فبينما هـو كذلك إذ صادفه النُّعمان في يوم بؤسه فلمّا رأه الطّائي علم أنّه مقتول و دمه مطلول فقال حيّا اللّه الملك أنّ لي صبية صغاراً و أهلاً جياعاً و قد أرقت مـا ء وجهي في حصول شئ من البلغة لهم و قد أقدمني سوء الحظّ على الملك في هذا اليوم العبوس و قد قربت من مقر الصبية و الأهل و هم على شفا تلفٍ من الطُّوى ولن يتفاوت في قتلي بين أوّل النّهار و أخره فأن رأى الملك أن يأذن لي فى أن أوصل إليهم هذا القوت و أوصي بهم أهل المرّوة من الحيّ لنّلا يـهلكوا ضياعاً ثمّ أعود إلى الملك و أسلّم نفسي لنفاد أمره فلمّا سمع النّعمان صورة مقاله و فهم حقيقة حاله و رأى تلَّهفه على ضياع أطفاله رقَّ له غير أنَّه قال له لا أذن لك حتّى يضمنك رجل معنا فأن لم ترجع قتلناه وكان شريك بن عدي بن شرحبيل نديم النُّعمان معه فإلتفت الطَّائي إلى شريك و قال له ياشريك بن عدي:

مامن الموت إسهزام مسن لأطفال صفاف و إلى الله و الل أنت مـــــن قــــوم كــــرامً للساأخا النُّـــعمان جـــد ليُّ 

بـــــضمانِ و لِتـــــزامُ راجعُ قبل الظّلام

فقال شريك بن عدي أصلح الله الملك عليّ ضمانه فمرّ الطّائي مسرعاً و صار النّعمان يقول لشريك إنّ صدر النّهار قد ولّى ولم يرجع و شـريك يـقول ليس للملك علَّي سبيل حتّى يأتي المساء فلمّا قرب المساء قال النّعمان لشريك

قد جاء وقتكم قم فتأهّب للقتل فقال شريك هذا شخصٌ قد لاح مقبلاً و رجو أن يكون الطَّائي فأن لم يكن فأمر الملك ممتثل قال فبينما هم كذلك و إذاً بالطَّائي قد إشتدٌ عدوه في سيره مسرعاً حتّى وصل فقال خشيت أن ينقضي النّهار قبل وصولى ثمّ وقف الطّائي قائماً و قال أيّها الملك مر يأمرك فأطرق النّعمان ثمّ رفع رأسه و قال و اللَّه ما رأيت أعجب منكما أمَّا أنت ياطائي فما تركت لأحدٍّ في الوفاء مقاماً يقوم فيه و لا ذكراً يفتخر به و أمّا أنتَ يا شريك فما تركت لكريم سماحة يذكر بها الكرماء فلا أكون أنا ألام الثّلاثة ألا و أنّي قد رفعت يوم بؤسيً من النَّاس و نقضت عادتي كرامةً لوفاء الطَّائي بعهده و وعده و كرم الشّريك فقال

فعددت قولهم من الإضلال ولقد دعتني للخلاف عشيرتي و فعال كل معذّب مفضالٍ أنَّـى إمــرؤُ مـنَّى الوفـاء سـجيَّةُ فقال النّعمان ما حملك على الوفاء و فيه إتلاف نفسك فقال ديني فمن لا

وفاء فيه لا دين له فأحسن إليه النّعمان و وصله بما أغناه و عاده مكرماً إلىٰ أهله و أناله ما تمنّاه إنتهى.

ما ذكرناه ملخّصاً فأنظروا إلىٰ أثار الوفاء بالوعد و العهد في الدُّنيا و إذا كـان الأمر في الدّنيا كذلك فما ظنّك بالأخرة التّي هي خير و أبقى.

# السّادس: ٱلَّذينَ هُمْ عَلَى صَلَواٰتِهِمْ يُحافِظُونَ

قرأ حمزة و الكسائي على صلاتهم على التّوحيد لأنّ الصّلاة إسم جنسٍ يقع على القليل و الكثير و كذلك في أمانتهم، و قرأ الباقون صلواتهم على الجمع و عليها المصاحف فعلاً فمن جمع جعله بمنزلة الإسم لإختلاف أنـواعـها لقـوله تعالىٰ: خافِظُوا عَلَى الصَّلُواتِ، وقال أبو علَّي الجمع أقَوىٰ لأنَّه صار إسماً شائعاً شرعيّاً و على هذا فالمعنى الذّين هم على صلواتهم من الواجبات و المندوبات يحافظون و هذا هو الوصف السّادس للمؤمنين فأن المؤمن يحفظ صلاته عن

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷

الأفة قطعاً بقدر الإمكان لأنّ المراد بالمحافظة عليها شدّة الإعتناء بها بأن يداوم عليها و لا يتركها و أن يأتي بمقدّماتها و أفعالها على الوجه الكامل أو الأكمل و أن يحافظ على أداءها في أوقاتها فيأتي بها على الحدود التّي أمر بها الشّارع.

قال الصّادق التِّلْإِ: لها أربعة ألاف حدٍّ.

و عن الرّضا التِّالْإ: لها أربعة ألاف باب.

و قد روي أنّ النّبي سَلَّا لَيْكُا وَ دخل المسجد و فيه أناس من أصحابه فقال سَلَّا النّبي سَلَّا اللّه ورسوله أعلم قال سَلَّا الله ورسوله أعلم قال سَلَّا الله ورسوله أعلم قال سَلَّا الله عندي من صلاهن بوقتهن و حافظ عليهن لقيني يوم القيامة و له عندي عهداً أدخله الجنّة و من لم يصلهن لوقتهن ولم يحافظ عليهن فذلك إليّ أن شئت عذّبته و أن شئت غفرت له إنتهى.

و قال الصّادق النِّهِ أنّ العبد إذا صلّى الصّلوة في وقتها و حافظ عليها إرتفعت بيضاء تقيّة تقول حفظتني حفظك الله و أن لم يصلّها لوقتها ولم يحافظ عليها إرتفعت سوداء مظلمة وتقول ضيّعتني ضيّعك الله إنتهى.

و عن أبي بصير قال، سمعت أبا جعفر للرسي يقول: أنّ أوّل ما يحاسب به العبد الصّلوة فأن قبلت قبل ما سواها و أن الصّلوة إذا إرتفعت في وقتها رجعت الى صاحبها و هي بيضاء مشرقة تقول حفظتني حفظك الله و إذا ارتفعت في غير وقتها بغير حدودها رجعت الى صاحبها و هي سوداء مظلمة تقول ضيَّعتني ضيَّعك الله إنتهى (۱). و الأحاديث كثيرة في الباب جداً.



أُولٰتِكَ هُمُ ٱلْوارِثُونَ، ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فيها خَالِدُونَ مُم أُخبر اللّه عمَّن إجتمعت فيه هذه الخصال المذكورة فقال: أُولٰتِكَ هُممُ ٱلْوارِثُونَ، أي أولئك الّذين يؤول أمرهم الى النَّعيم في الجنّة و يملكون ما يعطيهم اللّه كما يؤول أمر الوارث و في التّعبير بالأرث نكتة لطيفة لا بأس بالإشارة اليها و هي أنّ الوراثة و الأرث إنتقال قنية الى الإنسان عن غيره من غير عقدٍ و لا ما يجري مجرى العقد و سمّي بذلك المنتقل عن الميت الى الحي فيقال للقنية الموروثة ميراث وارث، التراث أصله وارث فقلبت الواو ألفاً و تاءً فصار تراث قال اللّه تعالى: وَ تَأْكُلُونَ التُراثَ أَكُلًا لَقًا ١٠).

إذا عرفت الإرث و الوراثة فأعلم أنّ اللّه تعالى جعل الفردوس و هـو الجنّة بمنزلة الإرث لهؤلاء المذكورين في الآية فكما أنّ الإرث حقّ الوارث فكذلك تكون الجنّة حقّاً لهم بسبب أعمالهم و إتّصافهم بالصّفات المذكورة من الخشوع في الصّلوة و الإعراض عن اللّغو و الإداء للزّكوة و هكذا و قد أشار اللّه تعالى بهذا اللّفظ و ما شابهه في كثيرٍ من الأيات:

قال الله تعالىٰ: و تِلْكَ اَلْجَنَّةُ اَلَّتِيَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٠). قال الله تعالىٰ: تِلْكَ اَلْجَنَّةُ اللَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبْادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا (٣).

و في قوله: هُمْ فيها خَالِدُونَ إشارة الىٰ أنّ هذه النّعمة العظمى لا تزول عنهم أبداً و ذلك أنّ نعم الأخرة ليست لها زوال و دثور بخلاف نعم الدُّنيا فأنّها لا بقاء لها و الى هذا المعنى أشار بقوله: هُمْ فيها خَالِدُونَ، هنيئاً لأرباب النَّعيم نعيمهم.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ المجلد الثاني عشر

وَ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طينِ (١٢) ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً في قَرارٍ مَكينِ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُ ضُغَةً فَ خَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنْاهُ خَلْقًا أَخَرَ فَتَبْارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ لَمَيَّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ تُبْعَثُونَ (١٤) وَ لَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَ مَا كُنًّا عَـن ٱلْـخَلْقِ غَافِلينَ (١٧) وَ أَنْزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِـقَدَرِ فَأَسْكَنَّاهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَ إنَّا عَلَى ذَهَابِ بِـهُ لَقَادِرُونَ (١٨) فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِـ مِجَـنَّاتٍ مِـنْ نَخِيلِ وَ أَعْنَابِ لَكُمْ فيها فَواٰكِهُ كَثيرَةٌ وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ (١٩) وَ شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُور سَيْنَآءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَ صِبْغِ لِلْأَكِلِينَ (٢٠) وَ إِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَام لَعِبْرَةً نُسُقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَ لَكُمْ فيها مَنافِعُ كَثيرَةٌ وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢١) وَ عَلَيْهَا وَ عَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٢٢) وَ لَـقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْم ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَّهٍ غَيْرُهُ أَفَلًا تَـتَّقُونَ (٢٣) فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُريِدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَ لَوْ شَآءَ ٱلله لأَنْزَلَ مَلاَّئِكَةً ما سَمِعْنا بِهذا في الْآئِنَا

ٱلْأُوَّلِينَ (٢۴) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حينِ (٢٥) قَالَ رَبِّ ٱنْصُرْنى بِمَا كَذَّبُونِ (٢٢) فَأُوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْـنَع ٱلْـفُلْكَ بِأَعْيُتِنَا وَ وَحْيِنَا فَإِذَا جُآءَ أَمْرُنَا وَ فَارَٱلتَّنُّورُ فَاسْلُكْ فيها مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَ أَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَ لَا تُخَاطِبْنى فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٧٧) فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَ مَنْ مَعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَـقُل ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجّينًا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ (۲۸) وَ قُلْ رَبِّ أَنْزِلْني مُنْزَلًا مُبارَكًا وَ أَنْتَ خَيْرُ ٱلْمُنْزِلينَ (٢٩) إِنَّ في ذٰلِكَ لَاٰيَاتٍ وَ إِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (٣٠)

### ◄ اللَّغة

سُلالَة: السلالة بضمّ

السّين صفوة الشّئ الّتي تجري قبل ثفله و كدره لأنّها متّقدمة على ثفله كتقديم السلف و الأجر على الأخرة و قد تسمّى النُّطفة أيضاً سلالة و الولد أيضاً سلالة و سليلة و الجمع سلالات و قال في المفرادت سلَّ الشَّيِّ نزعه كسلَّ السّيف من الغمد و سلّ الشّئ من البيت على سبيل السرّقة.

طين: بكسر الطّاء التّراب و الماء المختلط و قد يسمّى بذلك و أن زال عنه قوّة الماء.

نُطْفَةً: بضمّ النَّون و سكون الطّاء و فتح الفاء الماء الصّافي و يعبّر بها عن ماء الرّجل.

عَلَقَةً: بفت ح العين و اللآم و القاف، العلق الدُّم الجامد و منه العلقة قال تعالى: خَلَقَ ٱلْإِنْسُانَ مِنْ عَلَق (١١).

مُضْغَةً: بضمّ الميم و سكون الضّاد و فتح الغين، القَطعة من اللّحم قدر ما يمضغ و لم ينضج و جعل إسماً للحالة الّتي ينتهي اليها الجنين بعد العلقة.

طُرْآنِقَ: واحدها طريقة و المراد بها السَّموات و الباقي واضح.

#### ◄ الإعراب

مِنْ سُلالَةٍ يتعلَّق بخلقنا و مِنْ طين يتعلَّق بمحذوفٍ لأنَّه صفة لسلالة فَخَلَقْنَاٱلْعَلَقَةَ خلقنا بمعنى صيَّرنا فلذلك نصب مفعولين أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ بــدل أو خـبر مـبتدأ محذوف وليس بصفة لأنّه نكرة و إن أضيف به متعلّق بذهاب و، على، متعلّقة بقادرون، شَجَرَةُ معطوف على جنّات سَيْنآءَ بكسر السّين و الهَمزَة على هذا أصل و ليست للتَأْنيث و قد يقرأ بفتح السّين و على هذا فـالهَمزة للـتُأْنيث إذ ليس فـى الكلام، فعلال، بالفتح تَبْثُتُ بضمّ التّاء و كسر الباء و فيه وجهان:

أحدهما: هو متعدِّ و المفعول محذوف تقديره تنبت ثمرها أو جناها و الباء على هذا حال من المحذوف أي و فيه الدُّهن.

الوجه الثّاني: هو من لازم يقال نبت البقل و أنبتت بمعنى فعلى هذا الباء حال و قيل هي مفعول أي تنبت بَسبب الدُّهن، و يقرأ بضمّ التّاء و فـتح البـاء و هــو معلوم، و يقرأ بفتح التّاء و ضمّ الباء و هو كالوجه الثّاني المذكور.

صِبْغ معطوف على الدُّهن و قرئ في الشَّاذ بالنَّصب عطفاً على موضع، بالدُّهن بِأُعْيُننا في موضع الحال أي محفوظة.

## ▶ التّفسير

# وَ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طينٍ

قال قتادة و غيره و رواه عن سليمان و إبن عبّاسً أنّ المراد بالإنسان في الآية هو آدم لأنّه النّسل من الطّين، و أيضاً عن إبن عبّاس أنّ الإنسان إبن آدم و سلالة من طين من صفوة الماء يعني المني و هو إسم جنس و الطّين يراد به آدم، و قال الزّمخشري خلق جوهر الإنسان أوّلاً طيناً ثمّ جعل جوهره بعد ذلك نطفة فجعل الإنسان جنساً بإعتبار حاليته لا بإعتبار كلّ مردودٍ منه، و من الأولى، لإبتداء الغاية و، من، الثّانية للبيان كقوله من الأوثان، إنتهى.

و الحقّ أنّها لا تكون للبيان إلاّ على تقدير أن تكون السلالّة هي الطّين و أمّا إذا قلنا أنّه ما السُّل من الطّين فتكون لإبتداء الغاية.

أقول لا نحتاج الى هذه التّكلفات الّتي إرتكبوها في المقام في تعيين المراد بالإنسان و ذلك لأنّ الانسان يطلق على جميع أفراده آدم و من دونه و المعنىٰ إنّا خلقنا الإنسان أي جعلنا مادّة خلقه من طينٍ سواء أريد به آدم أبو البشر أو غيره فإنّ اللاّم للجنس أي جنس الإنسان كذلك و لأجل هذه الدّقيقة قال تعالى: خَلَقْنَا وَلَا اللاّم للجنس أي جنس الإنسان كذلك و ذلك لأنّ الخلق ناظرٌ الى المّادة ألم إنسان و ذلك لأنّ الخلق ناظرٌ الى المّادة أي جسده العنصري و اليه الإشارة بقوله:

مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فَيِهَا نُعيدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (١). و قال في مَوضع آخر: إِنْ كُنْتُمْ في رَيْبٍ مِنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُراْبٍ (٢).

و من المعلوم أنّ هذا الخلق عبارة عمّا ذكرناه و أمّا الرُّوح المنفوخ فيه فهو من عالم المجرّدات و لا يعلم كيّفية خلقه إلاّ خالقه و هو الّذي يصير الإنسان به إنساناً حقيقة وكيف كان لا شكّ أنّ مادّة خلق الجسد هي التُّراب و هو واضح.

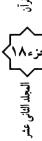
## ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً في قَراْرٍ مَكينِ

قيل المعنى جعلنا الإنسان و هو من ولد من نسل آدم، نطفة و هي القطرة من الماء أي ماء المني الّتي يخلق اللّه منها الحيوان على مجرى العادة في التّناسل فيخلق اللّه من نطفة الإنسان إنساناً و من نطفة كلّ حيوان ما هو من جنسه و معنى، مَكينٍ، أي مكينٌ لذاك بأن هيأ لإستقراره فيه الى بلوغ أمده الّذي جعل له، و قال بعض المفسّرين، القرار، مكان الإستقرار و المراد هنا الرَّحم، و المكين، المتمكّن، وصف القرار به لتمكّنه في نفسه بحيث لا يعرض له إختلال أو لتمكّن من يحلّ فيه، فوصف بذلك على سبيل المجاز كقوله طريقٌ سائر، لكونه يسار فيه.

ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا اٰخَرَ فَتَبْارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخُالِقِينَ

الظّاهر أنّ المراد بالخلق هو الجعل أي جعلنا النطّفة علقة و هكذا أي صيّرناه كذلك، العلقة، بفتح العين و اللاّم و القاف هي القطعة من الدَّم إذا كانت جامدة، والمنفغة، بضمّ الميم و سكون الضّاد و فتح الغين هي القطعة من اللَّحم و المعنى إنّا جعلنا العلقة الّتي هي القطعة من الدَّم لحماً، ثمّ أخبر أنّه جعل المضغة عظاماً، و قرأ إبن عامر و غيره، عظماً، فمن قرأ بصيغة الجمع كما عليها المصاحف أراد ما في الإنسان من إقطاع العظم و من، أفرد، و قال عظماً، أراد به الجنس والمآل واحد ثمّ بيَّن الله تعالى أنّه يكسوا تلك العظام لحماً، ينشأه فوقها كما تكسى الكسوة و قوله: ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا أَخَرَ، يعني ينفخ الرّوح فيه، و قيل نبات الأسنان و الشّعر و إعطاء العقل و الفهم، و قيل خلقاً آخر معناه ذكراً أو أنثى قاله الشّيخ في التبيّان.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 🏲

و أمّا قوله: فَتَبْارَكَ ٱللّٰهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ قيل معنى تبارك إستحقّ التَّعظيم بأنّه قديم لم يزل و لا يزال و هو مأخوذ من البروك و هو الثبوت و قوله أحسن الخالقين قيل فيه دلالة على أنّ الإنسان قد يخلق حقيقة لانّه لو لم يوصف بخالق إلاّ اللّه لما كان لقوله: أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ معنى إنتهى.

أقول ما ذكره هذا القائل لا يرجع الى محصّل بل الحقّ أنّ الأمر صار مشتبهاً عليه ولم يعلم أنّ العبد و ما في يده كان لمولاه و هكذا ما يخلق العبد و أن كان ظاهراً مستنداً اليه إلا أنّه في الواقع يستند الى الله الّذي خلق الخلق نعِم هـو واسطة في الخلق فقوله إنَّ الإنسان قد يخلق حقيقةً لا معنى له و قوله: أَحْسَنُ ٱلْخْالِقِينَ لا يدلّ على كثرة الخالق حقيقةً بل يدلّ على كثرته مجازاً فأنّ الخالق الحقيقي ليس إلا الله تعالى فهو من قبيل قوله: أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمينَ، وأكرم الاكرمين، و كيف كان ففي هذه الأيات أشار اللّه تعالى الى مراتب خلق الإنسان و تطوّراته في عالم الرَّحم و أنَّ الإنسان كان في أوِّلِ الأمِر نطفة ثمّ صار علقة ثمّ صار مضغة و هكذا الى أن صار إنساناً فقوله: ثُمَّ أَنْشَأَناهُ خَلْقًا أُخَرَ إشارة الى خروج الموجود في الرَّحم من عالم الحيوانيّة و دخوله في عالم الإنسانيّة ببركة الرُّوح الَّتي قال اللّه تعالى فيها: فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَحْتُ فيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدينَ (١) و يُستفاد من هذا الكلام أنّ الإنسان قبل تعلّق الرُّوح به كان من سنخ الحيوان لأنّ الحيوان أيضاً في مراتب الخلقة الى قوله: ثُمَّ أَنْشَأَنَّاهُ خَلْقًا اٰخَرَ يكون شريكاً مع الإنسان في طي المراتب من النُّطفة و المضغة و لا فرق بينهما من هذه الجهات حتّى في الرُّوح الحيواني و إنّما يفترق منه في الرُّوح الإنساني الّتي قد يعبّر عنها بالنَّفس النّاطقة القدسيّة حيث أنّ الحيوان فاقدّ لها و استفدنا من هذه الآية أنَّ الإنسان في الحقيقة هو الرُّوح الإنساني وإلاَّ فهو مع قطع النَّظر عنها حيوان و لأجل ذلك لم يؤمر الملاتكة بالسّجود لآدم قبل تعّلق الرُّوح بحسده

لأنَّ الملك لا يسجد ولا يخضع للحيوان، وإنَّى أعتقد إعتقاداً جازماً أنَّ قوله تعالىٰ: فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ بعد قوله: ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا أُخَـرَ إشارة الى ما ذكرناه ولولا تعلُّق الرُّوح بالبدن العنصري لم يقل ما قال و الدُّليل على ما ذكرناه أنّه تعالى لم يقل في خلق الحيوان فتبارك الله أحسن الخالقين و بعبارةٍ أخرى أنّه تعالى وصف نفسه بأنّه أحسن الخالقين في إنشائه خلقاً آخر لا في جعل النُّطفة علقة و العلقة مضغة و هكذا من المراتب الموجودة في خلق الحيوان و كيف لا يكون أحسن الخالقين و هو جعل المخلوق الّذي كان أصله تراباً نطفة في صلب الرّجل ثمّ صيَّرها علقة ثمّ مضغة الى أن جعله إنساناً له عقلّ و فهمَّ مبايناً للخلق الأوَّل مباينة ما أبعدها حيث جعله سميعاً بصيراً و جعل قلبه عرش الرّحمن و مهبط الوحي و الإلهام كما في الأنبياء و الأوصياء و أودع فـي باطنه ما لا يحيط به وصف الواصفين و لا شرح الشّارحين فلو عرف قدره صار أعلى و أفضل من الملائكة المقرّبين و قال مخاطباً إيّاه عبدي أطعني حتّى أجعلك مثلى، و قال: لا يسعني أرضى ولا سمائي و لكن يسعني قلب عبدي المومن أنا عند قلوب المنكسرة و هكذا و من المعلوم أنّ جميع هذه المقامات من بركات الرُّوح الَّتي نفخت فيه و جعلته خلقاً آخر فحقَّ للَّه تعالى أن يـقول فتبارك اللّه أحسن الخالقين في خلق الإنسان الّذي هو من أعجب المخلوقات لا في غيره ممّا خلق فأعرف قدرك أيّها الإنسان و لا تكن من الغافلين والحمد للّه رت العالمين.

قال الرّازي في تفسيره لهذه الآية ما هذا لفظه، و إنّما قال أنشأناه لأنّه جعل إنشاء الرُّوح فيه و إتمام خلقه إنشاء له قالوا في الآية دلالة على بطلان قول النّظام في أنّ الإنسان هو الرُّوح لا البدن فأنّه سبحانه بيَّن أنّ الإنسان هو المركّب من هذه الصّفات و فيها دلالة أيضاً على بطلان قول الفلاسفة الّذين يقولون أنّ الإنسان شئ لا ينقسم و أنّه ليس بجسم إنتهى كلامه.

و فيه ما لا يخفي على النّاقد البصير و ذلك لأنّ قوله و إتمام خلقه إنشاءً له، لا معنى له و ذلك لأنّ إتمام الخلق معناه إتمام خلق الجسد العنصري المادّي الحيواني و إنشائه إيجاده خلقاً غير خلق الأوّل فالإنشاء بعد الخلق ولذلك أتى بكلمة، ثمّ، الّتي تفيد التَّراخي و قال: ثُمَّ أَنْشَأَنَاهُ خَلْقًا أُخَرَ فكيف يكون إتمام خلقه إنشاءً له و يستفاد من كلمة، ثمّ، تأخير الإنشاء عن الخلق و هذا ظاهر و أمّا قوله في الآية دلالة على بطلان قول النّظام في أنّ الإنسان هو الرُّوح لا البدن، ففيه أنَّ القول بأن الإنسان هو الرُّوح لا البدن لا يختصُّ بـالنِّظام و ذلك لأنَّـه أحـد الأقوال في المسئلة و أقواها كما ستعرف القول فيه و قوله فأنّه سبحانه بيَّن أنّ الإنسان هو المُّركب من هذه الصِّفات، من عجائب الأقوال و ذلك لأنَّ اللَّه تعالى لم يقل ذلك ولم يبيّن أنّ الإنسان هو المرَّكب من هذه الصِّفات، و أين بيَّن هذا بل الظَّاهر من الآية أنَّ الإنسان هو الرُّوح إذ بعد تعلَّق الرُّوح الإنساني به صار إنساناً و أمّا قبله فكان حيواناً فالإنسان هو الرُّوح لا غيرها في الحقيقة نعم يطلق الإنسان على المرَّكب في العرف ولاكلام لنا فيه.

و أمّا قوله في الآية دلالة على بطلان قول الفلاسفة الّذين يقولون أنّ الإنسان شيِّ لا ينقسم و أنَّه ليس بجسم، ففيه أمَّا أوَّلاً إنَّا لم نسمع الى الآن هذا الكلام إلاّ منه ولنا أن نسئل عنه من الّذي مَن الفلاسفة قال بهذه المقالة و كان على الرّازي أن يسمّيه فأنّ هذا القول شطط من الكلام.

ثانياً: على فرض التَّسليم فهو قول من ذهب الى أنَّ الإنسان هو الرُّوح فقط و لا شكّ أنّ الرُّوح ليس بجسم و أمّا القائلون بأنّ الإنسان هو الجسم أو المركّب منه و من الرُّوح فلا يقولون أنُّه ليس بجسم فكيف نسب القول الى الفلاسفة هذا كلُّه مضافاً الى انَّ الرُّوح لم تعرفِ بكنهِها حتَّى يقال أنَّها تنقسم أو لا تنقسم و محصّل الكلام أنّ قوله تعالى: ثُمَّ أَنْشَأَنَّاهُ خَلْقًا أُخَرَ أقوى دليل على ما ذكرناه و للبحث فيه مقام آخر.

#### ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ لَمَيِّتُونَ

أخبر الله تعالى في هذه الآية بأنّ الإنسان بعد هذا الخلق و والأحياء يموت عند إنقضاء الأجل و هذا ممّا لاشكّ فيه عقلاً و نقلاً بل حسّاً، أمّا العقل فلأنّ الموجود على قسمين، وإن شئت قلت على ضربين:

أحدهما: أن يكون الوجود من ذاته و بذاته و لذاته و هو منحصر بوجود الواجب تعالى و هذا الوجود غير قابل للزّوال و الفناء و لا يقدر أحد على سلب الوجود منه لأنّه تعالى لم يأخذه من غيره حتّى يمكن للغير أخذه فهو تعالى موجود بذاته أزلاً و أبداً فهو الباقي بعد فناء كل شئ كما كان موجوداً قبل وجود كلّ شئ غيره و لا بحث لنا فيه فعلاً فأنّ المدّعى ثابت بلاكلام.

ثانيهما: أن يكون الوجود من غيره لا من قبل نفسه و ذلك الموجود عبارة عن جميع ما سوى الله تعالى و الوجه فيه ظاهر، و الآية السّابقة صرّحت بذلك في حقّ الإنسان و حكم الأمثال واحد يعني جميع الخلق من الملائكة و الإنسان و الحيوان و غيرها داخل في هذا القسم، فالله تعالى هـو المعطى و المفيض لإعطاء الوجود و إفاضته على الممكنات و لازم ذلك هو أن يكون الوجود في الخلق مستعاراً مرتبطاً بإرادة المعطى و مشيئته و نعبّر عنه بالأجل فالموت حقّ لكُّل موجودٍ مخلوق لا محيص له عنه أبداً فلابدّ يوماً أن ترَّد الودائع، إذا عرفت هذا فنقول، الموت حقٌّ و حتمٌ على رقاب الخلق بمعنى أنَّ بقاء المخلوق من المحالات العقليّة كيف لا، و ذاته يقتضي الفناء و الدثور و يأبـي عـن البـقاء و الدُّوام كما أنَّ الخالق بالعكس و إلى هذا المعنى أشير بقولهم الممكن من ذاته أن يكون ايساً و من علَّته أن يكون أليساً، أي موجوداً كما قال تعالى: ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذُلِكَ لَمَيَّتُونَ و يمكن أن يستدلّ على إثبات المدّعي و هو الموت للإنسان بالآية السّابقة أيضاً و تقريب الإستدلال أنّ الإنسان خلق من تراب و هو جماد ثمّ

بياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 🤻 🖊

صار نطفة و هي علقة و هي مضغة، وهي مرتبة النَّباتية ثمّ صار حيًّا فهي مرتبة الحيوانيّة ثمّ أنشأناه خلقاً آخر فهي مرتبة الإنسانيّة فهذا الموجود أعنى بــه الإنسان مات عن الجماديّة فصار نباتاً ثمّ مات عن النّباتية فصار حيواناً ثمّ مات عن الحيوانيّة فصار إنساناً، ثمّ مات بعد ذلك كما مات قبل ذلك كما قيل ىالفّارسية:

أز جـمادی مـردم و نـامی شـدم و از نما مردم ز حیوان سر زدم مردم از حیوانی و آدم شدم پس چه ترسم کی ز مردن کم شدم و أمّا النَّقل فلا نحتاج إلى إثباته به بعد صراحة الآيات:

قال الله تعالىٰ: كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِ، وَ يَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلالِ وَ اَلْإِكْرام (١<sup>)</sup>.

قال الله تعالىٰ: أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ ٱلْمَوْتُ وَ لَوْ كُنْتُمْ فَي بُرُوجٍ

قال اللّه تعالىٰ: كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣).

قال الله تعالىٰ: قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ ٱلْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ (٢) و الآبات كثيرة.

و أمّا حسًّا، فهو واضح فإنّا نرى أنّ الأحياء يموتون واحداً بعد واحدٍ و حكم الأمثال واحدٍ.

# ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيْمَةِ تُبْعَثُونَ

في هذه الآية أخبر اللّه تعالى عن الحياة بعد الموت للحساب و هو أيضاً حقّ لا نشكّ فيه و الأيات مصرّحة به و قد تكلّمنا فيه سابقاً و سنتكلّم في إثباته و كيفيّته و علّته فيما يأتي بوجهٍ أبسط إن شاء الله تعالى.

۲- النّساء = ۷۸ ١- الرّحمٰن = ٢٧ / ٢٤ ۴- الأحزاب = ١۶ ٣- العنكبوت = ٥٧

، الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴿ ﴾ المجلد الثاني

قال الله تعالىٰ: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّٰهِ وَ كُنْتُمْ أَمْواٰتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ (١).

قال الله تعالى: و هُوَ اَلَّذِيَ أَحْنِاكُمْ ثُمَّ يُمبِتُكُمْ ثُمَّ يُحْبِبِكُمْ (<sup>٢)</sup>. قال الله تعالى: قُلِ اَللهُ يُحْبِبِكُمْ ثُمَّ يُمبِتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَـوْمِ اَلْقِيْمَةِ (٣) والأيات كثيرة.

### وَ لَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرْآئِقَ وَ مَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَافِلينَ

لمّا ذكر اللّه تعالى إبتداء خلق الإنسان و إنتهاء أمره إلى يوم البعث ذكّره بنعمه التّي أنعم اللّه بها عليه فقال: وَ لَقَدْ خَلَقْنا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرْآئِق، إتَّفق المفسّرون على أنّ المراد بها السّموات خلقها الله فوق الخلاتق و سمّاها طرائق لأنّ كلّ طبقةٍ طريقة.

و قال الجبائي لأنّها طرائق للملائكة وقيل الطّرائق السّماوات الطّباق و قيل ما بين كلّ سماء و سماء مسيرة خمس مائة عام و كذلك ما بين السّماء و الأرض و قيل غير ذلك و الأقوال المذكورة لا دليل عليها و أنّما قالوا ما قالوا من عند أنفسهم، نعم المراد بها السّموات بلاكلام و أمّا أنّها طرائق للملائكة أو بين كلّ سماء و سماء مسيرة خمس مائة عام و أمثال ذلك فلا دليل عليه قال في لسان العرب.

قال الزّجاج أراد السّموات السّبع و أنّما سميّت بذلك لتراكبها أي ركب بعضه فوق بعض و هذا هو المراد من قوله تعالى: أَلَّذي خَلَقَ سَبْعَ سَمُواتٍ طِبَاقًا أَ أي طبقة فوق طبقة و قال بعض أهل اللّغة كلّ سماء طريقة و على هذا فالسّموات طرائق و قوله: و ما كُنّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَافِلِينَ، معناه واضح و قيل معناه أنّه تعالى حافظ السّموات من السّقوط و حافظ عباده بما يصلحهم أي هم بمراى منّا ندّبرهم كما نشاء.

١ - البقرة = ٢٨

۲- الحجّ = ۶۶ ۴- الملك = ۳

أقول ما ذكره لا بأس به، و الحقّ أن يقال أنّ الغفلة عن الخلق توجب إنقطاع الفيض من مبدأ الفّياض و هو يوجب فناء الخلق بالكليّة لأنّ الممكن كما يحتاج في حدوثه إلى المؤثّر يحتاج إليه في بقاءه أيضاً و البقاء لا يكون إلاّ بإتّصال الفيض إذ لا بقاء للمعلول مع قطع النّظر عن علّته لأنّه رشحٌ من رشحات العلّة و إن شئت قلت باقي ببقائها فكيف يعقل بقاء المعلول مع إنقطاع الفيض هذا كلّه مضافاً إلى أنّ الغفلة من شئون الممكن و أمّا الواجب فلا يعقل فيه الغفلة النّاشئة عن السّهو و النّسيان لتنزّهه عن هذه الأوصاف.

و قال بعض المفسّرين معناه ما كنّا غافلين أن ينزل عليهم ممّا يحييهم من المطر.

و قال الأخر ما كنّا غافلين عن أفعالهم و ما يستحقّون بـها مـن الشّواب و العقاب.

و قال بعضهم ما كنّا غافلين بل كنّا حافظين للسّماء من أن تسقط عليهم فتهلكهم و الأقوال كثيرة و ما ذكرناه أكمل و أجمع و مع ذلك أنسب بسياق الآية فأنّ الآية أبية عمّا ذكروه من الإحتمالات و المستخرجات الظنيّة التّي لا تساعده العقول السَّليمة و الله أعلم ألا ترى أنّ الله تعالى يقول ما كنّا عن الخلق غافلين ولم يقل حافظين أي كنّا حافظين لهم، و الفرق بين الحفظ و الغفلة ممّا لا يخفي.

وَ أَنْزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَ إِنَّـا عَـلَى الْأَرْضِ وَ إِنَّـا عَـلَى الْأَرْضِ وَ إِنَّـا عَـلَى الْمَابِ بِهِ لَقَادِرُونَ إِنَّا عَـلَى الْمَابِ بِهِ لَقَادِرُونَ

أراً على الحاجة فيشمل الغيث أيضاً و قوله بقدر معناه بقدر الحاجة فأنّ الزّيادة على الحاجة توجب الفساد و نقصها يوجب هلاك الخلق و خير الأمور أوسطها ألا ترى أنّ الطُّوفان في عهد نوح النّبي حدث من زيادة المطر فأفسد كلّ من في الأرض إلاّ من ركب السَّفينة، كما أنّ قطع المطر أو نقصه يوجب القحط و في هذا الكلام إشارة إلى نكتةٍ تجب مراعاتها في جميع الأمور و هي الإجتناب

سياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 🔻

✓ العجلد الثاني عشر

عن الإفراط و التّفريط، و قوله: فَأَسْكَنّاهُ فِي آلْأَرْضِ، أي أسكنا الماء فيها و أثبتناه في العيون و الأودية فأحيينا به الأرض بعد موتها و أنبتنا فيها ما يحتاج النّاس إليه و من المعلوم أنّ منزل الماء من السّماء يقدر على ذهابه و إلى هذا المعنى أشار بقوله: وَ إِنّا عَلَى ذَهابٍ بِهِ لَقَادِرُون و فيه إيماء إلى أنّ القادر على الإنعام و الإعطاء قادر على زواله و قطعه أيضاً فأنّ القدرة نسبتها إلى الفعل و التّرك على السّوية فالقادر كما يقدر على الفعل يقدر على التّرك و هذا معنى قولهم في القدرة، إن شاء فعل و إن لم يشا لم يفعل،

قال اللّه تعالى: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآ فُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتَيِكُمْ بِمَآعٍ عين (١).

قال الله تعالى: وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّـمَآءِ مَآءُ فَأَحْـيَا بِـهِ اللهِ عَلْمَ مَنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اَللهُ (٢).

قال الله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللهَ أَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءُ فَسَلَكَهُ يَنَابِعِعَ فِي ٱلْأَرْضِ<sup>(٣)</sup>.

قال الله تعالى: وَ نَزَّلْنَا مِنَ السَّمْآءِ مَآءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَ حَبُّ الْحُصيدِ (<sup>†)</sup> والأيات كثيرة.

و الأمر أوضح من أن يخفي على أحد، و يدلّ على قوله تعالى: وَ إِنّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُون قوله تعالىٰ في قصّة الطُّوفان، قبلَ ينٓ أَرْضُ ٱبْلَعى مَآءَكِ وَ ينا سَمَآءُ أَقْلِعى (۵) هذا كلّه مضافاً إلى أنّه لو لم يقدر على ذهاب الماء لم يقدر على إنزاله أيضاً، فإذا ثبت الإنزال ثبت الإذهاب ثمّ أشار اللّه تعالى إلى ما يترتّب على إنزال الماء من السّماء على الأرض من الثّمرات.

۲- العنكبوت = ۶۳

۴ ق = ۹

۱-الملك = ۳۰

٣- الزّمر = ٢١

۵- هُو د = ۴۴

#### فَأَنْشَأْنٰهِ لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخيلٍ وَ أَعْنَابٍ لَكُمْ فيها فَواكِهُ كَثيرَةٌ وَ منْها تَأْكُلُونَ

لمًا ذكر الله تعالى نعمة الماء ذكر ما ينشأ عنه فقال فأنشأنا لكم به أي بالماء و الباء للسّبب، جنّات، و هي البساتين، من نخيلِ و أعنابٍ، ثمّ وصفهما بقوله: لَكُمُّ فيها فَواٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَ مِنْها تَأْكُلُونَ، وذلكُ لأنّ ثمرهما جامع بين أمرين، أنّه فاكهة يتفكّه بها، و طعامٌ تؤكل رطباً و يابساً.

قال الطّبري ذكر النَّخيل و الأعناب لأنّهما ثمرة المجاز بالطّائف و المدينة و غيرهما و الضّمير في، ولكم فيها، عائد على الجنّات و هو أعمّ لسائر الثّمرات.

# وَ شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَآءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَ صِبْغِ لِلْأَكِلْمِنَ

الواو في قوله: وَ شَجَرَةً، للعطف أي أنشأنا لكم به جنّات من من نحيل و أعناب و شجرة تخرج من طور سيناء و المراد بها شجرة الزّيتون فأنّ دهن الزّيتون صالح للإستصباح و الإصطباغ جميعاً و هي أي شجرة الزّيتون كثيرة بالشّام، و سيناء، إسم الجبل كما تقول جبل أحد من إضافة العام إلى الخاص.

و قال مجاهد معنى، سيناء، مبارك و قال قتادة معناه الحسن، و قيل سيناء، إسم حجارة.

و قال إبن عبّاس طور سيناء إسم الجبل الذِّي نودي منه موسى و هـو كـثير من السُّنجر و قيل يحتمل أن يكون سيناء فيعالاً من السُّنة و هو الإرتفاع، قيل خصَّ السُّنة و هو الإرتفاع، قيل خصّ الشَّجرة بالتّي تخرج من طور سيناء مع أنّها توجد في كثير من البلاد، لما في ذلك من العبرة بأنّه لا يتعاهدها إنسان بالسَّقي ولا يراعيها أحد من العباد و مع ذلك تخرج الثّمرة التّي يكون فيها الدُّهن الّذي تعظم الفائدة و تكثر المنفعة به و فيه إشارة إلى أنّ الله تعالى قادر على كلّ شئ فأنّ إخراج الشّجرة من الجَبل الّذي ليس فيه ماءً و لا تراب من أدَّل الدّلائل علَى قدرته تعالى و بعبارةٍ أخرى قدرته



ضياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ المجلد لا تنحصر بإنشاء جنّات في الأرض بسبب الماء بل هو قادر على إنشاء شجرة من الجبل بغير ماء مع أنّ فيها منافع كثيرة فهو تعالى على كلّ شئٍ قدير و قوله: وَ صِبْع لِلْأَكِلِينَ، الصّبغ، بكسر الصّاد الأدام، كالخّل و الزَّيت لأنّ الخبز يغمس فيه و يلّون به قاله في المنجد.

و قال في المجمع الصُّبغ بكسر الصّاد ما يصطبغ به من الإدام أي يغمز فيه من الخبز و يؤكل و يختصّ لكلّ إدامٍ مائع كالخّل و نحوه و الجمع أصباغ إنتهى.

فقوله تعالى في الزّيتون أنّه صَبغً للأكلين، معناه أنّه إدامٌ لهم أي و جعلناه ممّا يتّأدم به الإنسان و يصطبغون به من الزّيت و الزّيتون و الإصطباغ أن يغمز فيه ثمّ يخرجه و يأكله و منافع الزَّيتون كثيرة.

# وَ إِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقيكُمْ مِمَّا في بُطُونِهَا وَ لَكُمْ فيها مَنَافعُ كَثيرَةٌ وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ مَنَافعُ كَثيرَةٌ وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ

لمّا بيّن اللّه تعالى في الآية السّابقة فوائد المطر النّازل من السّماء على الأرض بيّن في هذه الآية منافع الأنعام و ما يترتّب عليها من الفوائد التّي لا تحصى من أكل لحومها و الرّكوب عليها و الحرث بها و الإنتفاع بجلودها و أوبارها و بيعها و شراءها و أنواع التّصرف فيها و شرب ألبانها و غير ذلك ممّا أدرج اللّه في قوله: مَنافع كَثيرة ثمّ أنّ الأنعام قد يراد بها الإبل و تطلق على البقر و الغنم أيضاً قيل سمّي بذلك لما فيه من الخير والنّعمة و كلمة، من، في قوله، ممّا و منها، للتّبعيض و المعنى نسقيكم من بعض ما في بطونها و تأكلون من بعضها أو من بعض ما في بطونها و لا يبعد أن يكون قوله نسقيكم إشارة إلى ألبانها بدليل قوله تعالى:

نُسُقيِكُمْ مِمَّا فَي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ لَـبَنًا خَـالِصًا سَآئِـغًا لِلشَّارِبِينَ (١).

الفرقان في تفسير القرآن 🔷 😽

و قال في منافع الأنعام: وَ ٱللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنَا وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنَا وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ ٱلْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَ يَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَ مِنْ أَصُواٰفِهَا وَ أَوْبَارِهَا وَ أَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَ مَتَاعًا إِلَى حينٍ (١).
وَ عَلَيْهَا وَ عَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ

الضّمير في عليها، يرجع على الأنعام و المعنى أنّكم تحملون عليها الأثقال في أسفاركم و مثل ذلك على الفلك و هي السُّفن و لا يخفى عليك أنّ الرّكوب و حمل الأثقال في الأسفار و غيرها تختّص به بعض الأنعام لا جميعها و لذلك قرنها بالفلك لأنّها سفائن البّر كما أنّ الفلك سفائن البحر.

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مِا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ

لمّا ذكر اللّه تعالى أوّلاً بدأ الإنسان و تطوّره في تلك الأطوار و ما إمتنّ به عليه ممّا جعله سبباً لحياتهم و إدراك مقاصدهم ذكر أمثالاً لكفّار قريش من الأمم السّابقة المنكرة لإرسال اللّه رسلاً المكذّبة بما جائتهم به الأنبياء عن اللّه تعالى فإبتدأ قصّة نوح أوّلاً لأنّه أبو البشر النّاني كما ذكر أوّلاً آدم و هو أبو البشر الأوّل في قوله: و لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طينٍ فقال تعالى: و لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحًا الخ، و هو النّبي المشهور قيل في نسبه هو نوح إبن لامك بن متوشخ بن أخنوخ و هو إدريس النّبي قيل سمّي نوحاً لأنّه كان ينوح على نفسه متوشخ بن أخنوخ و هو إدريس النّبي قيل سمّي نوحاً لأنّه كان ينوح على نفسه خمس مائة عام و نحّى نفسه عمّا كان فيه قومه من الضّلالة قيل هو أوّل نبّيّ بعد إدريس و كان نجّاراً و ولد في العام الذي مات فيه آدم و بعث في الألف الثّانية و هو إبن أربع مائة و قيل بعث و هو إبن خمسين سنة و في الحديث عاش نوح ألف سنة إلاً

خمسين عاماً في قومه يدعوهم و سبع مائة بعد نزوله من السَّفينة و هو الذي و مصَّر الأمصار و أسكن ولده في البلدان قيل كان بين نوح النبي و بين آدم عشرة أباء كلهم أنبياء و أوصياء و إنّما خفي ذكرهم في القرآن ولم يسمّوا كما سمّي من استعلن من الأنبياء لأنّ قابيل أتى إلى هبة الله بعد موت آدم فقال له أنّ أبي قد خصّك من العلم بما لا أخصّ أنا و هو العلم الذي دعا به أخوك هابيل فتقبّل الله قربانه و أنّما قتلته لكيلا يكون له عقب يفتخرون على عقبي و أنّك أن أظهرت من العلم الذي خصّك به أبوك شيئاً قتلتك كما قتلت أخاك هابيل فلبث هبة الله و العقب منه مستخفين بما عندهم من العلم و الإيمان حتى بعث الله نوحاً عليه الله عقب منه مستخفين بما عندهم من العلم و الإيمان حتى بعث الله نوحاً عليه الله المنافقة المنافقة المنافقة الله المنافقة الله المنافقة الله المنافقة الله المنافقة المنافقة المنافقة الله المنافقة الله المنافقة المنافقة الله المنافقة المنافقة المنافقة المنافقة المنافقة الله المنافقة المنا

روى إبن أبي عمير عن إبن سنان عن أبى عبد الله النِّلْ قال النِّلْ الله النَّلِ قال النَّلِا بقى نوح في قومه ثلاث مائة سنة يدعوهم إلى الله فلم يجيبوه فهم أن يدعو فوافاه عند طلوع الشّمس أثنى عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماء و هم العظماء من الملائكة فقال لهم نوح ما أنتم فقالوا نحن أثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السّماء الدّنيا و ساق الحديث إلى أن قال فأسألك أن لا تدعو على قومك قال نوح أجلتهم ثلاث مائة سنة فلما أتى عليهم ست مائة سنة ولم يؤمنوا همَّ أن يدعو فوافاه أثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السّماء الثَّانية فقال نوح من أنتم قالوا نحن أثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماء الثّانية و ساق الحديث إلى أن قال نسألك أن لا تدعو على قومك فقال نوح قد أجلتهم ثلاث مائة سنة فلما أتى عليهم تسع مائة سنة و لم يؤمنوا همَّ أن يدعو عليهم فأنزل الله عزّ وجلّ: أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ أَمَنَ فَلاْ تَبْتَئِسْبِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ( ١ ) إِلَىٰ أَحْر الحدىث. و نحن ذكرنا قصّة نوح و دعاءه على قومه و كيفيّة الطّوفان في سورة الأعراف و غيرها فلا نعيد الكلام بذكرها ثانياً.

فقوله تعالىٰ: فَقَالَ يَا قَوْمِ آعْبُدُوا ٱللّٰهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَقُونَ معناه أفلا تخافون عقوبته إذا عبدتم غيره.

فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُريدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلاَئِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهِذَا فَيَ الْبَائِنَا ٱلْأَوَّلِينَ الْأَوَّلِينَ

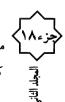
فقال الملاء أي كبراء النّاس و عظمائهم و هم الّذين كانوا أعصى النّاس و أبعدهم لقبول الخبر، ماهذا، أي نوح، إلاّ بشر مثلكم أي مساويكم في البشّرية وليس له إختصاص بالرّسالة و لكنّه يريد أن يتّفضل عليكم بالرّئاسة و لو شاء اللّه، أن يرسل إليكم رسولاً، لأنزل ملائكة، و هذا القول منهم مشعرٌ بأنّهم كانوا مقرين بالملائكة و هذه شنشنة قريش و دأبها في إستبعاد و إرسال اللّه البشر و الإشارة في هذا تحتمل أن تكون لنوح عليّلًا و أن تكون إلى ماكلّمهم به من الأمر بعبادة اللّه و رفض أصنامهم، و أن تكون إلى ما أتى به من أنّه رسول اللّه و هو بشر و أعجب بضلال هؤلاء القوم إستبعادهم رسالة البشر و إعتقادهم بألهيّة الحجر و المدر، و قولهم: ما سَمِعْنا يِهذا إلى أخر كلامهم.

الظّاهر أنّهم كانوا مباهتين و إلا فنبّوة إدريس و آدم لم تكن المدّة بينها و بينهم متطاولة بحيث تنسى فدافعوا الحقّ بما أمكنهم دفاعه و لهذا نسبوه إلى الجنون كما قال الله:

# إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حينٍ

و معلُومٌ أنّه لم تكن به جنّة إلاّ أنّ المنكر المعاند يقول ما يشاء وقوله فتّربصوا أي إنتظروا حاله حتّى يجلي أمره و عاقبة خبره.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



و قال بعض المفسّرين يحتمل أن يكونوا أرادواكأنّه في طمعه فيما يدعو إليه مجنون، أي أنّه يطمع الرّئاسة عليكم و هو دليل على جنونه وكيف كان أنهم كذّبوا نوحاً أشّد التَّكذيب ولم يؤمنوا به حتّىٰ طلب النُّصرة من اللّه تعالىٰ كما قال:

## قَالَ رَبِّ ٱنْصُرْني بِمَا كَذَّبُونِ

دعا ربّه تعالى أن ينصره و يظفره عليهم بسبب ما كذّبوه و المعنى أبدلني من غمّ تكذيبهم سلوة النّصر عليهم أو أنصرني بإنجاز ما وعدتهم من العذاب و هو ما كذّبوه فيه حين قال لهم أنّي أخاف عليكم عذاب يومٍ عظيمٍ.

فَأَوْحَيْنٰآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْقُلْكَ بِأَعْيُنِنٰا وَ وَحْيِنٰا فَإِذاْ جَآءَ أَمْـرُنٰا وَ فَارَٱلتَّنُّورُ فَاسْلُكْ فيها مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَ أَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْني فِي ٱلَّذينَ ظَلَمُوۤا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ

قد مرَّ الكلام في معنىٰ الوحي غير مرّةٍ و الفلك، بضّم الفاء السّفينة، أوحى اللّه تعالى إلى نوح أن أصنع الفلك بأعيننا قيل أي بأعين أوليائنا من الملائكة و المؤمنين، و قيل بحيث نراها كما يراه الرّائي من عبادنا بعينه ليتَّذكر أنّه يصنعها و الله عزّ وجلّ يراه، و قيل المِراد بالوحي هنا الإعلام أي إعلامنا إيّاك كيفيّة فعلها.

و قوله: فَإِذا جَآءَ أَمْرُنا أَي إذا جاء وقت إهلاكنا لهم، و قوله: وَ فَارَ النَّنُورُ، روي أَنَّ اللّه تعالى جعل علامة وقت الإهلاك فوران التّنور بالماء فقال تعالى له إذا جاء ذلك الوقت، فأسلك فيها، يعني في السّفينة، و المعنى أحمل فيها أو أدخل فيها، من كلّ زوجين إثنين، أي من كلّ زوجين من الحيوان إثنين ذكراً و أنثى و الزّوج واحد له قرين من جنسه، و أهلك، أي أحمل أهلك معهم يعني مع الذّين أمنوا معك، إلا من سبق عليه القول، بالإهلاك منهم، ولا تخاطبني في الذين ظلموا، أي لا تسألني في الظّالمين أنفسهم بالإشراك معي، أنهم مغرقون، هالكون.

الفرقان في نفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ المجلد الثاني : كال أقول قد تقدّم الكلام على أكثر تفسير ألفاظ هذه الآية في سورة هود و في قوله: وَ لا تُخاطِبْني فِي آلَذينَ ظَلَمُوآ نهاه أن يخاطبه في قومه بدعاء نجاة أو غيره وبيّن علّة النّهي بأنّه تعالى قد حكم عليهم بالإغراق.

روي في البحار عن أبي جعفر النيالا أنه قال كانت شريعة نوح أن يعبد الله بالتوحيد و الإخلاص و خلع الأنداد وهي الفطرة التي فطر الناس عليها و أخذ ميثاقه على نوح و النبيين أن يعبدوا الله و لا يشركوا به شيئاً و أمره بالصّلاة و الأمر و النهي والحلال و الحرام و لم يفرض عليه أحكام حدود و لا فرض مواريث فهذه شريعته فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم سِّراً و علانية فلما أبوا و عتوا قال ربّ أني مغلوب فإنتصر فأوحى الله إليه أن لن يؤمن من قومك إلا من قد أمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون الحديث.

و عن المفضل قال كنت مع أبي عبد الله بالكوفة أيّام قدم على أبي العبّاس فلمّا إنتهينا إلى الكناسة فنظر عن يساره ثمّ قال يا مفضل هاهنا صلب عمّي زيد المنتفي ثمّ مضى حتّى أتى طاق الزّياتين وهو أخر السّراجين فقال لي أنزل فأنّ هذا الموضع كان مسجد الكوفة الأوّل الذّي كان خطّه آدم و أنا أكره أن أدخله راكباً فقلت له فمن غيّره عن خطّته فقال أمّا أوّل ذلك فالطُّوفان في زمن نوح ثمّ غيّره بعد أصحاب كسرى و النّعمان بن منذر ثمّ غيّره زياد بن أبي سفيان فقلت له جعلت فداك و كانت الكوفة و مسجدها من زمن نوح فقال نعم يا مفضل و كان منزل نوح و قومه في قرية على منزلٍ من الفرات ممّا يلي غربي الكوفة فقال الما الماء و أنّ نوح أوّل من عمل سفينة تجري على ظهر الماء و أنّ نوحاً لبث في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً يدعوهم الماء و أنّ نوحاً لبث في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً يدعوهم

الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ المجلد الثاني عنا

إلى الهدى فيهزؤن به و يسخرون منه فلمّا رأى ذلك منهم دعا عليهم فقال ربّ لا تذر على الأرض إلى قوله كفّاراً فأوحى الله إليه يا نوح أصنع الفلك و أوسعها بأعيننا و وحينا فعمل نوح سفينة في مسجد الكوفة بيده يأتي بالخشب من بعد حتّى فرغ منها قال مفضّل ثمّ إنقطع حديث أبي عبد الله عند ذلك فقام فصّلى الظهر ثمّ العصر ثمّ إنصرف من المسجد فإلتفت عن يساره و أشار بيده إلى موضع دار الدّارسين و هو في موضع دار إبن حكيم و ذلك فرات اليوم فقال يا مفضل هاهنا نصبت أصنام قوم نوح يغوث و يعوق و نسراً ثمّ مضى حتّى ركب دابّته فقلت جعلت فداك في كم عمل سفينة نوح حتّى فرغ منها قال في الدّورين فقلت و كم الدّوران قال ثمانون سنة قلت فأنّ العامّة تقول عملها في خمس مائة عام قال فقال للنِّلِ كلاً و الله يقول و وحينا إنتهى.

و عن المفضّل قال قلت لأبي عبد الله النّه أرأيت قول الله عزّ وجلّ، حتّى فَإِذا جُآءَ أَمْرُنا وَ فَارَ ٱلتّنُورُ، ما هذه التّنور و أنّى كان موضعه وكيف كان فقال كان التّنور حيث وصفت لك فقلت فكان بدو الخروج الماء من ذلك التّنور فقال النّه أخب أنّ الله أحب أن يرى قوم نوح الآية ثمّ أنّ الله بعد أرسل عليهم مطراً يفيض فيضاً و فاض الفرات فيضاً أيضاً و العيون كلّهن فيضاً فغرقهم الله و أنجى نوحاً و من معه في السّفينة الحديث (١) و هناك أخبار غير ما ذكرناه إن شئت فراجعها.

فَاِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَ مَنْ مَعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجّيْنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمينَ

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔻



أي إذا إستقررت أنت و من معك على الفلك و علوتم عليه و تمكَّنتم منه فقل شكراً لله، الحمد لله الذي نجّانا و خلَّصنا من القوم الظّالمين، على نفوسهم بسبب إنكارهم التَّوحيد و النبّوة.

### وَ قُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَ أَنْتَ خَيْرُ ٱلْمُنْزِلِينَ

قيل المنزل المبارك هو السّفينة وقيل ذلك حين خرج من السَّفينة و قيل كان فيها سبعة أنفس و نوح ثامنهم من المؤمنين و قيل ستّة و قيل ثمانين، و قيل هلك كلّ ما كان على وجه الأرض إلاّ من نجا مع نوح فيها و قال الحسن كان طول السّفينة ألفاً و مائتي ذراع و عرضها ستة مائة ذراع و اللّه أعلم.

### إِنَّ في ذٰلِكَ لَاٰ يَاتٍ وَ إِنْ كُنَّا لَمُبْتَلَمِنَ

يعني أخبرناك من قصّة نوح و غيرها لأيات و علامات للعقلاء الذين يعتبرون بها و يستدّلون على توحيد الله و صفاته و أن كنّا لمبتلين، أي مختبرين عبادنا بها، قال أميرالمؤمنين عاليّلاً: ما أكثر العبر و أقلّ الإعتبار.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



ضياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ العجلد الثاني عشر

ثُمَّ أَنْشَأْنًا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا الْخَرِينَ (٣١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهِ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ (٣٢) وَ قَالَ ٱلْمَلاَّ مِنْ قَوْمِهِ ٱلَّذينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَ أَتْرَفْنَاهُمْ فِي ٱلْحَيْوةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرُّ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمًّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَ يَشْرَبُ مِمًّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَ لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ (٣٢) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِــُتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُرابًا وَ عِظامًاأَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ (٣٥) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣۶) إِنْ هِيَ إِلَّا حَــيٰاتُنَا ٱلدُّنْـیٰا نَــمُوتُ وَ نَـحْیٰا وَ مٰــانَحْنُ بِمَبْعُوثينَ (٣٧) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلُ ٱفْتَرٰى عَــلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَ مَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنينَ (٣٨) قَالَ رَبّ ٱنْصُرْنى بِما كَذَّبُونِ (٣٩) قَالَ عَمَّا قَليل لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ (٤٠) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُّ بِالْحَقّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُـثْآءً فَبُعْدًا لِلْقَوْم ٱلظُّالِمينَ (٢١) ثُمَّ أَنْشَأْنًا مِنْ بَعْدِهِمْ قُـرُونًا اْخَرينَ (٤٢) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَـلَهَا وَ مُــا يَسْتَأْخِرُونَ (٤٣) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُـلَّمَا جْآءَ أُمَّةً رَسُولُها كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَ جَعَلْنَاهُمْ أَحْادِيثَ فَبُعْدًا لِـقَوْم لا يُؤْمِنُونَ (۴۴)

#### ◄ اللّغة

أَنْشَأَنْا: أي إخترعنا و الإنشاء و الإختراع واحد.

قَرْنًا: القرن بفتح القاف و سكون الراء قيل هو أهـل العـصر لمـقارنة بـعضهم لبعضٍ و منه القرينشة و هي الدّلالة التّي تقارن الكلام.

ٱلْمَلَا أَبْ بِفتح الميم و هو وجوه النّاس و أشرافهم.

أَتْرَفْنَاهُمْ: الإتراف التَّنعم بضروب الملاذ و قيل أنَّ التَّنعيم قد يكون بنعيم العيش و قد يكون بنعيم الملبس و الإتراف هو الأوّل.

هَيْهَاتَ: بفتح التّاء و كسرها إسم فعل بمعنى بعد أي بعيدٌ هذا.

آلصَّيْحَةُ: الصُّوت الشَّديد الَّذي يفزع منها.

غُنآءً: بضّم الغين الغئن الّذي يجئ بها السَّيل على رأس الماء من قصب و حشيش و غير ذلك و قيل الغثاء البالي من الشَّجر أعني ورقة.

متتراً: قرأ أبو عمرو و إبن كثير بـالتّنوين و البـاقون بـغير تـنوين و المـواتـرة المتابعة و قيل هـي المواصلة يقال واترت بين الخبرين أي تابعت بينهما.

#### ◄ الإعراب

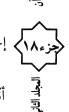
أَيْعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ إلى آخرها، في إعراب هذه الآية وجوه:

أحدها: أنّ إسم (أنّ) الأولى محذوف أقيم مقامه المُضاف إليه تقديره أنّ إخراجكم، وإذا هو الخبر وإنّكم مخرجون تكرير.

الثّانى: أنّ إسم أنّ الكاف و الميم و إذا شَرط و جوابها مَحذوف و تَقديره، أنّكم، إذا متّم، يحدث أنّكم مخرجون، و عليه فأنّكم، الثّانية و ما عملت فيه فاعل جواب، إذا، و الجملة كلّها خبر، أنّ، الأولى.

الثّالث: أنّ خبر الأولى محذوف لدلالة الخبر الثّانية عليه و العامل في، إذًا محذوف هَيْهاتَ هو إسم للفعل و هو خبر واقع موقع، بعد، و في فاعله وجهان:

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔸



الثَّاني: فاعله، ما، و اللَّام زائدة أي بعد ما توعدون من البعث، و هيهات على الوجه الأوَّل لا موضع لها و فيها عدَّة قرآئات، الفتح بلا تنوين، على أنَّه مفرد، و بالتُّنوين على إرادة الكثير، و بالكسر بلا تنوين و بتنوين على أنَّه جمع تأنيث، و الضُّم بالوجهين مشبه بقبل و بعد و يقرأ، هيهاه بالهاء وقفاً و وصلاً و يقرأ، أيهاه بأبدال الهمزة من الهاء الأولى عَمَّا قَلِلِ قيل ما زائدة و قيل هي بمعنى شي، أو زمن تَثْوا التّاء بدل من الواو لأنّه من المواترة و هي المتابعة و ذلك من قولهم جاءوا على وتيرةٍ واحدة أي طريقةٍ واحدةٍ و هو نصب على الحال أي متتابعتين و الحقُّ أنَّه مصدر في موضع الحال و قيل هو صفة لمصدر محذوف أي إرسالاً متواتراً، و في ألفها ثلاثة أوجه:

أحدها: هي للإلحاق.

الثّاني: هي بدل من التّنوين.

الثَّالث: هي للتَّأنيث مثل سكرى ولذلك لا تنون على قول من منع الصَّرف.

#### ▶ التّفسير

# ثُمَّ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا اخَرينَ

أي ثمّ أنشأنا و إخترعنا من بعد قوم نوح وإهلاكهم بالطُّوفان، قرناً أخرين، إختلف المفسّرون في هذا القوم فقال بعضهم المراد منهم قوم صالح النّبي و قال الأخرون هو قوم هود لأنّه المرسل بعد نوح و هو قول الأكثرين قالوا ذكر هذه القصّة عقيب قصّة نوح يظهر منه أنّ هؤلاء قوم هود و الرَّسول هو هـود و هـو الّذي أرسل بعد نوح.

و قال أبو سليمان الدّمشقي والطّبري هم قوم ثمود و الرّسول الّـذي أرســل إليهم هو صالح النّبي التِّيلاِّ هلكوا بالصّيحة و في أخر القصّة، أخذتهم بالصّيحة و



لم يأت أنّ قوم هود هلكوا بالصّيحة و قصّة قوم هود جائت في سورة الأعراف و في هود و في الشّعراء بأثر قصّة قوم نوح حيث قال تعالى: **وَ ٱذْكُرُوۤا إِذْ جَعَلَكُمْ** خُلَفَآءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمٍ نُوحٍ<sup>(١)</sup>.

فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ آعْبُدُوا ٱللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَـيْرُهُ ۗ أَفَلا تَتَّقُونَ

ذكرنا أنّهم إختلفوا في تعيين المراد من القوم الّذين أرسل الله إليهم الرّسول و قلنا أنّ أكثر المفسّرين على أنّ المراد بالقوم هو قوم عاد و نبيّهم هود عليه السّلام فعلى هذا المراد بالرَّسول في الآية هو هود النّبي فقوله تعالى: قَأَرْسَلْنَا فيهِم أي في قوم عاد، رسولاً، هو هود النّبي و قوله: مِنْهُم ، معناه أنّه عليّا إلى كان من قوم عاد بعث إلى قومه و قال لهم أعبدوا الله، الّذي لا إله إلاّ هو، ما لكم من إله غيره، فأنّ ما سواه مخلوق له كائناً ما كان، أفلا تتّقون، أي أفلا تجتنبون من عبادة الأصنام و الأوثان.

روى المجلسي مَنْ في البحار بأسناده عن الصّادق اللهِ أنه قال اللهِ اللهِ أنه قال اللهِ الهُ اللهِ اللهُ اللهِ المُلهِ اللهِ المُلهِ اللهِ المُله



أقول يظهر من هذا الحديث أنّ المراد بالقوم في الآية هو قوم عاد و بالرّسول هود عليه الله أكثر المفسّرين و الله أعلم و كيف كان لا شكّ أنّ القوم كذّبوا رسولهم الذّي أرسله الله إليهم كما كان هو دأبهم و ديدنهم بالنّسبة إلى جميع الأنبياء فأنّا لم نجد رسولاً من آدم إلى خاتم الرُّسل لم يكذّبه قومه و السِّر فيه أنّ الأديان على خلاف مسلك القوم فأنّ النّاس في كلّ عهدٍ و زمان كانوا يتبعون الشّهوات و الأهواء و الرَّسول كان يمنعهم عنها و يدعوهم إلى الله و إتباع أمره و نهيه ألا ترى أنّ محمّداً الله وأي كان في قومه مشهوراً بالأمين فلمًا بعث إليهم دعاهم إلى ترك الأوثان و متابعة الحقّ كذّبوه وإتّهموه بالجنون و السّحر وقد ثبت أنّ حكم الأمثال واحد و إلى هذا المعنى أشار الله تعالى بقوله:

وَ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِلِقَآءِ ٱلْأَخِـرَةِ وَ أَتْرَفْنَاهُمْ فِى ٱلْحَيٰوةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِـثْلُكُمْ يَأْكُـلُ مِـمُّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَ يَشْرَبُ مِمًّا تَشْرَبُونَ

قلنا في شرح اللّغات أنّ الملاء هم الأشراف و الرّؤوساء من كلّ قوم و أنّما خصّهم اللّه تعالى بالذّكر مع أنّ غيرهم من أحاد النّاس أيضاً كذّبوه ولم يكن التّكذيب مختصاً بالأشراف، لأنّ العوام و أن شئت قلت غير الأشراف و الأعيان، لا رأي لهم في هذه الأمور أو لا يقبل منهم و أنّما هم أتباع الرّؤوساء و الأشراف في دينهم و دنياهم و هذا هو السّر في تغيير عمر بن الخطّاب سنة رسول الله و تقسيمه بيت المال على التّفاضل بعد أبى بكر و ذلك لأنّه علم بأنّ أشراف القوم إذا تبعوه و سكتوا عمّا لا يصّح السّكوت عنه لم يقدر أحد على مخالفته و لمّا وصلت الخلافة إلى أميرالمؤمنين و قسم بيت المال على سنة رسول الله و خالف عمر فيه، خالفه الزّبير و طلحة و غيرهما من المترفين ونكثوا بيعته و نظائره كثيرة.

اء الفرقان في تفسير القرآن 🔻 💛 ا

اء الفرقان في تفسير القرآن 🚽 🌱 🏲 المجلد الثاني عشر

بل نقول هذا هو الأصل في تسلّط الظّالمين و حاصل الكلام أنّ الذّنب ثابت على الأشراف أوّلاً و على غيرهم ثانياً و هو واضح قال الله تعالى: وَ قَالُوا رَبَّنآ إِنَّا أَطَعْنًا سَادَتَنَا وَ كُبَرْآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ١ و هذه الآية صريحة فيما ذكرناه ثمّ وصف الله هؤلاء الأشراف بأنّهم كفروا وكذّبوا بلقاء الأخرة الظّاهر أنّ المراد بالكفر هو كفران النّعمة لأنّ الدّين من أفضل النّعم و أنّما قلنا ذلك لأنّهم كانوا كافرين قبل الرّسول أيضاً لا أنّهم كفروا بعد مجئ الرّسول نعم كفروا و أنكروا رسالته و كذّبوه و يحتمل أن يكون المراد أنّ الكفر ثبت لهم بعد الإنكار وكيف كان كفروا بالرّسول و كذّبوه في البعث و الحساب يوم القيامة و أنّما قال تعالى ذلك لأنّ الرَّسول يدعو النّاس إلى الأخرة و لا يدعوهم إلى الدّنيا ولو دعاهم إليها لم يكذَّبوه ولم يكفروا به ثمَّ أشار الله تعالى إلى أنَّ السَّبب و العلَّة في كفرهم و تكذيبهم حبّ الدّنيا و ما فيها و كونهم من المترفين فيها و لم يعلموا أنّ الدّنيا و ما فيها من النُّعم و اللّذات فانية داثرة لا بقاء لها و الدّار الأخرة باقية مضافاً إلى أنّ كثرة النِّعم فيها ينبغي أن تكون موجبة للشِّكر و الحمد لا للطِّغيان و الكفران و يستفاد من هذه الآية أنَّ النِّعم الدُّنيوية قد تكون باعثة على الكفران بدل الشُّكر و هو كذلك بالنّسبة إلى بعض الأشخاص و قد تكون باعثة عـلى إزديـاد الشّكـر بالنسّبة إلى بعضِ أخر و قوله تعالى حكايةٍ عنهم ما هٰذَآ إلّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ إلى أخر الآية معناه واضح و الظّاهر أنّ الأمر كذلك فأنّ الأنبياء كانوا من البشر و لم يكن بينهم و بين غيرهم فرق من هذه الجهة أي من جهة الأكل و الشّرب و النُّوم وغير ذلك فهم كانوا صادقين في قولهم هذا و لا ذمّ عليهم في كلامهم هذا و أنّما الذَّم ثابتٌ لهم من حيث أنَّهم خلطوا الأمر و لم يفرقوا بين الإنسان و البشر و لم يعلموا أنَّ كلِّ إنسانٍ بشرٌّ و ليس كلُّ بشرٍ إنسان و توضيحه إجمالاً.

هو أنّ الإنسان له جنبتان، ملكيّة، و ملكوتيّة، و إن شئت قلت له روحٌ و بدن فالرُّوح من عالم الملكوت و البدن العنصري من عالم الملك و ما حكاه اللّه تعالى عنهم في الآية من أنّ الأنبياء بشرٌ مثلكم يأكل ممّا تأكلون منه و يشرب ممّا تشربون أنّما هو من شئون الجسم العمصري الحيواني فأنّ الحيوان أيضاً كذلك يأكل ممّا نأكل و يشرب ممّا نشرب منه و لا فرق بيننا و بين الحيوان من جهة الأكل و الشُّرب و النّوم و أمثال ذلك فلازم ما ذكروه عدم الفرق بين الإنسان و الحيوان و هم لا يقولون به و ملخّص الكلام أنّ المقايسة بين أفراد الإنسان أنّما هي في صفات النّفس و الرّوح من المعرفة و العدالة و العلم و الأمانة و الصّداقة و غيرها لا في صفات الحيوانيّة من الأكل و الشُّرب و أمثال ذلك فما ذكروه دليل على جهلهم و حماقتهم و أنّهم لم يعرفوا الإنسان و لا سيّما الإنسان الكامل الذّي على جهلهم و ذلك الجهل والعناد و حبّ الدّنيا لا ثمرة لها إلاّ هذا و لذلك قالوا

### وَ لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ

أي إذا ثبت أنّ الأنبياء مثلكم لا تطيعوهم لأنّ حكم الأمثال واحد و لا يعقل أن يكون الإنسان مطيعاً لمثله من جميع الجهات فأنّ الإطاعة في هذه الصُّورة توجب الخسران و هذا حقّ لا مرية فيه و ذلك لأنّ النّبي لو كان مثل أحاد النّاس من جميع الجهات فلا مزّية له على غيره و العقل لا يحكم بالإنقياد له لعدم الفرق بين المطيع و المطاع على الفرض و نحن أيضاً نقول بهذه المقالة فأنّ هذا الكلام مطابق للعقل قطعاً و أنّما الكلام في الأصل الذّي بنوا عليه هذا الفرع و هو قولهم ما هذا إلاّ بشرّ مثلكم، فأنّ هذا غير ثابت بل هو مردود مطرود عقلاً كما أوضحناه فأنّ المثلين على ما ثبت في العلوم العقليّة يشتركان في جميع اللّوازم و الصّفات بحيث يلزم من تعقل أحدهما تعقل الأخر و فيما نحن فيه ليس الأمر كذلك فأنّ النّبي معصومٌ عن الذّاب و مع ذلك هو أعلم النّاس و أشجعهم و أسخاهم و

اء الفرقان في غسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ المجلد الثاني عشر إ، الفرقان في غسير القرآن ﴿ ﴿ ﴿ ﴾ أعدلهم و أقربهم إلى الله و بالجملة جميع الصّفات الكماليّة فيه موجوده و هو يقدر على المعجزة و غيرها من خوارق العادات و ليس من هذه الأوصاف في غير النّبي صفة واحدة فضلاً عن الجميع فأين المثلّية بيننا و بينه.

و إذا إنتفت المثليّة إنتفى ما فرَّعوا عليها و هو قوله: وَ لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخُاسِرُونَ، إذ المفروض أنّ الأنبياء و إن كانوا من البشر و كانوا من هذه الجهة أي في البشريّة مثل سائر الأفراد إلاّ أنّهم كانوا من جهة الإنسانية و الإتّصاف بالملكات النّفسانية غير سائر الأفراد و الذّي يحكم العقل بعدم متابعته و أنّ متابعته توجب الخسران هو التّساوي في جميع الجهات و عدم وجود المرّجح في البين و قد ثبت خلاف ذلك عقلاً بل نقول يجب عقلاً و شرعاً متابعة الأفضل و لأجل ذلك صار القائل بهذه المقالة و هي قوله ما هذا إلاّ بشر مثلكم، مذموماً في الآية فالذَّم تعلَّق بخطأهم في التّطبيق أي تطبيقهم المثليّة في حقّ الأنبياء فتّأمل.

#### أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُراٰبًا وَ عِظامًاأَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ، هَيْهاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ

الهَمزَة في، أَيَعِدُكُمْ، للإستفهام و المعنى أيعدكم هذا النّبي و هو هودعاليَّالْإِ أنّكم إذا متم، و فارقتم الحياة وَ كُنْتُمْ تُرابًا، أي صرتم تراباً في القبر بعد الموت و عظاماً و لم يبق منكم إلا العظام البالية، أنَّكم مخرجون، من القبور يـوم البعث يزء ٨١٨ هيهات هيهات أي بعيدٌ هذا الوعد و هو الحياة بعد الموت، ففي هذا الكلام إنكارٌ للبعث و أنّه لا يكون قطعاً فالنّبي الّذي وعدكم بهذا كاذبٌ في قوله و من كان كذلك لا يطاع فكأنّهم إستَّدلوا بذلك على عدم متابعة النّبي لأنّهم أثبتوا أوّلاً أنّ النّبي مثل غيره فلا فضل له عليه و فرَّعوا على هذا الأصل أنّ متابعته توجب الخسران لعدم التَّرجيح و إستَّدلوا على مدّعاهم بأنّه يعدكم ما لا يقبله العقل و هو الحياة بعد الموت و هذا دليل على عدم صلاحيّته و أنّه كاذب في قوله و من

سياء الفرقان في تفسير القرآن 🚽

كان كذلك فلا يطاع و لم يعلموا أنّ النّبي صادق في قوله و لا يكذب أبداً و أمّا الحياة بعد الموت فهي من المسلّمات و لا إشكال فيها عقلاً لأنّ الخالق الذّي خلق الإنسان من تراب أوّلاً يقدر على خلقه منه ثانياً، لعموم قدرته إذ لو لم يقدر على إيجاده ثانياً فهو عاجزٌ ضعيفٌ و هو تعالى منزة عن العجز و الضّعف هذا مضافاً إلى أنّه خلقه أوّلاً فكيف لا يقدر على إيجاده ثانياً و المفروض أنّ الخلق الثّاني مثل الخلق الأوّل و قد ثبت عقلاً أنّ حكم الأمثال واحد و سيأتي البحث في المعاد إن شاء الله.

ننبية:

فيه بحثان:

أحدهما: أنّ قوله تعالى: أَنَّكُمْ، كرّر في الآية فما وجه التكرير، و فيه أقوال: أحدها: ما ذهب إليه سيبويه و هو أنّ، أنّكم، الثّانية بدل من الأولى و فيها معنى التّأكيد و خبر، أنّكم، الأولى محذوف لدلالة خبر الثّانية عليه تقديره أنّكم تبعثون

إذا متم، و هذا الخبر المحذوف هو العامل في، إذا.

الثّانى: ما ذهب إليه الفّراء و المبّرد و الجرحي و هو، أنكم، الثّانية كرّرت للتّأكيد لمّا طال الكلام و حسن التّكرار في الباب و على هذا يكون، مخرجون، خبر، أنّكم، الأولى و العامل في إذا، هذا الخبر وكان المبّرد يأبى البدل الذّي قال به سيبويه، لكونه من غير مستقبلٍ إذ لم يذكر خبر، إنّ، الأولى.

الثّالث: ما ذهب إليه صاحب الكشّاف و هو أنّ أنّكم مخرجون، مبتدأ و قوله: إِذا مِتُّمْ، خبر على معنى إخراجكم إذا متم ثمّ أخبر بالجملة عن، أنّكم، إنتهى.

الرّابع: ما ذهب إليه الأخفش و هو، أنّكم مخرجون، مقدّر بمصدر مرفوع بفعلٍ محذوف تقديره يحدث إخراجكم و في المقام أقوال كثيرة و الأصل فيها ما ذكرناه.

البحث الثّاني: في قوله: هَيْهَاتَ، هَيهات بفتح النّاء فيهما و هي لغة الحجاز، و قرأها هارون عن أبي عمر و بفتحهما منّونتين، و قرأ أبو حياة بضَّمهما من غير تنوين و عنه و عن الأعمر بالضّم و التَّنوين و قرأ بعضهم بضّمها من غير تنوين و هذه الكلمة أعني بها هيهات قد تلاعبت بها العرب تلاعباً كبيراً بالحذف و الإبدال و التّنوين و غيره و قد ذكروا فيها أربعين لغة، و قيل واحد هيهات، هيهة و لا تستعمل هذه الكلمة غالباً إلاّ مكرّرة و جاءت غير مكرّرة في الشّاذ و هيهات إسم فعل لا يتعدّى برفع الفاعل ظاهراً أو مضمراً و هنا جاء التركيب هيهات هيهات لما توعدون لم يظهر الفاعل فوجب أن يعتقد إضمار تقديره و هو إخراجكم، واللاّم في لِما للبيان، هذا.

# إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَ نَحْيَا وَ مَانَحْنُ بِمَبْعُوثِهِنَ

كلمة، إن، نافية بمعنى ليس أي ليست الحياة إلا واحدة و هي حياتنا في الدّنيا نموت فيها و نحيا، أي يموت منّا قومٌ و يحيا قومٌ و لسنا نبعث يوم القيامة، و قيل معناه يموت فيها بعض و يولد بعض ينقرض قرنٌ و يأتي قرنٌ أخر و هذا أوفق بسياق الكلام من القول الأوّل و كيف كان أنّهم أنكروا البعث و زعموا أنّ الحياة ليست إلاّ هذه الحياة الفانية.

و من المعلوم المسلّم عند العقلاء أنّ مجّرد الإنكار لا يكفي في إثبات المدّعى فقولهم: وَ مُانَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ يدلّ على عنادهم و جهلهم إذ العقل السّليم لا يحكم بإستحالة الحياة بعد الموت بل يؤيّدها بضميمة الأدّلة العقليّة و النّقلية كما ستعرف القول فيه إن شاء اللّه.

زِءُ ﴿ ۚ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلُ ٱفْتَرٰى عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَ مَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ

إن، نافية أيضاً أي ليس هو إلا رجل إفترى و المراد بالرّجل هود النّبي عاليًا و تعبيرهم عنه بالرّجل دون النّبي لأنّهم لم يعتقدوا نبّوته ظاهراً و لذلك رموه بالكذب و قالوا إفترى على الله كذباً فيما وعدكم من الحياة بعد الموت ثمّ الحساب يوم القيامة و أنّما قاله من عند نفسه و إذا كان الأمر على هذا المنوال فما نحن له بمؤمنين أي لا نؤمن بنبوّته و هذا الكلام منهم أيضاً باطل و ذلك لأنّهم لم

يقيموا دليلاً على مدّعاهم و من أين ثبت لهم كذبه و إفتراءه نعوذ بالله منه و ليس هذا أوّل قارورةٍ كسرت في الإسلام فأنّ الكافر المعاند للحقّ يقول ما يشاء و أن كان قوله على خلاف إعتقاده ألا ترى أنّ مشركي مكّة إتبعوا أبائهم و أمثالهم و قالوا في رسول الله ما قالوا فلّما أيس هود النّبي منهم و رأى إصرارهم على الكفر دعا عليهم و طلب عقوبتهم على تكذيبهم و طلب النّصر من اللّه تعالى.

### قَالَ رَبِّ ٱنْصُرْني بِمَا كَذَّبُونِ

إستنصر من الله على قومه بسبب تكذيبهم إيّاه ثمّ قال لهم كما حكى اللّه عنه.

#### قَالَ عَمًّا قَلْيِلِ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ

أي من زمنٍ قليلٍ و، ما، توكيد للقلة و قليل صفة لزمن محذوف و في معناه قريب، قيل أي بعد الموت تصيرون نادمين، و قيل عمّا قليل أي وقت نزول العذاب في الدّنيا تظور علاماته و ندامتهم على ترك قبول ما جاءهم به رسولهم حيث لا ينفع الرَّجوع واللام في ليصبّحن قيل لام القسم و في هذا الكلام إشارة إلى أنّ إنكار الحقّ يوجب النّدامة قبل الموت أو بعده:

قال الله تعالى: فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فَيَ أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (١). و قال تعالى في قصة صالح النّبي بعد عقرهم النّاقة: فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (٢).

و قال تعالىٰ: وَ أَسَرُّوا ٱلنَّدَامَةَ لَـمًّا رَأَوُا ٱلْـعَذَابَ وَ قُضِيَ بَـيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ<sup>(٣)</sup>.

و قال تعالىٰ: إِنْ جَآءَكُمْ فَاسِقُ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا أَنْ تُصبِبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٢) و غيرها من الأيات.

٢- الشّعراء = ١٥٧

۴- الحُجرات = ۶

فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْناهُمْ غُثْآءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ

قال الزّمخشري صيحة جبرئيل التِّلا صاح عليهم فدَّمَرهم بالحقّ أي بالوجوب لأنّهم قد إستوجبوا الهلاك، أو بالعدل من اللّه من قولهم فلان يقض بالحقّ إذا كان عادلاً في قضاياه شبّههم بالغثاء في ديارهم و هو حميل السّيل ممّا بلى و أسوَّد من العيدان و الورق و منه قوله تعالى: فَجَعَلُهُ غُثْآءً أَحْوٰى إنتهى.

و عن إبن عبّاس الصيّحة الرَّجفة و قيل هي نـفس العـذاب و قـيل العـذاب المصطلم قال الشّاعر:

خُـرُوا لدهشتها على الأذقان صاح الزّمان بآل زيد صيحةً و قال المفضل، قوله بالحقّ أي بما لا مدفع له كقوله: و جَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ **بالْحَقّ** (١) إنتهي.

و قوله: **فَبُعْدًا لِلْقَوْم ٱلظّالِمينَ** أي بعد لهم من رحمة اللّه.

# ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا اخَرِينَ

أي أنشأنا و إخترعنا بعد قوم نوح و هود قروناً آخرين، أي أمماً آخرين قال إبن عبّاس هم بنو إسرائيل، و قيل قصّة لوط و شعيب و أيوب و يونس عليهم السّلام.

### مًا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَ مَا يَسْتَأْخِرُونَ

قيل هذا وعيدٌ لهؤلاء المشركين و المعنى أنَّ كلِّ أمَّةٍ من الأمم لها أجل و مدَّة و وقتٌ مقدّر قدره الله لها بحكمته و مصلحته فإذا بلغته لا تؤخر عنه و لا تقدّم : ١٨٨٠ عليه بل تهلك عنده و الأجل هو الوقت المضروب لحدوث أمر من الأمور قيل ليس الأجل الوقت المعلوم أنّه يحدث فيه أمرٌ من الأمور لأنّ التأجيل فعلّ يكون به الوقت أجلاً لأمرٍ و ما في المعلوم ليس بفعلٍ و الأجل المحتوم لا يتأخر و لا يتّقدم و الأجل المشروط بحسب الشّرط و المعنى في الأجل المذكور في الآية هو الأجل المحتوم و قد تقدّم الكلام في هذه الآية في سورة الحجر آية ٥.

قال الله تعالىٰ: وَ لَنْ يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهُ (١).

قال الله تعالى: فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ (٢).

ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّمَا جَآءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَ جَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْم لا يُؤْمِنُونَ

قرأ إبن كثير و أبو عمرو، تترا، بالتنوين و الباقون بغير تنوين و عليه المصاحف فعلاً و لعله هو الأشهر.

و أمّا في الوقف فلا خلاف أنّه بألف فمن نوّن لم يمل في الوقف و من لم ينوّن فمنهم من يميل و منهم من لا يميل و المواترة المتابعة و قيل هي المواصلة يقال واترت بين الخبرين أي تابعت بينهما قال إبن عبّاس و مجاهد و إبن زيد معنى، تترا، أي متواترين يتبع بعضهم بعضاً و هي، فعلى، من المواترة فمن صرّفها جعل الألف للإلحاق و من لم يصرفها جعلها للتأنيث و أصل تترى، و ترى، من و ترت فقلبت الواو تاءً لكراهتهم الواو أوّلاً و أصله في المعنى الإتصال فمنه الوتر الفرد عن الجمع المتصل و منه الوتر لإتصاله بمكانه من القوس و على أي حالٍ فهو منصوب على الحاليّة أي أرسلنا رسلنا متواترين واحداً بعد واحدٍ و أنّما أضاف الرسّل اليه تعالى فقال: أَرْسَلْنا رُسُلُنا و أضاف رسولاً الى ضمير الأمّة فقال: رَسُولُها، أي رسول الأمّة، لأنّ الإضافة تكون بالملابسة و الرسول يلابس المرسل و المرسل اليه.

فالأول: كانت الإضافة لتشريف الرُّسل.

الثّاني: كانت الإضافة الى الأمّة حيث كذّبته و لم ينجح فيهم إرساله اليهم فناسب الإضافة اليهم. أن قلت أنّ الله تعالى كان عالماً بأنّ الأمّة لا تصدّق الرسّل بل تكذّبهم فلم أرسل الرسّل اليهم واحداً بعد واحدٍ كما قال: فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا.

قلت أرسلهم اليهم إتماماً للحجّة ليهلك من هلك عن بيَّنةٍ و يحيى من حيً عنها، و لئّلا يكون للنّاس على اللّه حجّة يوم القيامة ألا ترى أنّ الطّبيب بعد تشخيص الدّاء وظيفته تعيين الدّواء و أمّا المريض فهو مختار في شرب الدّواء و عدمه و اللّه تعالى هو الطّبيب بالنّسبة الى عباده و الدّين بمنزلة الدّواء كما أنّ الكفر بمنزلة المرض فالعبد مريضٌ روحاً و هو يحتاج الى الدّواء و اللّه تعالى على قاعدة اللّطف يهدى العبد و يرشده بواسطة أنبياءه و رسله.

و أمّا قوله: جَعَلْنَاهُم أَحاديث معانه يتحدّثون بهم على وجه المثل في الشرّ وهو جمع، أحدوثة، قال بعضهم احاديث جمع حديث إلاّ أنّه جمع شاذ و جمع أحدوثة و هو جمع قياسي.

و قال الزّمخشري، الأحاديث تكون إسم جمع للحديث و منه أحاديث رسول الله إنتهى.

و إعترض عليه بعض النُّحاة و قال أنّ، أفاعيل ليس من أبنية إسم الجمع إلاً على وجه الشّاذ و الصّحيح أنّه جمع تكسير لا إسم جمع.

أقول إن قلنا أنّه جمع حديث فالمعنى إنّا جعلنا الرسّل يتحدّثون النّاس بما هو نافعٌ لهم في الدُّنيا و الأخرة.

و أن قلنا أنّه جمع أحدوثة فلا يقال هذا إلاّ في الشرّ و أمّا في الخبر فلا، و في المقام إحتمال آخر و هو أن يكون جمع حديث و المعنى أنّه لم يسبق منهم عين و لا أثر إلاّ الحديث منهم و أمّا قوله: فَبُعْدًا لِقَوْم لا يُؤْمِنُونَ أي فبعداً من رحمة الله و رسوله لهؤلاء الكفّار الذين لا يصدّقون الرسّل و لا يقرّون بواحدنيّة الله و لا بالبعث و النشُّور و العقاب و نحن نقول آمين ربّ العالمين.

باء الفرقان في نفسير القرآن 🔷 🌱 🌂

ضياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ المجلد الثاني عشر ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَ أَخَاهُ هَـرُونَ بِـأَيَاتِنَا وَ سُلُطانِ مُبين (٤٥) إِلَى فِرْعَوْنَ وَ مَالِايْهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَ كَانُوا قَوْمًا عالينَ (٤۶) فَـقَالُوٓا أَنُوْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنًا وَ قَوْمُهُمًا لَنَا عَابِدُونَ (٤٧) فَكَذَّبُوهُمًا فَكَانُوا مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ (٤٨) وَ لَقَدْ اٰتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٢٩) وَ جَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّةً اٰيَةً وَ اٰوَيْنَاهُمٰآ إِلٰى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَراْرِ وَ مَعين (٥٠) يٰآ أَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ وَ ٱغْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) وَ إِنَّ هٰذِهِ أُمَّـتُكُمْ أُمَّـةً واحِدَةً وَ أَنَـا رَبُّكُـمْ فَـاتَّقُونِ (٥٢) فَـتَقَطَّعُوٓا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِرْبِ بِـمَا لَـدَيْهِمْ فَرحُونَ (٥٣) فَذَرْهُمْ في غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حينِ (هُ) أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَ بَنيْنَ (٥٥) نُسْارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرِاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٤) إِنَّ ٱلَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (۵۷) وَ ٱلَّذِينَ هُمْ بِأَيَّاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (۵۸) وَ ٱلَّذينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَ ٱلَّـذينَ يُؤْتُونَ مَا أَتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّـهُمْ إِلْي رَبِّهِمْ رَاٰجِعُونَ (٤٠) أُولُـئِّكَ يُسْـارعُونَ فِــي ٱلْخَيْراٰتِ وَ هُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٤١) وَ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَ لَدَيْنَا كِتَابُ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (٤٧) بَلْ قُلُوبُهُمْ في غَمْرَةٍ مِنْ هٰذا وَ لَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (٤٣) حَتِّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعُرُونَ (٤٣) لا تَجْعُرُوا أَلْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنْا لا يَجْعُرُوا أَلْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنْا لا تَعْعُرُونَ (٤٥) قَدْ كَانَتْ أَيَاتي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَيْكُمْ وَكُنْتُ أَيَاتي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَيْكُمْ تَلَيْكُمْ وَكُرُونَ (٤٥) مَنْتَكْبِرينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (٤٧)

#### ◄ اللّغة

مَلِايْه: الملاء أشراف القوم و زعمائهم.

اْوَيْنَاهُمْآ: أُويْ إليه يأوى، أواه غيره يؤويه إيواءً أي جعله مأويٰ له.

رَبُوْهِ: بفتح الرّاء و الواو و سكون الباء المكان المرتفع و يجوز ضمّ الرّاء و فتحها و كسرها و بالفتح قرأ عاصم و إبن عامر و الباقون بالضّم و قيل الرّبوة التّي أويا إليها هي الرَّملة.

مَعِنٍ: فعيل من معن يمعن و هو الماعون و هو الشّي القليل، و قيل معناه، وفدهم، و قيل زكاتهم يقال أمعن في كذا إذا لم يترك منه إلاّ القليل.

رُبُرُّ: الزُّبر بضّم الزَّاء و الباء الكتب و هو جمع زبور كرسول و رسل و قرأ إبن زم ۱۸ عامر بفتح الباء فمعناها جماعات.

غَمْرَتِهِم: أي جهلهم و ضلالتهم و قيل في حيرتهم و قيل في غفلتهم. حبن: أي حين العذاب أو وقت الموت.

وَجِلَةٌ: الوجل الخوف من عقاب الله.

مُتُرْفِهِمُ. المترف المتَّقلب في لين العيش و نعومته.

يَجْرُونَ: الجوأر رفع الصُّوت و قيل هو الصُّراخ بالتّوبة و قيل الضجّة.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



تَنْكِصُونَ: النَّكص الرَّجوع إلى القهقري وهو المشي على الأعقاب إلى خلف. تَهْجُرُونَ: الهجر الكلام المرفوض لأنه لا خير فيه، و قرأ نافع تهجرون بضّم التّاء و هو الكلام السيَّ.

#### ◄ الإعراب

هْرُونَ بدل من أخاه وَإِنَّ هٰذِة يقرأ بفتح الهَمَزة و فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: تقديره، و لأنّ، واللآم المقدّرة تتعلّق بقوله: فَاتَّقُونِ أي فإتَّقون لأن هذه، و موضع أن، نصب أو جرَّ، و المشهور في القراءة كسر الهَمَزة و عليه المصاحف.

الوَجه الثّاني: أنّه معطوف على ما قبله تقديره أنّي بما تعملون عليم و بأنّ مذه.

الثّالث: أنّ في الكلام حذفاً أي و أعلموا أنّ هذه، و يقرأ بتخفيف النّون و هي مخفّفة من الثّقيلة و يقرأ بالكسر على الإستئناف زُبرًا مفعول ثان لتَّقطعوا و قيل هو حال من الفاعل أثّنا نُمِدُّهُمْ ما بمعنى الّذي و خبر، أنّ نُسْارع لهم و العائد محذوف تقديره و نسارع لهم به أو فيه ما اتواما، بمعنى الذّي و العائد محذوف أي يعطون ما يعطون عَلَى أغْفْرِكُمْ حال من الفاعل في تَنْكِصُونَ و قوله تعالى: مُشْتَكْمِرِبنَ حال أخرى و الهاء في بِه للقرآن و قيل للنّبي و قيل للبيت سامِرًا حال أي تسمرون حول البيت و الباقي واضح.

#### ◄ التّفسير

ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسٰى وَ أَخَاهُ هٰرُونَ بِاٰيَاتِنَا وَ سُلْطَانٍ مُبينٍ

كلمة، ثمّ، تفيد التّأخير و المعنى أنّ موسى و هارون بعثًا بعد الْأنبياء الذّين مرّ ذكرهم و هو كذلك و في قوله: أَرْسَلْنا مُوسٰى وَ أَخْاهُ إشارة إلى أنّهما كانا من الرّسل بمقتضى العطف و عليه إجماع الأمّة إلاّ أنّ هارون مات قبل موسى و لو

أقرآن المجلد الثاني

كان حيّاً بعده كان من المرسلين و قوله: بِأَيَاتِنَا وَ سُلْطَانٍ مُسبينِ فالمراد بالأيات.

قال إبن عبّاس هي التّبع و هي التسع العصا و اليد و الجراد و القمّل و الضّفادع و الدُّم و البحر و السّنن و نقص من الثّمرات و المراد بالسُّلطان هو العصا و اليد و هما اللَّتان إقترن بهما التَّحدي و يدخل في عموم اللَّفظ سائر أيـاتها كـالبحر و المرسلات السّت و أمّا غير ذلك ممّا جرى بعد الخروج من البحر فليست تلك لفرعون بل هي خاصة ببني إسرائيل، و قال الحسن، بِالْيَاتِنَا أيبديننا، وَ سُلُطُانِ مُبينِ، هو المعجزة، و يجوز أن يراد بـالآيات نـفس المعجزات و بسلطانِ مبين كيفيّة دلالتها لأنّها و إن شاركت أيات الأنبياء من حيث أنّها أية إلاّ أنَّها قد فارقتها في قوّة دلالتها على قـول مـوسى التِّيلا و قـيل المـراد بـالسّلطان المبين العصا لأنّها كانت أمّ آيات موسى و أولاها و قد تعلّقت بها معجزات شتّي من إنقلابها حيّة و تلَّقفها ما أفكته السّحرة و إنفلاق البحر و إنفجار العيون من الحجر بالضّرب بها و كونها حارساً و شمعة و شجرة خضراء مثمرة و هكذا و يجوز أن يراد بسلطانِ مبين الأيات أنفسها و الكلِّ داخل تحت اللَّفظ و ذلك لأنَّ الأدلّة و الحجج ظاهرة لكلّ نبّى من الأنبياء و هذه هي التّي عبّر عنها بسلطانٍ مبين و لذلك سمّى الحجّة سلطًاناً و ذلك لما يلحق من الهجوم على القلوب لكن أكثر تسَّلطه على أهل العلم و الحكمة من المؤمنين قال اللَّه تعالى: وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيّهِ سُلْطانًا (١) و أصل السَّلاطة التَّمكن من القهر يقال تزء١٨> سلَّطته فتَّسلط و منه سمّي السُّلطان سلطاناً.

# إِلَى فِرْعَوْنَ وَ مَلِايْهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَ كَانُوا قَوْمًا عَالِينَ

أي أرسلنا موسَّى و هارون إِلٰى فِرْعَوْنَ وَ مَــلٍايْهِ، أي عـظماء قـومه و أشرافهم، و أنّما قال ذلك مع أنّ موسى و هارون أرسلا إلى جميع القوم أشرافهم

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

و عوامهم لأنّ القوم في كلّ زمانٍ يتبعون الأشراف و الأعيان في جميع أمورهم إمّا لأنّه لا رأي لهم واقعاً و إمّا لعدم الإعتناء بأرائهم و لو كانت حقاً و كيف كان فقد أخبر الله تعالى أنّهم أعني بهم فرعون و ملائه إستكبروا كما هو دأب الأعيان و الأشراف و سائر النّاس صاروا تابعين لهم كما هو شأن العوام و السّر في إستكبار الأعيان و الأشراف عن الحقّ و إعراضهم عنه واضح لا خفاء فيه.

و قوله: وَ كَانُوا قَوْمًا عَالِينَ، معناه كانوا قاهرين على النّاس بالبغي و التّطاول علهيم و لهذا كانت صفة ذمًّ، و العالي القاهر القادر الّذي مقدوره فوق مقدور غيره بعظمه يقال علا فلان إذا ترَّفع و طغىٰ و منه:

قال الله تعالى: أَلَا تَعْلُوا عَلَيَّ (١).

قال اللّه تعالى: إنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي ٱلْأَرْضِ (٢).

قال الله تعالى: و قَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَن ٱسْتَعْلَى (٣).

أي من علا على صاحبه و قهره بالحجّة، و أنّما وصف اللّه فرعون و قومه بذلك لأنّ فرعون قال أنّا ربّكم الأعلى، و هم تبعوه على ذلك و لا علّو أقبح و أشنع من إدّعاء الألوهيّة فأنّ هذا أعلى مرتبة العلوّ و كانّ قوله: كَانُوا قَوهُ عَلَا أَسُن من إدّعاء الألوهيّة فأنّ هذا أعلى مرتبة العلوّ و كانّ قوله: كانُوا قَوهُ و عالمين بمنزلة العلة لإستكبارهم فكأنّه قيل لم إستكبروا فقال تعالى لعلوّهم و تجاوزهم عن حدّهم و لا نعني بالإستكبار إلاّ هذا نعم مراتب الإستكبار مختلفة متفاوتة بالشّدة و الضَّعف و هذا الّذي ذكر في الآية أعلى مراتبه.

# فَقَالُوٓا أَنُوْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَ قَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ

إستدلُوا على إستكبارهم و تمَّردهم بوجهين:

أحدهما: أنّ موسى و هارون كانا من جنس البشر و البشر لا يؤمن لبشرٍ مثله لعدم التَّرجيح بينهما و صورة القياس، أنّ موسى بشرٌ مثلنا و كلّ بشرٍ لا يؤمن به

١- النَّمل = ٣١

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷

المجلد الثاني

ينتج أنّ موسى لا يؤمن به، و قد تقدّم الكلام في هذا الباب في قصّة هود و قلنا أنّ الأنبياء من البشر من حيث الجسم و البدن العنصري و أمّا من جميع الجهات فلا فأنّ فضل الإنسان على إنسانٍ أخر ليس بجسمه و بدنه و ما فيه من القوى الحيوانيّة من الأكل و الشُّرب و النّوم و غيرها بالفضل ثابت لأجل الرُّوح و القوى التّابعة لها من العلم و الحلم و السّخاوة و الشجاعة و المعرفة و غيرها و لا شكّ أنّ الأنبياء من هذه الجهات لم يكونوا مثل غيرهم فالمثليّة بقولٍ مطلق منتفيّة فالقياس مخدوش من حيث الصُّغرى و بعبارةٍ أخرى صغرى القياس كاذبة فالنتيجة بإطلة هذا أوّلاً.

ثانياً: أنّ الإيمان بالنّبي هو الإيمان باللّه واقعاً و النّبي يدعو إلى اللّه لا إلى نفسه و أنّما هو واسطة بين الخالق و المخلوق فقولهم نؤمن لبشر مثلنا لا معنى له فأنّ اللّه تعالى ليس كمثله شئ فمعنى الإيمان بالنّبي في الحقيقة يرجع إلىٰ الإيمان بالله نعم الإيمان بأنّه مخبرٌ عن الله تعالى ممّا لاكلام فيه.

الوجه الثّانى: ممّا إستدلّوا به على كفرهم هو قولهم: وَ قَوْمُهُمّا لَنْا عَابِدُونَ، و فيه إشارة إلى أنّ بني إسرائيل كانوا لفرعون و قومه مطيعين طاعة العبد لمولاه و منشأ هذا القول هو إستكبارهم و علوّهم كما أنّ منشأ القول الأوّل جهلهم و حماقتهم و عدم معرفتهم بمقام الإنسان و هذا الدّليل أيضاً باطل لأنّ متابعة المظلوم للظالم أمرٌ قهرّي لا يدلّ على إستحقاق الظّالم و أنّه يليق أن يكون متبوعاً و ذلك لأنّ المظلوم مجبورٌ مقهور على متابعة الظّالم حفظاً لدينه و دنياه قال اللّه تعالى: وَ لا تُلقُوا بِأَيْدِبِكُمْ إِلَى التَّهُلُكَةِ (١) و لا سيّما إذا كان الحاكم فرعون و أمثاله ممّن يدّعي الألوهيّة و يقتل من خالفه و على هذا فقولهم: وَ قَوْمُهُمّا لَنْا عَابِدُونَ، كلامٌ باطل لا يصدر من عاقلٍ و ذلك لأنّ خضوع القوم لم يكن عن إختياره و إذا كان كذلك فلا يدلّ على إنحطاط درجتهم و مقامهم هذا كلّه عن إختياره و إذا كان كذلك فلا يدلّ على إنحطاط درجتهم و مقامهم هذا كلّه

مضافاً إلى أنّ خضوع القوم لا ربط له بخضوع موسى و هارون و هو ممّا لا يخفى على المتّأمل.

#### فَكَذَّبُوهُما فَكَانُوا مِنَ ٱلْمُهْلَكينَ

أخبر الله تعالى أنّ فرعون و قومه كذّبوا موسى و هارون و لم يؤمنوا بنبّوتهما فكانوا من المهلكين الفاء في قوله: فَكَانُوا، للتّفريع و المعنى أنّ هلاكهم كان بسبب تكذيبهم و قد مرَّ الكلام في كيفيّة هلاكهم فيما مضى مفصّلاً.

#### وَ لَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ

الكتاب هو التوراة التي أنزلت على موسى و فيها ما يحتاجون إليه في أمور دينهم و دنياهم و قوله: لَعَلَّهُم يَهْتَدُونَ معناه لكي يهتدوا إلى طريق الحقّ من معرفة الله و خلع الأنداد و العمل بما فيها من الأحكام.

# وَ جَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ اٰيَةً وَ اٰوَيْنَاهُمٰآ اِلِى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَـراْرٍ وَ مَعينِ

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 😽



<sub>م</sub> تفسير القرآن

و قوله: وَ أُوَيْنَاهُمُ آ إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَراْرِ وَ مَعينِ، قال في المُفردات أوى يأوي أوّياً و مأوى و المأوى إسم للمكان الّذي يأوي إليه:

قال الله تعالى: إذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ(١).

قال الله تعالىٰ: قَالَ سَاوِيَ إِلَى جَبَل (٢).

قال الله تعالى: أوْيَ إِلَيْهِ أَخَاهُ ٣).

و منه جنّة المأوىٰ و قوله: وَ مَأْوِيْهُ جَهَنَّمُ، فقوله: وَ أُوَيْنْنَاهُمْآ معناه جَعَلنا مكانهما إلى ربوةٍ وإختلفوا في معناها، فقيل هي الرَّملة و قيل هي الغوطة بدمشق و قيل هي مصر، و قيل هي بيت المقدّس و قال أبو عبيدة يقال فلان في ربوةٍ من قومه أي في عز و شرف و عدد و قال إبن عبّاس وإبن المسيب هي الغوطة بدمشق و صفتها أنّها ذات قرارِ و معين على الكمال.

و قال قتادة و كعب هي بيت المقدّس و زعم أنّ في التّوراة أنّ بيت المقدّس أقرب الأرض إلى السّماء و أنّه يزيد على الأرض ثمانية عشر ميلاً و قال إبن زيد و وهب الرَّبوة بأرض مصر و سبب هذا الإيواء أنَّ ملك مصر عزم على قتل عيسى ففّرت به أمّه إلى هذه الأماكن التّي ذكرها المفسّرون.

و قرأ الجمهور رُبوة بضّم الرّاء و هي لغة قريش و قرأ الحسن و عاصم و إبن عامر بفتح الرّاء و عليه المصاحف فعلاً و قرأ أبو إسحاق بكسـر الرّاء، و معنى قوله: ذَأْتِ قَراْرٍ وَ مَعينِ أي مستوية يمكن القرار فيها للحرث و الغراسـة و زء ٨٨> المقصود أنَّها من البقاع الطَّيبة و عن قتادة ذات ثمارٍ و ماءٍ يعنى أنَّها لأجل الثَّمار يستّقر فيها ساكنوها.

و حاصل الكلام أنّ اللّه تعالى جعل عيسى و أمّه في مكانٍ صالح و أمّا أنّ هذا المكان أين كان فقد علمت إختلاف المفسّرين فيه و قد تقدّم الكلام في سورة

١- الكهف = ١٠ ۲- هو د = ۴۴

٣- يوسف = ٧٠

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🚽

مريم فلا نعيد الكلام بذكره ثانياً وحيث إنجر الكلام إلى قصة مريم و إبنها روح الله و أشار الله تعالى في الآية و قال و أويناهما إلى ربوة ذات قرار و معين لا بأس بالإشارة إلى بعض ما ورد في الباب من طريق أهل البيت الذين هم أدرى بما في البيت تيّمناً و تبركاً به فنقول:

روى الصّدوق الله عن يحيى إبن عبد الله قال كنّا بالحيرة فركبت مع أبى عبد الله المُ الله المالية فلمّا صرنا حيال قرية فوق الماصر قال النَّالِهِ: هي هي حين قرب من الشَّط و صار على شفير الفرات ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال النِّا إِ: أتدرى أين ولد عيسى النَّالِ قلت لا قال النَّالِ في هذا الموضع الّذي أنا فيه جالس ثمّ قال المَيْ أَتدري أين كانت النّخلة قلت لا فمدّ يده خلفه فقال في هذا المكان ثمّ قال التلا أتدرى ما القرار و ما الماء المعين قلت لا قال المليا إ هو هذا الفرات ثمّ قال أتدرى ما الرَّبوة قلت لا فأشار بيده عن يمينه فقال هو هذا الجبل أي النَّجف قال النَّالِ أنّ مريم ظهر حملها وكانت في وادِ فيه خمس مائة بكر يتَّعبدون و قال حملته تسع ساعات فلمّا ضربها الطّلق خرجت من المحراب إلىٰ بيت ديرٍ لهم فلمّا فاجاءها المخاض إلى جذع النَّخلة فوضعته فحملته فذهبت به إلى قومها فلمّا رأوها فزعوا فإختلف فيه بنو إسرائيل فقال بعضهم هو إبن الله و قال بعضهم هو عبد الله ونبيّه و قالت اليهود بل هو إبن الألهنة (ألشَّر) و يقال للنَّخلة التِّي أنزلت على مريم العجوة إنتهى.

و أيضاً بأسناده عن أبي عبد الله في قول الله عزّ وجلّ: وَ الْوَيْنَاهُمٰ اللهِ الرّبوة نجف أو يُناهُمْ اللهِ الرّبوة نجف الكوفة و المعين الفرات إنتهى.

و عن أبي الحسن موسى التله في مسائله التي سأل النصراني عنها فقال له أبو إبراهيم التله و النهر الذي ولدت عليه مريم عيسى هل تعرفه قال لا قال التله هو الفرات الخبر إنتهى (١) و الأخبار كثيرة.

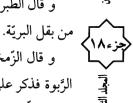
يٰآ أَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ وَ ٱعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَليِمٌ

قيل هذا خطاب لعيسى عليه حكاه الله تعالى و ذلك لما جرى ذكره كأنه قال يا عيسى كلوا من الطّيبات، وقيل هو خطاب للنّبي الله الله عالم خاصة خاطبه بلفظ الجمع كما يقال للرّجل الواحد أيّها القوم كفّوا عنّا، و قال قوم لمّا ذكر بعض الأنبياء كأنّه قال و قلنا لهم يا أيّها الرُّسل كلوا من الطّيبات ذكر هذه الوجوه في التّبيان.

و قال بعض المفسّرين نداء الرُّسل و خطابهم بمعنى نداء كلّ واحدٍ و خطابه في زمانه إذ لم يجتمعوا في زمانٍ واحد فينادون يخاطبون فيه و أنّما أتى بصورة الجمع ليعتقد السّامع أن امرأ نودي له جميع الرُّسل و صوابه حقيق أن يعمل عليه، و قيل ليفهم بذلك أنّ هذه طريقة كلّ رسولٍ كما تقول تخاطب تاجراً يا تجّار إتّقوا الرّباء.

و قال الطّبري الخطاب لعيسى و روي أنّه كان يأكل من غزل أمّه و المشهور ن بقل البرئة.

و قال الزّمخشري و يجوز أن يقع هذا الإعلام عند إيواء عيسى و مريم إلى الرّبوة فذكر على سبيل الحكاية أي أويناهما و قلنا لهما هذا الّذي أعلمناهما أنّ الرّسل كلّهم خوطبوا بهذا و كلاممًا رزقناكما و أعملا صالحاً إقتداءً بالرّسل إنتهى.



و الأقوال كثيرة ثمّ أنّ المراد بالطيّبات الحلال لذيذاً كان أو غير لذيذ و قيل المراد بها ما يستطاب و يستلَّذ من المأكل و الفواكه و يشهد له ذات قرار و معين و قدَّم الأكل من الطّيبات على العمل الصّالح دلالةً على أنَّه لا يكون صـالحاً الأ مسبوقاً بأكل الحلال و قوله: إنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَليمٌ قيل أنَّه تحذيرٌ في الظَّاهر و المراد إتباعهم هذا ما قالوه في تفسير الآية.

أقول أمّا قوله: يا ٓ أَيُّهَا ٱلرُّسُلُ بصيغة الجمع ففيه وجوه:

الأوّل: أنّه تعالى ذكر في الأيات السّابقة قصّة نوح و هود و موسى و عيسى فقال: يٰ آأيُّها ٱلرُّسُلُ والتّقدير قلنا لهم ذلك.

الثَّاني: أنَّه حكمٌ كلِّي خاطب به جميع الأنبياء من الأولِّين وا لأخرين.

الثَّالث: الإعلام بأنَّ أكل الطيّبات ممّا لا منع فيه في حقّ الرُّسل فلا ينافي مقام النبوّة ردّاً على من زعم أنّ النّبي لا يأكل منهاكما نرى في زماننا هذا أنّ أكثر العوام يعتقدون أنَّ العلماء الذَّين هم ورثة الأنبياء ينبغى لهم أن يجتنبوا منها فإذا كـان أكل الطّيبات ممّا لا منع فيه في الأنبياء فهو في حقّ غيرهم أولي بعدم المنع و عليه فهذا حكمٌ كلِّي يشمل جميع العباد بالأوّلوية و أنّما خصَّهم بالذِّكر لأنّ الأمّة تقتدي بإمامها هذا و أمّا قوله: وَ أَعْمَلُوا صَالِحًا إلى أخر الآية فالمعنى واضح لا خفاء فيه فأنّ العمل الصّالح مطلوبٌ محسوبٌ و أنّ اللّه أحاط بكلّ شيّ علماً.

# وَ إِنَّ هٰذِهَ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واٰحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ

قرأ الكوفيّون و إنّ بسكر الهَمَزة و التّشديد على الإستئناف و قرأ أبو عمرو و الحرميان بفتح الهَمَزة و التّشديد أي، و لأنّ، و قرأ إبن عامر بالفتح و التّخفيف و هي المخَففة من الثّقيلة و يدلّ على أنّ النّداء للرُّسل نودي كلّ واحدٍ منهم في زمانه قوله: وَ إِنَّ هٰذِمْ أُمَّتُكُمْ.

أقول فعلى قول إبن عامر موضع، إن، نصب لأنّ تقديره، و لأنّ، أي لهذه فإتَّقون و على قول الكوفّيين موضعه الجرّ بالعطف على **بما تَعْمَلُونَ عَــليمٌ**  فمن كسر الهمزة إستأنف الكلام، و معنى الأمّة هاهنا الملّة سمّاها بذلك للإجماع عليها بأمر الله.

و قال بعضهم معناه أي دينكم واحد، و قيل معناه جماعتكم واحدة في الشّريعة التّي نصبها الله لكم.

و قال الجبائي، أنّ هذه أمّتكم أمّة واحدة، في أنّهم عبيد اللّه و خلقه و تدبيره. أقول قوله: وَ إِنَّ هٰذِهٖ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وأحِدةً، فيه إشارة إلى أنّ جميع الأمم واحدة في كونهم متشرّعين في شريعة الله و ذلك لأنّ كلّ نبّي من الأنبياء يدعو قومه و أمّته إلى التّوحيد و العمل بأحكام الله تعالى و لا فرق بين الأنبياء في الدّعوة إلى الله.

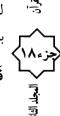
و إن شئت قلت لا فرق بينهم في دعوتهم في الأصول و هو التوحيد و النبوة و المعاد و حاصل الكلام أنّ الأمم من هذه الجهة واحدة لا إختلاف فيهم و أنّما الإختلاف في الأحكام الفرعيّة التي وضعت في كلّ زمان بما يناسبه فأن جعل الأحكام الفرعيّة ليس على و تيرة واحدة في جميع الأزمنة و هو واضح و بالجملة إختلاف الأحكام في المذاهب و الأديان كمّاً و كيفاً لا يدلّ على الإختلاف في أصول الدين و الآية ناظرة إلى الوحدة في الأصول.

و قوله: وَ أَنَا رَبُّكُمْ، معناه أنّا ربّ الجميع و خالق الكلّ، فإتّقون، الفاء للتّفريع أي إذا كان الأمر على هذا المنوال فإتّقوني، بكسر النّون و الأصل فإتّقوني، بفعل الواجبات و ترك المحرّمات قربةً إلى اللّه.

# فَتَقَطَّعُوٓا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ

أخبر الله تعالى في هذه الآية عن إفتراق الأمم و إختلافهم و تقطيعهم الزُّبر و هي الكتب السّماوية فالمعنى تفرقوا كتباً دانوا بها و كفروا بما سواها كاليهود دانو بالتّوراة و كفروا بالإنجيل و القرآن و النّصارى دانوا بالإنجيل و كفروا بالقرآن و كلّ حزبٍ أي كلّ طائفة بما لديهم فرحون يزعمون أنّه الحقّ و ما سواه

بياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷



الفرقان في تفسير القرآن للمستم المركان

الباطل، هذا علىٰ قراءة المشهور في، زُبُرُهُ بضّم الزّاء و الباء جمع زبور كرسول و رسل.

فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ هذه الآية ناصة فيما ذكرناه ولتفصيل الكلام فيها محَّل آخر.

#### فَذَرْهُمْ في غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حينٍ

الفاء في قولهم: فَذَرْهُمُ للتفريع أي إذا كان حال الأمم على ما أشرنا إليه من الإختلاف والتَّقطيع و أنّ كلّ حزبٍ و طائفة منهم يِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ فذرهم أي دعهم فيما خاضوا فيه من الإختلاف و الإعراض عن الحقّ و حيرتهم و ضلالتهم في دينهم، حتّى حين، أي وقت الموت و قيل حين العذاب و إنّما قال تعالى ذلك لأنّ المعاند للحقّ أو لاء له إلاّ الإعراض عنه و لذلك ترى في كثير من الآيات أمر اللّه أنبيائه بترك هؤلاء المعاندين المعرضين عن الحقق.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

قال الله تعالىٰ: فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَ يَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ (١).

قال الله تعالى: قُلِ ٱللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ في خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٢).

قال الله تعالىٰ: فَوَيْلُ يَـوْمَئِذِ لِـلْمُكَذِّبِينَ، أَلَّذَيِنَ هُـمْ فـي خَـوْضٍ

قال الله تعالىٰ: فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتّٰى يَخُوضُوا في حَديثٍ غَيْره (٢) و الآبات كثيرة.

و السِّر في ذلك أنَّ الجُّهل إذا خلط مع العناد فهو داءٌ لا دواء له و إذا كان النَّبي لا يقدر إصلاحهم و إرشادهم و يؤمر من قبل اللّه بتركهم و الإعراض عنهم فماً ظنُّك بغير النَّبي، و الغَمرَة بفتح الغين و الرّاء سكون الميم الشدَّة و قيل هي الحيرة و قيل هي الضّلالة و الكُّل ممّا لا بأس به.

قال الزّمخشري الغمرة الماء الّذي يغمر القامة فضربت مثلاً لما هم مغمورون فيه من جهلهم و عمايتهم أو شبّهوا باللاّعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل و أمَّا الخطاب في قوله: فَذَرْهُمْ، فهو للنَّبي ثَلَانُونَكُم و ذلك لأنّ الله تعالى لمّا ذكر من ذكر الأمم و قال أمرهم من الإهلاك حين كذَّبوا الرّسل كان ذلك مثالاً لقريش فخاطب رسوله في شأنهم بقوله: فَذَرْهُمْ فَــى غَــمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حينِ و هذا في الحقيقة وعيدٌ لهم حيث تقطّعوا في أمر رسول الله فقال بعضهم هو تشاعر و قال بعضهم هو مجنون و هكذا كما تقطّع من قبلهم من الأمم زء ١٨> في أنبيائهم من التكذيب و الإستهزاء و حكم الأمثال واحد و لمّا كان القوم في نعمةٍ عظيمة في الدُّنيا من الجاه و المال و العشيرة و غير ذلك ظنُّوا أنَّ تلك النِّعم كالثُّواب المعجّل لهم في أديانهم و أرائهم فبّين سبحانه أنّ الأمر بـخلاف ذلك فقال:

٣– الطُّور = ١١/١٢

٢- الأنعام = ٩١ ١- الزُّخرف = ٨٣ ؛ المعارج = ٤٢

۴- الانعام = ۶۸

#### أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالِ وَ بَنيِنَ

أصل المدّ الجّر منه المدّة للوقت الممّتد و أكثر ما جاء الإمداد في المحبوب، و المدّ في المكروه قال:

قال اللّه تعالىٰ: وَ أَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَ لَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (١).
قال اللّه تعالىٰ: أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَ بَنبِنَ، وَ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ (٢).
قال اللّه تعالىٰ: اَللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَ يَمُدُّهُمْ فَي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (٣).
قال اللّه تعالىٰ: وَ إِخْوانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ (٢).
قال اللّه تعالىٰ: قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدُ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا (٥).
قال اللّه تعالىٰ: كَلّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَ نَمُدُ لَهُ مِنَ الْعَدَابِ مَدًّا (٩).
غيرها من الأيات.

و المعنى أيحسبون أي يظنُون أنّ الّذي نمدّهم به هو من أجل مالهم و بنيهم بل أنّما ذلك لما فيه من المصلحة، و قيل في الآية حذفٌ و تقدير الكلام أيحسبون أنّ الّذي نمدّهم من المال و البنين حقٌ لهم أو لكرامتهم عندنا، لا يكون كذلك بل نفعل ذلك لأجل المصلحة و هي إستدراجهم إلى المعاصي و إستجرارهم إلى زيادة الإثم جزاءً بما كانوا فيه من العناد و الإنكار و خوضهم في المعاصي و المناهي و إلى ذلك أشار اللّه تعالى بقوله:

و لا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَقَرُوٓا أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلَى لَهُمْ لِيَرْدادُوٓا إِنَّمًا وَ لَهُمْ عَدابُ مُهِينٌ (٧).

#### نُسٰارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْراٰتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ

٧- الشّعراء = ١٣٣/١٣٤

۴- الأعراف = ۲۰۳

۶- مَريم = ۷۹

١- الطُّور = ٢٢

٣- البقرة = ١٥

۵- مَريَم = ۷۵

٧- أل عمران = ١٧٨

قيل المسارعة تقديم العمل في أوقاته التي تدعو الحكمة إلى و قوعه فيه و هي سرعة العمل و مثله المبادرة و أنّما بني على فاعلة لأنّ الفعل كأنّه يسابق فعلاً أخر و الخيرات هي المنافع التي يعظم شأنها و نقيضها الشّرور و الشّعور العلم الذي يدّق معلومه و فهمه على صاحبه دقّة الشّعر و قيل هو العلم من جهة المشاعر و هي الحوّاس و لهذا لا يوصف الله تعالى به، و قيل نسارع لهم في الخيرات أي نقدّم لهم ثواب أعمالهم لرضانا عنهم و محبّتنا إيّاهم كلاّ ليس الأمر كذلك بل نفعله إبتلاءً في التّعبد لهم.

قال بعض المفسّرين أنّ قوله نسارع لهم في الخيرات، خبر، أنّ، في قوله: أنّما نُمِدُّهُمْ، و ماء في قوله: أنّما، مصدريّة أو بمعنى، الذّي، أو كافّة، فعلى هذا يصير المعنى أيحسبون أنّ الّذي نمدّهم به من مالٍ و بنينٍ نسارع لهم في الخيرات و على هذا فالرّابط لهذه الجملة ضمير محذوف لفهم المعنى تقديره نسارع لهم به في الخيرات و حسن حذفه إستطالة الكلام مع أمن اللّبس.

أقول الحقّ أنّ قوله: نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْراْتِ، إبتداء كلام إذ لا يجوز أن يكون الإنكار وقع لظّنهم أنّ ذلك مسارعة لهم في الخيرات لأنّه تعالى قد سارع لهم في الخيرات بما فعل بهم من الأموال و البنين لما لهم في ذلك من اللّطف و المصلحة و الغرض في ذلك أن يعرفوا الله و يؤدّوا حقوقه، بَلْ لا شُعُرُونَ، أي و هم لا يشعرون بذلك و لا يفهم.

ونه لتفريطهم في ذلك قاله في التّبيان.

و قال الرّازي أنّ هذا الإمداد ليس إلاّ إستدراجاً لهم في المعاصي و إستجراراً لهم في زيادة الإثم و هم يحسبونه مسارعة في الخيرات و، بل، للإستدراك لقوله: أَيحْسَبُونَ، يعني هم أشباه البهائم لا فطنة لهم و لا شعور حتّى يتفكّروا في ذلك أهو إستدراج أم مسارعة في الخير إنتهى كلامه.

أقول ما ذكره الرّازي أخذه من تفسير الكشّاف و أنت إذا تأملّت في الآية حقّ التّأمل لعلمت أنّ ما ذكره الزّمخشري و تبعه الرّازي و غيره من مفسري العامّة لا

ياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿



يساعد الكلام إذ لو كان الأمر كما ذكروه كان حقّ الكلام أن يقال، مسارعة، بالميم لا نسارع بالنُّون و حيث قال نسارع يفهم منه أنّه أوّل الكلام على ما نقلناه عن التّبيان و الله أعلم.

# إِنَّ ٱلَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ

قال في المفردات الخشية خوفٌ يشوبه تعظيم و أكثر ما يكون عن علم بما يخشي منه و لذلك خصّ العلماء بها في قوله تعالى:

إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَقُوا إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (١).

و الإشفاق عناية مختلطة بخوفٍ لأنّ المشفق يحبّ المشفق عليه و يخاف ما يلحقه و منه قوله تعالى:

#### وَ هُمْ مِنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ( ۖ ).

و قيل الخشية ظنّ لحوق المضّرة و مثلها المخافة و نقيضها الأمنة فالخشية إنزعاج النّفس بتَّوهم المضّرة و الظنّ كذلك يزعج للنّفس فسمّي بإسمه على طريق البلاغة والخشية من اللّه خشية من عقابه و سخطه على معاصيه، و قوله: مِنْ خَشْيَةٍ متعلّقٌ بمشفقون و التّقدير أنّهم مشفقون من خشية ربّهم إذا عرفت هذا فنقول.

لمّا فرغ من ذكر الكفرة و توعدهم عقب ذلك بذكر المؤمنين و وعدهم و ذكرهم بابلغ صفاتهم فأنّ الإشفاق أبلغ التّوقع و الخوف و منهم من حمل الخشية على العذاب و عليه فالمعنى و الذين هم من عذاب ربّهم مشفقون، من، في من خشيته، لبيان الجنس أي جنس الإشفاق و لا شكّ أنّ المؤمن كذلك فلا يخشى إلا من الله تعالى كما قال:

فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ<sup>٣</sup>).

۲- الأنبياء = ۴۹

۱- فاطر = ۲۸ ۳- التّوبة = ۱۳

# و قال تعالىٰ: وَ مَنْ يُطِعِ ٱللهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَخْشَ ٱللهَ وَ يَتَّقْهِ فَأُولَٰنِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ (١).

و قد قَسَّم العرفاء الإشفاق على ثلاث درجات:

الدَّرَجة الأولى: الإشفاق على النَّفس.

التَّانية: الإشفاق على الوقت أن يشوبه تفّرق.

الثّالثة: الإشفاق الّذي يصون سعيه عن العجب و يكفّ صاحبه من مخاصمة الخلق و يحمل المشفق على حفظ الجدّ بأن يرى سعيه توفيقاً من الله و عطاءً منه لا من نفسه فيعرض له الإعجاب و يتّطاول به على الخلق فيكون سعيه وبالاً عليه إلى أخر ما ذكروه في المقام.

# وَ ٱلَّذِينَ هُمْ بِأَيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ

قيل المراد بالأيات القرآن و العبر و المصنوعات التّي للّه و غير ذلك ممّا فيه نظرٌ.

أقول الظّاهر من الأيات هو الأيات التّشريعية كالأيات الدّالة على التّوحيد و النّبوة و المعاد و الأحكام من الصّلاة و الصّوم و غيرها.

و أمّا الأيات التّكوينية فأنّها تابعة للأيات التَّشريعية من جهة الإعتقاد و الإيمان و ذلك لأنّ من عرف الله حقّ المعرفة عرف أنّ ما سواه كائناً ما كان مخلوقٌ له و المخلوق أية للخالق تكويناً.

كما قيل:

وفي كلّ شيٍّ له أيةٌ تدلّ على أنّه واحدُ و من المعلوم أنّ المؤمن الّذي أمن باللّه أمن بجميع ذلك.

# وَ ٱلَّذَيِنَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ

الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾

أي لا يشركون بعبادة الله غيره من الأصنام و الأوثان و ذلك لأنّ خصال الإيمان لا تتُّم إلاّ بترك الإشراك دون ما يقول أهل الجاهليّة أنا نؤمن باللّه.

# وَ ٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا اٰتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ راجِعُونَ

هذا وصف أخر لهم و هو أنّهم يعطون ما أعطوا من الزّكوة و الصّدقة و ينفقونه في طاعة الله و قلوبهم و جلة أي خائفة من عذاب الله لتفريط يقع منهم، أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ، أي يخافون من رجوعهم إلى الله يوم القيامة أي يخافون ذلك لأنّهم لا يأمنون التَّفريط.

# أُولٰتِكَ يُسارعُونَ فِي ٱلْخَيْراٰتِ وَ هُمْ لَهَا سَابِقُونَ

أولئك إشارة إلى المؤمنين الّذين ذكر اللّه أوصافهم فيي الأيـات السّـابقة و المعنى أولئك الَّذين مرَّ ذكرهم و أوصافهم هم الَّذين يسارعون أي يبادرون إلى الطَّاعات و يجتهدون في السَّبق إليها رغبةً إلى الثَّواب و خوفاً من العقاب لعلمهم بما لهم بها من حسن الجزاء و قوله و هم لها سابقون قيل معناه سبقت لهم السّعادة.

و قيل هم سابقون، إلى الجنّة من أجل تلك الخيرات و قيل هم إلى الخيرات سابقون و قد ثبت أنّ السّابق إلى الخير مقّرب عـند اللّـه لقـوله: **وَ ٱلسَّــابقُو**نَ ٱلسَّابِقُونَ، أُولٰئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۖ ۗ .

قال بعض المفسّرين ترتيب هذه الصّفات في نهاية الحسن لأنّ الأولى دلُّت على حصول الخوف الشُّديد الموجب للإحتراز.

الثَّانية: على تحصيل الإيمان باللَّه.

الثَّالثة: على ترك الرِّياء في الطَّاعة.

الرّابعة: علىٰ أنّ المستجمع لهذه الصّفات الثّلاثة يأتي بالطّاعات مع خـوفٍ من التَّقصير و هو نهاية مقامات الصِّديقين.



قال الزّمخشري يسارعون في الخيرات يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يراد يرغبون في الطّاعات أشد الرَّعبة فيبادرونها.

الثّانى: أنّهم يتَّعجلون في الدِّنيا المنافع و وجوه الإكرام كما قال: فَاتَيْهُمُ اَللهُ ثُواٰبَ اَلدُّنْيَا وَ حُسْنَ ثَواٰبِ اللّٰخِرَةِ. وَ التَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ إِنَّهُ فِي اَلاَّخْرَةِ لَمِنَ أَوَاٰبَ اللّٰخِرَةِ لَمِنَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثُواٰبِ اللّٰخِرَةِ . وَ التَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ إِنَّهُ فِي اللّٰخِرَةِ لَمِنَ الصّالِحِينَ لأَنّهم إذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها و تعجَّلوها و هذا الوجه أحسن طباقاً للأية المتقدمة لأنّ فيه إثبات ما نفي عن الكفّار للمؤمنين إنتهىٰ.

أقول الخير ما يرغب فيه الكلّ و هو على ضربين:

خيرٌ مطلق و هو أن يكون مرغوباً فيه بكل حالٍ و عند كلّ أحدٍ كما وصف عليه السّلام به الجنّة فقال لا خير بخير بعده النّار و لا شرّ بشرّ بعده الجنّة و ذلك لأنّ السرّ ضدّ الخير فكلّ فعلٍ أو قولٍ يوجب دخول الجنّة فهو خير و كلّ قولٍ و فعل يوجب دخول النّار فهو شرّ.

الثّانى: خيرٌ مقيّدٌ و شرّ كذلك و هو أن يكون خيراً لواحدٍ و شرّاً لأخر كالمال الذّي ربّما يكون خيراً لزيد مثلاً و شراً لعمرو إذا عرفت الخير بقسميه فقوله تعالىٰ: يُسلرعُونَ فِي آلْخَيْراتِ يشمل المطلق و المقيّد و في قوله: يُسلرعُونَ إشارة إلى أنّ المؤمن ينبغي له أن يغتنم الفرص و ذلك لقوله الله المؤمن ينبغي له أن يغتنم الفرص و ذلك لقوله الله المؤمن ينبغي له أن يغتنم الفرص و ذلك لقوله الله المؤمن عنه المستحاب فالوجه في السُّرعة إلى الخير لأجل عدم فوت الفرصة لأنّ في التَّاخير أفات هذا أوّلاً.

و ثانياً السُّرعة في الخيرات كاشفة عن الإيمان فأنّ المرء يحشر مع ما أحبَّه في الدُّنيا و قوله: وَ هُمْ لَهَا سَابِقُونَ فالظّاهر أنّ الضّمير في، لها يرجع إلى الخيرات أي و هم يسبقون الخيرات و قيل معنى الكلام هم سابقون النّاس و عليه فالمفعول و هو النّاس محذوفٌ و قيل اللاّم في، لها للتّعليل أي لأجل الخيرات سابقون النّاس إلىٰ رضا الله.

و قال الزّمخشري لها سابقون، أي فاعلون السّبق لأجلها أو سابقون النّـاس لأجلها. ياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷



و قال إبن عبّاس و المعنى سبقت لهم السّادة في الأزل فهم لها و رجحة الطّبري بأنّ اللاّم متّمكنة في المعنى، و قيل الضّمير في، لها، عائد إلى الجنّة و قيل على الأمم و قيل غير ذلك ممّا لا فائدة في ذكره بعد وضوح المعنى و أنّ السّبق إلى الخيرات ممدوح على كلّ حالٍ.

#### وَ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَ لَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ

الوسع بضّم الواو و سكون العين و السّين الطّاقة و القدرة و المعنى لا نكلّف نفساً إلاّ على قدر طاقتها و قرّتها و قدرتها.

و قال بعضهم الوسع دون الطّاقة، و قيل الوسع الحال التّي يتَّسع بها السّبيل إلى الفعل و التَّكليف يحتمل ما فيه المشّقة بالأمر و النّهي و الإعلام و هو مأخوذ من الكلّفة في الفعل و الله تعالى مكلّف عباده تعريضاً لهم للنّفع الّذى لا يحسن الإبتلاء بمثله و هو الثّواب قال بعض المفسّرين في الآية دلالة على بطلان مذهب المجبّرة في تكليف ما لا يطاق لأنّه لو كلَّف ما لا يطيقه العبد لكان قد كلَّفه ما ليس في وسعه و الآية تمنع من ذلك قاله الشّيخ في التّبيان.

أقول ما ذكره حقّ لا مرية فيه فأنّ التكليف فوق الطّاقة ظلمٌ على العبد عقلاً و ما ربّك بظّلام للعبيد و قد تكلّمنا في هذا الباب عند قوله: لا تُكلّف تَفْسًا إلله و سُعَها فيما مضى مفصّلاً في سورة البقرة أية ٢٨۶ و ذلك لأنّ الحكم ممّا إستقلّ به العقل و لا يحتاج إلى دليل أخر و الذّي نقول في المقام هو أنّه تعالى لمّا ذكر في الأيات السّابقة أوصاف المؤمنين من الخشية و الإيمان بالأيات و الإجتناب من الشّرك و الإنفاق و المسارعة في الخيرات قال في هذه الآية و لا نكلّف نفساً إلا وسعها، إيماء إلى أنّ هذا الذي وصف به الصّالحين غير خارج من حدّ الوسع و الطّاقة و كذلك كلّ ما كلّف عباده و ما عملوه من الأعمال ليس فوق طاقتهم بل هو ثابت لدينا في كتاب و هو اللّوح المحفوظ أو صحيفة الأعمال ثمّ وصف الكتاب

بأنّه ينطق بالحقّ فهم لا يظلمون و يحتمل أن يراد بقوله هذا أنّ الله لا يكلّف إلاّ الوسع فأن لم يبلغ المكّلف أن يكون على صفة هؤلاء الذّين مرَّ أوصافهم من المؤمنين السّابقين بعد أن يستفرغ وسعه و يبذل طاقته فلا عليه شيء و لدينا كتاب فيه عمل السّابق و المقتصد و لا نظلم أحداً من حقّه.

#### بَلْ قُلُوبُهُمْ في غَمْرَةٍ مِنْ هٰذا وَ لَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ

بل، للإستدراك و المعنى بل قلوب الكفّار و المنافقين في غمرةٍ أي غفلةٍ أي أنّهم وقعوا في ضلالٍ قد غمرهم كما يغمر الماء من هذا أي من هذا العمل الّذي وصف به المؤمنون أو من الكتاب الّذي لدينا أو من القرآن و لهم أعمال من دون ذلك أي من دون الغمرة و الضّلال المحيط بهم و بعبارةٍ أخرى أنّهم ضالُون معرضون عن الحقّ و هم مع ذلك يسعون في الفساد و هم لها أي لهذه الأعمال السيّئة عاملون.

و قال بعض المفسّرين من العامّة أنّ الضّمير في قوله: بَلْ قُلُوبُهُمْ، يعود إلى المؤمنين المشفقين في غمرةٍ من هذا، وصف لهم بالحيرة كأنّه قال و هم مع ذلك الخوف و الوجل كالمتحيّرين في أعمالهم أهي مقبولة أم مردودة و لهم أعمال من دون ذلك أي من النّوافل و وجوه البّر سوى ما هم عليه و يريد بالأعمال الأوّل الفرائض و بالثّاني النّوافل إنتهىٰ.

أقول هذا الذي ذكره بعيدٌ عن مساق الآية غاية البعد مضافاً إلى أنّه ينافي الإستدراك و أنّ المذكور في الآية من أنّ قلوبهم في غمرةٍ ليس من شأن المؤمن الموصوف بالصّفات المذكورة.

# حَتِّى إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـُـَّرُونَ

قيل المترف المتقلّب في لين العيش و نعومته و قوله يجئرون معناه يضّجون لشّدة العذاب. نياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿



الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ } المجلد النا

و قال إبن عبّاس يستغيثون و قال مجاهد كان ذلك بالسّيوف يـوم بـدر و الجؤار رفع الصَّوت كما يجأر الثّور، و قيل معنى يـجأرون يـصرخـون بـالتّوبة فيقول الله لهم.

#### لَا تَجْءَرُوا ٱلْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ

أي يقول الله لهم يوم القيامة لا تضجُّون و لا تصرخون أنّكم ممّا لا تنصرون، الظّاهر أنّ المراد باليوم يوم القيامة و بالعذاب عذاب الأخرة و المعنىٰ أنّهم أي الكفّار و قيل المترفون يضجُّون لشّدة العذاب يوم القيامة فيقال لهم لا تجثروا أي لا تصرخوا و لا تضجُّوا من العذاب أنّكم ممّا لا تنصرون، أي لا ناصر لكم اليوم.

و قال بعض المفسّرين المراد بالعذاب قتلهم يوم بدر و قيل المراد به القحط سبع سنين و الجوع حين دعا عليهم رسول الله فقال اللّهم أشّدد و طأتك على مضر و إجعلها عليهم سنين كسني يوسف فإبتلاهم اللّه بالقحط حتّى أكلوا الجيف و الكلاب و العظام المحترقة و القد و الأولاد و على هذا فالمعنى لا تصرخوا و لا تضجّوا بالتّوبة أنكم منا لا تنصرون بقبول التّوبة و لا لكم دافعٌ من العذاب فالجؤار غير نافع لكم، و قال إبن جريح، المعذّبون قتلى بدر و الذّين يجئرون أهل مكّة لأنّهم ناحوا و إستغاثوا و القأئل لهم إمّا حقيقة تقول لهم الملائكة و إمّا مجازاً أي لسان الحال يقول ذلك ثمّ يقول اللّه تعالى لهم.

# قَدْ كَانَتْ أَيْاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٓ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ

النّكص الرّجوع إلى القهقري و هو المشي على الأعقاب إلى خلف و هو أقبح مشية يمشى و لا يرى ما وراءه فهو النّكوص.

و قال مجاهد معنى ينكصون أي يستأخرون، و قيل يدبرون و المقصود أنّكم أعرضتم و تركتم الأيات وراء ظهوركم فلم تعملوا بها و من كان كذلك فلا

يلومَنَّ إلاَّ نفسه لأنَّ الإعراض عن الحقِّ و الإقبال إلى الباطل سببٌ للعذاب و إذا وجد السَّبب وجد المسَّبب قهراً و في الآية دلالة على أنَّ الأعمال أسباب الجزاء أن خيراً فخيراً و إن شَّراً فشَّراً و أنَّ اللَّه ليس بظَّلام للعبيد.

#### مُسْتَكْبِربِنَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ

مستكبرين نصب على الحال و الضّمير في، به، عائد على الحرم و المسجد و إن لم يتقدّم له ذكر و سوغ هذا الإضمار شهرتهم بالإستكبار بالبيت و قيل أنّـه عائد على الرَّسول و يؤيّده أنّ في قوله: تُتْلِّي عَلَيْكُمْ، دلالة عليه فأنّ التّالي هو الرسول، وقيل ضمن مستكبرين معنى مكذّبين فعدّى بالباء و قيل الباء للسّبب أى يحدث لهم بسبب سماعه إستكبار و عتَّو و قيل تتعلَّق، بسامر، أي تسمرون بذكر القرآن و الطُّعن فيه و ذلك أنَّهم كانوا يجتمعون حول البيت بـاللَّيل يسـمرون و كانت عامّة سمرهم ذكر القرآن و تسميته سمراً و شعراً و سبّ من أتي به.

قال الرّاغب في المفردات قيل للحديث باللّيل السُّمر و سمر فلان إذا تحدُّث ليلاً و قيل معنى، سامراً، سمّاراً فوضع الواحد موضع الجمع كما يقال قوموا قائماً أي قياماً، و قيل السّامر اللّيل المظلم، ثمّ أنّ الجمهور قرأوا سامراً، و قرأ إبن مسعود وإبن عبّاس و غيرهم شمراً، بضّم السّين شدّ الميم مفتوحة جمع سامر، و أمّا قوله: تَهْجُرُونَ فهو بفتح التّاء و ضمّ الجيم و الهجر التَّرك.

قال إبن عبّاس معناه تهجرون الحقّ و ذكر اللّه و تقطعونه من الهجر، و قال ز ١٨٠> إبن زيد و أبو حاتم هو من هجر المريض إذا هدى أي يقولون اللَّغو من القول و قرأ إبن عبّاس و إبن محيص و نافع و حميد، بضّم التّاء و كسر الجيم مضارع، أهجر، أي يقولون الهجر بضّم الهاء و هو الفحش.

و قال إبن جنّي لو قيل أنّ المعنىٰ أنّكم مبالغون في المجاهرة حتّى أنّكم كنتم سمرٌ باللّيل لكان وجهاً و الله أعلم. أفرآن

أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُمْ مَا لَـمْ يَأْتِ أَبْآءَهُمُ ٱلْأُوَّلِينَ (٤٨) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٤٩) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جْآءَهُمْ بِالْحَقّ وَ أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقّ كَارِهُونَ (٧٠) وَ لَو ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوٰآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمٰواٰتُ وَ ٱلْأَرْضُ وَ مَنْ فيهنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بــذِكْرهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (٧١) أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَراْجُ رَبُّكَ خَيْرٌ وَ هُوَ خَيْرٌ ٱلرَّازْقينَ (٧٢) وَ إِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِراْطٍ مُسْتَقيم (٧٣) وَ إِنَّ ٱلَّذينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْأَخِرَةِ عَن ٱلصِّرالطِ لَنَاكِبُونَ (٧٤) وَ لَوْ رَحِمْناهُمْ وَ كَشَفْنا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرّ لَلَجُّوا في طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٥) وَ لَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بالْعَدَاٰبُ فَمَا ٱسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَ مَا يَتَضَرَّعُونَ (٧۶) حَتَّى إذا فَتَحْنا عَلَيْهِمْ بابًا ذا عَـذاب شَديدٍ إذا هُمْ فيهِ مُبْلِسُونَ (٧٧) وَ هُوَ ٱلَّذَىٓ أَنْشَأً لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَ ٱلْأَبْصَارَ وَ ٱلْأَفْئِدَةَ قَليلًا مَا تَشْكُرُونَ (٧٨) وَ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأُرْضِ وَ إلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٩) وَ هُوَ أَلَّذَى يُحْيَى وَ يُميتُ وَ لَهُ ٱخْتِلَافُ ٱللَّيْلِ وَ ٱلنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٨٠) بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأُوَّلُونَ (٨١) قَالُوٓا أَءِذا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرابًا وَ عِظامًا أَئَنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٨٢) لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَ أَبْآؤُنَا هٰذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هٰذَا

إِلّٰا أَسْاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٨٣) قُلْ لِمَنِ اَلْأَرْضُ وَ مَنْ فَيِهٰاۤ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٢) سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ اَلسَّمُواٰتِ السَّبْعِ وَ رَبُّ اَلْعَرْشِ اَلْعَظیمِ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِللهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٨٨) قُلْ مَنْ بِيدِهٖ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ يُجيرُ وَ لا يُجارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ يُجيرُ وَ لا يُجارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِللهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ رَهِ) بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٨٠)

#### ✔ اللّغة

خَرْجًا: الخرج بفتح الخاء و سكون الراء و الجيم الأجر على العمل. لَنَا كِبُونَ: النَّكِ العدول عن الحقّ.

لَلَجُوا: اللّجاج التَّمادي و العناد في تعاطي الفعل المزجور عنه و منه لجّة الصَّوت بفتح اللام أي تردَّده و لجّة البحر بضمّ اللاّم تردُّد أبراجه.

فَمَا آسْتَكَانُوا: الإستكانة الذُّلة و قيل معناها التَّضرع.

مُثِلْسُونَ: الإبلاس الحُزن المُفرض من شدّة البأس يقال أبلس فلان إذا سكت و إذا إنقطعت حجّته.

ذَرَأَكُمُ: الذَّر الخلق و الإيجاد.

يُجِرُ: بضمّ الياء مضارع أجار و الأجارة الإعادة.

#### ◄ الإعراب

عَنِ أَلصِّراْطِ يتَّعلق بناكبون و الإعراب في الباقي واضح لا يحتاج الى البحث.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



#### ▶ التَّفسير

# أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ اٰبِآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ

الإستفهام للتَّوبيخ ذكر الله تعالى في هذه الآية توبيخهم على إعراضهم عن إبّاع الحقّ و التَّصديق بالقرآن و أنّه كلام الله المنزل على رسوله و عدم تدبرهم فيه و ذلك لأنّهم لو كانوا يتدبّرون فيه حقّ التَّدبر لعلموا أنّه المعجز الّذي لا يمكن لهم و لغيرهم الإتيان بمثله و لكنّهم لعدم تلّبرهم قالوا فيه ما قالوا من أنّه سحر أو شعر أو أساطير الأوّلين و لم يعلموا أنّه من أعظم الدّلائل الباقية على غابر الدّهر و قوله: أم خآءهم ما لَم يَأْتِ البّاءهم الآوّلين معناه أنّ ما جاءهم جاء آباءهم الأوّلين و هو إرسال الرسّل و إنزال الكتب السّماوية و المقصود أنّ ما جاءهم من القرآن و الرّسول جاء آباءهم أيضاً و قد عرفوا ذلك بالتّواتر و علموا نجاة من آمن بالرّسول و إستئصال من كذّب.

قال بعض المفسّرين المراد بآباءهم، إسماعيل و أعقابه من عدنان و قحطان و روي لا تسبُّوا مضر و لا ربيعة و لا الحرث بن كعب و الأسد بن خزيمة و لا تميم بن مرّو و لا قسّاً، و ذكر أنّهم كانوا مسلمين و أنّ تبّعاً كان مسلماً و كان على شرطة سليمان بن داوود، و قيل قوله: أم جَاءَهُمْ ما لَمْ يَأْتِ الْبَاءَهُمُ الْأُوّلينَ معناه أم جاءهم الا من ما لم يأت آباءهم حين خافوا الله و آمنوا به و بكتبه و رسله و أطاعوه.

# أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ

المراد بالرّسول هنا محمد الله المنافعة و المعنى أم لم يعرفوا محمداً الله المنافعة و صحّة نسبه و أمانته و صدقه و عقله و سائر صفاته و أنّه خير فتيان قريش و الإستفهام هنا للإنكار أي بلى قد عرفوه كما عرفوا آبناءهم ولكنّه جاءهم بما خالف شهواتهم و أهواءهم ولم يوافق ما نشأؤا عليه من إتّباع الباطل و حيث

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



أنّهم لم يجدوا له مرّداً و لا مدفعاً لأنّه الحقّ و الصّراط المستقيم فأخلدوا الى البهت و عولوا على الكذب من النّسبة الى الجنون و السّحر و الشّعر كما قال تعالى:

# أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَآءَهُمْ بِالْحَقِّ وَ أَكُثُرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ

و المعنى يقولون هؤلاء المنكرين لرسالته المنكرين به أي بالرسول جنة و المعنى أنّه مجنون لا يعبأ بقوله ثمّ إستدرك تعالى و قال: بَلْ جَآءَهُمْ بِالْحَقِّ، أي أنّه رسول الله حقّاً و أكثر هؤلاء الكفّار للحقّ كارهون، أي يكرهونه بمجيئه بما ينافي عادتهم و أنّما قال أكثرهم ولم يقل كلّهم أو جميعهم لأنّ كلّ هؤلاء القوم لم يكونوا للحقّ كارهين هذا إذا قلنا أنّ الضّمير في أكثرهم، عائد على المنكرين في عهد رسول الله و يحتمل عوده الى النّاس أي أكثر النّاس كذلك في كلّ عهدٍ و زمان و هذا ممّا لا شكّ فيه إذ لا يعقل بل لا يمكن أن يكون جميع النّاس يكرهون الحقّ إذ لو كان الكره ثابتاً لآحاد النّاس بالنسّبة الى الحقّ لزم أن يكون جميع يكون جميع النّاس أتباع الشّيطان و لا يوجد في العالم موحدٌ تابع للحقّ و هو كما ترى غير معقول و على هذا فالحكم أكثريّ و هذا ممّا لا كلام فيه.

و أُعلم أَنَّ مفسّري العامّة حملوا قوله تعالى: وَ أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ على المنكرين في عهد الرّسول من أقرباءه و غيرهم قال صاحب الكشّاف ما هذا لفظه.

فأن قلت قوله: وَ أَكْثَرُهُمْ فيه أنّ أقلُّهم كانوا لا يكرهون الحقّ.

قلت كان فيهم من يترك الإيمان به أنفةً و إستنكافاً من توبيخ قومه و أن يقولوا صبأ و ترك دين آباءه لا كراهةً للحقّ كما يحكي عن أبي طالب.

فأن قلت زعم بعض النّاس أنّ أبا طالب صحّ إسلامه.

قُلت يا سبحان الله كأنّ أبا طالب كان اخمل (أضَل) أعمام رسول الله حتى يشتهر إسلام حمزة و العبّاس و يخفى إسلام أبي طالب إنتهى موضع الحاجة من

ضياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿

ن ﴿ ﴿ الْعَجِلَدُ الْفَانِي عَا

كلامه و تبعه على ذلك غير واحدٍ من مفسّريهم الّذين فسَّروا القرآن بآراءهم فقالوا فيه ما قالوا، قالِ الرّازي في المقام.

فأن قيل قوله: وَ أَكْثَرُهُمْ فيه دليل على أنّ أقلّهم لا يكرهون الحقّ.

قلنا كان فيهم من يترك الإيمان أنفةً من توبيخ قومه و أن يقولوا ترك دين آباءه لا كراهةً للحقّ كما حكى عن أبي طالب إنتهى كلامه.

أنا أقول، أمّا أوّلا: لا دليل على أنّ المراد بأكثرهم، هو أكثر قريش بل الحقّ أنّ هذا حكمٌ كلّي يشمل جميع النّاس في كلّ عهدٍ و زمان فأنّ أكثر النّاس للحقّ كارهون و لازم ذلك أنّ أقلَّهم ليس كذلك إذا ما من عاّم إلاّ و قد خصّ.

ثانياً: على فرض أن يكون المراد بالضّمير، قريشاً، و أنّ المعنى أكثر قريش كانوا كذلك لا أقلِّهم بدلالة المفهوم فمعنى الكلام أنَّ بعضهم لم يكونوا للحقِّ كارهين و هذا ممّا لا إشكال فيه و الآية ساكتة عن تعيين المصاديق و لا يستفاد منها أنَّ الكاره للحَّق من هو كما أنَّها ساكتة عن تعيين من لا يكره الحقِّ و اللَّـه تعالى حكم في الآية بأنّ أكثر النّاس، أو أكثر قريش للحقّ كارهون و مفهومها أنّ الأقلُّ ليس كذلك أي ليس يكره الحقِّ و أمَّا أنَّ فيهم من يترك الإيمان به أنفةً و إستنكافاً من توبيخ قومه و أن يقولوا ترك دين آباءه لا كراهةً للحقّ كما يـحكى عن أبي طالب، فالآية لا دلالة لها عليه و أنَّما هو من مستخرجات الزَّمخشري و ملفَّقاته الَّتي لا طائل تحتها و أن شئت قلت ليس هو إلاَّ من التَّفسير بالرَّأي و على فرض أن يكون فيهم كذلك من أين ثبت له أن يكون أبو طالب منهم أليس في الأقلُّ غير أبي طالب و ما ذنب أبي طالب إلاَّ أنَّه عليه السّلام كان حامياً لرسول اللّه في مدّة عمره أهذا جزاء أبي طالب عند الزّمخشري و أتباعه و العجب من الرّازي مع أنّه كان يدَّعي التّوغل في العلوم العقلية كيف قلَّد الزّمخشري في هذا المقام و غير هذا المقام في كتابه و أخذ منه ما أخذ من غير تدّبرِ و تفكّرٍ، لنعم ما قيل:

، القرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ المجلد الثاني عشر

إذا كان الغراب دليل قـوم

نعم كان لأبي طالب عندهم ذنبان:

أحدهما: أنّه كان حامياً للنّبي.

ثانيهما: أنّه كان أباً لعلَّى إبن أبي طالب التِّيلا و الذُّنب الثّاني أعظَم من الأوّل لقول رسول الله عَلَمُ اللَّهِ عَلَي لا يُحبِّك إلا مؤمن و لا يبغضك إلا منافق، و من أبغَض علياً أبغض أباه مع أنّ الله تعالى: وَ لا تَزِرُ وانِرَةُ وِزْرَ أَخْرَى، و أمّا نحن فنقول لو لم يكن أبو طالب مؤمناً و مات على الكفر لم يكن في الإسلام مؤمناً أصلاً وكان يجب على الزّمخشري و أتباعه أن يبيّنوا معنى الإيمان حتّىٰ نفهمه و نتعقُّله و للبحث فيه مقام آخر، والعجب من ذلك كلَّه أنَّهم يقولون أنَّ الرَّبير و طلحة تابا و ماتا على الإيمان في قصّة الجمل و لا يقولون بإيمان أبي طالب ولو حين الموت مع أنَّ أبا طالب كان حامياً لرسول اللَّه بشهادة التَّواريخ و السّير و أنَّهما أعنى الزّبير و طلحة فعلاما فعلامن القبائح و الظّلم على أهل البصرة و سلا سيف البغى على من قال رسول الله في حقّه يا علّي حَربك حَربي و سِلمك سِلمي. فنقول للزّمخشري وغيره ممّن إعتقد بكفر أبي طالب و أنّه مات على كفره، كيف سمعتم توبة طلحة و الزّبير حين الموت و ما سمعتم توبة أبى طالب و إيمانه و المفروض أنَّكم لم تكونوا هناك و سَيعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا أَيَّ مُنْقَلَب يَنْقَلِبُونَ و ليس هذا أوّل قارورةٍ كسرت في الإسلام وكيف نرجوا التكلّم بالحقّ ممّن يقول بأنّ معاوية بن أبي سفيان خال المؤمنين لمكان أمّ حبيبة و أمّا محمّد إبن ابيبكر ليس كذلك لأنّه شيعة عليّ إبن أبي طالب، و هذا مع إتّفاقهم على أنّ عائشة كانت أفضل من امّ حبيبة فأعتبروا يا أولى الأبصار.

وَ لَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوٰآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّـمٰواٰتُ وَ ٱلْأَرْضُ وَ مَـنْ فيهِنَّ بَلْ أَتَيْنٰاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ الظّاهر أنّ المراد بالحقّ في الآية هو الحقّ المقابل للباطل.

و قال قتادة، هو اللّه تعالى فعلى الأوّل و هو قول جمهور المفسّرين معناه أنّ

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷



ضياء الفرقان في تفسير القرآن

الحقّ لو إتبَّع أهوائهم و أميالهم النَّه النَّه لفسدت السّموات الى آخر الكلام و الوجه فيه أنّ الحقّ يدعوا الى الأفعال الحسنة و الأهواء تدعوا الى الأعمال القبيحة فلو إتبَّع الحقّ داعي الهوى لدعاه الى قبائح الأعمال و الى ماهيّة الفساد ولو جرى الأمر على ذلك لفسدت السّموات و الأرض و من فيهن قالوا في وجه فساد العالم بذلك أنّه يوجب بطلان الأدلّة و أنّه لا يؤمن وقوع الظُّلم الذي لا ينصف منه و تختلط الأمور أقبح الإختلاط و لا يوثق بوعدٍ و لا وعيدٍ و لا يؤمن إنقلاب عدل الحكيم و هذا معنى عجيب إنتهى ما قاله في التَّبيان.

على الثّاني: و هو أن يكون المراد بالحقّ هو اللّه تعالى فالمعنى لو إتَّبع الحقّ أعني اللّه أهواء هؤلاء الكفّار و فعل ما يريدونه لفسدت السّموات و الأرض.

في المقام قول ثالث: و هو أنّ المراد بالحقّ التّوحيد و المعنى لو إتّبع التّوحيد أهوائهم في الإشراك معه معبوداً سواه لفسدت الأرض و السّموات ألخ.

أقول الظّاهر بقرينة السَّياق أنّ المراد بالحقّ في الآية هو الحقّ الّذي ذكر في الآية السّابقة حيث قال تعالى: و أَكْثَرُهُم لِلْحَق كَارِهُونَ و على هذا فاللآم فيه للعهد الذّكرى و المعنى لو إتَّبع الحقّ الَّذي جاء به الرّسول من الإسلام و التّوحيد و الأحكام أهوائهم لأنقلب شركاً وإلحاداً و ذلك لأنّ الأهواء لا توافق الحقّ الذي يكون مخالفاً لها ولذلك قال رسول الله: «حُقَّت الجَّنة بِالمَكارِه وحُقَّت النّار بالشّهوات» و أمّا قوله: لَفَسَدَتِ ٱلسَّمواتُ و الأرض فالوجه فيه أنّ السّموات و الأرض و ما فيهن من الموجودات كلَّها على الحقّ أعني به العدل و متابعة الحقّ لأهوائهم توجب فساده و أن يصير باطلاً.

قال الله تعالىٰ: أَلَمْ قَرَ أَنَّ اَللَّهَ خَلَقَ اَلسَّمُواْتِ وَ اَلْأَرْضَ بِالْحَقِّ ( ). قال اللّه تعالىٰ: خَلَقَ اَلسَّمُواْتِ وَ اَلْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ( ٢ ).

# ضياء الفرقان في تفسير القرآن

#### قال الله تعالىٰ: ما خَلَقَ اللهُ السَّمُواتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمْ ٓ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ أَجَل مُسَمَّى (١) والأيات كثيرة.

و إذا كان خلق الموجودات على الحقّ أي على وجه الأحسن فلو كان الحقّ تابعاً لأهوائهم و آرائهم الفاسدة الباطلة يصير الحقّ باطلاً و لا نعني بالبطلان إلاّ الفساد و توضيحه إجمالاً هو أنّ الله خلق ما خلق من الموجودات السّموية و الأرضية على طبق المصلحة الّتي لا يعلمها إلاّ هو و هذه المصلحة يعبر عنها بالحقّ فمعنى متابعة الحقّ أهواء النّاس هو متابعة مصلحة الإيجاد أميالهم و أهوائهم و إذا كانت المصالح تابعة لأهواء النّاس لزم منها فساد الخلق جميعاً.

قال بعض المعاصرين في تفسيره لهذه الآية ما هذا لفظه إذ لو إتَّبع الحقّ أهوائهم فتركوا و ما يهوونه من الإعتقادات و العمل فعبدوا الأصنام و أتخذوا الأرباب و نفوا الرّسالة و المعاد و أقترفوا ما أرادوه من الفحشاء و المنكر و الفساد جاز أن يتبعهم الحقّ في غير ذلك من الخليقة و النّظام الّذي يجري فيها بالحقّ إذ ليس بين الحقّ و الحقّ فرق فأعطى كلّ عنهم ما يشتهيه من جريان النّظام و فيه فساد السّموات و الأرض و من بينهنّ و إختلال النّظام و إنتفاض القوانين الكليّة الجارية في الكون فمن البين أنّ الهوى لا يقف على حدّ و لا يستقر على قرار إنتهى موضع الحاجة من كلامه وَ المَوْسَادَةُ .

و قال البيضاوي عند قوله: لَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهُوٰ آءَهُمْ بأن كان في الواقع الهة شتّى لفسدت السّموات و الأرض و من فيهن كما سبق تقريره في قوله: لَوْ كَانَ فيهِمْ الْبِهَةُ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتْ (٢) و قيل لو إتَّبع الحقّ أهوائهم و أنقلب باطلاً لذهب ما قام به العالم فلا يبقى ولو إتَّبع الحقّ الّذي جاء به محمّد اللَّه الله الموائهم و أنقلب الحقّ شركاً لجاء الله بالقيامة و أهلك العالم من فرط غضبه ولو إتَّبع الله أهوائهم بأن أنزل ما يشتهونه من الشِّرك و المعاصي لخرج عن الألوهية

ولم يقدر أن يمسك السّموات و الأرض و هو على أصل المعتزلة إنتهى كلامه هذا ما قيل أو يقال في تفسير الكلام و اللّه أعلم بحقيقة كلامه.

و أمّا قوله: بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ قيل الذّكر السلّف و المعنى بل أتينا هولاء الكفّار ببيان الحقّ و هو القرآن أو أتيناهم بشرفهم لأنّ متابعة الحقّ شرف لهم في الدّنيا و الآخرة فهم عن شرفهم و ذكرهم معرضون، ولم يعلموا أنّ سعادة الدّارين في متابعة الحقّ و الإعراض عن البطل لامتابعة الباطل و الإعراض عن الحقّ و هو واضح.

# أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَراجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ هُوَ خَيْرُ ٱلرَّازِقينَ

الإستفهام للتَّوبيخ و الخرج الأجر على العمل و المعنىٰ أتسئلهم خرجاً و جزاءً على العمل و هو النَّبوة فخراج ربَّك أي أجره خيرٌ لك و هو خير الرّازقين، و في هذه الآية إشارة الىٰ أنّ النَّبي لا يسئل من الأمّة أجراً و إنّما أجره على الله و قد أشار اللّه تعالى الى هذا المعنى في كثير من الآيات.

قال الله تعالى: قُلْ لاَ أَسْئُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا اَلْمَوَدَّةَ فِي اَلْقُرْبِي (1). قال الله تعالى: زَتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَ هُمْ مُهْتَدُونَ (٢). قال الله تعالى: يا قَوْم لاَ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا (٣).

قال اللّه تعالىٰ: قُلْ لآ أَسْتَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ الْآ ذِكْرِي لِلْعَالَمِينَ (٢٠).

فهذه الأيات تنادي بأعلى صوتها أنّ النّبي أجره على اللّه كما أنّ رزقه على اللّه فهو لا يسأل النّاس و مع ذلك يرشدهم إلى ما هو خيرٌ لهم في الدّنيا و الأخرة. و قال الزّمخشري معنى الكلام أم تسألهم على هدايتك لهم قليلاً من عطاء الخلق و الكثير من عطاء الخالق خير فقد ألزمهم الحجّة في هذه الأيات و قطع معاذيرهم و حللهم بأنّ الّذي أرسل إليهم رجل معروف أمره و حاله خليقٌ بأن

۱- الشُّوريٰ = ۲۳

۲- يٰس = ۲۱ ۴- الأنعام = ۹۰

٣- هُود = ٥١

يجتبى مثله للرّسالة من بين ظهرانيهم ولم يجعل ذلك سلّماً إلى النّيل من دنياهم و إستعطاء أحوالهم ولم يدعهم إلا إلى الإسلام الّذي هو الصّراط المستقيم إلى أخر ما قال.

أنا أقول أنّ النّبي لم يسألهم خرجاً أي مالاً و متاعاً من الأمّة بل أعطى الأمّة خير الدّنيا و الأخرة لو كانوا يعلمون و لمّا زيّف طريقة الكفّار أتبع ذلك ببيان صحّة ما جاء به الرّسول وَلَمَّالِثُمُ فقال تعالى:

# وَ إِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِراْطٍ مُسْتَقيمٍ

والصّراط المستقيم الإسلام على قول العامّة و الولاية على قول الخاصّة و ذلك لأنّ الطّريق المستقيم الّذي لا عوج فيه ليس إلاّ طريق أهل البيت، و الأخبار الواردة في الباب عن طريق أهل البيت متظافرة أو متواترة وكيف كأن لا شكّ أنّ النّبي وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَى اللهُ عَمَام أخر.

# وَ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْأَخِرَةِ عَنِ ٱلصِّراٰطِ لَنَاكِبُونَ

أي عادلون عن دين الحقّ، و قيل معناه عادلون في الأخرة عن طريق الجنّة يأخذهم يمنةً و يسرةً إلى النّار و لعلّ الوجه فيه أن من أنكر المعاد ناكبٌ عن هذا الصّراط لأنّه لا يسلكه إلاّ من كان راجياً للثّواب خائفاً من العقاب والمفروض أنّ هؤلاء غير مصدّقين بالجزاء لإنكارهم الأخرة فهم مائلون عنه ثمّ قال تعالى:

يَزء ١٨ ﴾ وَ لَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَ كَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا في طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ

أخبر الله تعالى في هذه الآية عن خبث ذاتهم و سوء سريرتهم و شقاوتهم و عنادهم للحق فقال ولو رحمناهم، أي لو رحمنا هؤلاء الكفّار المعاندين، و كَشَفْنا ما بِهِمْ مِنْ ضُرِّ، أي رفعنا عنهم العذاب لَلجُّوا في طُعْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ، أي يترددون و ليس ذلك إلاّ لشّدة لجاجهم و عنادهم للحقّ.

و قال بعض المفسّرين معنى الآية أنّهم لو ردُّوا إلى الدّنيا لعادوا أيضاً لشّدة

اء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 😽

لجاجهم فيما هم عليه من البعد عن الحقّ وكيف كان ففي الآية أخبار بأنّ المعاند يكون كذلك.

#### وَ لَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَ مَا يَتَضَرَّعُونَ

هذه الآية بمنزلة الدّليل و البرهان على ما أخبر به الله تعالى في الآية السّابقة فقال ولقد أخذناهم بالعذاب و هو الجدب و ضيق الرّزق و القتل بالسّيف، فَمَا السّتكانُوا لِرَبِّهِم، أي لم يذلّوا عند هذه الشّدائد و لم يتّضرعوا إلى الله فيطلبوا كشف البلاء منه تعالى عنهم بالإستكانة و هي طلب السّكون خوفاً من السّطوة يقال إستكان الرّجل إستكانة إذا ذّل عند الشّدة، و ما يتضرّعون إلى الله ليدفع البلاء عنهم و أنما قلنا هذه الآية بمنزلة الدّليل على صدق المدّعى في الآية السّابقة لأنّ من لم يستكن ولم يتّضرع إلى ربّه عند الشّدة و المحنة فهو عند الرّخاء أيضاً كذلك بطريق أولى و حاصل الكلام أنّهم لا يؤمنون بالله و لايوم الأخر في الشّدة و الرّخاء فهم ممّن قال الله في حقهم:

سَوْآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْدُرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْدِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ، خَتَمَ ٱللَّهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ وَ عَلىٰ سَمْعِهِمْ وَ عَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظيمٌ (١). وحق الكلام في حقّهم أن يقال ذرهم في خوضهم يلعبون.

# حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَديدٍ إِذَا هُمْ فيهِ مُبْلِسُونَ

الفتح فرج الباب بطريق يمكن السّلوك فيه فكأنّه فتح اللّه عليهم باباً أتاهم منه العذاب الشّديد.

قال المفسّرون العذاب الأوّل كان يوم بدر حيث قتل فيه صناديدهم فما وجد منهم بعد ذلك إستكانة ولا تضّرع حتّىٰ فتحنا عليهم باب الجوع الذّي هو أشّد من القتل و الأسر و هذا هو العذاب الثّاني إذا هم فيه مبلسون حائرون فأنّ

الإبلاس الحيرة لليأس من الرّحمة و من ذلك سمّي إبليس به و الحاصل أنّـهم أبلسوا من رحمة الله و خضعت رقابهم بعد رؤية العذاب و شدّته قيل أنّ رسول الله دعا عليهم فقال اللَّهم سنين كسني يوسف فجاعوا حتَّىٰ أكلوا الجيف.

# وَ هُوَ ٱلَّذَيَ أَنْشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَ ٱلْأَبْـصٰارَ وَ ٱلْأَفْـئِدَةَ قَـلْهِلًا مُـا

لمًا بيَّن اللَّه تعالى في الأيات السَّابقة إعراض الكفَّار عن سماع الأدَّلة و رؤية العبر و التّأمل فيها خاطب المؤمنين بل الظّاهر جميع أهل العالم بأسرهم وقـال في مقام الإمتنان هو الَّذي أنشأ لكم الآية تنبيهاً على من لم يعمل هذه الأعضاء في ما خلقه اللّه تعالى و تدُّبر ما أودعه فيها من الدّلائل على وحدانيّته و بـاهر قدرته فهو كعادم هذه الاعضاء و هو في الحقيقة ممّن قال الله في حقّهم: فَما أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَ لاَ أَبْصَارُهُمْ وَ لاَ أَفْدَدُّهُمْ مِنْ شَمَىْءٍ (١) و توضيح ذلك احمالاً:

هو أنّ هذه الأعضاء لها خاصيّتان في الإنسان و خاصيّة واحدة في الحيوان، ففي الإنسان الإدراك، و العبر، و في الحيوان، مجّرد الإدراك و ذلك لأنّ الحيوان يدرك بالسّمع و البصر فيسمع و يرى إلا أنّه لا يعلم لم يسمع و يرى و أمّا الإنسان فليس كذلك لمكان العقل فيه فينبغى أن يعلم أنّ السَّمع ليس لمجّرد الإستماع و البصر لمجّرد الرّؤية بل السَّمع للإستماع ثمّ ترتّب الأثر عليه و هكذا البصر عزء ٨٨ كلرُّؤية ثمَّ العبرة ممَّا يرى و حاصل الكلام هـو أنَّ هـذه الأعضاء في الإنسـان للإدراك أوّلًا و التَّفقه أعنى به ترَّتب الأثار ثانياً و لا شكّ أنّ أثر الإستماع التفكّر في المسموع كما أنّ أثر الرّؤية التّأمل و التَّعمق في المرّئي و الإعتبار به و هذا هو الفرق بين السَّمع و البصر و سائر الأعضاء في الإنسان و الحيوان فإذا سمع الإنسان و لا يتفكّر فيه أو رأى و لا يعتبر به فما الفرق بينه و بين الحيوان بل هو

أضَّل و أخسّ من الحيوان و ذلك لأنّ الحيوان فاقدّ للعقل فلا يمكن له التعقّل بخلاف الإنسان فأنّ اللّه تعالى جعل فيه العقل و أقدره على التعقّل و التفكُّر و فضَّله بذلك على الحيوان و العقل يحكم بأنَّ القادر التَّارك أخسّ وأدون من التّارك الّذي لا يقدر على الفعل ألا ترى أنّ الإنسان القادر على الإعطاء أخس من غير القادر عليه و بالجملة أنَّ اللَّه تبارك و تعالى خلق الإنسان و فضَّله و شرَّفه على أبناء جنسه بالعقل الَّذي يتَّميز به الخير من الشِّر و جعل له الأعضاء التّي هي في الحقيقة بمنزلة الأعوان و الأسباب للتَّعقل في مدركاتها فمن لا يتعقّل فيما يسمع و يدرك بالآلات و القوى المدركة فهو كالفاقد لها فلا فرق بينه و بين أبناء جنسه بل هو أخسُّ و أضَّل من حيث أنَّه لم يعمل بوظيفته من الحيوان الذِّي عمل بها و لذلك ترى اللَّه في كثير من الأيات ذمَّ الإنسان علىٰ هذه الرويَّة الرديَّة.

قال الله تعالى: وَ لَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ ٱلْجِنَّ وَ ٱلْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَ لَهُمْ أَعْيُنُ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَ لَهُمْ أَذَانُ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولٰئِكَ كَالْأَنْعَام بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولٰئِكَ هُمُ اَلْغَافِلُونَ ۖ ۖ ۖ ).

قال الله تعالىٰ: وَ جَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَ ٱلْأَبْصَارَ وَ ٱلْأَفْئِدَةَ قَليلًا مَا تَشْكُرُ و نَ (۲).

قال الله تعالىٰ: وَ جَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَ ٱلْأَبْصَارَ وَ ٱلْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُ وِ نَ<sup>(٣)</sup>.

قال الله تعالى: فَمَا ٓ أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَ لآ أَبْصَارُهُمْ وَ لآ أَفْدَتُهُمْ منْ شَييْء<sup>(۴)</sup>.

و الأيات كثيرة فأنَّها تدُّل علىٰ أنَّ الفرض الأصلي من جعل هذه الأعضاء في الإنسان هو التَّفقه و التعمَّق و التدبُّر في الحقائق و الأثار و هذا هو المراد بالشُّكر في المقام لا قول القائل شكراً لله فقط فقوله: قَليلًا ما تَشْكُرُونَ، إشارة إلىٰ أنّ

١- الأعراف = ١٧٩

٢- السّجدة = ٩ ؛ الملك = ٢٣

الشّاكر قليل و الغافل الكافر بالنِّعمة كثير ثمّ قال تعالى:

# وَ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

الذَّرء الخُلق و المعنى أنّ الذي أَنشأ لكم السَّمع و الأبصار هو الذي خلقكم في الأرض و إليه تحشرون و ذلك لأنّ كلّ شئ يرجع إلى أصله قال تعالى: إِنّا لِلهِ وَ إِنّا اللهِ وَ إِنّا اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ ال

قال بعض المفسّرين فمن أنشأ هذه الحوّاس و أنشأت هي له و أحيا و أمات و تصَّرف في إختلاف اللّيل و النّهار هو قادر على البعث و خصّ هذه الأعضاء بالذّكر لأنّه يتعلّق بها منافع الدّين و الدّنيا من إعمال السَّمع و البصر في أيات الله و الإستدلال بفكر القلب على وحدانيّة الله و صفاته ولمّا كان خلقها من أتّم النّعم على العبد قال قليلاً ما تشكرون ثمّ أردف كلامه بقوله: وَ هُو اللّذي الله و مُؤلّف أي خلقكم و بثكم فيها إشعاراً بأنّ المخلوق كائناً ما كان تحت قدرة خالقه و لا يمكن له الفرار من حكومته فيفعل به ما يشاء و يتصرّف فيها ما يشاء و هم يسألون و لذلك قال:

# وَ هُوَ ٱلَّذِي يُحْيِي وَ يُميتُ وَ لَهُ ٱخْتِلافُ ٱللَّيْلِ وَ ٱلنَّـهَارِ أَفَـلا تَعْقِلُونَ

أي هو القادر الذّي يقدر على الإحياء و الإماتة و على إختلاف اللّيل و النّهار أفلا تعقلون فيه و المراد بالإختلاف هنا التّعاقب أي يحلف هذا و الهَمَزة في قوله: أَفَلا تَعْقِلُونَ، للتّوبيخ أي أفَلا تعقلون فتوّحدونه و تنففون عنه الشّركاء و

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷

الأنداد و أنّه تعالى مستحق لأن يعبد لا غيره و أنّما ذكر اللّيل و النّهار وإختلافهما بعد قوله: يُحْيي وَ يُميتُ لنكتة دقيقة و هي أنّ إختلاف اللّيل و النّهار على سبيل التّعاقب في الحقيقة نوعٌ من الإحياء و الإماتة بمعنى أنّ اللّه تعالى يميت النّهار و يحيي اللّيل و بالعكس و أن شئت قلت الإحياء و الإماتة على ضربين: أحدهما: أن يكونا عقليّين.

ثانيهما: أن يكونا حسيين فقوله: يُحْيى وَ يُميتُ من الأوّل و قوله: وَ لَهُ الْحَيْلُ فَ اللّهُ اللّهُ وَ اللّهُ اللللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللل

## بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ

أخبر الله في هذه الآية عن الكفّار ممّن عاصر النّبي تَلْكَثْنَا أَنّهم لم يؤمنوا باللّه ولم يصدّقوا رسوله بل قالوا مثل ما قال الكفّار قبلهم من إنكار البعث و النّشور و الحساب و الجنّة و النّار و غير ذلك ممّا أخبرهم اللّه بواسطة نبيّه فكلمة، بل، للاضراب و في الآية إيماء إلى أنّهم كانوا مقلّدين لأبائهم في الكفر و فيه دليل على أنّه أي الإنكار منهم لم يكن إلاّ لعنادهم و لجاجهم و لو كان لهم عقلٌ و نظر في هذه الأيات التّي رأوها لم ينكروا البعث قيل و الضّمير لأهل مكة.

# قَالُوٓا أَءِذا مِتْنَا وَكُنَّا تُراٰبًا وَ عِظامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ

أي كيف نصير أحياء بعد أن صرنا تراباً و عظاماً.

قال بعض المفسّرين أنّما دخلت عليهم الشّبهة في إنكار البعث لأنّهم لم يشاهدوا ميتاً عاش و لا جرت به العادة و شاهدوا النّشأة الأولى من ميلاد من لم



يكن موجوداً و لو فكروا في أنّ النّشأة الأولى أعظم منه لعلموا أنّ من أنكره فقد جهل جهلاً عظيماً لأنّ من قدر على إختراع الأجسام لا من شئ قدر على إعادتها إلى الصّفة التّى كانت عليها مع وجودها إنتهى.

أقول هذا التَّقليد ليس مختصاً بالمشركين بل سرى إلى المسلمين أيضاً ألا ترى أنّ أكثر المسلمين يقلدون أبائهم و أمثالهم في مذاهبهم و ليس لهم دليل على صحّة مذهبهم إلا المتابعة و التقليد فإذا سئلوا عنه لا جواب لهم إلا أن قالوا أنّ وجدنا أباؤنا على ذلك و هذا أساس الشّقاوة و الضّلال نعوذ بالله منه.

# لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَ الْبَآؤُنَا هٰذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هٰذَآ إِلَّا أَسْاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ

أي أنّ المنكرين قالوا لقد وعدنا بهذا الوعد، و هو الحياة بعد الموت للحساب نحن و أباؤنا من قبل أي كما وعدنا نحن بالبعث وعدوا به أيضاً في سالف الزّمان بواسطة الأنبياء، إن هذا إلاّ أساطير الأوّلين كلمة، إن، نافية بمعنىٰ ليس أي ما وعدنا من البعث ليس إلاّ أساطير الأوّلين فأنّا لم نر لذلك صحّة و لا لهذا الوعد صدقاً و ما سطره الأوّلون لا حقيقة له، و الأساطير هي الأحاديث المسطورة في الكتب ممّا لا أصل له واحدها، أسطورة و إلى هذا المعنى أشار شاعرهم حيث قال:

حياةُ ثمّ موتُ ثـمّ حسـرُ حيث خرافةٍ يا أمّ عـمرو و سنتكلّم في المعاد في المستقبل إن شاء اللّه تعالىٰ:

# قُلْ لِمَنِ ٱلْأَرْضُ وَ مَنْ فيها ٓ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

أي قل يامحمّد لهؤلاء الكفّار المعاندين المنكرين للبعث و النّشور لمن الأرض و من فيها من الموجودات و أنّما أتى بكلمة، من، تغليباً للعقلاء على غيرهم و ذلك لأنّ الكلام في البعث و النّشور للحساب و هو مختّص بالإنسان و كلمة، من، في قوله: لِمَن، إستفهاميّة توبيخيّة و ذلك لأنّ الأرض و من فيها لله

ضياء الفرقان في تفسير القرآن .



تعالى و أتى بكلمة، إن، الشرطيّة و قال: إِنْ كُنْتُمْ تَـعْلَمُونَ للدلالة علىٰ أنّ الخطاب للعقلاء و العلماء بذلك و المعنى إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أنّ الأرض و من فيها للَّه تعالى فلم تنكرون البعث ألم تعلموا أنَّ المالك يتصرَّف في ملكه ما يشاء و كيف يشاء و أنّ الّذي خلق الأرض و من فيها أوّلاً قادرٌ على كـلّ شــئي و أنّ الإحياء ثانياً ليس بأصعب منه أوّلاً.

قال بعض المفسّرين لمّا إتّخذوا دون اللّه ألهة و نسبوا إليه الولد نبَّههم علىٰ فرط جهلهم بكونهم يقرّون بأنّه تعالى له الأرض و من فيها و أنّه ربّ العالم العلوي و أنّه مالك كلّ شئ و هم مع ذلك ينسبون له الولد و يتَّخذون له شركاء إنتهي

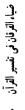
و أنت ترى أنّ البحث في البعث و النُّشر و إنكارهم ذلك لا فيما ذكره هذا القائل و هو ظاهر:

#### قُلْ لِمَنِ ٱلْأَرْضُ وَ مَنْ فيها آ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

أي إن كنتم تعلمون أنَّ الأرض و من فيها للَّـه تـعالى كـما هـو كـذلك أفـلا تذكّرون أي أفلا تتفكّرون في مالكها و تتذكّرون قدرته و أنّه لا يعجزه شئ عن إعادتكم بعد الموت مرّةً ثانية كما أنشأكم أوَّل مرّةٍ ثمّ أنّه تعالى بعد الإقرار منهم بأنّ الأرض و من فيها للّه تعالى أشار بمثل هذا السّؤال بـالنّسبة إلىٰ السّـموات

#### قُلْ مِنْ رَبُّ ٱلسَّمٰواٰتِ ٱلسَّبْعِ وَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظيمِ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُه نَ

أي قل يامحمد لهؤلاء الكفّار المنكرين للبعث من ربّ السّموات السّبع، أي مالكها و المتصرّف فيها بأيّ نحو شاء و من ربّ العرش العظيم، أي خالقها و المتصرّف فيها سيقولون في الجواب، أنّها للّه تعالى، قل لهم أفلا تتَّقون، أي أفلا



تخافون عقابه على جحد توحيده و المقصود من هاتين الأيتين أنّ اللّه الّـذي خلق الأرض و من فيها و السَّموات و العرش و بالجملة خلق الخلق بأقسامها و أصنافها قادرٌ على كلّ شئ و هو الّذي ينبغى أن يعبد لا غيره.

إن قلت أليس بين قولةً: إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ و قوله: سَيَقُولُونَ لِلله، تعارضً و ذلك لأنّ قوله: الله تعلم تعلمهم و قوله: سَيَقُولُونَ لِلله معناه أنّهم كانوا عالمين بأنّ الله تعالى هو ربّ السّموات و الأرض إذ لو لم يكونوا عالمين فلامعنى لقوله سيقولون لله و إذا ثبت التّعارض فكيف الدَّفع.

قلت لا تعارض بين الكلامين أصلاً و ذلك لأنّ قوله: إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ لا يدلّ على عدم علمهم و بعبارة أخرى لم يحكم الله بعدم علمهم بذلك و قد يقال مثل ذلك في الإحتجاج على وجه التأكيد لعلمهم و ختم كلّ سؤالٍ بما يناسبه بل في هذا الكلام توبيخ لهم و هو أنّكم مع علمكم بأنّ الله هو المالك المتصرّف في السّموات و الأرض كيف تنكرون قدرته و تحكمون بعجزه عن الإحياء ثانياً اليس هذا من النّفاق و العناد، فأنّ من ملك الأرض و السّماء و من فيها حقيق أن لا يشرك به بعض خلقه ممّن في الأرض و ختم ما بعدها بالتّقوى و هي أبلغ من التّذكر و مع ذلك فيها و عيدٌ شديدٌ.

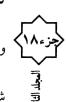
قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ يُجِيرُ وَ لا يُجارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ لِلهِ قُلْ فَأَنّىٰ تُسْحَرُونَ

ثمّ قال تعالى قل يا محمّد من بيده ملكوت كلّ شئ، قيل ملكوت عظم الملك و وزنه، فعلوت و هو من صفات المبالغة نحو جبروت.

و قال مجاهد ملكوت كلّ شئ خزائن كلّ شيء و المعنى أنّه قادر على كلّ شئ إذا صحًّ أن يكون مقدرواً له.

تو قال الرَّاغب في المفردات الملكوت مختّص بملك الله تعالى و هو مصدر ملك أدخلت فيه التّاء نحو رحموت و رهبوت، و قيل ملكوت الأشياء حقائقها و بواطنها و لا يمكن الوصول إليها إلاّ بأذن الله تعالى كما قال:

ضياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿



وَ كَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمُواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ ۖ ۗ .

فقوله: نُرى، يدل على المدّعي:

و قال تعالى: فَسُبْحَانَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَبَيْءٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢).

> و قيل يمكن الوصول إلى ملكوت الأشياء بدليل قوله تعالى: أَوَ لَمْ يَنْظُرُوا في مَلَكُوتِ ٱلسَّمْواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ<sup>(٣)</sup>.

أقول للوصول إلى ملكوت الأشياء مراتب مختلفة نقصاً وكمالاً و به يجمع بين الأقوال و هو ظاهر و كيف كان لا شكّ أنّ ملكوت الأشياء بيده تعالى لأنّه خلق الأشياء و الخالق أعرف بما خلق من غيره ظاهراً و باطناً و إذا كان الملك و الملكوت بيده تعالى فهو العالم بكلُّ شئ و القادر على كلُّ شئ.

و أمّا قوله: وَ هُوَ يُجيرُ وَ لا يُجْأَرُ عَلَيْهِ، الإجارة الإعاذة و من إستجار باللَّه أعاذه و من أعاذه اللَّه لم يصل إليه أحد فقوله: أنَّه يجير معناه أنَّه تعالىٰ يعيذ بالمنع من السُّوء لما يشاء، و قوله: وَ لا يُجارُ عَلَيْهِ، معناه لا يمكن منع من أراده بسوءٍ منه، و قيل معناه هو يجير من العذاب و لا يجار عليه منه و إلى هذا المعنى أشار بقوله: أَعُوذُ بِالله مِنَ ٱلشَّيْطانِ ٱلرَّجيم و حاصل الكلام أنَّ الخلق يستجير به تعالى و هو لا يستجير بغيره و في هذا الكلام إشارة إلى أنَّ جميع ما سواه محتاجون إليه و هو غير محتاج إلى غيره و الإحتياج يوجب الإستجارة به تعالى كما قيل:

و الكلّ مستّمدة من مدده أزمّة الأمور طرّاً بيده

فمعنى الآية قل يامحمّد لهؤلاء الكفّار من بيده ملكوت كلّ شئ ثمّ من يُير و لا يجار عليه إن كنتم تعلمون، أي من يتصّف بهذين الوصفين العظّيمين إن كنتم

١- الأنعام = ٧٥ ٣- الأعراف = ١٨٥

عالمين به، سيقولون في جوابك، لله قل أي قل لهم فأنّى تسحرون، أي كيف تعمهون من هذا و تصدّون عنه من قولهم سحرت أعيننا عن ذلك فلم نبصره.

و قيل معناه، فأنّى تخدعون و قيل فأنّى تصرفون، و المعاني متقاربة و الألفاظ مختلفة، و الحقّ أنّ السّحر هنا مستعارٌ و هو تشبيه لما يقع منهم من التّخليط و وضع الأفعال و الأقوال في غير مواضعها بما يقع من المسحور عبَّر عنهم بذلك.

## بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ

أخبر اللّه تعالى أنّه أتى هؤلاء الكفّار بالحقّ الواضح الذّي لا خفاء فيه من توحيد اللّه و صفاته و أنّه يبعث الخلق بعد موتهم ثمّ يجازيهم على طاعاتهم بالثّواب و على معاصيهم بالعقاب و أنّ الكفّار كاذبون فيما يخبرون بخلافه و يقولون لا بعث و لا نشور و لا حساب و لا كتاب فالآية تدّل على أنّهم كذّبوا الحقّ أي أنكروه و السّر فيه أنّ الحقّ مرّ و أمرّ منه العمل به، أمّا أنّه مرّ فلكونه على خلاف الأميال و المشتهيات النفسانيّة و الوساوس الشيطانيّة و أمّا أنّ العمل بالحقّ أمرً من قبوله لأنّ العمل أصعب و أشد، و أمّا الباطل فليس كذلك ألا ترى أن المسلمين لم يقبلوا الحقّ من اللّه و رسوله في مسألة الولاية و الإمامة:

حيث قال رسول الله عَلَيْهُ وَاللَّهِ عَلَيْهُ فَي غدير خمّ: من كُنتُ مَولاه فهذا علَّي لاه.

و قوله: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبّي بعدي.

و قوله: علي مع الحق و الحق مع علي يدور معه حيثما دار. و غير ذلك من النصوص و أنما لم يقبلوا علياً لأنه كان على الحق و مع الحق و الحق معه فلو كان على الباطل و عمل على طبق أميالهم و أهوائهم لم يخالفوه كما لم يخالفوا أبا بكر و عمر و عثمان بل و معاوية و يزيد و هلم جرًا. لفرقان في نفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ الدجلة الثاني

فأن قلت ليس كذلك لأنَّهم قتلوا عثمان بن عفَّان أيضاً.

قلت أنّما قتلوه لأنّه خالفهم في تقسيم الأموال و سلَّط عليهم من كان لا يرحمهم ولم يقتلوه لأنّه كان فيهم عاملاً بالحقّ، و أمّا أميرالمؤمنين فقد خالفوه و حاربوه لكونه على الحقّ فعثمان قتل بظلمه و جوره و علّيّ قتل لعدله و بينهما بونّ بعيد و ليس هذا إلاّ أنّ الحقّ مرّ و هو واضح.

-

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَ مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلْهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلْهِبِمَا خَـلَقَ وَ لَـعَلا بَـعْضُهُمْ عَلَى بَعْض سُبْحَانَ ٱللَّهِ عَـمًّا يَـصِفُونَ (٩١) عَالِم ٱلْغَيْبِ وَ ٱلشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمًّا يُشْرِكُونَ (٩٢) قُلْ رَبِّ إِمَّا تُريَنِّي مَا يُوعَدُونَ (٩٣) رَبّ فَلا تَجْعَلْنى فِى ٱلْقَوْم ٱلظَّالِمينَ (٩٢) وَ إِنَّــاً عَلَى آُنْ نُرٰيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ (٩٥) آِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (٩۶) وَ قُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزاٰتِ ٱلشَّيَاطين (٩٧) وَ أَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (٩٨) حَتَّى إذا جاآء أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبّ ٱرْجِعُون (٩٩) لَعَلِّيّ أَعْمَلُ صَالِحًا فيمًا تَرَكْتُ كَلاُّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَاتِلُهَا وَ مِنْ وَرِ آبِّهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْم يُبْعَثُونَ (١٠٠) فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّــور فَلاَ أَنْسَابَ بَـيْنَهُمْ يَـوْمَئِذِ وَ لا يَـتَسٰآءَلُونَ (١٠١) فَـمَنْ ثَـقُلَتْ مَـوازيـنُهُ فَأُولُـبِّكَ هُـمُ ٱلْمُثْلِحُونَ (١٠٢) وَ مَنْ خَفَّتْ مَواْزِينُهُ فَأُولٰتِكَ ٱلَّذينَ خَسِرُوٓا أَنْفُسَهُمْ في جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَ هُمْ فيها كَالِحُونَ (١٠٤) أَلَمْ تَكُنْ أَياتي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذَّبُونَ (١٠٥) قَالُوا رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا وَ كُنًّا قَوْمًا ضَآلِينَ (١٠٤)

القرقان في نفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ المجلد الثاني عند

#### ▶ اللّغة

هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ: أي نزعاتهم و وساوسهم، و الهَمَز شدَّة الدَّفع.

كَلاُ: كلمة ردع و زجرٍ أي حقًّا.

بَرُزَخٌ: البرزخ الحاجز و هاهنا هو الحاجز من الموت و البعث.

نُفِخَ فِى آلصُّورِ: قيل الصُّور جمع صورة أي إذا نفخ فيها الأرواح و قيل هو قرنً ينفخ فيه إسرافيل بالصَّوت العظيم الهائل.

أَشْابَ: الأنساب جمع نسب و هو إضافة قرابة في الولادة.

ثَقُلَتْ: الثّقل ضدّ الخفّة.

مَواٰزِينَهُ: جميع ميزان و هو ما يوزن به الشَّئ.

تَلْفَحُ: قيل لفح و نفح بمعنى واحد غير أنّ اللَّفح أعظم من النَّفح و أشّد تأثيراً. كالدُّونَ: الكلوح تقلّص الشّفتين عن الأسنان حتّى تبدوا الأسنان.

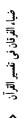
#### ◄ الإعراب

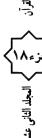
يَوْمَنِذِ العامل فيه هو العامل في بينهم، و هو المحذوف و لا يجوز أن يعمل فيه، أنساب، لأنّ إسم لا، إذا بني لم يعمل و الإعراب في الباقي واضح لا خفاء فيه.

#### ◄ التّفسير

مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَ مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَ لَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضِ شُبْخانَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ

الإتّخاذ إفتعال من الأخذ والمعنى ما إتّخذ الله لنفسه من ولد و كلمة، ما، نافية بمعنى ليس و هكذا، ما، في، ما كان معه من إله، أي ليس مع الله إلها أخر إذا لذهب كل إله بما خلق و لعلى بعضهم على بعض و فيه إلزام لمن يعبد الأصنام و المعنى لانفرد كلّ إله بما خلق لأنّه لا يرضى أن يضاف خلقه إلى غيره، سُبُخانَ ٱللهِ عَمّا كلّ إله بما خلق لأنّه لا يرضى أن يضاف خلقه إلى غيره، سُبُخان الولد و الشّريك.





قال صاحب الكشّاف في قوله: لَذَهَبَ كُلُّ الله بِما خَلَق، لإنفرد كلّ واحدٍ من الألهة بخلقه الّذي خلقه و إستبدّ به و لرأيتم ملك كلّ واحدٍ منهم متميّزاً من ملك الأخرين و لغلب بعضهم بعضاً كما ترون حال ملوك الدُّنيا ممالكهم متمايزة و هم متغالبون و حين لم تروا أثر التَّمايز و التَّغالب فأعلموا أنّه إله واحد بيده ملكوت كلّ شئ.

فأن قلت إذاً لا تدُّخل إلا على كلام هو جزاءٌ و جواب فكيف وقع، لذهب، جزاءً و جواباً و لم يتَّقدمه شرط و لا سُؤال سائل.

قلت الشّرط محذوف تقديره ولو كان معه ألهةٍ، و أنّما حذف لدلالة قوله: وَ مُا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلْهِ إِنتهى كلامه.

و به قال الرّازي في تفسيره فكأنّه أخذه من الزّمخشري لأنّه ذكر ألفاظه طابق النّعل بالنّعل و لم يأت بشئ جديد و أمّا غيره من مفسّرى العامّة فحاله معلومٌ و هكذا الخاصّة فأنّهم أيضاً لم يفسّروا الآية كما هو حقّها و لم يتجاوزوا عن شرح ألفاظها و أنّما أخذ بعضهم من بعض و حيث أنّ الآية من أعظم الأيات من حيث الدّلالة على التّوحيد و نفي الشّريك و الولد له تعالى فلا بأس بالإشارة إلى بعض الأسرار المودّعة فيها.

فنقول في الآية أبحاث:

الأَوْل: أنَّه تعالى قال مَا آتَّخَذَ ٱللَّهُ مِنْ وَلَدٍ، و فيه إشارة إلى نفي الولد. الثّاني: قوله وَ ما كانَ مَعَهُ مِنْ إلٰهٍ، و فيه إشارة إلى نفي الشّريك.

الثّالث: قوله إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلْهِ بِمَا خَلَقَ، و فيه إشارة إلى برهانِ قاطعٍ على التّوحيد.

الزابع: قوله وَ لَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْض، و فيه إشارة إلى نفي العلّو. الخامس: قوله سُبْحانَ ٱللهِ عَمّا يَصِفُونَ، و فيه إشارة إلى تنزّهه عن النقائص و عمّا لا يليق به.

أمّا البحث في المقام الأوّل: و هو نفي الولد قال الرّاغب في المفردات، الولد

ضياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿



المولود يقال للواحد و الجمع و الصّغير و الكبير و يقال للـمتّبني ولد قـال أبـو الحسن الولد الإبن و الإبنة إذا عرفت مـعنى الولد فـاللّه تـعالى ليس له ولد ولم يتَّخذ ولداً أيضاً أمّا أنّه ليس له ولد فلوجهين:

أحدهما: أنّ الولد جسمٌ لا محالة و الجسم لا يولد إلا من الجسم و اللّه تعالى منزّة عن الجسم لأنّه واجب الوجود و الجسم لا يكون واجب لأنّ الجسم مركّب من الأجزاء و كلّ مركّب محتاج إلى أجزاءه و كلّ محتاج ممكن الوجود فيلزم أن يكون الواجب ممكناً و قد فرضناه واجباً و هذا خلفٌ و إذا ثبت أنّه ليس بجسم فقد ثبت المطلوب.

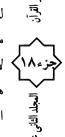
ثانيهما: لو كان له ولد فهو لا محالة يكون مولوداً لغيره فأنّ حكم الأمثال واحد و إذا كان مولوداً لغيره فلا يكون واجب الوجود ثمّ ننقل الكلام إلى والده و هكذا و يتسلسل و التسلسل باطل كلّ ما وجد بالغير لابد من أن ينتهي إلى الوجود بالذّات و هو الذي لا يلد و لا يولد و هو المطلوب.

فثبت و تحقّق أنّ اللّه تعالى ليس له ولد هذا كلّه بالنّسبة إلى نفي الولد النّاشي منه، و أمّا إتّخاذ الولد كما هو مورد البحث في الآية فهو أيضاً غير معقول و ذلك لأنّ السّبب في الإتّخاذ إن كان الإحتياج فيلزم أن يكون الواجب ممكناً إذ كلّ محتاج ممكن وقد فرضناه واجباً، و إن كان الأنس فهو أيضاً غير معقول لأنّه أي الأنس من لوازم الجسم و أمّا الموجود المجرد فلا يأنس بغيره مضافاً إلى أنّه أيضاً داخل في الإحتياج هذا كلّه مضافاً إلى أنّه تعالى لو إتّخذ إبناً لنفسه فلامحالة يكون الإبن حادثاً لأنّ ما سواه حادث مخلوق له و كلّ حادث ممكن و كيف يعقل أن يكون الحادث إبناً للواجب إذا عرفت هذا فقد علمت أنّ إثبات الولد له غير معقول فالقول بأنّ المسيح إبن اللّه و غير معقول كما أنّ إتّخاذ الولد له تعالى غير معقول فالقول بأنّ المسيح إبن اللّه و عزير إبن اللّه أشبه شيّ بكلام المجانين و الآية في الحقيقة ردّ على اليهود و النّصارى و كلّ من قال أو يقول بهذه المقالة التّي مثل قول بعضهم أنّ الملائكة بنات اللّه و أمثال ذلك من الأقاويل الفاسدة.

البحث الثّاني: قوله وَ ما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلْهِ و يمكن أن يستدلّ عليه عقلا

الأوّل: أنّه لو كان معه إله فلامحالة يكون موجوداً إذ المعدوم لا حكم له و إذا كان موجوداً فلا يخلو أمّا أن يكون واجباً أو ممكناً لأنّ الموجود لا يخلو من هذين القسمين و ذلك لأنّ الموجود أن كان موجوداً من نفسه و لنفسه و بنفسه فهو واجبٌ و أن كان وجوده من غيره فهو ممكنٌ ثمَّ أنَّ ما فرضناه شريكاً له تعالى لا يمكن أن يكون ممكناً لأنّ الممكن لا يكون شريكاً للواجب و هذا ممّا لا شكّ فيه لأنَّ الممكن وجوده من غيره فهو مخلوق لغيره و الواجب وجوده من نفسه فلا يكون مخلوقاً لغيره و كيف يعقل أن يكون المخلوق شريكاً للخالق، و لا يمكن أن يكون واجباً أيضاً و ذلك لأنّ الواجبين وجودهما يخلو لها من الإختلاف في الذَّات و الصَّفات و الإتّحاد كذلك لا سبيل الي الثّاني لإستحالة إجتماع المثلين مضافاً إلى أنّ الإتّحاد من جميع الجهات ينافي الاثنيّه، لا سبيل إلى الأوّل أيضاً لأنّ الإختلاف ذاتاً وصفةً يوجب عدم صدق الواجب عليها لأنّ مفهوم الوجوب لا ينتزع من الموجودين المتخالفين بما هما متخالفان عـقلاً و ثانياً على فرض التسليم نقول إشتراك المفهوم بينهما يستدعى ما به الإفتراق إذ المفروض من أنّهما أثنان و قد ثبت أنّ ما به الإشتراك يستلزم ما به الإفتراق قضاءً لحقّ الاثنينيّه و هذا يوجب التّركيب في الواجبين ضرورة أنّ ما به الإشتراك غير ما به الإمتياز و لا نعنى بالمّركب العقلى إلاّ هذا و إذ ثبت التّركيب ثبت الإمكان نزء ۱۸ کان کلّ مرّکبٌ محتاج إلى أجزاءه و کلّ محتاج ممکن فیلزم إمکان الواجبین و هذا خلاف الفرض و ملخّص الكلام أنّه لو كان معه إله غيره كانا متحدّي الذّات و الصَّفات من جميع الجهات فلا تصدق الأثنينيّه و أن كان غير ذلك أي كانا متخالفين فثبت و تحقّق أنّه ليس معه إله و هو المطلوب.

البحث الثَّالث: قوله إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهِ بِمَا خَلَقَ أَي إِذَا كَانَ مِعِهُ أَلَّهُ غيره إذاً لذهب كلّ إلهِ بما خلق و إستبدّ به و ذلك لأنّ الإله الأخر أن لم يستبدّ بما خلق فلا ضياء الفرقان في تفسير



محالة يكون تابعاً للأخر و كلّ تابع لغيره محتاج إليه و كلّ محتاج مـمكن فــلا يكون واجباً و هو كما تري و أن إستَبدّ بما خلق فهو أيضاً غير معقول لأنّه يوجب إختلال النّظام إذ لا يعقل فيهما وحدة الإرادة في جميع الأمور و هو واضح.

البَحث الزّابع: قوله وَ لَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، أي و لعلى أي غلب بعض الألهة علىٰ غيره كما ترون حال ملوك الدّنيا ممالكهم متميّزة و هم متفاوتون هكذا قيل في تفسير الكلام و يظهر منه أنّ المفسّرين أرادوا من العلّو الغلبة و لا بأس به و ذلك لأنّ التّغالب مأخوذ من مفهوم العلوّ بل لا يوجد العلوّ إلاّ لمن أراد الغلبة على غيره وكيف كان فالمقصود من الكلام هي نفي الألهة مع اللّه تعالى و أنّه لو كان فيهما ألهة إلاّ اللّه لفسدتا، و في الكلام إحتمال أخر و هو أنّه لو كان معه تعالى ألهة لا يعقل أن يكونوا جميعاً في مرتبة واحدة من حيث العلم و القدرة و المشيّة و غير ذلك كما هو مقتضى الكثرة و إذا كان كذلك فلا محالة يكون بعضهم أعلى مرتبةً و شأناً و صفةً من غيره و هذا البعض الّذي أعلى من غيره هو الإله الّذي يستّحق أن يعبد لأنّ غيره ضعيف و كلّ ضعيفٍ محتاج إلى الأقوى منه و كلّ محتاج ممكن فما سواه ممكنٌ و كلّ ممكن مخلوق فثبت و تحقّق أنّ مع فرض الألهة يرجع الأمر إلى إلهٍ واحدٍ و هو المطلوب.

البحث الخامس: في قوله شُبْحانَ آللَّهِ عَمًّا يَصِفُونَ، سُبحان بضَم السّين أصله مصدر نحو غفران و قال بعض أهل اللُّغة هو بمعنىٰ الأمر فقوله: سُبْحُانَ **ٱللَّهِ** أي سبّحوا اللّه عمّا يصفون أي يصفون هؤلاء الكفّار من إتّخاذه الولِد و الشّريك و بالجملة كلّ ما لايليق به ففي قوله: سُبْحُانَ ٱللّهِ عَــمًّا يَـصِفُونَ براءة من اللَّه و تَنْزةً منه فالبراءة من الكفَّار و التَّنزه عمَّا لا يليق به ثمَّ وصف اللَّه نفسه بالعلم فقال:

## عْالِم ٱلْغَيْبِ وَ ٱلشَّهَادَةِ فَتَعْالَى عَمًّا يُشْرِكُونَ

أي أنّه تعالى عالم الغيب و الشّهادة فلا يخفي عليه شيّ لا في الأرض و لا في السّماء فهو أجَّل و أعلى ممّا يشركون هؤلاء الكفّار و يظهر من الآية أنّ العالم



بالغيب و الشّهادة منحصرٌ به في عالم الوجود و هو كذلك إذ لا يعلم الغيب إلا هو فكأنّه تعالى إستدلّ بعلمه بالغيب و الشّهود على نفي الشّريك حيث فرّع عدم الشّريك عليه فيرجع الكلام إلى أنّ الإله المستّحق للعبوديّة هو الّذي يكون عالماً كذلك فمن لم يكن كذلك لا يكون إلهاً لأنّه جاهل و الجهل نقص و النّقص من شئون الممكن المخلوق و إذ ثبت أنّ العلم بالغيب و الشّهادة منحصرٌ به فهو المعبود لا غيره.

## قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ

لمًا ذكر الله تعالى ما عليه الكفّار من إدّعاء الولد و الشّريك له و كان الله تعالى قد أعلم نبيّه و الله تعالى قد أعلم نبيّه و الله تعالى قد أعلم نبيّه و أله الله تعلم و أن ينتقم منهم ولم يبيّن إذ ذاك في حياته أم بعد موته أمره أن يدعو بهذا الدّعاء أي أن تريني ما تعدهم واقعاً بهم في الدّنيا و في الأخرة فلا تجعلني معهم كما قال:

# رَبِّ فَلا تَجْعَلْني فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمينَ

أي لا تجعلني في جملة من يشمّلهم العذاب بظلمهم و تقديره أن أنزلت بهم النّقمة فأجعلني خارجاً عنهم.

قال الزّمخشري في هذا المقام ما هذا لفظه:

أي أن كان لابد من أن تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيّا أو في الأخرة فلا تجعلني قريناً لهم و لا تعذّبني بعذابهم عن الحسن أخبره اللّه أنّ له في أمّته نقمة و لم يخبره أفي حياته أم بعد موته فأمره أن يدعو بهذا الدّعاء فأن قلت كيف يجوز أن يجعل اللّه نبيّه المعصوم مع الظّالمين حتّى يطلب أن لا يجعله معهم.

قلت يجوز أن يسأل العبد ربّه ما علم أنّه يفعله و أن يستعيذ به ممّا علم أنّه لا يفعله إظهاراً للعبوديّة و تواضعاً لربّه و إثباتاً و إستغفاراً منه إذا قام من مجلسه سبعين مرّة أو مائة مرّة لذلك و ما أحسن قول الحسن في قول أبى بكر الصّديق رضي اللّه عنهما و ليتّكم و لست بخيركم، كان يعلم أنّه خيرهم و لكنّ المؤمن يهضم نفسه إنتهى كلامه بألفاظه و عباراته.

الفرقان في تفسير القرآن 🔷 😽

اء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ العجلاً ا

أقول ما ذكره في تفسير ألفاظ الآية لاكلام لنا فيه و ذلك لأنّ العبد كائناً من كان يخضع لربّه و يرجو منه ما لا يرجو من غيره فأن العبد و ما في يده كان لمولاه و أنّما الكلام في قياسه الذي يضحك به النّكلي و هو قياس أبوبكر برسول الله في قوله وليّتكم و لست بخيركم.

و نقله عن الحسن أنّه كان يهضم نفسه بهذا الكلام و أنّه كان يعلم أنّه خيرهم، ألم يعلم الزّمخشري أنّ أبا بكر لم يكن خير هم، فأن لم يكن عالماً به واقعاً فهو من أجهل النّاس بالسّير و أحوال الصّحابة و أن كان عالماً و مع ذلك قال بهذه المقالة فهو من المعاندين، و كيف كان أبو بكر خيرهم و قد عبد الأصنام أكثر من أربعين سنة من عمره من علّي بن أبي طالب الذي لم يعبد صنماً قط و هو أوّل من أمن باللّه و رسوله في الإسلام بالإجماع مضافاً إلى كثرة علمه و زهده و جهاده في سبيل اللّه و غير ذلك من فضائله التّي لا تحصى.

و من المعلوم أنّ أبا بكر كان بمعزلٍ عن جميع الفضائل بل هو كغيره من الأعراب و قد صدق في قوله: وليتكم و لست بخيركم، فأنّه أصدق كلام قالته العرب بل نقول لم يتكلّم أبوبكر في عمره بكلامٍ أصدق من هذا الكلام و حمل كلامه على الخضوع و هضم النَّفس كما فعله الزّمخشري تبعاً للحسن فهو من حمل الكلام على ما لا يرضى به صاحبه و ظنّى أنّ أبا بكر لا يرضى به و في قوله: وليتكم، بصيغة المجهول دليل على ما ذكرناه أي أنّهم ولّوني لا أنّي طلبت الولاية و الإمارة عليكم و هذا كلامٌ صدق و إقرارٌ بعدم صلاحيّته للخلافة فلا يحتاج إلى التّأويل و حمله على هضم النَّفس كما فعله الزّمخشري و أتباعه و قولهم أنّ الرّسول كان معصوماً فلا يحمل كلامه على الظّاهر لأنّ المعصوم لا يكون داخلاً فيهم قطعاً، كلامٌ لا طائل تحته بل هو عارٍ عن التّحصيل و ذلك لأنّ يكون داخلاً فيهم قطعاً، كلامٌ لا طائل تحته بل هو عارٍ عن التّحصيل و ذلك لأنّ العصمة في النّبي و الوّصي من قبل اللّه تعالى لقوله: وَ اللّهُ يَعْصِفكَ مِنَ النّاسِ و من يعطي العصمة في العّب على العبد فقوله ربّ فلا تجعلني مع القوم من يعطي العصمة يقدر على سلبها عن العبد فقوله ربّ فلا تجعلني مع القوم

الظَّالمين، معناه لا تسلب منّي العصمة فأنّ غير المعصوم يكون ظالماً قهراً فهذا دعاءً معقول لا يحتاج إلى التّأويل أصلاً.

## وَ إِنَّا عَلْىَ أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ

هذا في الحقيقة جواب عن سؤال الرّسول حيث قال تَلْكَوْتُكُو قل ربّ إمّا تريني ما يوعدون، من العذاب في الدّنيا فقال تعالى إنّا قادرون على ذلك و لكن لا نفعله و نؤخّره إلى يوم القيامة لما في تأخيره من المصلحة و قال أكثر المفسّرين أنّ اللّه تعالى أراه يوم بدر و يوم فتح مكة و كيف كان لا شكّ أنّ اللّه قادرٌ عليه إمّا في الدّنيا و إمّا في الأخرة ثمّ بعد ذلك أمر اللّه رسوله بحسن الأخلاق و الّتي هي أحسن فقال:

# إَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ

أمر الله رسوله أن يدفع السَّيئة من إساءة الكفّار إليه بالتي هي أحسن منها و هي شهادة أن لا إله إلاّ الله، و السَّيئة قيل هي الشِّرك فالمعنى إدفع الشَّرك من الكفّار بالتوحيد و قال بعض المفسّرين معنى الكلام أنّهم إذا ذكروا المنكر من القول و هو الشّرك فأدفعه بذكر الحجّة و البرهان على التوحيد في مقابلته و قيل إدفعه بذكر الموعظة التي تصرف منه إلى ضدّه من الحقّ على وجه التَّلطف في الدُّعاء إليه و الحثّ عليه كقول القائل هذا لا يجوز، و هذا خطاء و عدولٌ عن الحسن و أحسن منه أن يوصل بذكر الحجّة و الموعظة الحسنة.

و قال الحسن بِالَّتي هِيَ أَحْسَنُ الإغضاء والصّفح، و قيل هو خطاب للنّبي و المراد به الأمّة و المعنى إدفع الأفعال السّيئة بالأفعال الحسنة، و قوله: نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَصِفُونَ، قيل أي بما يستّحقون من الجزاء في الوقت الذّي يصلح الأخذ بالعقوبة إذ لا نقضي الأجل المضروب بالإمهال قاله الشّيخ في التّبيان.

و قيل أنّها أية موادعة و المعنى نحن أعلم بما يذكرون و يصفونك ممّا أنت بخلافه هذا ما قالوا في تفسير الآية و الّذي يختلج بالبال في تفسيرها هـو أنّ

باء الفرقان في تفسير القرآن 🔷



الكفّار كانوا بين منكر و مشبّه، بمعنى أنّ بعضهم كانوا من المنكرين له تعالى و بعض أخر كانوا من المشبّهين الواصفين لله تعالى بما لا يليق به فأمر الله نبيّه بالمداراة معهم و دفع السّيئات من الأقوال الصّادرة منهم بالتّي هي أحسن من لين الكلام و حسن الخطاب ثمّ قال: نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَصِفُونَ، أي بما يصفون الله من النقائص و ما لا يليق به من الشّرك و التّشبيه و إتّخاذ الولد و غيرها من القبائح و لو كان المراد بقوله: ما يَصِفُونَ ما يستّحقون من الجزاء لقال الله تعالى نحن أعلم بما يجزون مثلاً هذا مضافاً إلى أنّ حمل اللّفظ على غير معناه الموضوع له من غير داع يدعو إليه لا معنى له.

## وَ قُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزاٰتِ ٱلشَّيٰاطينِ

أي من نزغاتهم و وساوسهم و معنى أعوذ بالله أعتصم به من شرّهم في كلّ ما يخاف من شرّه و المعاذة هي التي يستدفع بها الشّر و امّا الهمزات دفعهم بالإغواء إلى المعاصي و الهمز شدّة الدَّفع، و قيل الهمز من الشّيطان عبارة عن حثّه على العصيان و الإغراء به كما يهمز الرّائض الدّابة لتسرع و قال إبن زيد همز الشّيطان الجنون، ثمّ أنّ الظّاهر من الآية أنّ اللّه تعالى أمره بالإستعاذة في جميع الأوقات فلا وجه لتخصيصها عند تلاوة القرآن فقط و هذه الآية و أن كانت بظاهرها خطاباً للنّبي إلاّ أنّ المراد بها الأمّة و يحتمل أن يكون المراد جميع النّاس و ذلك لأنّ الأنبياء أيضاً محتاجون إلى الإستعاذة لغيرهم فأنّ شرّ الشّيطان لا يدفع إلاّ بها.

## وَ أُعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ

و الأصل ربّي و يحضروني فحذفت الياء و بقيت الكسرة للدّلالة على المحذوف و الواو للعطف أي و قل و أعوذ بك من هؤلاء الشّياطين أن يحضروني فيوسون لي و يغروني عن الحقّ ثمّ أخبر اللّه تعالى عن هؤلاء الكفّار و قال:

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷

حَتَّىَ إِذَا جُآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ، لَعَلِّىَ أَعْمَلُ صَالِحًا فَيِما تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُها وَ مِنْ وَرْآئِهِمْ بَرْزَخٌ لِللهِ يَوْم يُبْعَثُونَ لِللهِ يَوْم يُبْعَثُونَ

قال صَّاحب الكشّاف، حتّى، يتّعلق بيصفون، أي لا يزالون على سوء الذّكر الى هذا الوقت و الآية فاصلة بينهما على وجه الإعتراض و التّأكيد للاعضاء عنهم مستعيناً بالله على الشّيطان أن يستزلّه و يغريه على الإنتصار منهم أو على قوله: إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ إنتهى.

أقول على هذا فالمعنى أنّهم أي الكفّار كانوا كذلك الى وقت الموت و إذا جاء أحدهم الموت قال ربِّ إرجعون على لفظ الجمع ففي قولهم: رَبِّ، إستعانة بالله و في قولهم: آرْجِعُونِ رجوع منهم الى مسألة الملائكة بالرُّجوع الى الله و قيل أنّه جرى على تعظيم الذّكر في خطاب الواحد بلفظ الجمع لعظم القدر: قال الله تعالى: إنّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنّا لَهُ لَخَافِظُونَ (١).

قال الله تعالى: **وَ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَا**نَ<sup>(٢)</sup>.

و ما جرى مجراه هكذا قيل.

أنا أقول ما ذكروه في وجه الإتيان بصيغة الجمع لا نفهم معناه.

أمّا الوجه الأوّل: و هُو أنّه إستعان بالله أوّلاً، و طلب الرَّجعة من الملائكة ثانياً و لذا أتى بصيغة الجمع فهو بعيد عن مساق الآية و إجنبيٌّ عن بلاغة الكلام.

أمًا أوّلاً: فلامعنى للعدول عن الله و طلب الرَّجعة من الملائكة.

ثانياً: أنّ الّذي يقدر على المطلوب هو الله لا الملائكة.

ثالثاً: الجواب و هو قوله: كَلاً، من الله تعالى و على هذا فيصير معنى الكلام على خلاف ما يستفاد من ألفاظها.

أمّا الوجه الثّاني: و هو أنّ المراد بها التَّعظيم فهو أيضاً غير معقول فأنّ الكافر لا يعظّم الله فانّ التعظيم بعد المعرفة مضافاً الى أنّ المقام ليس مقام التَّعظيم و هو

ظاهرٌ لمن تأمّل في الآية و قال بعض المعاصرين في تفسيره لهذه الآية الظّاهر أنّ الخطاب للملائكة المتصدّين لقبض روحه و ربّ إستغتاثة معترضة بحذف حرف النّداء و المعنى قال و هو يستغيث بربّه، إرجعون، إنتهى.

و لقائلٍ أن يقول إذا كان يستغاث به تعالى عند الموت فطلب الرَّجعة أيضاً منه أولى من طلبها من الملائكة و المفروض أن الملك لا يقدر على شئ إلاّ بإذن الله تعالى و على هذا فما وجه العدول منه تعالى الى خلقه في طلب الرَّجعة و أحسن الأقوال في حلّ المشكل هو قول الخليل حيث سأل من قوله: رَبِّ أَرْجِعُونِ ففكر ثمّ قال سألتموني عن شئ لا أحسنه و لا أعرف معناه و الله أعلم لأنّه جمع فأستحسن النّاس منه ذلك و نحن أيضاً نقول بمقالة الخليل و الله أعلم بما أراد من كلامه.

و أمّا قوله: لَعَلِّى أَعْمَلُ صالِحًا فيما تَرَكْتُ أي من أعمال الخير في الدُّيا، و قيل فيما تركت من المال و كيف كان في الكلام إشعار بل دلالة على التَّحسر و النَّدم على ما فاته في الدُّنيا و أنّه كان قادراً على الخيرات و الحسنات و لم يعمل بها إلا أنّ الحسرة عند الموت لا فائدة فيها كما قال اللّه تعالى في جوابه.

كُلاّ إِنّها كُلِمَةً هُو قَاتِلُها وَ مِنْ وَرٰ آئِهِمْ بَرْزَخُ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ كَلاّ، كلمة ردع و زجر أي حقّا أنها كلمة، فالكناية عن الكلمة و التقدير إنّ الكلمة التي قالوها و هي، رَبِّ آرْجِعُونِ، لَعَلِّى أَعْمَلُ صالِحًا فيما تَرَكْتُ كلمة هو قائلها بلسانه دُون قلبه، إمّا لعدم إمكان الرُّجوع الى الدُّنيا للعمل وإمّا لأنه لو رجع الى الدُّنيا أيضاً لا يعمل صالحاً و قوله: وَ مِنْ وَرْ آئِهِمْ بَرْزَخُ إِلَى يَوْمِ يَعْمُونَ إشارة الى وجود العالم البرزخ بعد الموت الى يوم يقوم للحساب و أنما سمّي به لكونه برزخاً بين الموت و الحساب يوم القيامة فالبرزخ حاجزٌ بين الموت و البعث و قيل هو الحاجز بين الموت والرّجوع الى الدّنيا، و قيل هو الحاجز بين الموت حتى يعرف إضطراراً منزلته الحاجز بين البعضهم في الآية دلالة على أنّ أحداً لا يموت حتى يعرف إضطراراً منزلته قال بعضهم في الآية دلالة على أنّ أحداً لا يموت حتى يعرف إضطراراً منزلته قال بعضهم في الآية دلالة على أنّ أحداً لا يموت حتى يعرف إضطراراً منزلته

اء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴿ ﴾ العجلد الثاني عشر

عند الله و أنّه من أهل الثّواب أو العقاب و فيها دلالة أيضاً على أنّهم في حال التَّكليف يقدرون على الطّاعة بخلاف ما تقول المجّبرة قاله في التَّبيان و معنى من ورائهم، أي أمامهم و قدّامهم قال الشّاعر:

أيرجوا بنو مروان سمعي و طاعتى \_ و قـ ومي تـميمُ و الفـ لاة و رائيا أي قدّامي و إمامي، قال صاحب الكشّاف و ليس المعنى أنّهم يرجعون يوم البعث و إنّما هو إقناط كلّي لما علم أنّه لارجعة يوم البعث إلاّ إلى الآخرة إنتهى. أقول أصل البرزخ ممّا لاشك فيه عند المسلمين و ذلك لدلالة القرآن عـلى وجوده:

قال الله تعالى: مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخُ لا يَبْغِيانِ(١).

و قال تعالى: و مِنْ وَرْآئِهِمْ بَرْزَخُ بل و لو لم يكن في القرآن في إثبات البرزخ إلا هذه الآية الّتي نحن بصدد تفسيرها لكفى مضافاً الى أنّ الإخبار به متضافرة أو متواترة إلاّ أنّ الكلام في أنّ البرزخ ما هو و ما المراد به في الكتاب و السّنة فنقول في تفسير علّي بن إبراهيم في المقام، قال البرزخ هو أمرٌ بين أمرين و هو الثّواب و العقاب بين الدّنيا و الآخرة.

و هو قول الصّادق التَّالَاِ: «واللّه ما أخاف عَليكُم إلاّ البَرزَخ» و امّا إذا صار الأمر إلينا فنحن أولى بكم إنتهى.

و فيه أيضاً عند قوله تعالى: وَ مِنْ وَرْ آئِهِمْ بَرْزَخُ إِلَى يَوْم يُبْعَثُونَ. فقال الصّادق الشّلان البرزخ القبر و هو الثّواب و العقاب بين الدّنيا و الآخرة و الدّليل على ذلك قول العالم و الله ما نخاف عليكم إلاّ البرزخ إنتهى.

و عن الكافي بأسناده عن عمر بن يزيد قال: قلت لأبي عبدالله النَّالِةِ إنِّي سمعتك و أنت تقول كلّ شيعتنا في الجَّنة على ما كان فيهم قال النَّلِةِ: صدقتك كلهم و الله في الجَّنة.



قلت جعلت فداك أنّ الذّنوب كثيرة كبار فقال للتَّالِخِ: أمّا في القيامة فكلّكم في الجنّة بشفاعة النبيّ المطاع أو وصّي النَّبي و لكّني و اللّه أتَّخوف عليكم في البرزخ.

قلت و ما البرزخ فقال التَّالِد: القبر منذ حين موته الى يوم القيامة إنتهى.

إذا عرفت هذا و علمت أنّ المراد بالبرزخ هو عالم القبر من حين الموت الى يوم القيامة.

فأعلم أنّ الآية و أن كان موردها الكفّار إلاّ أنّ الحكم أعني به سؤال الرَّجعة ليس مختَّصاً بهم بل هو حكم عام يشمل جميع الأموات مسلماً كان الميت أو كافراً و ذلك لأنّ خصوصيّة الموارد لا تنافي عموم الحكم فكما أنّ الكافر يسأل الرَّجعة يسألها بعض المسلمين أيضاً فأنّ القبر أمّا روضة من رياض الجّنة أو حفرة من حفر النّيران.

و السّائل هو الثّانيّ دون الأوّل و قد ورد في أخبار أهل البيت أنّ مانع الزّكوة يسأل الرَّجعة، ففي وصية النّبي لعلّي عاليَّا إِ: يا علّي تارك الزّكوة يسأل الرَّجعة الى الدّنيا و ذلك قول اللّه عزّ وجّل: حتّىٰ إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ.

و عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله عليَّا إِن يقول من منع الزّكوة سأل الرّجعة عند الموت و هو قول الله تعالى: رَبِّ أَرْجِعُونِ و الأخبار بهذه المضامين كثيرة.

فَإِذَا نُفْخَ فِي ٱلصُّورِ فَلآ أَنْسُابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَ لا يَتَسْآءَلُونَ

قال في المفردات النَّفخ نفخ الرّيح في الشَّيُ، و قال في معنى الصُّور، و هو مثل قرنٍ ينفخ فيه فيجعل الله سبحانه ذلك سبباً لعود الصُّور و الأرواح إلى أجسامهاً.

و روي في الخبر أنَّ الصُّور فيه صورة النَّاس كلُّهم إنتهي.



قال في المجمع روي علّى بن إبراهيم بأسناده عن فاختة عن علّى بن الحسين التِّه حيث سأل عن النَّفختين كم بينهما قال التَّه عن اللَّه عنه اللَّه اللَّه عنه الم شاء الله فقيل له أخبرني يا بن رسول الله كيف ينفخ فيه فقال التَّالِج: أمّا النَّفخة الأوّلي فأنّ الله يأمر إسرافيل فيهبط الى الدُّنيا و معه الصُّور و للصُّور رأسٌ واحد و له طرفان و بين طرف كلّ رأسٍ منهما ما بين السَّماء و الأرض قال النِّلاِّ فإذا رأى الملائكة إسرافيل و قد هبط الى الأرض و معه الصُّور قالوا قد أذن الله في موت أهل الأرض و في موت أهل السماء قال النَّا فيهبط إسرافيل بحضرة بيت المقدّس و يستقبل الكعبة ينفخ نفخةً فيخرج الصَّوت من الطّرف الّذي يلى الأرض فلا يبقى في الأرض روح الاصعق و مات و يخرج الصُّوت من الطَّرف الّذي يلى السَّماء فلا يبقى في السَّموات روحُ إلاّ صعق و مات إلاّ إسرافيل فيقول الله لأسرافيل يا إسرافيل مت فيموت إسرافيل فيمكثون في ذلك ما شاء الله ثمّ يأمر السَّموات فتمور موراً و يأمر الجبال فتسير سيراً و هو قوله: «يـوْمَ تَـمُورُ ٱلسَّمْآءُ مَوْرًا، وَ تَسيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا، و تبدّل الأرض غير الأرض» يعنى بأرض لم يكتسب عليها الذُّنوب بارزة ليس عليها جبال ولا نبات كما دحاها أوّل مرّة و يعيد عرشه على الماء كما كان أوّل مرّة مستقلًا بعظمته و قدرته قال الطِّه: فعند ذلك ينادى الجبّار لمن الملك اليوم فلا يجيبه مجيب فعند ذلك يقول مجيباً لنفسه لله الواحد القهّار أنا قهرت الخلائق كلّهم و أمتهم لا إله إلاّ أنا وحدي لا شريك لى و لا وزير و أنا خلقت خلقى و أنا أمتّهم بمشيّتى و أنا أحييهم

أقول و ذلك لأنّ الصُّور جمع صورة قال أهل اللّغة الصُّور جمع الصُّورة ينفخ فيها روحها فتحيا.

ضياء الفرقان فى تفسير القرآن

بقدرتي فينفخ الجبّار نفخة في الصُّور فيخرج الصَّوت من أحد الطَّرفين الذي يلي السَّموات فلا يبقى في السَّموات أحدُ إلاَّ حييّ و قام كما كان و يعودون حملة العرش و تحضر الجنة و النّار و تحشر الخلائق للحساب فرأيت علّي بن الحسين يبكي عند ذلك بكاءً شديداً إنتهى مجمع البحرين.

نفخ، إذا عرفت الصُّور و كيفيته فلنرجع الى تفسير الآية و نـقول أخـبر اللَّـه تعالى في هذه الآية أنّه نفخ الصُّور فلا أنساب بينهم يومئذٍ و لا يتسألون نفي اللّه تعالى الأنساب بينهم يومئذٍ أوّلاً و السؤال ثانياً، أمّا نفي الأنساب فالزّنهم لا يتواصلون هناك بالأنساب و لا يحنون اليها لشغل كلّ إنسان بنفسه، و قيل معناه لا أنساب بينهم يتعاطفون بها و أن كانت المعرفة حاصلة بأنسابهم بدليل قوله تعالى: يَوْمَ يَفِرُ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ، وَ صَاحِبَتِهِ وَ بَنيهِ (١) فأثبَت أنّهم يعرفون أقاربهم و أنّ هربهم منهم لإشتغالهم بنفوسهم و النَّسب هو إضافة الى قرابة في الولادة، و قال إبن عبّاس عند النَّفخة الأوّلي يموت النّاس فـلا يكـون بينهم نسب في ذلك الوقت و هم أموات و قال إبن مسعود و غيره هو عند قيام النَّاس من القبور فلهول المطلع إشتغل كلِّ إمرؤ بنفسه فإنقطعت الوسائل و إرتفع التَّفاخر و التَّعاون بالأنساب، و قيل فلا أنساب بينهم أي لا تواصل بينهم حين إفتراقهم الى ما أعدّ لهم من ثواب و عقاب و أنّما التُّواصل بالأعمال، و أمّا قوله: وَ لَا يَتَسْلَآءَلُونَ أي بعضهم عن بعض و ذلك لأنَّ التَّسائل فرع المعرفة فإذا إنتفت الأنساب إنتفت المسألة قهراً و قيل أنّ إنتفاء التسائل عند النَّفخة الأولى و أمّا في التّانية فيقع التَّسائل و اللّه أعلم بما أراد من كلامه و لا علم لنا و لا لغيرنا بكيفيّة القضّية نعم يستفاد من الآية انّ الهول شديدٌ و الخطر عظيم أعاذنا الله تعالى من تبعاته.

اء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 🍾

فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازينُهُ فَأُولِئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ، وَ مَنْ خَفَّتْ مَوازينُهُ فَأُولِئِكَ أَلَّذينَ خَسِرُوٓا أَنْفُسَهُمْ في جَهَنَّمَ خَالِدُونَ

مواذين، بفتح الميم جميع ميزان بكسرها، و الأصل فيه موزان قلبت الواوياءً لكسرة ما قبلها و المراد به ذو الكفّتين و قيل المراد به العدل روي أنّ جبرئيل أنزل بالميزان فدفعه إلى نوح و قال من قومك يزنوا به.

قال في المفردات الميزان معرفة قدر الشّيّ يقال وزنته وزناً و المتعارف في الوزن عند العامّة ما يقدّر بالقسط:

قال الله تعالىٰ: وَ زِنُوا بِالْقِسْطاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ (١). قال الله تعالىٰ: وَ أَقِيمُوا ٱلْوَزْنَ بِالْقِسْطِ (٢).

إشارة إلى مراعاة المعدلة في جميع ما يتَّحراه الإنسان من الأفعال و الأقوال إنتهى.

أقول يظهر من كلماتهم أنّ الميزان مفعالٌ أي ألة للوزن فهو إسم لكلّ ما يوزن به الشّيّ سواءٌ كان محسوساً أم معقولاً فقوله تعالى: وَ زِنُوا بِالْقِسْطاسِ ٱلْمُسْتَقيمِ و قوله: وَ أَقيمُوا ٱلْوَزْنَ بِالْقِسْطِ إشارة إلى الميزان المحسوس الذّي له كفّتان، و قوله تعالى: و وَضَعَ ٱلميزانُ (٣).

و قوله: وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ وَ ٱلْمَيْزَانَ ( \* ).

إشارة إلى المعقول و توضيحه إجمالاً:

هو أنّ الموزون قد يكون من الأجسام كالحنطة و الشّعير و أمثالهما و قد يكون من الأفعال و الأعمال التّي هي من الأعراض و من المعلوم أنّ الميزان في كلّ شيّ بحسبه فأن كان الموزون محسوساً كالأجسام يكون الميزان محسوساً له لسان و كفّتان، و أن كان الموزون من الأعراض و الصّفات فالميزان أيضاً كذلك

٢- الرحمن = ٩

٢٠ = الحديد = ٢٢

أي يكون معقولاً لا وجود له إلا في العقل و هكذا الكلام في الثّقل و الخّفة فأنّهما تارةً يقالان في الأجسام الثّقيلة والخفيفة فيقال الحديد أثقل من الخشب و تارةً في الأعراض و الصّفات فيقال زيد أثقل علماً من عمر و مثلاً فأنّ الثّقل و الخفّة في كلّ شئ بحسبه إذا عرفت هذا.

فقوله تعالى: فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازينه فَا وَلِيْكُ فَا وَلِينَهُ وَلِيْكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ معناه من ثقلت حسناته أي كثرت كمّا وكيفاً ومن خفّت موازينه معناه قلّت حسناته و قيل المراد بثقل الطّاعة عظمها و سلامتها من الإحباط و قوله من خفّت موازينه بأن يكون أحبطت طاعاته لكثرة معاصيه و من لا يقول بالإحباط قال معناه، من لم يكن معه شئ من الطّاعات و أنّما معه المعاصي فأنّ الميزان إذا لم يكن فيه شئ يوصف بالخفّة كما يوصف بها إذا كان فيه شئ يسير و في مقابلته ما هو أضعافه و من كان كذلك فأولئك الذّين خسروا أنفسهم لأنّهم أهلكوها بالمعاصي التّي استّحقوا بها العقاب الدّائم و هم في جهنّم مؤبّدون خالدون.

و في عيون أخبار الرّضاعليّ في باب قوله عليه الخيه زيد بن موسى حين إفتخر على من في مجلسه بأسناده إلى محمّد إبراهيم بن محمّد الثّقفي قال سمعت الرّضاعليّ يقول من أحبً عاصياً فهو عاصٍ و من أحبً مطيعاً فهو مطيع و من أعان ظالماً فهو ظالم و من خذل ظالماً فهو عادل أنّه ليس بين الله و بين أحد قرابة و لاينال أحد ولاية الله إلاّ بالطّاعة و لقد قال رسول الله والله والله الله تبارك و تعالى: فَي الصُّورِ فَ لا أَنسابِ مَا الله تبارك و تعالى: فَإِذَا نُه فَى الصُّورِ فَ لا أَنسابِ بَينَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَ لا يَسَاعَلُونَ، وَ مَنْ خَسِرُوا أَنْ فُسَهُمْ في جَهَامَ فَالِدُونَ إنتهى خَالِدُونَ إنتهى .

ضياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ المجلد الثاني عشر ﴿ ﴿ ﴾

و في تفسير علّي بن إبراهيم قال الصّادق التِّهِ: لا يتَّقدم يـوم القيامة أحد إلاّ بالأعمال و الدّليل على ذلك قول رسول اللّه ۗ اللَّهُ اللَّ أيّها النّاس أنّ العرَّبية ليست بأبٍ و جدٍّ و أنّما هو لسانٌ ناطق فمن تكلّم به فهو عرّبي ألا أنكم ولد آدم و آدم من تراب و أكرمكم عند اللّه أتقاكم و الدّليل على ذلك قول اللّه تعالى: فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلآ أُنْسٰابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذِ وَ لا يَتَسٰآءَلُونَ، فَمَنْ ثَقُلَتْ مَواٰزينُهُ قال بالأعمال الحسنة فَأُولٰئِكَ هُـمُ ٱلْـمُفْلِحُونَ وَ مَـنْ خَـفَّتْ مَو أَزينُهُ، قال من تلك الأعمال الحسنة فَأُولٰئِكَ ٱلَّذينَ خَسِـرُوٓا أَنْفُسَهُمْ في جَهَنَّمَ خَالِدُونَ.

## تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَ هُمْ فيها كَالِحُونَ

قيل لفح و نفح بمعنى واحد غير أنَّ اللَّفح أعظم من النَّفح و أشدَّ تأثيراً و هو ضربٌ من السُّموم للوجه و النَّفح ضربٌ الرّيح للوجه و الكلوح تقلُّص السُّفتين عن الأسنان حتّى تبدوا الأسنان و قيل خصّ الوجه باللَّفح لأنّه أشرف ما في الإنسان و الإنسان أحفظ له من الأفات من غيره من الأعضاء فإذا لفح الأشرف فما دونه ملفوح و لمّا ذكر إصابة النّار للوجه ذكر الكلوح المختّص ببعض أعضاء الوجه.

و في التّرمذي تتقلّص شفته العلياء حتّى تبلغ وسط رأسه و تسترخي شفته السفّلي حتّى تضرب سرّته قال هذا حديث صحيح إنتهى.

و قال في المجمع، كالحون، هو من الكلوح هو الّذي قصرت شفتاه عن أسنانه كما تقَّلص رؤوس الغنم إذا شيطت بالنَّار و قيل كالحون، عابسون، و الكلوح تكثّرٌ في عبوس و منه كلح الرَّجل كلوحاً و كلاحاً و ما أقبح كلحته يراد به الغمّ قاله الجوهري إنتهي.

و قال في المنجد كلح، كلوحاً و كلاحاً وجهه عبس و تكثّر فهو كالح إنتهى. و معنى الآية أنّ الذّين خفَّت موازينه تلفح و جوههم النّار و هم فيها أي في نار جهنّم كالحون، أي عابسون و هو كناية عن شدّة العذاب أعاذنا اللّه منه.

## أَلَمْ تَكُنْ أَياتي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ

الهمزة للإستفهام الإنكاري و المعنى أنّ أياتي تتلى عليكم إلاّ إنّكم كذَّبتم بها و لّما سمعوا هذا التَّقرير أذعنوا و أقَّروا على أنفسهم بالتَّقصير و التَّكذيب فقالوا كما حكى اللّه تعالى عنهم بقوله:

### قَالُوا رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ

لمّا قيل لهم ألم تكن أياتي تتلى عليكم، قالوا: رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَ تُنا و الشّقاوة سوء العاقبة، و قيل الشَّقوة الهوى و قضاء اللّذات لأنّ ذلك يؤدّي إلى الشَّقوة أطلق إسم المسبب على السَّبب، و قيل الشَّقوة المضَّرة اللاّحقة في العاقبة و السّعادة المنفعة اللاّحقة في العاقبة و في قوله: وَ كُنْنا قَوْمًا ضَا آلِينَ، دلالة على أنّهم ضَّلوا عن الحقّ بحسب إقرارهم و إعترافهم.



رَبَّنٰآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ أَخْسَؤُا فيها وَ لا تُكَلِّمُون (١٠٨) إِنَّهُ كَانَ فَريقٌ مِنْ عِبادى يَقُولُونَ رَبَّنٰآ أُمَنًّا فَاغْفِرْ لَنَا وَ ٱرْحَمْنَا وَ أَنْتَ خَيْرُ ٱلرّاْحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْريًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرى وَكُنْتُمْ مِـنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) إنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ (١١١) قَالَ كَمْ لَـبِثْتُمْ فِـي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْم فَسْئَلُ ٱلْعٰآدِينَ (١١٣) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إلا قَالِيلاً لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٢) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى ٱللهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لآ إِلٰهَ إِلًّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ (١١٤) وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلٰهًا أُخَرَ لَا بُرْهَانَ لَّهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبَّةِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ ٱلْكَافِرُونَ (١١٧) وَ قُلْ رَبّ آغْفِرْ وَ آرْحَمْ وَ أَنْتَ خَيْرُ ٱلرّاْحِمينَ (١١٨)

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

#### ◄ اللَّغة

عُدْنٰا: العود الرّجوع.

آخْسَوُّا: أي ذلُّوا فيها و إنزجروا كما تنزجر الكلاب إذا زجرت يقال خساء الكلب طرده و خسأت فلاناً فهو خاسئ إذا أبعدته بمكروه فهذه الكلمة تدلَّ على المهانة و المذلّة.



فَرِيقٌ: الفريق الجماعة.

سِخْرِيَّة بالكسر و الضَّم مصدر، سخر كالسُّخر إلاَّ أنَّ في ياء النَّسب زيادة في قوة العقل كما قيل الخصوصية في الخصوص و عن الكسائي و الفّراء أنّ المكسور من الهزء و المضموم من السُّخرة و العبوديّة و عن المصباح أنّ الكسر لغة فه.

آلُغَاّدَيْنَ: بتشديد الدّال جمع عاد من عدَّ الشّيُ إذا أحصاه و حسبه. عَبَـّا: العبث بفتحتين اللَّعب و ما لا فائدة فيه و كلّ ما ليس فيه غرضٌ صحيحٌ. بُرُهانَ: البرهان الحجّة و الدّليل.

#### ◄ الإعراب

رَبُّا منادىٰ مضاف و التقدير يا ربّنا و أخرجنا، فعل أمرٍ معناه الدّعاء فَإِنْ عُدْنا عدنا فعل ماضٍ في محلّ جزم فعل الشّرط فلا آخْسَوُا فِها جملة إخسئوا، مقول القول و هو فعل أمرٍ فَهِقُ إسم كان، و من عبادي، صفة الفريق و جملة، يقولون، خبر كان و ربّنا منادىٰ مضاف سِخْرِيًا مفعول ثانِ أَنَهُمْ يقرأ بالفتح على أنّ الجملة في موضع مفعول ثانٍ لأنّ جزى يتعدى إلى أثنين و قد يقرأ بالكسر على الإستئناف كمْ لِبَثْمُ و كم، ظرف للبئتم أي كم سنة أو نحوها و عَدَدَ بدل من، كم، و سنين، بدل منه إلا قَلِلاً اي زمناً قليلاً أو لبثاً قليلاً و جواب، لو، محذوف أي لو كنتم تعلمون مقدار لبثكم من الطول لما أجبتم بهذه المدّة عَبيًا مصدر في موضع الحال أو مفعول لأجله لا برّهان له بِه صفة لألة و الجواب فَإِنَّما حِسَابُهُ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ بالكسر على الإستئناف.

#### ◄ التّفسير

رَبَّنٰآ أَخْرِجْنا مِنْها فَإِنْ عُدْنا فَإِنَّا ظَالِمُونَ

قلنا في شرح اللّغات أنّ ربّنا، منادئ مضاف و التّقدير يا ربّنا أخرجنا منها، أي

من نار جهنّم فإن عدنا، أي فإن رجعنا إلى ما كنّا فيه من الكفر و التّكذيب، فإنّا ظالمون، أي مستّحقون للعذاب ففي الحقيقة أنّهم تدّرجوا من الإقرار إلى الرُّغبة و التّصريح و ذلك أنّهم أقرُّوا و الإقرار بالذُّنب إعتذارٌ.

و ذكر الطّبري بأسناده عن أبي الدّرداء أنّه قال يرسل أو يصبّ على أهل النّار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضّريع الذّي لا يسمن ولا يغني من جوع فلا يغني عنهم ذلك شيئاً فيستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصّةٍ فإذا أكلوه نشب في حلوقهم فيذكرون أنّهم كانوا في الدّنيا يحدرون الغصّة بالماء فيستغيثون فيرفع إليهم الحميم في كالليب الحديد فإذا إنتهي إلى وجوههم شوى وجوههم فإذا شربوه قطّع أمعائهم قال فينادون مالكاً ليـقض عـلينا ربّك فيتركهم ألف سنة ثمّ يجيبهم أنّكم ماكثون قال فينا دون خزنة جهنّم إدعوا ربّكم يخفّف عنّا يوماً من العذاب قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبيّنات قالوا بلى قالوا فأدعوا و ما دعاء الكافرين إلاّ في ضلال قال فيقولون ما نجد أحداً خيراً لنا من ربّنا، فينادون ربّهم، ربّنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنّا ظالمُون قال فيقول اللّه: قَالَ ٱخْسَوُّا فيها وَ لا تُكَلِّمُونِ قال فعند ذلك يئسوا من كلّ خير فيدعون بالويل و الشُّهيق و الثُّبور إنتهي ماذكره.

و كيف كان لا شك في شدّة العذاب فأنّ قولهم: رَبَّناآ أَخْرِجْنا مِنْها دليل عليها و لا شكّ أيضاً في ردّ قولهم بدليل قوله تعالى: أَخْسَـؤُا فـيها وَ لا تُكَلِّمُونِ، أي ذلّوا فيها و إنزجروا كما تنزجر الكلاب إذا زجرت يقال خسأت الكلب و خسأ هو بنفسه يكون متعدّياً و لازماً ولا تكلّمون أي في رفع العذاب أو تخفيفه.

قال بعضهم هو أخر كلام يتكلِّمون به ثمّ لاكلام بعد ذلك إلاّ الشّهيق و الزّفير و العواء كعواء الكلاب.

أنْتَ خَيْرُ ٱلرّاحِمينَ

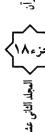
النُّواب. فَاتَّخَذْ تُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتِّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ أي كنتم تستهزؤون بهم و تسخرون منهم، حتّى أنسوكم ذكري، أي لتَّشاغلكم بالسّخرية نسيتم ذكري وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ.

إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادى يَقُولُونَ رَبَّنَآ اٰمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَ ٱرْحَمْنَا وَ

أقول يستفاد من الآية أنّ سبب العذاب كان كفرهم باللّه و إنكارهم الرُسل و تكذيب الأيات أوّلاً و السّخرية و الإستهزاء للمؤمنين ثانياً و من المعلوم أنّ ضمّ السخريّة إلى الكفر يوجب شدّة العذاب لأنّ كثرة السّبب توجب كثرة المسّبب و شدّته بل الحقّ أنّ إستهزاء المؤمن في عبادته و طاعته للّه تعالى أشنع و أقبح من الكفر لأنّ الإستهزاء في هذا المقام يرجع إلى إستهزاء اللّه تعالى و سخريّته إذ المفروض أنّ الكافر لام المؤمن على إيمانه باللّه فالكافر المستهزئ له عقابان، عقابٌ على كفره و إنكاره و عقابٌ على إستهزاءه و سخريّته و من كان كذلك و مع ذلك يقول ربّنا أخرجنا منها الأية، فجديرٌ بأن يقال في جوابه آخسَوُّا فيها وَ لا تُكلِّمُونِ.

و قال بعض المفسّرين أنّ ذلك على وجه الغضب لهم فذكر ذلك ليدلّ على هذا المعنى لأنّ من لا يكلّم إهانةً له و غضباً فقد بلغ به الغاية في الإذلال، و الوجه الأخر في معنى الآية و لا تكلّمون في رفع العذاب عنكم فأنّي لا ارفعه عنكم وهو على صيغة النّهى و ليس بنهى إنتهى.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



أقول ما ذكروه في معنى الآية لا مشاحة فيه فأنّ المعنى واضح لا خفاء فيه أصلاً.

## إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ

أي إنّي جزيت الذّين كنتم إتَّخذتموهم سخريّاً و كنتم منهم تضحكون في دار الدّنيا و هم صبروا على سخريّتكم و إستهزاؤكم فإن هذا جزاء من صبر على الإيمان و شماتة الأعداء ثمّ حكم الله تعالى بأنّهم هم الفائزون و في هذه الآية إشارة إلى أنّ الجزاء في مقابلة العمل بما يستحقّ المكلّف عليه من ثواب أو عقاب كما يقال،: النّاس مَجزّيُون بأعمالهم إن خَيراً فَخيراً و إن شرّاً فَشرّاً، و الصّبر حبس النفس عمّا تنازع عليه ممّا لا يحسن أو ليس بأولى.

## قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنينَ

اللَّبث هو المكث و هو حصول الشَّئ على الحال أكثر من وقت واحدٍ و اللاِّبث هو الكائن على الصَّفة على مرور الأو قات، و العدد عقدٌ يظهر به مقدار المعدود يقال عدَّه يعدّه عدّاً و عدداً فهو عادّ.

قيل هذا السّؤال منهم على وجه التَّوبيخ لإنكارهم البعث و النّشور فيقول الله لهم إذا بعثهم من القبور، كم لبثتم في الأرض عدد سنين، أي في الحياة الدُّنيا.

# قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضٍ يَوْمٍ فَسْئَلِ ٱلْعَآدِّينَ

أي فسئل الَّذين كانوا يعدُّون و يحسبون.

قال الطبري إنّ اللّه تعالى قال لهؤلاء الأشقياء من أهل النّار و هم في النّار كم لبثتم في الأرض عدد سنين و أنّهم أجابوا اللّه فقالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فنسي الأشقياء لعظيم ما هم فيه من البلاء و العذاب مدّة مكثهم التّي كانت في الدّنيا و قصر عندهم مدّة مكثهم الذي كان فيها لما حلّ بهم من نقمة الله حتّى حسبوا أنهم لم يكونوا مكثوا فيها إلاّ يوما أو بعض يومٍ و لعلّ بعضهم كان قد مكث فيها الزّمان

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔹

العجلة الخاني

الطّويل و السّنين الكثيرة و ساق الكلام إلى أن قال فتأويل الكلام قال اللّه كم لبثتم في الدّنيا من عدد سنين قالوا مجيبين له لبثنا فيها يـوماً أو بـعض يـوم فـاسأل العادّين لأنّا لا ندري قد نسينا ذلك و إختلف أهل التّأويل في المعنى بالعادّين.

فقال بعضهم هم الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم و يحصون عليهم ساعاتهم، و قيل فَسْئَلِ ٱلْعادِّينَ أي فإسأل أهل الحساب إنتهي.

أقول يظهر من كلام الطّبري أنّ هذا السّؤال و الجواب كان لأهـل النّـار مـن الأشقياء و تبعه على ذلك غيره من المفسّرين.

قال الزّمخشري إستقصروا مدة لبثهم في الدّنيا بالإضافة الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها ألخ، و هذا الكلام كما ترى ظاهرٌ فيما ذكرناه و نـقلناه عـن الطّبرسي لأنّ الخلود في العذاب لا يكون إلاّ في النّار.

أقول الظّاهر من الآية أنّ السّؤال كان عن مدّة لبثهم في القبور لا في الدّنيا.

و قوله تعالىٰ: كَمْ لَيِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ لا دلالة فيه علىٰ ما ذكروه وذلك لأنّ اللّبث في القبر هو اللَّبث في الأرض و عليه فالمراد (كم لبثتم في قبوركم) و إذا كان كذلك فالسّؤال متَّوجة الى المنكرين للبعث بعد بعثهم من القبور قبل خلودهم في النّار.

و قال بعضهم أنّ المراد مجموع اللّبث في الدّنيا و البرزخ و الحقّ ما ذكرناه واللّه أعلم.

و قوله: لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فالظّاهر أنّ المراد باليوم هو الواحد من أيّام الدّنيا وإنّما استقلوا اللّبث في الأرضّ حينما قايسوه بالبقاء الأبدي الّذي يلوح لهم يوم القيامة، و قيل فيه أخبارٌ عن قصر المدّة و قلته لما مضى السُّرعة حصولهم فيما توعّدهم الله فيقول اللّه في الجواب:

## قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

كلَّمة إِنْ نَافَيةً أي ما كان لبثكم في الدِّنيا أو في البرزخ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ففي الكلام تصديق لهم في قولهم: لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷

قال المُفسّرين المعنىٰ أنّ الأمركما قلتم أنّكم ما مكنتم إلاّ قليلاً فليتكم كنتم تعلمون في الدّنيا أنّكم لا تلبثون في قبوركم أو في حياتكم في الدّنيا إلاّ قليلاً ثمّ تبعثون حتّىٰ لا تنكروا البعث ولم تبتلوا بهذا العذاب الخالد إنتهى كلامه.

و قيل معنى الكلام ما كان لبثكم إلا قليل القدر في جنب ما تعَّذبون فيه هذا إذا كان المراد اللَّبث في الدّنيا و إن كان في القبور فالمعنى أنّ كلّ آتٍ قريب و لكنَّكم كذَّبتم به إذ كنتم لا تعلمون أي لم ترغبوا في العلم و الهدى.

قال الله تعالىٰ: وَ مَاۤ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْهُوَ أَقْرَبُ (١).

# أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ

قوله: عَبَثًا، منصوبٌ على الحاليّة أي عابثين أو على أنّه مفعول من أجله أي ما خلفناكم للعبث و إنّما للتَّكليف و العبادة، قال في المجمع العبث بالتَّحريك اللَّعب يقال عبث يعبث من باب علم عبثاً بالتَّحريك أي لعب و عمل بما لا فائدة فيه كمن ينزف الماء من البحر الى البحر و هو عابث.

و قال الرّاغب في المفردات يقال لما ليس له غرضٌ صحيحٌ عبث، و قوله: ، أَ فَحَسِبْتُمْ، الحسبة فعل ما يحتسب به عند اللّه تعالى و مصدره الحسبان و هو أن يحكم لأحد النّقيضين من غير أن يخطر الأخر بباله فيحسبه و يعقد عليه الأصبع.

أقول لعلَّ الفرق بين الظنّ و الحسبان أنّ الظنّ يقال لما يخطر النَّقيضان بباله فيغلب أحدهما على الأخر و أمّا الحسبان يقال لما يخطر أحد النَّقيضين بباله دون الأخر فهو أضعف من الظنّ و إن شئت قلت الحسبان مرتبة الضَّعيفة من الظنّ و حيث أنّ الظنّ لا يغني من الحقّ شيئاً أي لا ينبغي الإعتماد عليه فالحسبان أولى بعدم الإعتماد و الهمَزة في قوله: أَفَحَسِبْتُمْ، للإنكار أو للتَّقريع و التَّوبيخ و التَّوبيخ و التَّوبيخ و الحال الله تعالى أجًل الخطاب لمنكر البعث أينما وجد و المعنى ليس الأمر كذلك فأنّ الله تعالى أجَّل

شأناً و أعظم قدراً من أن يفعل عبثاً أي فعل لغواً لا فائدة فيه و يدلّ عليه العقل و النّقار.

أمّا العقل فلوجوهٍ:

أحدها: أنّ اللّه تعالى حكيم و الحكيم لا يفعل عبثاً فهو تعالى لا يفعل عبثاً، إمّا كونه حكيماً فلأنّ الحكمة إصابة الحقّ بالعلم والعقل و هي من اللّه تعالى معرفة الأشياء و إيجادها على غاية الأحكام، و أمّا أنّ الحكيم لا يفعل عبثاً فالوجه فيه أنّه منافٍ لحكمته و هي إصابة الحقّ بالعلم و العقل و العبث لا يكون حقّاً فثبت أنّ اللّه تعالى لا يفعل عبثاً و هو المطلوب.

ثانيها: أنّ فعل العبث منشأه الجهل بعواقب الأمور أو الحماقة و السّفاهة فأنّ فعل العاقل معلل بالغرض العقلائي و اللّه تعالى منّزة عن الجهل و غيره من النّواقص.

أَمَّا النَّقَلِ فَمنه هذه الآية فأنَّها صريحة في المدَّعى، و قال الله تعالى: أَتَبْنُونَ بِعُلِّ ربِعٍ أَيَةً تَعْبَثُونَ (١) وجه الدّلالة أنَّ من ذمَّ العابث كيف يفعل عبثاً إذا عرفت هذا فنقول:

يستفاد من الآية أنّه لو لم يكن البعث للحساب يوم القيامة للزم أن يكون الخالق عابثاً في خلقه في دار الدّنيا و ذلك لأنّ الله تعالى أنكر على المنكرين و قال أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً أي ما خلقناكم عبثاً و حسبتم أي ظُننتم أنكم إلينا لا ترجعون، أي أنكم ترجعون إلينا قطعاً فيلزم من البعث و الرّجوع إلى الله أن لا يكون الخالق عابثاً و هو المطلوب.

و إن شئت قُلت قد تُبَت عقلاً ونقلاً أنّ اللّه تعالىٰ لَم يخلق الخلق عَبثاً وإذا كان كذلك فالبعث مسلّمٌ لاكلام فيه.

إن قلت أيّة ملازمة بين البعث و عدم العبث.

ياءالفرقان في تفسير القرآن 🔷 😽 🦯 ا

قلت الملازمة قطعيّة إذ لو لم يكن البعث للثّواب و العقاب لا فائدة في الخلق و ما لا فائدة فيه عبث قطعاً فأنّ الإنسان لم يخلق للأكل و الشُّرب و النَّوم و غير ذلك ممّا هو مشتركٌ بين الإنسان و الحيوان قال اللّه تعالى: وَ هَا خَلَقْتُ ٱلْحِنَّ وَ لَكُ مَا هو مشتركٌ بين الإنسان و الحيوان الأصلي و المقصد العقلي من خلقهم هو المعرفة و لا نعني بها إلاّ التّوحيد و النّبوة و الإقرار بجميع ما جاء به النّبي من قبل اللّه تعالى المعبّر عنه بالدّين و العقل يحكم بلزوم ما يترتّب عليه من الثّواب للمطيع و العقاب للعاصي و حيث أنّ الدّنيا دار مجاز و الأخرة دار قرار فالنّواب و العقاب في الأخرة فلو لم يكن بعد الموت حياة فلا ثواب و لا عقاب و لا نعني بالعبث إلاّ هذا و في قوله: وَ أَنّكُمْ إلَيْنًا لا تُرْجَعُونَ إشارة إلى الله تعالى: إنّا الله و إنّا الله و إنّا الله و إنّا الله و إنه و واضح.

فَتَعْالَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيم

الفاء للتقريغ و التعالي مشتق من العلو و هو ضد السفلي و معناه الإرتفاع و منه العلى و هو الرّفيع القدر و إذا وصف الله تعالى به فمعناه أنّه تعالى يعلو أن يحيط به الوصف أي وصف الواصفين بل علم العارفين و على ذلك يقال تعالى الله عمّا يشركون، و تخصيص لفظ التّفاعل لمبالغة ذلك منه لا على سبيل التّكلف كما يكون من البشر، و قيل معناه، علا معنى صفته فوق كلّ صفة لغيره فهو تعظيم له تعالى بأن كلّ شي سواه يصغر مقداره عن معنى صفته، و الملك الحق هو الذي يحق له الملك فكلّ ملك غيره فملكه مستعار له و أنّما يملك ما ملكه الله فكأنّه لا يعتد بملكه في ملك ربّه هكذا قيل في معنى الكلام و أنت ترى أنّ ما ذكره يناسب معنى الملكيّة أي أنّه تعالى مالك الأشياء حقيقةً و غيره ليس كذلك و بعبارة أخرى هو المالك حقاً و هو حق لا كلام فيه إلاّ أنّ البحث ليس كذلك و بعبارة أخرى هو المالك حقاً و هو حق لا كلام فيه إلاّ أنّ البحث

المجلد الثاني عثد

ليس في المالك و الملك بل البحث في الملك لأنّه تعالى لم يقل فـتعالى اللّـه المالك الحقّ بل قال فتعالى الله الملك الحقّ إذا عرفت هذا فنقول المَلِك بفتح الميم و كسر اللاّم هو المتصرّف بالأمر و النّهي في الجمهور و ذلك يختصّ بسياسة النّاطقين و لهذا يقال ملك النّاس و لا يقال ملك الأشياء كما يقال مالك الأشياء فقوله تعالى: ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَق معناه أنّه تعالى هو المتَّصرف بالأمر و النَّهي بما يشاء وكيف يشاء وإلى هذا المعنى أشار من قال أنَّ الملك إسمَّ لكلِّ من يملك السياسة ثمّ أنّ الملك على ضربين، حقيقي و مجازي، و إن شئت قـلت حتَّى و باطلّ، فالملك الحقّ هو الّذي لا سبيل للبطلان إليه و الباطل بخلافه فكلّ ملك غيره باطلٌ في ملكه كما قيل ألا كلِّ شئ ما خلاالله باطلٌ و لذلك لا يقال هو الملك الحقّ، فالملك الحقّ هو اللّه تعالى لأنّ ملكه لا يزول فهو مالك الملوك حقًّا، و أمَّا قوله: لا ٓ إِلَّهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكُريم فهو كالبرهان على كونه ملك الحقّ فكأنّه قيل أيّ دليل دَّل على أنّه الملك الحقّ فقال في الجواب لأنّه لا إله إلاَّ هو، و الملك الحقّ لا يكون إلاّ اللّه الخالق المتصرّف في جميع الأمور و هو ربّ العرش الكريم و قد تكلّمنا في معنى العرش فيما مضى و لذلك أردف كلامه بقوله:

وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ ٱللّٰهِ إِلٰهًا أُخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسْابُهُ عِنْدَ رَبِّهَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَافِرُونَ

الواو إستئنافية و من، شرطية مبتدأ و يدع فعل شرطٍ مجذوم بحذف حرف العلّة و الآية تدلّ على أنّه لا شريك له تعالى و معنى الكلام أنّ من دعا مع الله إلها سواه لا يكون له برهان على دعواه لأنّه باطل و قد أثبتنا ذلك غير مرّة و قلنا أنّ كلّ موجودٍ غيره تعالى ممكن الوجود و كلّ ممكن في نفسه عاطلٌ باطلٌ فكيف يكون حقّاً و ما لا يكون حقّاً فلا برهان عليه فمن إتّخذ شريكاً له تعالى كافر و أنّ الله لا يفلح الكافر أبداً.

# ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🏽 🗸

## وَ قُلْ رَبِّ ٱغْفِرْ وَ ٱرْحَمْ وَ أَنْتَ خَيْرُ ٱلرّاحِمينَ

أي قل يا محمد رَبِّ أَغْفِرْ، أي أغفر الذّنوب و آرْحَمْ أي أنعم على خلقك و أَنْتَ خَيْرُ ٱلرّاْحِمِينَ أي أنت أفضل من رحم وأكثرهم نعمة و أوسعهم فضلا و أنظر إلى بلاغة الكلام فأنّ هذه السُّورة إفتتحت بالإيمان لقوله تعالى: قَدْ فضلا و أنظر إلى بلاغة الكلام فأنّ هذه السُّورة إفتتحت بالإيمان لقوله تعالى: قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ (١) و إختتمت بالكفر قال الله تعالى: إِنَّهُ لا يُفْلِحُ ٱلْمُافِرُونَ (٢) ثمّ أمرنا بالدُّعاء فقال: «قُل ربّ إغفر وإرحَم وأنتَ خير الرّاحمين» و فيه إشارة إلى أن أمرنا بالدُّعاء ولى ذلك لأنه أمّا قاصر في عبوديته أو مقصر و على التقديرين يحتاج المغفرة و الرَّحمة و حيث لا غافر للذَّنب إلاّ هو أمر نبيّه ظاهراً و جميع الأمّة واقعاً بهذا الدُّعاء.

قيل في هذه الآية و أمثالها ممّا لا يناسب شأن النّبي لمكان عصمته و أنّه لا يذنب حتّى يحتاج إلى المغفرة فالمراد بها الأمّة و كان الخطاب للنّبي.

أقول هذا ممّا لا إشكال فيه و الأحسن هو حمل الكلام على ظاهره و حمل الذّنب على ذنب العبوديّة و إن شئت قلت على الذّنب الذي يكون عن قصور لا عن تقصير حتّى ينافي العصمة و ذلك لأنّ العبد كائناً ما كان لا يقدر على معرفة الله تعالى حقّ المعرفة و إذا كان كذلك فلا يقدر على أداء حقّ العبوديّة و هذا هو الذّنب الإمكاني الذي هو موجود في جميع الخلق حتّىٰ الأنبياء و لنعم ما قيل بالفارسيّة:

#### ورَةُ النُّورِ ﷺ

## بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحيمِ

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَ فَـرَضْنَاهَا وَ أَنْـزَلْنَا فـيهَآ أَيْاتِ بَيِّنَاتِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّـرُونَ (١) ٱلزَّاٰنِـيَةُ وَ ٱلزَّانَى فَاجْلِدُواكُلَّ وأُحِدٍ مِنْهُمًا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَ لا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ في دينِ ٱللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ ٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَ لْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طَآئِفَةٌ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢) ٱلزّاني لا يَــنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَ ٱلزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهٰآ إَلَّا زَاٰنِ أَوْ مُشْرِكٌ وَ حُرَّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنينَ (٣) وَ ٱلَّذينَ يَرْمُونَ ٱلْـمُحْصَناتِ ثُمَّلَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَداآءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثِمَانينَ جَلْدَةً وَ لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَ أُولٰـيِّكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ ﴿ ﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحيمٌ (۵) وَ ٱلَّذينَ يَرْمُونَ أَزْواٰجَـهُمْ وَ لَـمْ يَكُـنْ لَـهُمْ شُهَداآءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَاداْتٍ بِاللَّهِ إِنَّـهُ لَـمِنَ ٱلصَّادِقينَ (۶) وَ



الْخامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَ يَدْرَؤُا عَنْهَا اللَّعَذابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَاداتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَ الْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الطَّادِقِينَ (٩) وَ لَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْهُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ الله تَوابُ حَكِيمٌ (١٠)

#### ◄ اللّغة

شُورَةٌ بضّم السّين و سكون الواو و فتح الرّاء المنزلة الشّريفة و المقام الرّفيع فسميّت السُّورة من القرآن بذلك لهذه العلّة.

فَرَضْنَاهَا: الفرض التّقدير في اللّغة.

آلزَانِيَةُ وَ آلزَانِي: الزّناء بالمَّد و القصر قال الفّراء المقصور من زنى، و الممدود من زانى يقال زاناها مزأناة و زناء، و هو في الأصل الفجور يقال زنى بها إذا فجر و في العرف وطئ المرأة من غير عقد شرّعي و التّاء في الزّانية قيل للمبالغة و قيل للتّأنيث إذ لا تطلق الزّانية إلاّ على المرأة التّي زنى بها.

فَاجْلِدُوا: الجلد الضّرب يقال جلده أي ضرب جلده نحو بطنه و ظهره. رَأْفَةٌ: يقال رأف رأفة و معناها الرّحمة.

يَرْمُونَ: الرَّمي القذف.

يَدْرَؤُا: الدَّرء الدَّفع.

## ◄ الإعراب

شُورَةٌ بالرّفع خبر لمبتدأ محذوف أي هذه سورة و لا يكون مبتدأ لأنّها نكرة ٱلزّاٰنِيّةُ وَالزّاٰني في رفعه وجهان: ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷



أحدهما: هو المبتدأ و الخبر محذوف.

الثّاني: الخبر فأجلدوا و مِائَةَ وثَمَانبِنَ ينتصبان إنتصاب المصادر وَ آلَّذبِنَ يَـرْمُونَ آلُـدْخِنَ الرَّمي القذف وفي موضعه من حيث الإعراب وجهان:

أحدهما: الرَّفع و الأخر النَّصب فهو بفعل دلَّ عليه فأجلدوا و الخبر محذوف و قيل الخبر فأجلدوا و أمّا النَّصب فهو بفعل دلَّ عليه فأجلدوا و أوليَّكَ هُمُ الْفاسِقُونَ حال أو جملة مستأنفة إلَّالَّذِينَ تَابُوا هو إستثناء من الجمل التي قبلها عند جماعة و من الجملة التي تليها عند أخرين و موضع المستثنى نصب على أصل الباب و قيل موضعه الجرّ على البدل من الضّمير في لهم، و قيل موضعه الرّفع بالإبتداء و الخبر فإنَّ الله و في الخبر ضمير محذوف أي غفورً لهم إلا الشّهه هو نعت لشهداء أو بدلّ منه فشهادة أحَدِهِم المَصَدر مضاف إلى الفاعل و هو خبر مبتدأ محذوف أي فالواجب شهادة أحدهم، و قيل هو مبتدأ و الخبر محذوف اى فعليهم شهادة احدهم بالنصب على المصدر اى ان شهد احدهم اربع (بالله) يتعلق بشهادات عند البصريين و بشهادة عند الكوّفيين و الخرسة مبتدأ أي و الشّهادة الخامسة و الخبر أنَّ لَعْنة الله و أن تشهد، هو فاعل يدرؤ و بالله، يتعلق بشهادات و لؤلا فَضْلُ الله جواب لولا محذوف تقديره لهلكتم و لخرجتم.

### ◄ التّفسير

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَ فَرَضْنَاهَا وَ أَنْزَلْنَا فَيِهَآ أَيْاتٍ بَـيِّنَاتٍ لَـعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

أي هذه سورة أنزلناها عليك و فرضناها، الفرض من الفريضة أي فرض فيهما الحلال و الحرام و هو أي الفرض مأخوذ من فرض القوس و هو الحزّ الذّي فيه الوتر، و الفرض أيضاً نزول القرآن قال اللّه تعالى: إِنَّ اللّذي فَرَضَ عَلَيْكَ اللّذي فيه الوتر، و الفرض أيضاً نزول القرآن قال اللّه تعالى: إِنَّ اللّذي فَرَضَ عَلَيْكَ اللّهُ عَلَيْكَ أَنْ أَنْ إِبْنَ كثير و أبو عمرو و من تابعهما قرأوا

بالتّشديد و هو عليه من باب التّفعيل و المعنى فصلناها و بيَّناها بفرائض مختلفة و قيل معنى التَّشديد حدَّدنا فيها الحلال و الحرام و قيل معناه، جعلناها عليكم و على من بعدكم إلى قيام السّاعة.

و قلنا في شرح اللّغات أنّ السُّورة بضّم السّين، المنزلة الشُّريفة كما قال الشّاعر: ألم تر أنّ الله أعطاك سورة ترىٰ كلّ ملكٍ دونها يتذبذب

فسميّت السُّورة من القرآن بذلك لهذه العلَّة و الفرض فـى اللُّـغة التّـقدير و يطلق على الواجب أيضاً و الفرق بينه و بين الواجب أنّ الفرض واجب بِجعل الجاعل و الواجب قد يكون واجباً بغيره كوجوب شكر المنعم.، و قوله: أَنْزَلْنَا فيها آياتٍ بَيّناتٍ و المراد بالأيات، الدّلالات الواضحات على ما يحتاج إلى علمه ممّا قد بيَّنه اللّه في هذه السُّورة من الأحكام و قوله: لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، معناه لكي تذُّكرون، إذ التَّرجي لامعني له في حقّه تعالى كما بيَّناه و أوضحناه غير مرّةٍ و قلنا أنّه لا يخفى عليه شئ و التَّرجى لا يكون إلاّ من الجاهل بـعواقب الأمور.

ٱلرَّانِيَةُ وِ ٱلرَّانِي فَاجْلِدُواكُلَّ وأُحِدٍ مِنْهُمًا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَ لَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأَفَةٌ فَى دين ٱللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ ٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِـرِ وَ لْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طَآئِفَةٌ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

هذه الآية إحدى الأيات التّي أشار اللّه تعالى إليها بقوله: وَ أَنْــزَلْنَا فــيهآ يز على الزَّاني في الآية هو الإهتمام بشأنها الزَّانية على الزَّاني في الآية هو الإهتمام بشأنها لأنّ الزّناء فيهنّ أشنع و الشّهرة أكثر من حيث الحيل و لأنّ الغالب أنّها تعرض بنفسها و تدعو الرّجال إليها و قدَّم الزّاني في أية النّكاح لأنّها مسوقة لذكر النّكاح و الرّجل هو الأصل فيه و في الآية مسائل:

الأولى: الموجب للحدّ في الزّنا هو إيلاج الإنسان المكلّف المختار ذكره في فرج إمرأةٍ محرّمةٍ تحريماً أصليًا من غير عقدٍ و لا ملكٍ و لا شبهةٍ و يتَّحقق ذلك

بغيبوبة الحشفة من مقطوعها أو قدر الحشفة من مقطوعها قبلاً أو دبراً و إعتبار هذه القيود لا شبهة فيه عند الأصحاب و يشهد له مع كونه المتبادر من إطلاق الآية الأخبار فخرج بقيد الإيلاج و هو الدّخول عدم الإيلاج و بقيد المكلف من لم يبلغ الحلم و بقيد المختار المضطر و المكره و بقيد الذّكر غيره كالإصبع مثلاً و بقيد المحرّمة الأصليّة المحرّمة العارضيّة غير الأصليّة كما إذا كان التّحريم بسبب الصّوم في شهر الصّيام و خرج بقولهم من غير عقدٍ و لا ملكٍ ما إذا كانت المرأة معقودة عليها أو مملوكة و خرج بقوله و لا شبهة الوطئ بالشّبهة كما إذا ظن أنّها إمرأته مثلاً و قولهم قبلاً أو دبراً يدلّ على أنّ الزّناء يتّحقق بالإيلاج في القبل و الدّبر فقط فإذا تحقّق الزّناء مع هذه الشّرائط وجب عليهما الحدّ على ما يأتي الكلام فيه.

الثانية: أنّ الآية دلّت بصريحها على جلد المائة خاصة و باطلاقها على شمول الكافر و المسلم و المملوك و الحرّ و المحصن و غيره و كون المزّني بـها مـن المحارم أم لا و لكن هذا الإطلاق مقيّدٌ بأشياء دلّ عليها الدّليل.

فمنها ما في صحيحة عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله الرَّجم في القرآن للشيخ و الشيخة فأنهما قضيا الشهوة إلى غير ذلك من الأخبار الدالة على أنه لا بدّ من تقييد الحكم بغير المحصن و المحصنة فأنّ الحكم فيهما إمّا بالرَّجم خاصة مطلقاً أو هو مع جلد المائة مطلقاً و أنّ الجمع أنّما هو في الشيخ و الشيخة و أمّا الشّاب و الشّابة فالرَّجم خاصة و الحاصل أنّه لا خلاف عندنا أنّ الحكم في الآية مختصّ بغير المحصن و أمّا في صورة الإحصان فالحكم الرَّجم فإذا كانا محصنين أو كان أحدهما محصناً فعلى المحصن الرَّجم بلا خلاف و هذا أي حكم الرّجم للمحصن ممّا لا خلاف فيه و أنّما الخلاف في جلد المائة مع الرّجم و عدمه فقال الشيخ و من تبعه بالجلد أوّلاً و الرَّجم ثانياً في الشّيخ و الشّيخ و الشّيخة و الشّاب و الشّابة و أكثر الأصحاب على أنّ الجمع مختصّ بالشّيخ و الشّيخة و الشّاب و الشّابة و أكثر الأصحاب على أنّ الجمع مختصّ بالشّيخ و

الشّيخة و أمّا الشّاب و الشّابة فالرَّجم فقط دون جلد و هذا هو المشهور عند الأكثر و كيف كان لا شكّ عندهم بأنّ الآية أعني بها قوله: مِائَةَ جَلْدَةٍ لا تشمل المحصن بل هي خاصّة بغير الإحصان فأنّ الحكم في المحصن الرّجم بالإجماع المرّكب عند فقهاء الشّيعة و أنّما الخلاف في ضمّ الجلد و عدمه و لتوضيح المقال لابدّ لنا من بيان الإحصان فنقول:

قال الرّاغب في المفردات يقال حصان للعفيفة و لذات حرمة و الحصان في الجملة المحصنة إمّا بعفتها أو تزُّوجها أو بمانع من شرفها و حريّتها.

و قال في المجمع أصل الإحصان المنع و أحصن الرّجل إذا تزَّوج فهو محصن بالكسر على القياس و محصن بالفتح على غير قياسٍ و حصنت المرأة بالضّم حصناً أي عفّت إنتهى هذا في اللّغة. و أمّا في الشّريعة فالمراد بالإحصان.

مارواه الشّيخ في الصّحيح من إسماعيل بن جابر عن أبي جعفر النّلِهِ قال: قلت له ما المحصن رحمك الله قال النّلِهِ: من كان له فرج يغدوا عليه و يروح إنتهى.

و في صحيحة حريز قال سألت أبا عبد الله عن المحصن قال النِّي يزنى و عنده ما يغنيه إنتهى.

و في موثقة إسحاق بن عمّار قال: سألت أبا إبراهيم المنافي عن الرّجل إذا هو زنى و عنده السّرية و الأمة يطأها تحصنه الأمة تكون عنده فقال: نعم أنما ذاك لأنّه يغنيه عن الزّنا ثمّ قال فأن كانت إمرأة عنده متعة تحصنه قال المنافي لا أنّما هو الدّائم عنده و من ذلك يعلم إحصان المرأة إنتهى.

و قال الشّيخ و جماعة و المرأة ليس عليها جز و لا تعزيب على المشهور خلافاً لإبن أبي عقيل، و أمّا العبد و الأمة فأنّهما يجلدان نصف الحدّ و إن كانا متزوّجين لقوله فعليهنَّ نصف ما على المحصنات من العذاب و للإجماع و الأخبار.

نياء الفرقان في تفسير القرآن 🔻 😽

و أمّا إذا كان المزّني بها إحدى المحارم كأمّه و أخته أو كان الزّاني بالمسلمة كافراً فأنَّ الحكم في هذه الامور القتل و أن لم يكن محصناً و قيل يجب أن يجلدوا أوّلاً ثمّ يقتل جمعاً بين دلالة الآية و الرّوايـات و فـيه تأمّـل و أمّـا حـدّ المريض فأنّه يضرب بالضَّغث المشتمل على العدد، و الزّناء في الأوقات الشّريفة كشهر رمضان أو الأمكنة المشّرفة فأنّه يحدّ بالحدّ المقّرر ثمّ يزاد عقوبةً بنظر الحاكم للشّرع إذا علمت ما تلوناه عليك فقد دريت أنّ الحكم في الآيـة مخصوص بغير ما ذكرناه و إستثنيناه.

الثَّالثة: قولِه تعالىٰ وَ لَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ في دينِ ٱللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ ٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِالرَّافة الرَّحمة و قوله: في دَينِ ٱللَّهِ أي في طاعته و إقامة حدوده و حفظ دينه.

فَقِد روي الشَّيخ بأسناده عن أميرالمؤمنين المُثِّلاِّ في قول اللَّه: وَ لَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ في دينِ ٱللَّهِ قال للَّيْلِا: في إقامة الحدُود انتهيٰ.

و حاصل المعنى أنّه لا يجوز لكم ترك إقامة الحدود للرَّافة و الرَّحمة فـفيها دلالة على عدم جواز الشَّفاعة في حدود الله كما تدلُّ عليه الأخبار و يحتمل أن يكون المراد ما يشمل شدّة الجلد فالمعنى لا يجوز الرّأفة به و التّخفيف عنه بل يجب أن يضرب الزّاني ضرباً موجعاً شديداً مجّرداً من الثّياب على جميع جسده ما عدا الوجه و المذاكير.

ففي موثقة إسحاق قال سألت أبا إبراهيم المَيِّا إِعن الزّاني كيف يجلد قال أشَّد الجلد قلت من فوق الثّياب قال التِّل لا بل مجرّداً إنتهى. و موثقة سماعة عن أبي عبد الله عليه قال: حَدّ الزّاني كأشَّد ما كيون من الحدود إنتهى.

و في موثقة زرارة عن أبي جعفر للطُّلِإ قال: يضرب الرّجل قائماً والمرأة قاعدة و يضرب على كلّ عضو و يترك الوجه و المذاكير إنتهى. و في روايةٍ أخرى يفرق على الجسد كلّه و يتّقى الفرج و الوجه و يضرب بين الضَّربين و إستثناء الوجه و المذاكير لا ينافي النّهي عن الرّأفة لأنّ المراد بها ما لم يكن مظّنة للإهلاك أو إفساد عضُو و الضّرب على هذه يحصل منه ذلك غالباً إنتهى.

أقول و من ثمّ ورد في الأخبار أنّه إذا كان الحدّ في البَّرد يؤخّر إلى إرتفاع النّهار و عكسه في الصّيف و تؤخّر الحامل إلى أن تضع حملها والمريض يؤخّر إلى البرء و نحو ذلك ممّن يمكن فيه حصول الفساد.

و في قوله: إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ ٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ، دلالة علىٰ سلب الإيمان بترك الحدّ كمّا أو كيفاً و لعلّ المراد به الكامل.

الرّابعة: في قوله وَ لْيَشْهَدْ عَذَاٰبَهُمَا طَآئِفَةٌ مِنَ ٱلْمُؤْمِنينَ والشَّهُود الحضور أي يحضر إقامة الحدّ و إعتبر حضور الطّائفة لأجل الشّهرة و شيوع الأمر ليكون ذلك أشهر و أردع عن مخالفة حدود و الله و التَّقييد بـالمؤمنين لأنّهم المنتفعون و المتلّقون لأخذ الأحكام و قبولها أو لنّـلا يـمتنع الكفّار مـن الدّخول في الإسلام و من ثمّ يكره إقامة الحدّ في أرض العدّو ثمّ أنّ المراد بالطَّائفة الجماعة و أقلُّها الواحد فـفى غـوالي اللَّـيالى عـن البـاقر لِمُلْتِكِلِّ أَنَّ أَقَـلَّ الطَّائفة الحاضرة في الحَدّ هي الواحد و به قال أهل اللَّغة و في القاموس الطَّائفة الواحد فصاعداً الى الألف و أقلُّها رجلان أو رجل بمعنى النَّفس و به قال يزء ٨٨ لله الشّيخ في النّهاية و العّلامة و ذهب في الخلاف أنّ الأقلّ عشرة و قال إبن إدريس أنَّه ثلاثة لشهادة العرف بذلك و هو قويٌّ لإمكان حمل الأخبار على حال الضّرورة و عدم التَّمكن و نسب الى إبن عبّاس أنّه أربعة و قيل إثنان لأنّه أقلّ الجمع.

ثمّ الأمر بإحضار الجماعة حال إقامة الحدّ الوجوب تشهد له ظواهر الأخبار و اليه ذهب جماعة من الأصحاب و قيل بالإستحباب و عليه أكثر العّامة، ثمّ أنّ هذا الحكم مختّص بالجلد دون الرّجم و قيل به في الرَّجم أيضاً و تفصيل الكلام

في نقل الأقوال في الفقه و هل النّهي و هو قوله: وَ لَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةُ للتّحريم أو الكراهة و جهان من حيث ظاهر النّهي و من اصالة عدم التّحريم قيل لا يعد تخصيصه بمن أقرَّ على نفسه دون من قامت عليه البيّنة و هل يفرق بين ما حصلت التّوبة منها و غيره ظاهر الأخبار و الفتوى ذلك لأنّ ما تاب عنه فاعله سقط عنه بناءً على وجوب قبول التّوبة كما يقتضيه ظاهر الأيات و كثير من الرّوايات.

#### ننبية:

المشهور عند الفقهاء أنّ الخطاب بذلك أي إقامة الحدود لأتّمة الشّرع و إدّعى بعضهم على ذلك إجماع الأمّة و من ثمّ إحتّج بذلك بعض المخالفين على وجوب نصب الإمام على الرّعية نظراً الى أنّ ما لا يتّم الواجب إلاّ به فهو واجب.

و في رواية حفص بن قياش قال سألتُ أبا عبد الله النَّهِ من يقيم الحدود السلطان أو القاضي فقال النَّهِ: إقامة الحدود الى من اليه الحكم و هو الإمام ومن نصبه بالخصوص إنتهى.

أقول الظّاهر أنّ المنصوب من قبل الإمام حكمه حكم الإمام يعني أنّه يقيم الحدود لأنّ الإمام عليّة جعله حاكماً لقول الصّادق عليّة في مقبولة عمر بن حنظلة ينظر الى من كان منكم ممّن روى حديثاً ونظر في حلالنا و حرامنا و عرف أحكامنا فليرضوا به حاكماً فأني قد جعلته عليكم حاكماً الحديث.

و مقتضى جعله حاكماً العموم الشّامل للحدود و غيرها.

و عن الدُّروس أنَّ الحدود و التّعزيزات الى الإمام و نائبه و لو عموماً فيجوز حال الغيبة للموصوف بما ثبت في القضاء إقامتها مع المكنة إنتهى.

أقول ما ذكره في الدُّروس من أنَّه تجب إقامتها مع المكنة حقَّ لا مرية فيه سواء كان المنصوب من قبل الإمام عامًا أو خاصاً و أمّا في صورة عدمها فلا لأنّ

ياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 🤘 🖊

القدرة شرطً في التّكليف و للبحث فيه مقام آخر فأنّ إجراء الحدود موقوف على وجود الشّرائط أعني بها وجود المقتضي و رفع الموانع و هـو فـي عـصر الغيبة مشكل.

الزّاني لا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَ الزّانِيَةُ لا يَنْكِحُهآ إِلَّا زَانٍ أَنْ مُشْرِكَةً وَ الزّانِيَةُ لا يَنْكِحُهآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكُ وَ حُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

قال في المفردات أصل النّكاح للعقد ثمّ أستعير للجماع و محالٌ أن يكون في الأصل للجماع ثمّ أستعير للعقد لأنّ أسماء الجماع كلّها كنايات الأستقباحه ذكره لاستقاح تعاطيه و محالٌ أن يستعير من لا يقصد فحشا إسم ما يستفظعونه لما يستحسنونه إنتهى.

ثمّ أنّ المفسّرين إختلفوا في معنى الآية.

فمنهم من قال أنّها نزلت على سبب و ذلك أنّه إستأذن رجل من المسلمين النّبي عَلَمْ الله الله الله الله الأية. النّبي عَلَمْ الله المألية الله الله الأية.

و روي ذلك عن أبي عبد الله بن عمر و إبن عبّاس و قال حرَّم الله نكاحنّ على المؤمنين فلا يتَّزوج بهنّ إلاّ زان أو مشرك.

و قيل النّكاح ها هنا المراد به الجماع و المعنى الإشتراك في الزّناء يعني أنّهما يكونان جميعاً زانيين و قد ضعّف الطّبري ذلك و قال لا فائدة في ذلك فمن قال بالأوّل، قال الآية و أن كان ظاهرها الخبر فالمراد به النّهي و قال سعيد بن المسيب كان ذلك حكم كلّ زانٍ أو زانيةٍ ثمّ نسخ بقوله تعالى: وَ أَنْكِحُوا ٱلْأَيّاهٰى مِنْكُمْ وَ الصّالِحينَ (١).

و به قال أكثر الفقهاء و عن أبي جعفر التيالِ أنّ الآية نزلت في أصحاب الرّايات فأمّا غيرهُنّ فأنّه يجوز أن يتَّزوجها و أن كان الأفضل غيرها و يمنعها من الفجور و في ذلك خلاف بين الفقهاء ذكره في التّبيان.

و قال صاحب الكشّاف الفاسق الخبيث الّذي من شأنه الزّناء و التَّقحب لا يرغب في نكاح الصّوالح من النّساء و اللاّتي على خلاف صفته و أنّما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله أو في مشركة و الفاسقة الخبيثة المسافحة كلذلك لا يرغب في نكاحها الصّلحاء من الرّجال و ينفرّون عنها و أنّما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة أو المشركين و نكاح المؤمن الممدوح عند اللّه، الزّانية و رغبته فيها و إنخراطه بذلك في سلك فسقة التيمّين بالزّنا محرّم عليه محظور لما فيه من التَّبه بالفسّاق و حضور موقع التَّهمة و التَّسبب لسوء القالة فيه و الغيبة و أنواع المفاسد و مجالسة الخطائين كم فيها من التَّعرض لإقتراف الأثام فكيف بمزاوجة الزّواني و القحاب و قد نبّه على ذلك بقوله: و أَنْكِحُوا الأَيْاهَى مِنْكُمْ و الصّالِحينَ مِنْعِبْادِكُمْ و إِما أَيْكُمُ اللّه الله أن قال و قيل المراد بالنّكاح الوطئ و ليس بقولٍ لأمرين:

أحدهما: أنَّ هذه الكلمة أينما وردت في القرآن لم ترد إلاَّ في معنى العقد.

الثّاني: فساد المعنى و إداءه الى قولك الزّاني لا يزني إلا بزانية و الزّانية لا يزني بها إلا بزانية و الزّانية لا يزني بها إلاّ زانٍ و قيل نكاح الزّانية كان محرماً في صدر الإسلام ثمّ نسخ و الناسخ قوله: و أنْحِحُوا ٱلأَيْاضي ثمّ أطال الكلام بما لا فائدة في نقله.

و قال بعض المعاصرين في تفسيره لهذه الآية ما هذا لفظه.

ظاهر الآية و خاصّته بالنّظر الى سياق ذيلها المرتبط بصدرها أنّ الّذي تشمل عليه حكم تشريعي تحريمي و أن كان صدرها وارداً في صورة الخبر فأنّ المراد النّهي تأكيداً للطّلب و هو شائع و المحصّل من معناها بتفسير من السنّة من طرق أتّمة أهل البيت عليهم السّلام أنّ الزّاني إذا إشتهر منه الزّناء و أقيم عليه الحدّ و لم تتّبين منه التّوبة يحرم عليه نكاح غير الزّانية و المشركة و الزّانية إذا إشتهر منها الزّناء و أقيم عليها الحدّ و لم تتّبين منها التّوبة يحرم أن ينكحها إلاّ زان أو مشرك

فالآية محكمة باقية على أحكامها من غير نسخ و لا تأويلٍ و تقييدها بإقامة الحدّ و تبيّن التّوبة يمكن أن يستفاد من السّياق فأنّ وقوع الحكم بتحريم النّكاح بعد الأمر بإقامة الحدّ يلوح أنّ المراد به الزّاني و الزّانية المجلودان و كذا إطلاق الزّاني و الزَّانية على من إبتلي بذلك ثمَّ تاب توبةً نصوحاً و تبيّن منه ذلك بعيدٌ من دأب القرآن و أدبه إنتهى كلامه رفع مقامه.

ثمّ شرع في نقل أقوال المُفسّرين وقال فيها ما قال.

و قال الطُّبرسيمَةُ إِنَّ في تفسير هذه الآية أختلف في تفسيره على وجوهٍ.

أحدها: أنَّ المراد بالنَّكاح العقد و نزلت الآية على سببِ الى آخر ما نقلناه عن التّبيان.

ثانيها: أنّ النّكاح هنا الجماع و المعنى أنّهما إشتركا في الزّنا فهي مثله فيكون قوله: ٱلْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ في أنّه خرج مخرج الأغلب.

ثالثها: أنَّ هذا الحكم كان في زانٍ و زانية ثمَّ نسخ بقوله: وَ أَنْكِحُوا ٱلْأَيْامَى

رابعها: أنّ المراد به العقد وذلك الحكم ثابت فيمن زنا بإمرأةٍ فأنّه لا يجوز أن يتّزوج بها و روي ذلك عن جماعةٍ من الصّحابة و ساق الكلام الي أن قال في آخر كلامه و حقيقة النّكاح في اللّغة الوطئ إنتهي.

و قد أطال الرّازي في تفسيره البحث في هذه الآية بما لا نحتاج الى نقلها و وزء١٨ كم من أراد الوقوف على ما ذكره فعليه بكتابه و الّذي نفهم من الآيـة و اللّـه أعـلم بكلامه، هو أنَّ الآية ليست بصدد بيان حكم من الأحكام الشَّرعية و هو حرمة النَّكاح في الزَّاني و الزَّانية و ذلك لأنَّ نكاح الزَّاني للزانيَّة لا إشكال فيه و أيضاً ليست بصدد بيان و قوع هذا القسم من النّكاح و عدم و قوعه بل الآية مشعرة بأنّ الزّاني في الأغلب لا ينكح إلاّ زانية و الزانيّة في الأغلب لا ينكحها إلاّ زانٍ أو مشرك كما هو مقتضى قانون السّنخية و أنّما قلنا ذلك لأنّ الزّاني قد ينكح العفيفة

القرآن

الصّالحة و الزّانية قد ينكحها العفيف الصّالح و لا إشكال فيه شرعاً فهذه الآية كقوله تعالى:

ٱلْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَ ٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَ ٱلطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَ ٱلطَّيِّبَاتِ (١١). ٱلطَّيْبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ (١١).

و سيأتي الكلام فيها و قانون السّنخية ممّا لا ينكر فليس في الآية حكم حتى يقال بأنّه باق الى الآن أو لا و بعبارة أخرى أنّ اللّه تعالى لم يحكم فيها بعدم جواز نكاح الزّاني للعفيفة الصّالحة و الزّانية للعفيف الصّالح بل أشار فيها الى السّيرة المستّمرة و هذا ظاهر و لا يختّص هذه السيّرة بالنّكاح و لا بالإنسان بل هي جارية في الحيوان أيضاً و قوله في آخر الأية: و حُرِّم ذَلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنينَ ليس المراد به حرمة التشريع قطعاً بالإتّفاق إذ لم يقل أحد بحرمة النكاح في المقام إلا من لا يعتنى بقوله و العجب من الرّازي حيث أنّه بعد نقله القول ببقاء الحكم الى الآن فيحرم على الزّاني و الزّانية التّزوج بالعفيفة و العفيف و بالعكس قال هذا مذهب أبي بكر و عمر و علّي و إبن مسعود و عائشة و لم يعلم أنّ أهل البيت أدرى بما في البيت و مذهب أهل البيت بخلافه و أمّا أبو بكر و عمر و غيرهما فهو أعلم بهما و لا بحث لنا معهم في المقام و اللّه أعلم.

وَ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَاتِ ثُمَّلَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدآءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَ أُولٰئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ، ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَ أُولٰئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ، إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

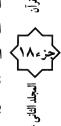
قيل هذه الآية نزلت في عائشة و قال الضّحاك في نساء المؤمنين و هو الأولى لأنّه أعمّ فائدة مضافاً الى أنّ سبب النُّزول لا يوجب تخصيصها به فالحكم عامّ ثمّ أنّ المراد بالمحصنات هنا العفائف من النّساء و في حكمهنّ الرّجال بدلالة الأخبار و الإجماع و لعلّ تخصيصهنّ بالذّكر بإعتبار سبب النُّزول أو بإعتبار

الجري على الغالب فدَّلت الآية على أنّه يشترط في المقذوف الّذي يجب الحَّد بقذفه الإحصان و المراد بالإحصان هنا الجمع لأمور أربعة:

التَّكليف، الحرَّية، الإسلام و العفَّة من الزِّنا.

أي عدم التَّجاهر بذلك فمن حصلت فيه الصَّفات المذكورة وجب بـقذفه الحُّد و من فقدها أو بعضها فلا حَّد بقذفه و لكن يجب التعزير للأخبار و إطلاق كلمات الأصحاب يقتضى أنّ المتَّجاهر بالفسق كذلك في لزوم التعزير و لعَّل وجهه عموم الأدّلة و قبح القذف مطلقاً بخلاف مواجهة المتظاهر به بغيره من أنواع الأذي كما عرفت و يظهر عن صحصحة بن سوهان و مرفوعة بن بزيع رجحان القذف فلا يكون القاذف له مستَّحقاً للتعزير و هو المستفاد أيضاً من عموم رواية البرقي و الى ذلك قال الشّهيدان و هو الأقوى و إليه ذهب كثير من العّامة و أمّا إعتبار الأربعة الشّهداء و أن وقع مطلقاً إلاّ أنّ الرّوايات المتظافرة دلّت على إعتبار الإجتماع في وقت الإداء بل في وقت التَّحمل كما قيل و أن يشاهدوا الميل في المكحلة و أن يكونوا عدولاً و إليه يذهب الأصحاب و كثير من العّامة و ذهب الشَّافعي الي أنَّه لا يشترط الإجتماع في الإداء فلو كانوا متَّفرقين جاز و يقوم مقام الأربعة في دفع الحَّد عنه ثلاثة رجال و إمرأتان بل رجلان و أربع نساء ففي حكم الأربعة في إسقاط الحَّد عنه الإقرار و لو مرَّة واحدة و أن لم يثبت على المقُّر إلاَّ بالتَّكرار أربعاً و يجوز أن يكون الزّوج أحدهم و قد يظهر من تعَّلق الرَّمي بالمحصنات إنَّ هذا الحقِّ للمقذوف لأنَّه هو الَّذي يطالب بـذلك و اليـه العفو قبل ثبوته عند الحاكم و لو مات قبل الإستيفاء و كان هذا الحقّ للوارث ولو تعَّدد المقذوف تعّدد الحَّد و لو كان القاذف واحداً إلاّ إذا كان قد قذفهم جميعاً بكلمة كقوله أنتم زناة ثمّ أنّهم أتوا به مجتمعين لا متَّفرقين فأنّ عِليه في هذه الصّورة حدّاً واحداً و أمّا قوله تعالى: وَ لا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا فهو مطلق في جميع الأحوال سواء كان قبل الجلد أم بعده و ذلك لأنَّه مصِّرٌ قد فعل شيئاً نهاه الله عنه و أن كان صادقاً في نفس الأمر و من كان كذلك فهو فاسق إذا لم يأت

سياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 -



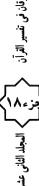
بالأربعة شهود كما قال الله تعالى: وَ أُولٰئِكَ هُمُ ٱلْفاسِقُونَ فهو من قبيل العلَّة لعدم الشهادة.

إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحيمٌ إستثنى من عدم قبول الشّهادة و أن شئت قلت من الفاسقين، التّائب بعد الشّهادة فأنّ التّائب من الذّنب كمن لا ذنب له فيدُّل الإستثناء على قبول الشّهادة منه بعد التَّوبة كما هو مذهب أصحابنا و به قال الشَّافعي و أكثر التّابعين.

و قال أبو حنيفة، لا تقبل شهادته أبداً إلا أن يشهد قبل إقامة الحَّد عليه أو قبل تمامه بناءً على أنّ الواو في قوله: وَ أُولْـيِّكَ هُــمُ ٱلْـفْاسِقُونَ للإستئناف و الإستثناء من الفاسقين و هذا القول ضعيف لأنّه لم يقم على إختصاص الإستثناء بالجملة الأخيرة دليل تّام و جواز الرّجوع الى الكُّل مجمعٌ عليه بين أهل الأصول و الإختلاف في كونه حقيقة أو مجازاً مضافاً الى أنّ الإستثناء من العُّلة و هي الفسق إستثناءً من المعلول أيضاً فأنَّ المعلول و هو عدم قبول الشَّهادة رشحٌ من رِشحات العُّلة فالإستثناء من الجميع و هـو المطلوب و فـي قـوله تـعالىٰ: وَ أَصْلَحُوا بعد قوله: تَابُوا، إشارة الى الصّلاح بعد التَّوبة بمعنىٰ أنّ التّائب بعد إقامة الحَّد عليه ينبغي أن يكون صالحاً من حيث الأعمال الدالَّة على صدق ثبوته فأنّه تقبل شهادته حينئذ و يدلّ عليه الأخبار.

فقد روى الشّيخ في الصّحيح عن إبن سنان قال سئلت أبـا عـبد اللّـه عـن المحدود إذ تاب تقبل شهادته فقال التِّلْإِ أن تاب و توبته أن يرجع فيما قال و يكذب نفسه عند الإمام و عند المسلمين فإذا فعل ذلك فعلى الإمام أن يقبل شهادته بعد ذلك إنتهى.

و عن أبي الصّباح قال: سئلت أبا عبد اللّه عن القاذف بعد ما يقام عليه الحُّد فما توبته قال التَّلِيرِ يكذب نفسه قلت أرأيت أن يكذب نفسه و تاب تقبل شهادته قال علايللا نعم إنتهي.



ثمّ أنّ ظاهر الأخبار أنّ القاذف يكذّب نفسه و أن كان صادقاً في نفسه كما أنّ الشُّهود أو واحداً منهم أنكروا ما رأوه كالميل في المكحلة لأجل بعض الدّواعي كالتَّهديد و التَّطميع و أمثال ذلك و من المعلوم أنّ الكذب في هذه الحال من الكذب القبيح و من ثمّ كان المشهور بين الأصحاب، لزوم التّورية دفعاً لهذا المحذور و قيل لا يحتاج إليها لأنّه كاذبّ شرعاً كما يظهر من الآية و تفصيل الكلام في الفقه و أمّا كيفيّة الجلد فقد ورد في الأخبار في كيفيّة جلد القاذف أنّه يضرب جسده كلّه فوق الثيّاب و في خبر آخر لا ينزع من ثيابه إلاّ الرّداء.

أن قلت لا شكّ أنّ القتل أشَّد من الزِّنا فكيف يكفي في القتل شاهدان و في الزّنا، أربعة:

قلت روي في العلل بأسناده عن أبي عبد الله النّه أنّه قيل له لما جعل في الزّنا أربعة من الشّهود و في القتل شاهدان فقال النّه أنّ الله عزّ و جّل أحّل لكم المتعة و علم أنّها ستنكر عليكم فجعل الأربعة شهود إحتياطاً لكم و قلَّ ما يجتّمع أربعة شهادة بأمرٍ واحد إنتهى. و في حديثٍ أخر لأنّ القتل فعلٌ واحد والزّنا فعلان فمن ثمّ لا يجوز إلاّ شهود أربعة إنتهى.

أقول هذا الحكم يدل على بطلان القياس في الأحكام الشّرعية، و أما قوله: فَإِنَّ ٱللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ فمعناه واضح فأنّ اللّه تعالى هو الّذي يقبل التّوبة من عباده و هو الّذي يغفر الذّنوب جميعاً و قد دَّلت عليه الأيات و الأخبار.

وَ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوالْجَهُمْ وَ لَمْ يَكُنْ لَـهُمْ شُـهَدْآءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَصَادِقِينَ فَشَاهُمُ فَصَادِقِينَ فَشَاهُمُ

إعلم أنّ هذه الآية و ما بعدها نزلت في اللّعان و هو لغة الطَّرد و الإبعاد و شرعاً مباهلة خاصّة بين الزّوجين لنفي حدًّ أو ولدٍ، فقوله: وَ ٱلَّـذينَ يَـرْمُونَ أَرْواٰجَهُمْ، معناه رمى زوجته بالزّنا تلاعناً وكيفيّة الملاعنة أن يبدأ الرّجل

الفرقان في تفسير القرآن كم العبجاً

القرقان في تفسير القرآن كم العج

فيحلف أربع مراتب بالله الذي لا إله إلا هو أنّه صادق فيما رمى زوجته به و يحتاج أن يقول أشهد بالله أنّي صادق لأنّ شهادته أربع مرّات تقوم مقام أربعة شهود في دفع الحدّ عنه ثمّ يشهد الخامسة أن لعنة الله عليه أن كان من الكاذبين كما يأتي و الحاصل أنّ الآية تضَّمنت وجوب النطق بالشّهادة و أن يبدأ الرّجل بالتّلفظ على التَّرتيب المذكور و ان يعنيها بالذّكر و الإشارة وأن ينطق باللّفظ العربي مع القدرة و قد دلّ على ذلك روايات.

ما روي في الكافي في الحسن عن عبد الرّحمن بن الحجّاج قال: أنّ عبّاد البصري سأل أبا عبد الله و أنا حاضر كيف يلاعن الرّجل المرأة فقال أبو عبد الله النَّهِ: أنَّ رجلاً من المسلمين أتى رسول اللّه وَاللَّهُ عَلَّا فَالَّهُ عِنْ رسول اللّه أنّى رأيت لو أنّ رجلاً دخل منزله فوجد مع إمرأته رجلاً يجامعها ما كان يصنع قال للسِّلانِ: فأعرض عنه رسول الله و أنصرف ذلك الرّجل و كان ذلك الرّجل هو إبتلى بذلك من إمرأته قال فانزل الوحى من عند الله عزّ وجلّ بالحكم فيهما فأرسل رسول الله وَ الله عَلَيْ الله عَلِيْ الله عَلَيْ الله عَليْ الله عَلَيْ الله عَلَيْهِ عَلَيْ الله عَلْ الله عَلَيْ المُعَا عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ اللّه عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلْمُ اللّه عَلَيْ اللّه عَلَيْ اللّه عَلَيْ اللّه عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَّ عَلْ الّذي رأيت مع إمرأتك رجلاً فقال له نعم فقال لللسُّكَانَ الطلق فأتنى بإمرأتك فأنّ الله قد أنزل الحكم فيها قال فأحضرها زوجها فأوقفهما رسول الله وَلَهُ وَاللَّهُ عَلَّهُ ثُمَّ قال للزَّوج إشهد أربع شهادات باللّه أنَّك من الصّادقين فيما رميتها به قال فشهد ثمّ قال له إتَّق اللَّه فأنَّ لعنة الله شديدة ثمّ قال إشهد الخامسة أنّ لعنة الله عليك إن كنت من الكاذبين قال فشهد ثمّ أمر به فنحى ثمّ قال المُنْ المرأة إشهدى أربع شهادات باللّه أنّه لمن الكاذّبين فيما رماك به قال فشهدت ثمّ قَال اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ إِنَّ عَضِبِ اللَّهِ عَلْ اللَّهِ إِنَّ عَضِبِ اللَّهِ عَلَى اللَّه شديد ثمّ قال لها إشهدى الخامسة أنّ غضب اللّه عليه إن كان

زوجك لمن الصّادقين فيما رماك به قال فشهدت فقرق بينهما و قال الله المُنْكَانَةُ لا تجتمعا بنكاح أبداً بعد ما تلاعنتما إنتهى.

فدلَّت الرّواية على أنَّ المراد بهذه الشّهادة أن تكون بمعنى القسم و أنَّ المراد بالأربع تكرارها و قرأ بالنّصب أي يكرّر أربع مرّات و بالرفع على أنّه خبر شهادة أو هي أربع و في المقام أحكام لابدّ من التّنبيه عليها، الأوّل، إنّ للعان سببين.

أحدهما: نفي الولد المولود على فراشه في الزّمن الممكن إلحاقه به من زوجته الموطئة بالعقد الدّائم.

الثّانى: قذف الزّوجة بالزّناء مع إدّعاء المشاهدة و عدم البيّنة و ظاهر الآية و صريح الرّوايات دالٌ على ذلك و ظاهر الصُّدوق اللّه في الفقيه و هو المنقول عنه في المقنع حصره في الأوّل و هو ضعيف و يدلّ على إعتبار المشاهدة حسنة.

الحلبي و حسنة محمّد بن مسلم عنه عليه أنّه قال: لا يلاعنها حتّى يقول رأيت بين رجليها رجلاً يزني أو رأيتك تفعلي كذا و كذا و على هذا ينحصر لعان الأعمى بالأوّل.

و قال بعض المحقّقين فيه تأمّل و ذلك لأنّ قوله تعالى في الأية: إِلا ۖ أَنْفُسُهُمْ شاملٌ لما إذا حصل العلم بغير الرّؤية كما هو المعتبر في مطلق الشّهادة و الإمكان حمل الرّوايتين و نحوهما على التّمثيل بما أفاد العلم فالقول بجواز اللّعان مع دعوى العلم و أن لم يكن طريقة المشاهدة البصرية قوّيٌ إنتهى كلامه رفع مقامه. أقول ما ذكره المشهور هو المتبع لأنّ الشّهادة من الشّهود و هو الحضور فلا تصدق على العلم الحاصل من غير الرّؤية و قوله كما هو المعتبر في مطلق الشّهادة، أوّل الكلام أليس للشّاهد بأن يشهد في الزّناء أنّه رأى كالميل في المكحلة فلو كان العلم كافياً في الشّهادة لم يحتج الى هذا القيد فالحقّ أنّ الرّؤية البصرية معتبرة في تحقق الشّهادة و للبحث فيه مقام آخر ثمّ إنّ (إلا) في قوله: شهداً أنّه المبالغة في نفي

اء الفرقان في نفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ ] المجلد الته كي الشّاهد أي ليس لهم على ما إدّعوه شهداء رأساً فأنّ النّفوس مدعيّة لا شاهدة و مقتضاها أنّه لا يشرع اللّعان مع وجود الشّاهد مطلقاً و لذلك إختلف أصحابنا في إشتراط ذلك في صحّة اللّعان فقال بعضهم هو شرط فلا يشرع اللّعان مع وجود البيّنة كما يقتضيه ظاهر الآية و قال آخرون بجوازه في هذه الحال و أجابوا عن الآية بأنّ دلالتها من حيث مفهوم الوصف و ليس بحجّة و لو سلّم يجوز أنّه خرج مخرج الغالب من عدم القدوم على ذلك مع وجودها و لتركه الله المنتفعال في الرّواية المذكورة و هو دليل على الجواز مع وجود النيّنه.

الثّالث: ظاهر الحصر يقتضي قبول شهادة الأربعة أحدهم الزَّوج و يدلّ عليه ما رواه الشّيخ بأسناده عن أبي عبد الله التَّالِا عن أربعة شهدوا على إمرأة بالزّنا أحدهم زوجها قال التَّالِا تجوز شهادتهم لها إنتهى.

و به قال أكثر الأصحاب و هو المشهور بينهم، و قال بعضهم لا تقبل بـل يلاعن الزّوج و يجلد الباقون لرواية زرارة و الحقّ أنّ الكلّ مشترك في ضعف السّند فالعمل بظاهر القرآن أولى كما سيأتى في قوله:

ٱللّٰاتي يَأْتينَ ٱلْفَاحِشَةَ مِنْ نِسْآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْ نِسْآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ (١).

الرابع: في الآية اشعار بكون المرأة مدخولاً بها و عليه دَّلت الرّوايات الكثيرة المتَّضمنة أنّه لا يكون لعان إلا مع المدخول به و به قال الأكثر و قيل بعدم الإشتراط و إختاره إبن إدريس لإطلاق الآية.

الخامس: يظهر من الآية إشتراط كون الملاعن بالغاً عاقلاً مختاراً و لا يشترط كونه حرّاً و لا مسلماً لإطلاق الآية و دلالة الأخبار عليه و هكذا يظهر منها كون الملاعنة بالغة عاقلة لأنّ العذاب و درأه فرع التّكليف و هو مقطوع به وقد يلوح من قوله: أن تشهد إشتراط السّلامة من الصّمم و الخرس و عليه دلّت

اءالفرقان في تفسير القرآن 🔷 😽 📏

الرّوايات و إطلاق الآية يدلّ على تناولها الزّوجة المملوكة أيضاً و قيل لا يقع بين الحرّ و المملوكة، و قيل يقع بينهما بنفي الولد دون القذف.

السادس: مقتضى الآية و الأخبار الواردة أنّه بالقذف مع عدم البيّنة يجب عليه الحدّ ثمانين جلدة فإذا لاعن درأ عنه الحدّ فيجب ذلك على المرأة إذا إعترفت أو نكلت عن اللّعان فإذا لاعنت درأته عن نفسها فتحرم عليه أبداً و لا توارث بينه و بين الولد و كذا أقارب الأب نعم لو أقَّر به بعد ذلك ورثه الولد قطعاً دون العكس و في تعدّي الحكم إلى أقارب الأب إشكال و بقع التّوارث بين الولد و بين أمّه مطلقاً و بينه و بين أخواله إن أقَّر به الأب و إلاّ فيورثه قطعاً.

السابع: ظاهر إطلاق الآية أنّه لا حدَّ عليها بعد صدور اللّعان منها و إن أقَّرت أربع مرّات و قيل يجب عليها الحدّ لعموم الأدلّة.

الثامن: الملاعنة و إبنها لا يجوز قذفهما و من قذف أحدهما فعليه الحدّ و يدلّ على ذلك النّصوص الواردة عن أهل العصمة عليهم السّلام ثمّ أنّ ما ذكرناه من الأقوال في اللّعان نقلناه عن أيات الأحكام للجزائري تَنْتُونُ (١).

و لنرجع إلى تفسير ألفاظ الأيات بعد بيان كيفيّة اللّعان و حكمه و ما يتعلّق به فنقول قوله تعالى: و اللّذين يَرْمُون أَرْواٰجَهُمْ أَي يقذفون أزواجهم بالزّناء و لَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَي للقاذفين شُهدآء على القذف، إلاّ أَنْفُسُهُمْ، الإستثناء متَّصلٌ فَشَهاٰدة أَحَدهِم مكان أربع شهادة أحد القاذفين أَرْبَعُ شَهادات، أي نحسب شهادة أحدهم مكان أربع شهادات الّتي تعتبر في إثبات الزّناء بالله إنَّه لَمِن أَلصادقين أي يجب أن يشهد بالله لا بغيره و ظاهر الكلام أن الشهادة بغيره من أسماء الله لا تجوز مثل الرّحمن و الرّحيم و الغفّار و غيرها فأن القسم الشّرعي لا يتحقّق إلاّ بإسم الجلالة و قوله: لَمِنَ ٱلصّادِقينَ، معناه أقسم باللّه إنّي صادق في القذف.

وَ ٱلْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ، وَ يَدْرَؤُا عَنْهَا ٱلْعَذابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَـهَاداتٍ بِـاللَّهِ إِنَّـهُ لَـمِنَ ٱلْكَـاذِبِينَ، وَ ٱلْخَامِسَةَ أَنْ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَاۤ إِنْ كَانَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ

وَ ٱلْخَامِسَةُ أَي الشّهادة الخامسة أَنَّ لَغَنَةَ ٱللّهِ عَلَيْهِ أَي على القاذف إن كان، في قذفه، مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ، وَ يَدْرَوُّا عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَي يَرفع العذاب عن الزّوجة الملاعنة أَنْ تَشْهَد أَرْبَعَ شَهاداتٍ بِاللّهِ إِنَّهُ أَي القاذف مِنَ ٱلكاذِبِينَ وَ ٱلْخَامِسَةُ أَي تشهد شهادة خامسة بعد الأربع أَنَّ غَضَبَ ٱللهِ عَلَيْها أَي على المرأة المقذوفة إِنْ كَانَ القاذف مِنَ ٱلصّادِقينَ و قد مَرَّ الكلام في الأيات بما لا مزيد عليه ثمّ قال تعالى:

## وَ لَوْلا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكيمٌ

قيل جواب، لولا، محذوف و تقديره لولا فضل الله عليكم و رحمته لفضحكم بما ترتكبون من الفاحشة و لعالجكم بالعقوبة و ما يجري مجراه و مثله قولهم لو رأيت فلاناً و في يده السيف، أي لرأيت شجاعاً هكذا قيل و الأمر سهل إذ لا شك أنّ الله تعالى دائم الفضل على البرية و قد ورد في الدُّعاء عاملنا بفضلك و لا تعاملنا بعدلك و من المعلوم المسلّم أنّ الله تعالى أرأف و أشفق بعباده من الوالد الشَّفيق بولده و أمّا قوله: وَ أَنَّ ٱللَّهَ تَوالله كريم حكيم، قال الرّاغب في المفردات التواب العبد الكثير التَّوبة و قد يقال لله ذلك لكثرة قبوله توبة العباد حالاً بعد حال إنتهى.

و على هذا فمعنى التّواب في حقّه تعالى هو أنّه يقبل التّوبة عن عباده كثيراً و أنّه تعالى حكيمٌ أي يضع كلّ شئ في موضعه.

#### تنبية:

قال بعض المحقّقين المراد بقبول التّوبة إسقاط العقاب بها و هذا المعنى ممّا أجمع عليه علماء الإسلام و أنّما الخلاف في أنّه هل يجب على اللّه القبول حتّى لو عاقب بها بعد التوبة كان ظلماً أو هو تفَّضل منه و رحمة و كرم لعباده فالمعتزلة على الأوّل و الأشاعرة على الثّاني و هو الّذي إختاره الشّيخ أبو جعفر الطُّوسي في كتاب الإقتصاد و العّلامة في بعض كتبه و توَّقف الطُّوسي في التّجريد إنتهى. أقول يمكن الإستظهار من الآية أنّ القول الثّاني أقوى و ذلك لأنّه تعالى جمع فيها بين التَّفضل و التَّوبة فأثبت أوّلاً التَّفضل و قال لولا فضل الله عليكم.

ثانياً: قبول التّوبة بقوله و أنّ اللّه توّابٌ حكيم فيصير المعنى أنّ قبول التّوبة منه تعالى للتَّفضل و هو المطلوب.

إن قلت قوله: تَوَّالُبُ، من صيغ المبالغة أي كثير التَّوبة و هو لا يعقل في حقّ الله تعالى بل يليق بشأن العبد المذنب.

قلت لا شكّ في أنّه من صيغ المبالغة و أمّا القول بأنّه لا يجري في اللّه فليس كذلك فأنّه تعالى رجّاعٌ على العباد بالمغفرة فالتّواب من النّاس الرّاجع إلى اللّه و من اللّه الرّاجع إلى المغفرة.



ضياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ المجلد الثاني عشر

إِنَّ ٱلَّـذِينَ جَآءُو بِالْإِفْكِ عُـصْبَةٌ مِـنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُـوَ خَـيْرٌ لَكُـمْ لِكُـلَّ آمْرِئُ مِنْهُمْ مَا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْم وَ ٱلَّـذَى تَوَلِّي كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذابٌ عَظيمٌ (١١) لَوْلا إذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَ ٱلْمُؤْمِنَاتُ بأَنْفُسِهمْ خَيْرًا وَ قَالُوا هَـٰذَآ إِفْكٌ مُسبِينٌ (١٢) لَوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَاذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدْآءِ فَأُولٰتِكَ عِنْدَ ٱللَّهِ هُـمُ ٱلْكَاذِبُونَ (١٣) وَ لَوْلًا فَصْلُ ٱللَّه عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ فَي ٱلدُّّنْيَا وَ ٱلْأَخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فَى مَاۤ أَفَضْتُمْ فَـيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقُّونَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَ تَقُولُونَ بِأَفْواْهِكُمْ مَا لَـيْسَ لَكُـمْ بِـهِ عِلْمٌ وَ تَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَ هُوَ عِنْدَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَ لَوْلاً إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَآ أَنْ نَتَكَلَّمَ بهٰذا سُبْحانك هٰذا بُهْتَانٌ عَظيمٌ (١٤) يَعظُكُمُ ٱللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُـؤْمِنينَ (١٧) وَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَّاتِ وَ ٱللَّـهُ عَـليمُ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشيعَ ٱلْفَاحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا لَهُمْ عَـذَاٰبُ ٱليـمُ فِي ٱلدُّّنْيَا وَ ٱلْاٰخِرَةِ وَ ٱللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْـتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) وَ لَوْلًا فَـضْلُ ٱللَّـهِ عَـلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَحيمٌ (٢٠)

### ✔ اللّغة

الْإِفْكِ: بكسر الهَمَزة و سكون الفاء و الكاف كلّ معروف عن وجهه الّذي يحقّ أن يكون عليه و منه قيل للرّياح العادلة من المهاب مؤتفكة و منه قوله: فاتلَهُمُ الله أنى يُؤْفَكُونَ (١) أي أنّى يصرفون عن الحقّ في الإعتقاد إلى الباطل.

عُصْبَةً: العصبة بضّم العين و سكون الصّاد الجماعة يقال تعَصب القوم إذا إجتمعوا على هيئة فشّد بعضهم بعضاً و العصبة في النَّسب العشيرة المقتدرة. آلاِثْم: بكسر الهَمَزة الذَّنب.

كِبْرَهُ بكسر الكاف و فتح الباء مصدر من معنى الكبير من الأمور قال أبو عبيدة فرَّقوا بينه و بين مصدر الكبر في السِّن يقال فلان ذو كبر اى ذو كبرياء.

بُهْتْانٌ: بضّم الباء الكذب الّذي فيه مكابرة تحيّر يقال بهته يبهته بهتاً و بهتاناً إذا حيّره بالكذب عليه.

آلْفًاحِشَةُ: الفحش القبيح و الباقي واضح.

### ◄ الإعراب

عُصْبَةٌ مِنْكُمْ هي خبر، إنّ، و منكم نعتٌ لها. لا تَحْسَبُوهُ مستأنف و الهاء ضمير الإفك أو القذف إِذْ تَلَقَّوْنَهُ العامل في، إذ، مسكم أو أفضتم أَنْ تَعُودُوا مفعول له و التقدير كراهة أن تعودوا.

## ◄ التّفسير

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرَّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئُ مِنْهُمْ مَا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَ ٱلَّذِي تَوَلَّى كَبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



> المجلد الثاني عشر

إعلم أنّ هذه الآية و الأيات بعدها في قصّة الإفك و هي مشهورة ذكرها البخاري و مسلم و غيرهما من المؤّرخين بتفصيلها و من أراد الوقوف عليها كذلك فعليه بالكتب الموضوعة لهذه الأمور و نحن نشير اليها إجمالاً على ما ذكره القرطبي في تفسيره لهذه الآية قال ما هذا لفظه.

يوقظها إلا قول صفوان بن المعطّل، إِنَّا لِلّهِ وَ إِناً إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، و ذلك أنّه كان تخلّف وراء الجيوش (الجيش) لحفظ السّاقة و قيل أنّها إستيقظت لإسترجاعها و نزل عن ناقته و تنحى عنها حتّى ركبت عائشة و أخذ بقودها حتّى بلغ بها الجيش في نحر الظّهيرة فوقع أهل الإفك في مقالتهم و كان الّذي يجتمع اليه فيه و يستويشه و يشعله عبد اللّه بن أبّي بن سلول المنافق و هو الّذي رأى صفوان آخذاً بزمام ناقة عائشة فقال و اللّه ما نجت منه و لا نجى منها و قال إمرأة نبيّكم باتت مع رجل و كان من قالته حسّان بن ثابت و مسطح بن أثاثة و حمنة بنت بحش هذا إختصار الحديث و هو بكماله و إتقانه في البخاري و مسلم و هو في مسلم أكمل و لمّا بلغ صفوان قول حسّان في الإفك جاء فضربه بالسّيف ضربةً على رأسه و قال:

 اللَّهُ وَلَهُ اللَّهِ عَلَى أَنَّ حَسَّانَ و إستوهبه أيَّاه و هذا يدلُّ على أنَّ حسَّانَ ممِّن تـوَّلى الكبر على ما يأتي و الله أعلم، إنتهى ما نقله القرطّبي في تفسيره.

و قال الزّمخشري في الكشّاف العصّبة الجماعة من العشرة الى الأربعين و كذلك العصابة، و أعصو صبوا إجتمعوا و هم عبد الله بن أبّي رأس النّفاق و زيد بن رفاعة و حسّان بن ثابت و مسطح بن أثاثة و حمنة بنت جحش و من ساعدهم

إذا عرفت قصّة الإفك إجمالاً فلنرجع الى تفسير الآيـة و نـقول قـوله: إنَّ ٱلَّذينَ جَآءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ هو عبدالله أبّي و من كان معه وأنّما عبّر عنهم بالعصبة لكونهم مجتمعين على القول بالإفك.

و قوله: لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ قيل الخطاب لعائشة و أهلها و صفوان و المعنى لا تحسبوا الإفك شّراً لكم بل هو خيرٌ لكم لرجحان النُّفع و الخير على جانب الشّر و ذلك لأنّ اللّه يبرئ ساحته ببرائتها و ينفعها بصبرها و إحتسابها و يلزم أصحاب الإفك ما إستَّحقوه بالإثم الذِّي إرتكبوه كما قال: لِكُلِّ آمْرِيٌّ مِنْهُمْ مَا آكْتَسَبَ مِنَ آلْإِثْم أي لكِلِّ واحدٍ من أصحاب الإفك عقابه يوم القيامة بسبب العصيان الّذي إرتكبَه وَ ٱلّذي تَـوَلَّى كِـبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ المراد بالموصول هو إبن أبّي بن سلول فأنّه الّذي توَّلي و تحمَّل ذلك أوّلاً و أنَّما قال كبره منهم، لأنّه كان كبير قومه و قرأ أبوجعفر المدنى كُبِره بضّم الكاف و الباقون بكسرها فالكُبَر بضّم الكاف من كبر السِّن و هو جزء ١٨ كان كذلك و كيف كان لا خلاف عند المفسّرين في أنّ المراد بالكبر هو إبن أبّي سلول.

و نقل عن عايشة أنّه حسّان و أنّها قالت حين عمى حسّان، لعـلّ العـذاب العظيم الّذي أوعده اللّه به هو ذهاب بصره رواه عنها مسروق و المشهور هـو القول الأوّل حكى أبو عمرو بن عبد البّر أنّ عائشة برئت حسّان من الفرية و قالت أنّه لم يقل شيئاً وقد أنكر حسّان أيضاً أن يكون قال شيئاً من ذلك في قوله:

لقرآن

4

اء القرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ المجلد الثنائي

و تصبح غرقى من لحوم القوافل نبي الهدى و المكرمات الفواضل كرام المساعي مجدها غير زائلٍ و طهرها من كل شينٍ و باطلٍ فلل رفعت سوطي إلَّي أناملى لأل رسول الله زين المحافل تقاصر عنها سورة المتطاول

حسمانُ رزانُ ما نزَّن بريبةٍ حليلة خير الناس ديناً و منصباً عقيلة حيًّ من لؤي بن غالبٍ مهذبةٍ قد طيَّب الله خيمها فأن كان ما بلغت أنّي قلته فكيف و ودَّي ما حييت و نصرتي له ربُّ عالِ على النّاس فضلها

قيل أنّه لمّا أنشدها، قالت له عائشة لست كذلك هذا ما ذكره القرطبي و اللّه أعلم.

وإعلم أنّهم إختلفوا هل حدُّ النّبي أصحاب الإفك على قولين:

أحدها: أنّه لم يحدّ أحداً من أصحاب الإفك لأنّ الحدود أنّما تقام بإقرارٍ أو بيّنةٍ و لم يتعبّده اللّه أن يقيم بإخباره عنها كما لم يتعبّده بقتل المنافقين و قد أخبره بكفرهم.

الثّاني: أنّ النّبي اللّه الله عنه الله الله الله بن أبّي و مسطح بن أثاثة و حسّان بن ثابت و حمنة بنت جحش و في ذلك قال الشّاعر:

لقد ذاق حسّان الّـذي كان أهله وحسنة إذ قالوا هجيراً و مسطحُ وإبن سلولٍ ذاق في الحدّ خزية كما خاض في إفكِ من القول لفصح تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم و سخطة ذي العرش الكريم فأبرحوا و أذوا رسول اللّـه فيها فجّللوا مسخازي تسبقى عسموها فيضحوا فسضّب عليهم محصدات كأنّها شأبيب قطرٍ من ذرى المزن تسفح قال القرطبي بعد نقله ما نقلناه و الأشعار.

قلت المشهور من الأخبار و المعروف عند العلماء أنّ الّـذي حـدٌ حسّـان و مسطح و حمنة و لم يسمع بحدً لعبد الله بن أبّي إنتهى كلامه في المقام.

أنا أقول ما ذكره القرطبي و سمّاه بالمعروف عند العلماء لا دليل عليه و لعلُّ المقصود من العلماء في كلامه علماء القرطبة و على فرض صحّة نقله لم لم يحدّ عبد الله إبن أبّي و هو رأسهم و رئيسهم بل هو أوّل من قال بالإفك و من المعلوم أنّ تعطيل الحدّ لا يجوز و لا سيّما على رسول اللّه هذا كلّه مضافاً إلىٰ أنّ الحدود لا تقام إلاَّ بإقرار من القاذف أو بيّنةٍ و كلاهما مفقودان في المقام اللَّهم إلاَّ أن يقال في المقام و أمثاله بالتَّعزير حسب ما يراه الحاكم وكيف كان لا يهمّنا البحث فيه.

قال الرّازي في المقام أجمع المسلمون على أنّ المراد ما أفك به على عائشة و أنَّما وصف اللَّه ذلك الكذب بكونه إفكاً لأنَّ المعروف من حال عائشة خلاف ذلك لوجوه:

أحدها: أنَّها كانت زوجة للرَّسول المعصوم و العصمة تـمنع مـن ذلك لأنَّ الأنبياء مبعوثون إلى الكفّار ليدعوهم و يستعطفوهم فوجب أن لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم وكون الإنسان بحيث تكون زوجته مسافحة من أعظم المنفرات فأن قيل كيف يجوز أن تكون إمرأة النّبي كافرة كإمرأة نوح ولوط و لم يجز أن تكون فاجرة و أيضاً لو لم يجز ذلك لكان الرّسول أعرف النّاس بـإمتناعه و لو عرف ذلك لما ضاق قلبه و لما سأل عائشة عن كيفيّة الواقعة.

قلنا الجواب عن الاوّل، أنّ الكفر ليس من المنفرات أمّا كونها فاجرة فمن المنفرات و عن الثّاني، أنّه عليه السّلام كثيراً ما كان يضيق قلبه من أقوال الكفّار وزء١٨ كم علمه بفساد ذلك الأقوال.

ثانيها: أنَّ المعروف من حال عائشة قبل ذلك أنَّما هو الصُّون و البعد من مقدّمات الفجور و من كان كذلك كان اللاّئق إحسان الظنّ به.

ثالثها: أنّ القاذفين كانوا من المنافقين و أتباعهم و قد عرف أنّ كلام العدّو المفتري ضربٌ من الهذيان فلمجموع هذه القرائن كان ذلك القول معلوم الفساد قبل نزول الوحى إنتهى ما أردنا ذكره. أقول ما ذكره في برائتها غير معتمدٌ فأنّ عائشة لم تكن معصومة و غير المعصوم كائناً من كان يجوز عليه الخطأ و الذي يعتمد عليه في المقام في براءة ساحتها هو الوحي لا ما ذكره الرّازي و بعد نزول الوحي فصرف الكلام و الإعراض عمّا قيل أو يقال في هذا الباب أولى و قد ذكر الرّازي قصّة الإفك بوجه أبسط و قال في أواخر القصّة نقلاً عن عائشة ما يفضي إلى التّعجب أن شئت فراجع كتابه.

لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَ ٱلْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْـفُسِهِمْ خَـيْرًا وَ قَالُوا هَٰذَآ إِفْكُ مُبِينٌ

قيل معنى الكلام هلا حين سمعتم هذا الإفك من القائلين ظن المؤمنون بالمؤمنين الذين هم كأنفسهم خيراً لأن المؤمنين كلّهم كالنَّفس الواحدة فيما يجري عليها من الأمور فإذا جرى على أحدهم محنة فكأنّه جرى على جماعتهم فهو كقوله: قَسَلِمُوا عَلْى أَنْفُسِكُمْ (١).

هذا ما قاله مجاهد و في، لولا، بمعنى، هلاً، قال الشَّاعر:

يعدّون عقر النّيب أفضل مجدكم بني ضوطري للوا الكّمي المقنّعا أي فهّلا تعدون قتل الكمي و قوله تعالى: وَ قَالُوا هَذْ آ إِفْكُ مُبينٌ معناه و هلا قالوا هذا القول كذبٌ ظاهرٌ و معنى ظنِّ المؤمنون بأنفسهم خيراً، أي كان يقيس فضلاء المؤمنين و المؤمنات هذا الأمر على أنفسهم فإذا كان ذلك يبعد عليهم قضوا بأنّه في حقّ غيرهم أبعد، و قيل معنى بأنفسهم أمّهاتهم و قيل بأهل دينهم و قيل غير ذلك و الحاصل من جميع الأقوال هو أنّ المؤمنين كالنّفس الواحدة فينبغي للمؤمن أن يرضى لغيره ما يرضى لنفسه و إذا كانوا كذلك فلا محالة يقولون هذا إفكّ مبين، أي كذبٌ ظاهر لا خفاء فيه.

# لَوْلَا جُآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَداآءَ فَاذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَداآءِ فَأُولٰـبِّكَ عِنْدَ ٱللهِ هُمُ ٱلْكَاذِبُونَ

جعل الله تعالى فصلاً بين الرَّمي الكاذب و الرَّمي الصّادق بثبوت أربعة شهداء و إنتفاؤها فإذا لم يأتوا بها فهم في حكم الله و شريعته كاذبون و هذا توبيخٌ و تصنيفٌ للّذين سمعوا الإفك و لم يجدوا في دفعه و إنكاره و إحتجاجٌ عليهم بما هو ظاهرٌ مكشوف في الشّرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بيّنةٍ و التّنكيل.

# وَ لَوْلا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَ ٱلْأَخِرَةِ لَمَسَّكُمْ في لَمْ أَفَضْتُمْ فيهِ عَذَابٌ عَظيمٌ

قيل في معناه لولا فضل الله في الدُّنيا بالنَّعم التّي منها الإمهال للتّوبة و رحمته عليكم في الأخرة بالعفو و المغفرة، لمَّسكم العذاب فيما خضتم فيه من حديث الإفك يقال أفاض في الحديث و إندفع و هضب و خاض و قيل في الآية تقديم و تأخير و تقديره و لولا فضل الله عليكم و رحمته لمَّسكم فيما أفضتم فيه عذابٌ عظيم في الدّنيا و الأخرة.

و للجبائي في المقام كلام لا بأس بذكره و هو أنّ الآية دالّة على كذب من قذف عائشة و أفك عليها و أمّا في غيرها إذا رماها الإنسان فأنّا لا نقطع على كذبه عند اللّه و أن أقمنا عليه الحدّ و قلنا هو كاذبٌ في الظّاهر لأنّه يجوز أن يكون صادقاً عند اللّه إنتهى كلامه.

و لقائلٍ أن يقول ما الفرق بين عائشة و غيرها في المقام فأن هذا الحكم جار في عائشة و غيرها اللهم الا أن يقول الجبائي بعصمة عائشة و لا يقول بها من أمن بالله و اليوم الأخر فأن مقام العصمة في الإسلام تختص بالزّهراء سلام الله عليها بشهادة أية التَّطهير و أمّا غيرها فلا نعم دلّت الآية على عدم قبول قول القاذف بمجرّد الرّمي بالقذف و لا فرق فيه بين عائشة و غيرها و هذا ظاهر و تفصيل الجبائي بينها و بين غيرها لا محلّ له.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷

ا المجلد الثاني ، آز \ \ المجلد الثاني ، العامل في، إذ، لمَّسكم و تقدير الكلام، لمَّسكم عذابٌ عظيم حين تلَّقونه بالسنتكم و معناه برواية بعضكم عن بعض لتشييعه في قول مجاهد.

و روي عن عائشة أنّها قرأت، تِلقُّونه، بفتح النّاء و كسر اللاّم و ضمّ القاف من ولق الرّجل إذا كذب حكاه أهل اللّغة و قيل هو الإستمرار على الكذب و منه، ولق، فلان في السَّير إذا إستَّمر به.

أقول قرأ المشهور تَلَقُونه بفتح الثّلاث و شدّ القاف و على هذا فهو فعل مضارع حذفت أحدى تائيه و هو مرفوع و علامة رفعه ثبوت النّون و الواو فاعل و الهاء مفعول به، و التلقّي، و التلقّف، و التلقّن، معانٍ متقاربة و الجملة في محلّ جرّ بإضافة الظّرف إليها و المراد يرويه بعضكم عن بعض.

و أمّا على قراءة كسر اللآم فهو من ولق يلق إذا كذب أو إستَّمر على الكذب. و أمّا قوله: تَقُولُونَ بِأَفُواْهِكُمْ ما لَيْسَ لَكُمْ بِهِعِلْمٌ فالمعنىٰ تقولون بأفواهكم و تديرونها من غير علم لأنّ الشّي المعلوم يكون في القلب ثمّ يعبّر عنه باللّسان و هذا الإفك ليس محلّه إلاّ الأفواه فهو من قبيل قوله: يَقُولُونَ فِي اللّسانة ما ليس في قُلُوبِهِمْ (١) و من المعلوم أنّ العاقل لا يقول بلسانة ما ليس في قلوبه كما أنّ قلب الأحمق وراء لسانة و هذا هو الفرق بين العاقل و الأحمق.

و قوله: وَ تَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَ هُوَ عِنْدَ ٱللهِ عَظيمٌ أي تظَنونه حقيراً و هو حزء ١٨ عند الله عظيم لأنّه يوجب هتك المؤمن و هو كما ترى.

> وَ لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنْآ أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهِذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ



ضياء الفرقان في تفسير القرآن

أي هلا إذ سمعتم الإفك و الإفتراء من هؤلاء العصبة قلتم، في جوابهم ما يكون لنا أن نتكلّم بهذا أي ليس لنا ذلك بل هو محرّمٌ علينا و قلتم سبحانك يا ربّنا هذا الّذي قالوه بهتانٌ عظيم أي كذبٌ و زورٌ، فالبهتان الكذب الّذي فيه مكابرة تحّير يقال بهته يبهته بهتاً و بهتاناً إذا حيَّره بالكذب عليه، و ذلك لأنّه لم يدلّ دليل على صدق القائل و ما كان كذلك فهو بهتانٌ و كذب و توضيحه إجمالاً: هو أنّ الخبر يحتمل الصّدق و الكذب و إذا كان كذلك فهلا حملتموه على الكذب و يستفاد من الآية أنّ الأصل في القذف هو الكذب و أمّا الصّدق فيحتاج إلى دليل و هو أربعة شهود سواء كان القاذف مسلماً أو فاسقاً و كافراً و أمّا في غير القذف فأن كان القائل مؤمناً أو مسلماً فالأصل في كلامه الصّدق حتّى يثبت كذبه و أن كان فاسقاً فبالعكس لقوله تعالى: إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيّئُونَ (١)

# يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِةِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ

قال في المفردات الوعظ زجرٌ مقترن بتخويف و قال الخليل هو التّذكير بالخير فيما يرَّق له القلب و العظة و الموعظة، الإسم إنتهي.

و معنى الآية يعظكم الله أيّها المؤمنون أن تعودوا، أي ترجعوا، لمثله، أي لمثل الإفك، أبداً، أي طول أعماركم إن كنتم مؤمنين بالله و اليوم الأخر، مصدّقين بالله و نبيّه، قابلين وعظ الله و أنّما علّق ذلك على الإيمان لأنّ من لَم يؤمن بالله لا يقبل موعظته لأنّ القبول فرع المعرفة.

# وَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَّاتِ وَ ٱللَّهُ عَلَيْمٌ حَكَيْمٌ

المراد بالأيات الدّلالات و الحجّج العقليّة و الشّرعية التّي تتّم بها الحجّة على العبد و قوله: و آللّه عَليم حكيم، معناه أنّه تعالى عالم بما يكون منكم حكيم فيما يفعل و لا يضع الشّئ إلا في موضعه و قد مرّ الكلام فيه غير مرّة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشيعَ ٱلْفَاحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا لَهُمْ عَذاٰبُ أَلْدِينَ اٰمَنُوا لَهُمْ عَذاٰبُ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَ ٱلْاٰخِرَةِ وَ ٱللهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ

المراد بالفاحشة الأفعال القبيحة الشّنيعة و معنى الآية أنّ الّذين يحبّون و يؤثّرون أن تظهر الفاحشة في الّذين أمنوا لهم عذابٌ أليم يوم القيامة أي عذابٌ موجع جزاءً على أعمالهم في الدّنيا بإقامة الحدّ عليهم و في الأخرة بعذاب النّار و الله يعلم ذلك و أنتم لا تعلمون، و الظّاهر في الّذين يحبّون أن تشيع الفاحشة العموم في كلّ قاذفٍ منافقاً كان أو مؤمناً و تعليق الوعيد على محبّة الشّياع دليل على أنّ إرادة الفسق ليس بفسقي كما ثبت على أنّ إرادة الفسق ليس بفسقي كما ثبت في موضعه نعم حبّ الفسق فسقٌ كما أشار الله إليه و الفرق بين الإرادة و الحبّ في موضعه نعم حبّ الفسق فسقٌ كما أشار الله إليه و الفرق بين الإرادة و الحبّ في موضعه نعم حرّ الفسق فاسقٌ بلاكلام.

و قوله: وَ **ٱللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**، معناه أنّه تعالى يعلم قبح ذلك و أنتم لا تعلمون.

## وَ لَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَحيِمٌ

جواب، لولا، محذوف لدلالة الكلام عليه أي و لولا فضل الله عليكم و رحمته و أنّ الله رؤوفٌ بالبَّرية، رحيمٌ بقبول التّوبة ممّن قذف، لعاقبكم و أهلككم و عاجلكم بالعقوبة و لكنّه لم يعاجلكم بها لفضله و رحمته و رأفته و هو كذلك.

يْآ أَيُّهَا ٱلَّذينَ اٰمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواٰتِ ٱلشَّيْطَانِ وَ مَنْ يَتَّبعُ خُـطُواتِ ٱلشَّـيْطانِ فَـإِنَّهُ يَأْمُـرُ بِالْفَحْشٰآءِ وَ ٱلْمُنْكَرِ وَ لَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدِ أَبَدًا وَ لَكِنَّ ٱلله يُزَكِّي مَنْ يَشْآءُ وَ ٱلله سَميعُ عَليمٌ (٢١) وَ لَا يَأْتَل أُولُوا ٱلْفَصْل مِنْكُمْ وَ ٱلسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوٓا أُولِي ٱلْقُرْبٰي وَ ٱلْمَسْاكينَ وَ ٱلْمُهَاجِرِينَ في سَبيل اللهِ وَ لْيَعْفُوا وَ لْيَصْفَحُوٓا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ ۚ ٱللّٰهُ لَكُمْ وَ ٱللّٰهُ غَفُورٌ رَحيمٌ (٢٢) إِنَّ ٱلَّذينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَاتِ ٱلْغَافِلاتِ ٱلْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي ٱلدُّنْيا وَ ٱلْأَخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْديهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٢) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ (٢٥) ٱلْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَ ٱلْخَبِيثُونَ للْخَبيثاتِ وَ ٱلطَّيّبَاتُ لِـلطَّيّبينَ وَ ٱلطَّـيِّبُونَ لِلطَّيّبٰاتِ أُولٰئِكَ مُبَرَّؤُنَ مِـمًّا يَـقُولُونَ لَـهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (٢٤) يَاۤ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَ تُسَلِّمُوا عَلٰيَ أَهْلِهَا ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فيهآ أَحَدًا فَـلًا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَ إِنْ قَيْلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا

رقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ المجلد الثاني ع

ضياء الغرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ المجلد الثاني عشا

فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكٰى لَكُمْ وَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُـيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فيها مَتَاعٌ لَكُمْ وَ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا تَكْتُمُونَ (٢٩) قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَـصْنَعُونَ (٣٠) وَ قُــلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَ لَا يُبْدينَ زيـنَتَهُنَّ إِلَّا مُـا ظَـهَرَ مِنْهَا وَ لْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَ لَا يُبْدينَ زينَتَهُنَّ إِلَّا لِـبُعُولَتِهنَّ أَوْ اٰبآئِـهنَّ أَوْ أَبْآء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْواٰنِهِنَّ أَوْ بَنيَ إِخْواٰنِهِنَّ أَوْ بَنيَ أَخَواٰتِهنَّ أَوْ نِسٰآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي ٱلْإِرْبَـةِ مِـنَ ٱلرَّجْــال أُو ٱلطِّــفْل ٱلَّذَينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْراٰتِ ٱلنِّسْآءِ وَ لَا يَـضْربْنَ بأَرْجُـلِهنَّ لِـيُعْلَمَ مُـا يُـخْفينَ مِـنْ زيسنَتِهنَّ وَ تُدوبُوا إلَى ٱللَّهِ جَميعًا أيُّه َ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَـعَلَّكُمْ تُـفْلِحُونَ (٣١) وَ أَنْكِحُوا ٱلْأَيْامٰي مِنْكُمْ وَ ٱلصَّالِحينَ مِـنْعِبَادِكُمْ وَ إِمْآئِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَراآءَ يُعْنِهِمُ ٱللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ ٱللَّهُ واٰسِعٌ عَـليِمٌ (٣٢) وَ لْـيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُعْنِيَهُمُ ٱللَّـهُ

مِنْ فَصْلِهِ وَ ٱلَّـذينَ يَـبْتَغُونَ ٱلْكِـتَابَ مِـمًّا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمْتُمْ فيهِمْ خَيْرًا وَ أَتُوهُمْ مِنْ مَالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيِّ أَتَيْكُمْ وَ لَا تُكْرهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغْآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنَّا لتَبْتَغُوا عَرَضَ ٱلْحَيْوةِ ٱلدُّنْيَا وَ مَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْراٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَحيمٌ (٣٣) وَ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ أَيَّاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَ مَـثَلًّا مِـنَ ٱلَّذينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مَـوْعِظَةً لِـلْمُتَّقينَ (٣٢) ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمٰواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكُوةِ فيها مِصْباحٌ ٱلْمِصْباحُ في زُجاجَةٍ ٱلزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبُ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةِ زَيْتُونَةِ لا شَرْقِيَّةٍ وَ لا غَرْبيَّةٍ يَكْـادُ زَيْتُهَا يُضَيُّءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُور يَهْدِي ٱللهُ لِنُورِهٖ مَنْ يَشْآءُ وَ يَـضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ (٣٥) في بُيُوتِ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فيهَا ٱسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فيها بِالْغُدُوِّ وَ ٱلْأَصْالِ (٣٥) رجالٌ لا تُلْهيهمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَ إِقَامَ ٱلصَّلُوةِ وَ ايِتٰآءِ ٱلزَّكُوةِ يَخْافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فيهِ ٱلْقُلُوبُ وَ ٱلْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَ يَزيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ ٱللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشْآءُ بِغَيْرِ حِسْابِ (٣٨)

رقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ المجلد الثاني عث

#### ◄ اللّغة

خُطُواْتِ آلنَّيْطُانِ، الخُطوة: بضّم الخاء و سكون الطّاء و فتح الواوما بين القدمين و الشّيطان من شطن أي تباعد و منه بئرٌ شطون و على هذا فالنُّون فيه أصليّة و قيل أنّها من شاط يشيط، إحترق غضباً قيل هو مخلوق من النّار بناءً على كونه من الجنّ لقوله تعالىٰ: وَ خَلَقَ ٱلْجَآنَ مِنْ فارج مِنْ فار (١)

و قال أبو عبيدة هو إسم لكل عارم من الجن و الإنس و الحيوانات لقوله تعالى: شَياطينَ ٱلْإِنْسِ وَ ٱلْجِنِ (٢).

زَكٰي: أي طهر.

وَ لا يَأْتَلِ: الإيتلاء القسم يقال ألى يؤلي إيلاء إذا حلف على أمرٍ من الأمور، و يأتل، على وزن يفتعل، من الأليّة مثل يقتضي من القضيّة.

لْيَعْفُوا وَ لْيَصْفَحُوّا: العافي التّارك للعقوبة على من أذنب إليه، و الصَّفح بفتح الصّاد و سكون الفاء و الحاء و الصَّفح عن الشّيئ أن يجعله بمنزلة ما مرَّ صفحاً.

أَنْخَبِتْ: الفاسد الذّي يتزايد في الفساد تزايد النّامي في النّبات و نقيضه الطّيب قيل الحرام كلّه خبيث و الحلال كلّه طيّب.

مُبْرَّوُنَ: أي منَّزهون يقال برئت ساحته عن الذَّنب.

يَغُضُّوا: الغض بفتح الغين و سكونالضّاد المشّددة في الأصل النُّـقصان مـن الطّرف و الصَّوت و ما في الأناء يقال غضَّ و أغضَّ، و الغَّض الطّري الّـذي لم يطل مكثه.

يبُدينَ: من أبدى أي أظهر.

بِخُبُرِهِنَّ: الخمار غطاء رأس المرأة المنسل على جبينها و جمعه، خمر، وقيل هي المقانع جمع مقنعة.



## ◄ الإعراب

يَوْمَ تَشْهَدُ العامل في الظّرف معنى الإستقرار في قوله، و لهم عذاب لَهُمْ مَغْفِرَةٌ يجوز أن يكون مستأنفاً و أن يكون خبراً بعد خبر مِنْ أَبْصْادِهِمْ من للتّبعيض و قيل هي زائدة و قيل لبيان الجنس غَيْر أُولِي ٱلْإِرْبَةِ بالجرّ على الصّفة و البدل و بالنَّصب على الحال أو الإستثناء و مِنَ الرِّجالِ نصب على الحال مِنْ زَبِنتَهِنَّ حال و الباقي واضح.

## ▶ التّفسير

يٰآ أَيُّهَا ٱلَّذينَ اٰمَنُوا لَا تَــتَّبعُوا خُـطُواٰتِ ٱلشَّــيْطَانِ وَ مَــنْ يَــتَّبعْ خُطُواٰتِ ٱلشُّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ وَ ٱلْمُنْكَرِ وَ لَوْلِا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ مَا زُكِي مِنْكُمْ مِنْ أَحَدِ أَبَدًا وَ لَكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشْآءُ وَ ٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيمٌ

الخطاب عام يشمل جميع المؤمنين المعترفين بتوحيد الله المصدقين لرسله ينهاهم فيه عن إتّباع خطوات الشّيطان و المعنى لا تسلكوا مسالكه و لا تذهبوا مذهبه، و الإتّباع الذّهاب فيما كان من الجهات التّي يدعوا الدّاعي إليها بذهابه فيها فمن وافق الشّيطان فيما يدعوا إليه من الضّلال فقد إتَّبعه و أنّما نهي الله المؤمنين عن إتّباعه لأنّه لا يأمر بالفحشاء و المنكر يعني القبائح من الأفعال مزء ٨٨> و الأقوال و الفحشاء كلّ قبيح عظيم و المنكر الفساد الذّي ينكره العقل و يزجر عنه و قد نهي الله تعالى عن مُتابعة الشّيطان في كثيرٍ من الأيات.

قال بعض المفسّرين المراد بالفاحشة المساحقة و الأكثرون على أنّ المراد بها الزّناء.

قال اللّه تعالىٰ: قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّى ٱلْفَواٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَنَ (١) الآية قيل

الفواحش المعاصي و القبائح ما ظهر منها و ما بطن مثل قوله تعالى: و ذَرُوا ظَاهِرَ اللهُ وَبِاطِنَهُ (١).

و عن الباقر التَّالِيْ: ما ظهر هو الزّناء و ما بطن هو المحالة و قيل كلّ سوء جاوز حدّه فهو فاحش وفي الخبر أنّ الله يبغض الفاحش المتَّفحش، فالفاحش ذوي الفحش في كلامه والمتَّفحش من يتَّكلفه و يتَّعمده.

و في بعض الأحاديث هو كلّما يشتّد قبحه من الذّنوب و المعاصي و في قوله: وَ لَوْلا فَضْلُ ٱللّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا إشارة إلى أنّ الإنسان لا يقدر على التّخلص من شر الشّيطان إلاّ بتوفيقٍ من الله فالمعنى لولا فضل الله أي لطفه و عنايته ما طهر أحدٌ منكم من وساوسه و خدايعه فهو من قبيل قوله: وَ مَا أُبَرِّئُ نَفْسَى إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمْارَةُ بِالسُّوَءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبّيَ (٢).

و قال صاحب الكشّاف معناه و لولا فضل الله عليكم بالتَّوبة الممحصَّة لما طهر منكم أحد أخر الدَّهر من دنس إثم الإفك و لكنّ الله يطّهر التّائبين بقبول توبتهم إذا محصوها إنتهى كلامه.

أقول الظّاهر من الآية هو ما ذكرناه و أمّا تخصيصها بقصّة الإفك كما فعله صاحب الكشّاف لا دليل عليه، أمّا أوّلاً فلأنّ الآية بصدد بيان حكم كلّي و هو أنّ الشّيطان لا يأمر إلاّ بالسُّوء و العقل و الشّرع يحكمان بعدم متابعته.

ثانياً: أنّ قصة الإفك قد تمَّت مضافاً الى أنّ عائشة كانت كغيرها من النّساء في حرمة قذفَهن فقوله: ما طهَّر منكم أحد آخر الدَّهر من دنس إثم الإفك لا معنى له و الحاصل أنّ الحكم عام و لُكِنَّ ٱلله يُزَكِّى مَنْ يَشْآءُ و الله سَميع عليم قيل معناه من يعلم أنّ له لطفاً يفعله به ليزّكوا عنده، و قيل يزّكي من يشاء

بالنّناء عليه، و الّذي ظهر لي في معنى الكلام هو أنّ اللّه يزّكي أي يطّهر من دنس المعاصي من يشاء من عباده بقبول التَّوبة منه فأنّها هي المطَّهرة للذّنوب و قبولها لطفّ منه تعالى في حَّق عباده و اللّه سميعٌ عليمٌ، يفعل المصالح و الألطاف على ما يعلمه من المصلحة للمكَّلفين لأنّه يسمع أصواتهم و يعلم أحوالهم.

وَ لَا يَأْتَلِ أُولُوا اَلْفَضْلِ مِنْكُمْ وَ السَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوٓا أُولِى اَلْقُرْبَى وَ السَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوٓا أُولِى اَلْقُرْبَى وَ الْمَسْاكِينَ وَ الْمُهْاجِرِينَ في سَبيلِ اللَّهِ وَ لْيَعْفُوا وَ لْيَصْفَحُوٓا أَلَا تُحبُّونَ أَنْ يَغْفُرَ اللهُ لَكُمْ وَ الله غَفُورٌ رَحيمٌ

و لا يَأْتَلِ هو مضارع ائتلى من الإلية و هي الحلف قيل أنّ الآية نزلت في أبي بكر و مسطح إبن أثاثة و كان يجري عليه و يقوم بنفقته فقطعها و حلف أن لا ينفعه أبداً لما كان منه من الدّخول مع أصحاب الإفك في عائشة فلّما نزلت هذه الآية عاد أبو بكر له الى ما كان و قال و اللّه إنّي لأحّب أن يغفر الله لي و الله لا أنزعها عنه أبداً و كان مسطح إبن خالة أبي بكر و كان مسكيناً و مهاجراً من مكة الى المدينة و من جملة البدريّين.

و قيل الآية نزلت في يتيم كان في حجر أبي بكر حلف ألاّ ينفق عليه، و قيل نزلت في جماعة من أصحاب الإفك.

و قال قوم هذا نهيّ لجميع أولي الفضل و السّعة أن يحلفوا أن لا يؤتوا أولي القربي و قال قوم هذا نهيّ لجميع أولي و أعَّم فائدة و يدخل فيه ما قالوه و كان القربي و المساكين و الفقراء و هو أولى و أعَّم فائدة و يدخل فيه ما قالوه و كان عند من حدَّه النَّبي في قذف الإفك إنتهى ما ذكره في التّبيان.

أقول ما إختاره الشّيخ من الأقوال حول نزول الآية هو الحَّق و يؤيده أنّ أبا بكر لم يكن له مالٌ حتّى ينفق على غيره بل كان في زمرة الفقراء و المساكين و إذا كان كذلك فما ذكروه في هذا الباب إنّما هو من مجعولاتهم و ملفقاتهم حبّاً و كرامةً له و كيف كان لا يهمنا شأن النزول إذ خصوصيّة المورد لا تنافي عموم الحكم فأنّ اللّه تعالى نهى أولى الفضل و السّعة عن الحلف على عدم إعطاء أولي

سياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷

الاء بم

القربى و المساكين و المهاجرين في سبيل الله و أمرهم بالعفو عن مذنبهم و الصَّفح عن مسيئهم فأن الإنسان محّل النّسيان و الخطأ ففي الآية ترغيبٌ و تحريضٌ على الإعطاء و العفو عن المذنب و هذا حكمٌ عامٌ لا يختَّص بشخصٍ دون شخصٍ و لا بزمانِ دون زمان.

عن كتاب المحاسن عن أبي عبد الله الله الله عن ثلاثة من مكارم الدنيا و الآخرة: أن تعفو عمّن ظلمك، و تصل من قطعك، و تحلم إذا جهل عليك إنتهى.

و عن الباقر علي الله عنه الله الله به الله به المسلم إلا عزاً: الصَّفح عمَّن ظلمه و إعطاء من حرمه، وصلة من قطعه إنتهي.

و عن أبي عبد الله علي قال: قال رسول الله وَ الله عَلَيْ عليكم بالعفو فأنّ العفو لا يزيد العبد إلا عزاً فتعافوا يعزّكم الله إنتهى.

و عن الباقر عليه قال: النّدامة على العفو أفضل و ايسر من النّدامة على العقوبة إنتهى.

و عن أبي عبد الله التَّالِيَّةِ قال: قال رسول الله: إقبلوا العذر من كلّ متَّنصلٍ محقًا كان أو مبطلاً و من لم يقبل العذر منه فلا نالته شفاعتى إنتهى (١).

و محصّل الكلام أنّ ما نهى اللّه عنه و ما أمر به في هـذه الآيـة مـن مكـارم الأخلاق.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَاتِ ٱلْغَافِلاتِ ٱلْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي ٱلدُّنْيَا وَ ٱلْأَخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظيمٌ

المراد بالرَّمي القذف و المعنى أنَّ الذّين يقذفون العفائف من النّساء الغافلات، عن الفواحش، لعنوا في الدّنيا و الأخرة، و اللَّعن الطَّرد و المعنى

طردوا و أبعدوا عن رحمة الله في الدّنيا و بإقامة الحدّ عليهم و ردَّ شهادتهم و في الأخرة بأليم العقاب و لهم عذابٌ عظيمٌ عقوبةٌ لهم على قذفهم المحصنات و هذا وعيدٌ عامٌ لجميع المكلِّفين و خصّ بعض العامّة هـذا الحكـم بـمن قـذف عائشة لما رأوها نزلت الآية فيها و لم يعلموا أنّ الآية إذا نزلت على سبب لم يجب قصرها عليه كأية اللّعان و أية القذف و أية الظّهار و غير ذلك و متى حملت على العموم دخل من قذف عائشة في جملتها و العجب من صاحب الكشّاف فأنّه قد اتعب نفسه في تخصيص الآية بمن قذف عائشة فقال ما هذا لفظه ولو فليت القرآن كلّه و فتَّشت عمّا أوعد به العصاة لم تر اللّه تعالى قد غلظ في شئ تغليظه في إفك عائشة و لا أنزل من الأيات القوارع المشحونة بالوعيد الشّديد وّ العتاب البليغ و الزّجر العنيف و إستعظام ما ركب من ذلك و إستفظاع ما أقدم عليه ما أنزل فيه على طرق مختلفة و أساليب مفتّنة كلّ واحدٍ منها كان في بابه و لو لم ينزل إلاّ هذه الثّلاث لكفي بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدّارين جميعاً و توعَّدهم بالعذاب العظيم في الأخرة.

و بأن ألسنتهم و أيديهم و أرجلهم تشهد عليهم بـما أفكـوا و بـهتوا و أنّـه يوفيّهم جزاءهم الحقّ الواجب الّذي هم أهله حتّى يعلموا عند ذلك، أنّ اللّه هو الحقّ المبين، فأوجز في ذلك و أشبع و فصَّل و أجمل و أكدُّ و كرَّر و جاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الأوثان إلاّ ما هو دونه في الفظاعة و ما ذلك إلاّ لأمر و عن إبن عبّاس أنّه كان بالبصرة يوم عرفة و كان يسأل عن تفسير القرآن حتّى مزء ١٨ كل سأل عن هذه الأية: (الأيات) فقال من أذنب ذنباً ثمّ تاب عنه قبلت توبته إلا من خاض في أمر عائشة و هذه منه مبالغة و تعظيم لامر الافك ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة، برأ يوسف بلسان الشَّاهد، و شهد شاهدٌ من أهلها، و برأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الّذي ذهب بثوبه، و برأ مريم بإنطاق ولدها حين نادي من حجرها، إنّى عبد الله، و برأ عائشة بهذه الأيات العظام في كتابه المعجز المتلُّو على وجه الدّهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فأنظر كم بينها و بين تبرأة

لقرآن

الغرقان في تفسير القرآن كم محملاً العراقة

أولئك و ما ذاك إلاّ لإظهار علوّ منزلة رسول الله و التنبيه على أناقة سيّد ولد آدم و من أراد أن يتّحقق عظمة شأنه الله الله على قدمه و إحرازه لقصب السّبق دون كلّ سابق فليتّلق ذلك من آيات الإفك و ليتّأمل كيف غضب الله له في حرمته و كيف بالغ في نفي التّهمة عن حجابه.

فأن قلت أن كانت عائشة هي المرادة فكيف قيل المحصنات.

قلت فيه وجهان:

أحدهما: أن يراد بالمحصنات أزواج رسول الله و أن يخصّصن بأنّ من قذفهّن فهذا الوعيد لاحقّ به و إذا أردن و عائشة كبراهنّ منزلة و قربة عند رسول الله كانت المرادة أوّلاً.

الثّاني: أنّها أمّ المؤمنين فجمعت إرادة لها و لبناتها من نساء الموصوفات بالإحصان و الغفلة و الإيمان إنتهى موضع الحاجة من كلامه و من أراد الوقوف على تفصيل كلامه فعليه بمراجعة كتابه.

و نحن نقول الأيات الواردة في قصة الإفك دلّت على براءة ساحتها عن الإفك و أنّ ما قالوا فيه كذبّ محض و هذا ممّا لاكلام فيه و كفانا في ذلك نصّ الكتاب و الأخبار الواردة في الباب و لا نحتاج الى دليل آخر و أمّا ما ذكره الزّمخشري من أنّ الأيات تدلّ على فضل عائشة و أنّها كذا و كذا فهو من مستخرجات ظنّه الفاسد فأن لعن القذفة و توعدهم بالعذاب العظيم في الأخرة و شهادة ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم حكمٌ عام في حقّ جميع القاذفين و شهادة ألسنتهم وأيديهم أيضاً كذلك فتخصيص الحكم بقذف عائشة لا معنى له و قد مرّ الكلام في ذلك عند قوله تعالى: و آلّذين يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَاتِ ثُمَّكُمْ مَن الكلام في ذلك عند قوله تعالى: و آلّذين يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَاتِ ثُمَّكُمْ مَن اللّه عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مَن اللّه عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِن اللّه عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِن اللّه عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِن اللّه تعالى و مِن السّادِقين من اللّه تعالى و مِن الصّادِقين (١) و أيّ فرق بين اللّعنتين و هما في المقامين من اللّه تعالى و

أمّا شهادة الألسنة و الأيدي فقد قال الله تعالى: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْديهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ<sup>(١)</sup>.

فقد ظهر ممّا ذكرناه أنّ اللّعن على القاذف و شهادة الأعضاء يوم القيامة حكم عام في حقّ جميع الخلق.

و أمّا ما نقله عن إبن عبّاس أنّه سئل عن هذه الآية (الأيات) فقال من أذنب ذنباً ثمّ تاب منه قبلت توبته إلاّ من خاض في أمر عائشة فهو كذبّ محضّ و إفتراءٌ على إبن عبّاس.

أمّا أولاً: فلأنّه مخالف لنّص الكتاب حيث قال:

إِنَّ ٱللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشْآءُ (٢).

و قال: لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَـعْفِرُ ٱلذُّنُـوبَ جَـمَيعًا <sup>(٣)</sup> و الأيات كثيرة.

فكيف قال إبن عبّاس ما نقله الزّمخشري عنه و هو هو.

ثانياً: كيف يقول هذا من كان عن محاربي عائشة في يوم الجمل في عسكر أميرالمؤمنين التِيَادِ أليس هذا دليلٌ على أنّ إبن عبّاس كان يرى قتلها ألم يعلم الزّمخشري ذلك و نقل عنه ما نقل.

و أمّا قوله: لقد برأ اللّه تعالى أربعة بأربعة و جعل عائشة من الأربعة فهو من قلَّة الحياء و عدم المبالاة حيث جعل عائشة التِّي لا تزن عند اللَّه و عند رسوله و يزء١٨٪ عند المؤمنين جناح بعوضة في زمرة المعصومين عليهم السّلام و قاسها بهم و لا يقول بهذه المقالة إلاّ المتّعصب العنيد الّذي لا دين له واقعاً و لا حياء و قس على ما ذكرناه بقيّة كلامه و أن كان الإعراض عن ملفقاته أولى و ليت شعرى ما الّذي دعاهم إلى هذه الأباطيل في تفسير الأيات و حمل الأيات عليها أليس هذا من

١- النُّور = ٢٤

۲- النّساء = ۴۸

حمل الكلام على ما لا يرضي به صاحبه أليس هذا من التّفسير بالرّأي الّذي قال رسول اللهُ عَلَيْهُ أَنْ أَنْ أَنْ أَنْ أَنْ القَرْآنِ بِرأَيِهِ فَلْيَتَّبُوء مَقْعَده مِن النَّارِ أليس حمل المحصنات فى الآية على أزواج النّبي و جعل عائشة كبراهنّ منزلة و قربةً عند رسول الله أو أنَّها أمَّ المؤمنين فجمعت إرادةً لها و لبناتها من نساء الأمَّة الموضوعات بالإحصان و الغفلة و الإيمان، ممّا لا يقبله العقل السّليم و الذُّوق المستقيم أليس لقائل أن يقول للزّمخشري و أتباعه و أمثاله من أين ثبت لكم أنّ عائشة كانت كبراهنّ منزلةً و قربةً عند رسول اللّه و أيّـة فضيلةٍ ثبت لها دون غيرها من الأزواج غير أنّها خرجت بعد موت الرّسول لطلب الملك و ركبت على الجمل و أثارت الفتنة التّي قتل فيها خلقٌ كثير من المسلمين و أمرت بقتل المصلّين في مسجد البصرة و غير ذلك من الجنايات التّي يعجز القلم عن بيانها بشهادة التَّواريخ، و قد قال رسول اللّه تَلْمَا لِللّهُ عَلَيْ العَلَّى يِاعِلَّى حربك حربي و سلمك سلمي، و قال في موضع أخر: محاربوا عُلّي كفرة، و أمثال ذلك من الأخبار فلعلُّ هذا أي حرب علَّي للتِّلْإِ أوقع الزَّمخشُّري في القول بأفضليَّة عائشة على أزواج النّبي إذ لم توجّد في الإسلام إمرأة فعلت هذا الفعل القبيح و أنِّي لا أشكُّ بل أقطع أنَّ الَّذي دعاهم إلى هذه الأقاويل في عائشة هـو هـذه الفضيلة النّادرة أعني بها قيادة الجيش في حرب الجمل لقتل أميرالمؤمنين عليه السّلام و هذه فضيلة مختّصة بها دُون غيرها فإعتبروا ياأولي الأبصار.

يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ و هو يوم القيامة و هذا حكم عام حكم الله به في حقّ جميع الخلق من أفراد الانسان:

قال الله تعالىٰ: اَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفُواٰهِهِمْ وَ تُكَلِّمُنْاۤ أَيْدِبِهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١).

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔹 <

قال اللّه تعالىٰ: وَ يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللّهِ إِلَى النّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ، حَتّٰى إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصَارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَدْا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصَارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَ قَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللّهُ الّذِيّ أَنْطَقَ كُلُّ شَيْءٍ وَ هُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١).

فهذه الأيات كما ترى تنادي بأعلى صوتها أنّ هذا الحكم عامٌّ في حقّ جميع المكلّفين و سيأتي الكلام في تفسيرها فتخصيصها بقصّة الإفك لا معنى له و في المقام بحث لا بأس بالإشارة إليه إجمالاً:

و هو أنّ قوله: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ وَ الجسم يمكن أن يستفاد منه أنّ الإنسان المكلّف بالتَّكاليف ليس هذه البنية و الجسم المرّكب من الأعضاء بل هو شئ أخر وراء هذه البنية و هو الّذي قد يعبّر عنه بالنّفس النّاطقة و قد يعبّر عنه بالرُّوح و ذلك لأنّ الشّاهد غير المشهود له أو عليه فالمشهود عليه في الآية هو الإنسان و الشّاهد هو اللّسان و اليد و الرّجل و غيرها من الأعضاء فاللّسان يشهد على غيره و هكذا اليد و الرّجل، فالغير هو الإنسان و يدلّ على ذلك قوله: تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ و بعبارةٍ أخرى لم يقل الله تعالى يوم تشهد الألسن على أنفسها بل قال عليهم أي على غيرها فلابد أن يكون المشهود عليه غير الشّاهد و هو المطلوب.

فثبت و تحقّق أنّ الإنسان غير الأعضاء و هذ هو المختار في الباب و أمّا كيفيّة شهادتها فقد أشار الله تعالى إليها حيث قال حكايةً عنها: أَنْطَقَنَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَنها: عَنها: مَمّا لا إشكال فيه عقلاً فأنّ اللّه على كلّ شيّ قديرٌ، و أن لم نقدر على تعلّق الانطاق و اللّه أعلم.

قال الرّازي في تفسيره لهذه الآية ما هذا لفظه، و عندنا البنية ليست شرطاً للحياة فيجوز أن يخلق الله تعالى في هذا الجوهر الفرد علماً و قدرة و كراماً. و عند المعتزلة لا يجوز ذلك فلا جرم ذكروا في تأويل هذه الآية وجهين: الأوّل: أنّه تعالى يخلق في هذه الجوارح هذا الكلام و عندهم المتكلّم فاعل الكلام فتكون تلك الشّهادة من اللّه في الحقيقة إلاّ أنّه سبحانه أضافها الى

الجوارح توَّسعاً.

الثانى: أنّ سبحانه بنى هذه الجوارح على خلاف ما هي عليه و يلجأها أن تشهد على الإنسان و تخبر عنه بأعماله إنتهى كلام الرّازي و الحقّ ما ذكرناه فأنّ عموم القدرة يكفينا عن هذه التّكلفات الباردة فأنّ من خلق الأعضاء و الجوارح يقدر على إنطاقها و الانطاق ليس بأصعب من الإيجاد و الخالق يتصرّف في خلقه كيف يشاء لعموم قدرته.

يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَ يَـعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّـهَ هُـوَ ٱلْـحَقُّ الْمُبينُ

قال المفسّرون المراد بالدّين في الآية الجزاء و منه قوله عَلَيْهُ عَلَيْ كَمَا تُدين تُدان، و قيل هو بحذف المضاف و تقديره جزاء دينهم الحقّ فحذف المضاف و أقيم المضاف اليه مقامه و معنى الأية، يَوْمَئِذٍ، أي يوم القيامة يجزيهم اللّه جزاء الحقّ كاملاً من غير نقصٍ و يعلمون أنّ اللّه تعالى هو الحقّ الّذي أبان لهم الحجّج و الأيات في دار التّكليف.

ٱلْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَ ٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَ ٱلطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَ ٱلطَّيِّبِينَ وَ ٱلطَّيِّبِينَ وَ الطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولٰئِكَ مُبَرَّؤُنَ مِمًّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَعْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ كَرِيمٌ

قال في المفردات الخبيث ما يكره ردائةً و خساسةً محسوساً كان أو معقولاً و أصله لرّديّ و ذلك يتناول الباطل في الإعتقاد و الكذب في المقال و القبيح في الفعال إنتهى.



ليباء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 🤻 🖊 المج

و قال في الطّيب، يقال طاب الشّئ يطيب طيباً فهو طيب و أصل الطّيب ما تستّلذه الحّواس و ما تستّلذه النّفس و الطعام الطّيب في الشّرع ما كان متناولاً من حيث ما يجوز و بقدر ما يجوز و من المكان الّذي يجوز فأنّه متى كان كذلك كان طيّباً إنتهى.

أقول إتّفق أهل اللّغة على أنّهما ضدّان لا يجتمعان في شيّ واحد إذا عرفت هذا فنقول الظّاهر من الآية أنّ المراد بالخبيثين، و الخبيثات الرّجال و النّساء، فهو من قبيل قوله: أَلزّاني لا يَنْكِعُ إِلّا زانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَ الزّانِيَةُ لا يَنْكِحُهم إِلّا زانِيةً مُشْرِكَةً وَ الزّانِيةُ لا يَنْكِحُهم إِلّا زانِيةً مُشْرِكَةً وَ الزّانِيةُ لا يَنْكِحُهم إِلّا زانِيةً مُشْرِكُ (١) و قد مضى الكلام فيها و قلنا هناك أنّ الآية ناظرة الى قانون السّنخية و أنّ كلّ موجود يميل الى جنسه طبعاً قال إبن عبّاس و الضّحاك و مجاهد و قتادة هي الأقوال و الأفعال ثمّ إختلف هؤلاء فقال بعضهم الكلمات و الفعلات الخبيثة لا يقولها و لا يرضاها إلاّ الخبيثون من النّاس فهي لهم و هم لها بهذا الوجه.

و قال بعضهم الكلمات و الفعلات لا تليق و تلصق عند رمي الرّامي و قذف القاذف إلاّ بالخبيثين من النّاس فهي لهم و هم لها بهذا الوجه.

و قال الجبائي، الخبيثات من النّساء الزّواني، للخبيثين من الرّجال الزّناة، و قيل الخبيثات من الكلم أنما تلزم الخبيثين من الرّجال و تليق بهم و الإحتمالات كثيرة و الجامع بين الأقوال أنّ الآية إشارة الى قانون السّنخية بين أصناف الموجودات فعلاً و قولاً و الحكم بإعتبار الأكثر و الأغلب و ليس معناه أنّ الخبيث لا يقول حقاً و لا ينكح إلاّ زانية بل المعنى أنّ فطرة الخبيث تميل الى الخبيثة و بالعكس في أكثر الأمور ألا ترى أنّ الطّيب قد ينكح غير الطّيب و بالعكس و أمّا قوله: أوليّك مُبرّون مِمّا يقُولُونَ لَهُمْ، فهو إشارة الى الطّيبين أولهم و للطّيبات على سبيل التغليب إذا عني بهن النّساء مبرون ممّا يقولون، أي

باء الفرقان في تفسير القرآن \ \ \ . - كال ممًا يقول الخبيثون من خبيثات الكلم أو القاذفون الرّامون المحصنات و وعد الطّيبون من الرّجال و النّساء المغفرة عند الحساب و الرّزق الكريم في الجّنة فقال لهم مغفرةً و رزقٌ كريم.

يٰآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتِّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَ تُسَلِّمُوا عَلٰیَ أَهْلِهَا ذٰلِكُمْ خَیْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

أحدهما: أنّه من الإستيناس خلاف الإستيحاش لأنّ الّذي يطرق باب غيره لا يدري يؤذن له أم لا فهو كالمستوحش لخفاء الحال عليه فإذا أذن له إستأنس فالمعنى حتّى يؤذن لكم فوضع الإستيناس موضع الإذن.

الوجه الثانى: أنّه إستفعل من إستأنست فلم أر أحداً أي إستعملت و تعرّفت و في الخبر يا رسول اللّه و اللّه الإستيناس قال اللّه الرّجل بالقبيحة و التّحميد و التكبيرة و يتنحنح و يؤذن أهل البيت و كيف كان فالمراد بالإستيناس الإذن إذا عرفت هذا فلنرجع الى معنى الآية خاطب اللّه المؤمنين و نهاهم عن الدُّخول في بيوت غيرهم بدون الإذن من صاحب البيت ولعلَّ الوجه فيه أنّ الدُّخول في ملك الغير تصرّفٌ فيه و لا يجوز التَّصرف في مال الغير بغير إذن صاحبه ثمّ أمرهم اللّه بالتَّسليم على أهل البيت فقال و تسلّموا مال الغير بغير إذن صاحبه ثمّ أمرهم اللّه بالتَّسليم على أهل البيت فقال و تسلّموا

على أهلها ذالكم أي الإستيناس و التَّسليم خيرٌ لكم، في الدُّنيا و الأخرة و قد وردت الأخبار بمدحه و حسنه.

فعن كتاب المحاسن عن أميرالمؤمنين التَّلِيُّ: قال إذا بلغ أحدكم حجرته فليسم يرجع قرينه الشيطان وإذا دخل أحدكم بيته فليسلم تنزله البركة و تؤنسه الملائكة إنتهى.

و عن أبي عبد الله عليه الله عليه الله على و عن أبي عبد الله على الله و بالله و بالله و سلم على و سلم على أهلك و أن لم يكن فيه أحد فقل بسم الله و سلام على رسوله و على أهل بيته و السلام علينا و على عباد الله الصالحين فإذا قلت ذلك فرَّ الشيطان من منزلك إنتهى.

وعنه الله الله الرجل إذا دخل على أهله و إذا دخل يضرب بنعليه و يتنحنح يصنع ذلك حتى يؤذنهم أنّه قد جاء حتى لا يرى شيئاً يكرهه و قال الله الله في قوله: لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ الإستيناس وقع النّعل و التسليم إنتهى.

و عنه عليه! قال إذا إستأذن أحدكم فليبدأ بالسلام فأنه إسم من أسماء الله عزّ وجلّ فليستأذن من وراء الباب قبل أن ينظر الى قعر البيت فأنما أمرتم بالإستأذان من أجل العين و الإستئذان ثلاث مرّات فأن قيل أدخل فليدخل و أن قيل إرجع فليرجع أولاهن يسمع أهل البيت. لثّانية: يأخذ أهل البيت حذرهم، الثّالثة: يختار أهل البيت إن شاؤوا أذنوا و إن شاؤوا لم يأذنوا إنتهى.

و عن جابر بن عبد الله قال خرج رسول الله وَ الله فالم الله فاطمة عليه و دفعه ثمّ قال وَ الله الله الله الله قال وَ الله الله قال وَ الله قال و الله و الله



ضياء الفرقان في تضمير القرآن ﴿ ﴿ ﴿ ﴾ ا

من معي فقالت يا رسول الله ليس على رأسي قناع فقال الله الله فاطمة خذي فضل ملحفتك فقنعي به رأسك ففعلت ثمّ قال الله السلام عليكم فقالت و عليكم السلام يا رسول الله قال الله فال الله فقالت و عليكم السلام يا رسول الله قال الله فقال الله و دخلت و إذا وجه فاطمة إصفر كأنه بطن جرادة فقال رسول الله الله الله الربي وجهك أصفر فقالت يا رسول الله من الجوع فقال رسول الله اللهم مشبع الجوعة و دافع الضيعة أشبع فاطمة بنت محمد الله الله الله جابر فو الله لنظرت الى الدم ينحدر من قصاصها حتى عاد وجهها أحمر فما جاعت بعد ذلك اليوم إنتهى و الأخبار في الباب كثيرة جداً.

فَاِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَآ أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَ إِنْ قَيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكٰى لَكُمْ وَ ٱللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ

أي فأن لم تجدوا في البيوت أحداً فلا تدخلوها حتّى يؤذن لكم، و ذلك لأنّ الدّخول فيها تصَّرفٌ في مال الغير بغير إذن مالكه، و في قوله: وَ إِنْ قَبِلَ لَكُمُ الدّخول فيها تصَّرفٌ في مال الغير بغير إذن مالكه، و في قوله: وَ إِنْ قَبِلَ لَكُمُ الرّجِعُوا فَارْجِعُوا، إشارة الى أنّ النّاس مسَّلطون على أموالهم مضافاً الى أنّه يمكن أن يكون هناك مانعٌ من الدّخول و أهل البيت أدرى بما فيه و قوله: هُو أَرْكُى لَكُمْ معناه الرّجوع مع عدم الإذن أزكى و أطهر لنفوسكم من الدّخول بغير الإذن و اللّه بما تعملون عليمٌ، أي عالمٌ بأعمالكم لا يخفي عليه شيٍّ منها.

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فيها مَتَاعٌ لَكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما تَكْتُمُونَ

أي ليس عليكم حرجٌ و إثم إن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة ليس لها أهل، فيها متاع لكم، قيل أي منافع لكم.

ياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 🍾

قال الزّمخشري في المقام، و أستثنى من البيوت الّتي يجب الإستئذان على أهلها (داخلها) ما ليس بمسكون منها و ذلك نحو الفنادق و هي الخانات و الرُّبط و حوانيت البيّاعين و المتاع المنفعة كالاستكان من الحَّر و البرد و إيواء الرّجال و السَّلع و الشّراء و البيع إنتهى.

أقول يظهر من كلام بعض المفسّرين أنّه ليس في المقام إستثناء من البيوت كما زعمه صاحب الكشّاف و ذلك لأنّ الآية الأولى في البيوت المسكونة و المملوكة و لذلك قال بيوتاً غير بيوتكم، و هذه الآية الثّانية هي في البيوت المباحة كالفنادق الّتي في طرق المسافرين لا يسكنها أحد بل هي موقوفة يأوى اليها كلّ إبن سبيل فالموضوع في هذه الآية غيره في الآية السّابقة فلا يدخل في الإستثناء لعدم دخوله فيه إنتهى.

و يمكن الجواب عنه بأنّ مراده من الإستثناء هو إستثناء هذه البيوت من تلك البيوت فالإستثناء بإعتبار نفس البيوت مع قطع النّظر عن القيد فالمقيّد داخل و القيد خارج أو أنّ هذه البيوت أعني بها الفنادق و أمثالها أيضاً مسكونة إلاّ أنّها ليست مسكونة لشخص خاصّ و كيف كان فالأمر سهلّ بعد وضوح المعنى و لا يهمنا ثبوت الإستثناء و عدمه قال في التّبيان قيل في معنى هذه البيوت أربعة أقوال:

أحدها: قال قتادة هي الخانات فأنّ فيها إستمتاعاً لكم من جهة نزولها لا من جزء ١٨٠ جهة الأثاث الّذي لكم فيها.

الثّانى: قال محّمد بن الحنَّفية هي الخانات الّتي تكون في الطُّرق مسبلة و معنى غير مسكونة أي لا ساكن لها معروفٌ.

الثَّالث: قول عطاءً و هي الخرابات للغائط و البول.

الرّابع: قال إبن زيد هي بيوت التُّجار الّتي فيها أمتعة النّاس، و قال قوم هي بيوت مكّة، و قيل هي مناخات النّاس في أسنادهم يرتفعون بها، و قال قوم هي

جميع ذلك حملوه على عمومه لأنّ الإستئذان إنّما جاء لئّلا يـهجم عـلى مـا لا يجوز من العورة و هو الأقوى لأنّه نافذةً إنتهى كلامه.

و قوله: وَ **اَللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا تَكْتُمُونَ** معناه واضح إذ لا يخفي عليه فأنّه عالمٌ بجميع الأشياء ظواهرها و بواطنها لأنّ الجهل نقص و النَّقص لا يليق به و هو ظاهر.

## قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذٰلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ

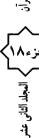
ثم خاطب النبي و قال له قل يا محمد للمؤمنين الذين آمنوا بالله و اليوم الآخر، يغضّوا من أبصارهم، عن عورات النساء و كلّ ما يحرم النَّظر إليه و يحفظوا فروجهم، عن الحرام و عن إظهارها حيث ترى فأنّهم متى فعلوا ذلك كان أزكى و أطهر لأعمالهم عند الله و أنّ الله خبيرٌ بما يعملون و يصنعون.

قال في المفردات الغَّض النَّقصان من الطَّرف أو الصَّوت و ما في الإناء إنتهى. و قال في المجمع قوله تعالى: يَغُضُّوا مِنْ أَبْ صَارِهِمْ أي ينَّقصوا من نظرهم عمّا حرَّم الله عليهم و قد أطلق لهم ما سوى ذلك يقال غضً طرفه غضاضاً بالكسر و غضاضةً بفتحتين خفضه، و تحمل المكروه و مقول القول أي قل لهم غضوا يغضّوا فيكون يغضُّوا في الآية جواباً للمؤمر المحذوف و كذا يحفظوا و، من، عند الأحفش زائدة و أغضض من صوتك أي نقص منه إنتهى.

أقول معنى الآية على مذهب الأحفش، يغِّضوا أبصارهم، لأنَّ، من، زائدة.

و قيل أنّها ليست زائدة بل هي للتّبعيض و ذلك أنّ أوّل نظرة لا يملكها الإنسان و إنّما يغضّ فيما بعد ذلك و يؤيده قوله النّالج: لا تتبع النّظرة النظرة فأنّ الأولىٰ لك والثّاني ليست لك و قال إبن عطّية يصّح أن يكون، من، لبيان الجنس و يصّح أن تكون لابتداء الغاية، و هذا ليس بشيّ إذ ليس من موضوعاتها أن تكون لبيان الجنس.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 😽



و أمّا قوله: و يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ قيل يحفظوها من الزّناء و من التَّكشف و دخلت، من، في قوله: مِنْ أَبْصارِهِمْ، دون الفرج حيث لم يقل من فروجهم دلالة على أمران، أمر النّظر أوسع ألا ترى أنّ الزّوجة ينظر زوجها إلى محاسنها من الشَّعر و الصَّدر و العضد و السّاق و القدم و ينظر من الأجنبيّة إلى وجهها و كفَّيها و أمّا أمر الفرج فمضيّق.

و عن أبي العالية و إبن زيد كلّ ما في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزّناء إلاّ هذا فهو من الإستتار إنتهي.

ما قاله لى بشئ بل حفظ الفرج يشمل النّوعين قال بعض المحقّقين الآية دالّة على تحريم النّظر على الإطلاق و على أنّ الذّي يحرم على الرّجل إبدائه هو العورة لا غير و يقتضي جواز النّظر إلى ما عدا العورة من بدنه و تقتضي أنّ بدن المرأة و شعرها كلّه عورة و لا يجوز النّظر إليه فيكون حاصل المعنى أنّه لا يجوز النّظر إلى النّساء مطلقاً و لا إلى عورة الرّجل و قد دلّ دليل أخر على إستثناء بعض الأشياء.

منها، أوّل نظرة أي أوّل ما يقع النَّظر إلى الأجنبيّة بلا قصدٍ فأنّه غير مكلّفٍ في تلك الحالة لأنّه غافلٌ و يجب عليه صرف نظره عنها على الفور فقد ورد منهم عليهم السّلام:

أوَّل نظرة لك والثَّانية عليك لا لك و الثَّالثة فيها الهلاك.

و في خبرٍ أخر.

لكم أوّل نظرة إلى المرأة فلا تتبعوها بنظرة أخرى و أحذروا الفتنة.

و منها، النَّظر إلى الوجه و الكفِّين و القدمين من الأجنبيَّة ففي الخصال.

عن أبي عبد الله قال قلت له ما للرّجل أن يرى من المرأة إذا لم تكن بمحرم، قال المُنْكِلِا: الوجه و الكفّين والقدمين إنتهى.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



و في خبر أخر عن الكاظم الريالية: أنّه قال الوجه و الكّف و موضع السّوار.

نظر المملوك إلى مولاية ففي موثقة عبد الرّحمن عن أبي عبد الله جواز رؤية الشّعر و أضاف في حسنة معاوية بن عمّار عنه عليما جواز رؤية ساقها.

النُّظر إلى زوجته ظاهراً و باطناً و جواز نظرها إلى عورته.

النَّظر إلى محارمه اللاّتي يحرم لكاحهنّ مؤيّداً بنسب أو رضاع أو مصاهرة فأنّ الأصحاب قد قطعوا بجواز النَّظر إلى أبدانهنّ ما عدا العورة إذا لم يكن هناك ريبة.

النَّظر إلى إمرأة يريد أن يتَّزوجها.

ففي الكافي عن أبي جعفر النَّلِا عن الرّجل يريد أن يتَّزوج المرأة أينظر إليها قال النَّلِا نعم أنّما يشتريها بأعلى ثمنِ إنتهى.

و في خبرٍ أخر عن أبي عبد الله المَالِلاِ قال المَالِلاِ لا بأس أن ينظر الرّجل إلى وجهها و معاصمها إذا أراد أن يتَّزوجها و في خبرٍ أخر ينظر إلى خلفها و إلى وجهها، و في خبرٍ أخر إلى شعرها و محاسنها إذا لم يكن متَّلذذاً و قد إشترطوا صلاحيّتها للتّزويج كأن تكون خالية من البعل و العدّة و إحتمال إجابتها إلى ذلك و عدم الرَّيبة بالوقوع في الزّناء.

ما يظهر من بعض الأخبار من جواز رؤية الصّغيرة الّتي ليست مظّنة للشّهوة و العجائز من السّاء.

و منها، النَّظر للشهادة أو لعلاج الطَّبيب ونحوه من الضّرورات فقوله تعالى: ذُلِكَ أَرْكٰى لَهُمْ أي النَّقص و الحفظ أطهر من النّجاسات النّفسانية المتَّعقبة للنَّظر و قوله يصنعون فيه تهديدٌ على المخالفة.



ضياء الفرقان في تفسير القرآن

روجها أقول جزء ۱۸ بشيئين: أحده

وَ قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَ لَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ لْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَ لَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبَاآ بِسُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبَاآ بِسُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبَنَآ بِهِنَّ أَوْ أَبَنَآ بِعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوانِهِنَّ أَوْ أَبَنَآ بِسُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَوْ لِيَا بَعِينَ غَيْرِ أُولِي أَخُواتِهِنَّ أَوْ التّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي أَخُواتِهِنَّ أَوْ التّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي أَوْلِي النّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي اللّهِ بَعْوَلَتِهِنَّ أَوْ اللّهُ يَظُهَرُوا عَلَى عَوْراتِ النّائِينَ آءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَ تُوبُوا لِللّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زينتِهِنَّ وَ تُوبُوا إِلَى اللّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

لمّا أمر اللّه تعالى في الآية السّابقة غضّ أبصارهم عن عورات النّساء و أمرهم بحفظ فروجهم عن إرتكاب الحرام أمر في هذه الآية المؤمنات من النّساء أيضاً بغضّ أبصارهن عن عورات الرّجال و ما لا يحلّ النّظر إليه و أمرهن أن يحفظن فروجهن إلاّ عن أزواجهن على ما أباحه الله لهم و يحفظن أيضاً إظهارها بحيث ينظر إليها و نهاهن عن إبداء زينتهن إلاّ ما ظهر منها.

قال إبن عبّاس يعني القرطين و القلادة و السّوار و الخلخال و المعضد و المنحر فأنّه يجوز لها إظهار ذلك لغير الزّوج و أمّا الشَّعر فلا يجوز أن تبديه إلاّ لزوجها قاله الشّيخ في التّبيان.

أقول الأحسن أن يقال أنّ اللّه تعالى أمر المكلّفين من الرّجال و النّساء . . .

**أحدهما**: غضّ البصر.

ثانيهما: حفظ الفروج و من المعلوم أنّ غضّ البصر عن المحرّمات و في هذين الأمرين لا فرق بين الرّجال و النّساء ثمّ نهي النّساء في الآية المبحوثة عنها عن أمور تختّص بالنّساء دون الرّجال و هذا هو المحصّل في الأيتين في المقام على ما يأتى تفصيله.

قال بعض المحقّقين عدم ذكر المنظور إليه يدلّ على تحريم نظر هنّ إلى الرّجال مطلقاً، و الإقتصار على حفظ فروجهنّ يقتضي تحريم نظرهنّ إلى فرج المرأة خاصّة.

و نقل العلاّمة في التَّذكرة عن بعض علماؤنا جواز النَّظر إلى وجه الرّجل و كفيّه لأنّ الرَّجل في حقّ المرأة كالمرأة في حقّ الرّجل و هو قول أكثر الشّافعية و إستدل برواية أمّ سلمة السّابقة و هو كما ترى إذ لا دلالة فيها على الجواز بل دلالتها على العدم أظهر فقوله تعالى: و قُلُ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْطارِهِنَّ يدلّ على غضّ البصر عمّا يحرم النّظر إليه هذا هو القدر المسلّم من الآية إذ لم يذكر المنظور إليه فيها فلا يمكن حمل الآية على العموم للزوم ذلك الحرج المنفي في الشّريعة فأنّ غضّ البصر عن رؤية الرّجال مطلقاً مستلزم للحرج بل ظاهر الآية هو غضّ البصر عن جميع الأشياء في الرّجال و النّساء و هو كما ترى غير معقولٍ وإذا لم يمكن حمل اللّفظ على العموم و لا مخصّص في المقام يجب الأخذ بما هو المسلّم المقطوع به في الشّريعة و هو النّظر إلى ما يحرم على النّاظر النّظر إليه و حيث أنّ القرينة الحاليّة أو المقاليّة قامت على أنّ المراد من الحكم في الأيتين هو أن تنظر المرأة إلى الرّجل و بالعكس.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ العجلة الثاني عنا علمنا أنّ المراد بغضّ البصر في الأيتين هو عدم نظر الرّجل إلى المرأة و بالعكس إذا كان بقصد الرَّيبة فمعنى الكلام قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن في النَّظر إلى الرّجال وحيث أنّ الغَّض معناه النَّقص و التَّقليل في النَّظر علمنا أنّ القليل من النَّظر لا بأس به و ذلك لأنّ الله تعالى لم يأمر الرّجال و لا النساء بالإعراض عن النّظر و لذلك لم يقل قل للمؤمنات لا ينظرن إلى الرّجال كما لم يقل قل للمؤمنات لا ينظرن إلى الرّجال كما لم يقل قل للمؤمنين لا ينظروا إلى النساء فالتَّعبير بالغَّض يدلّ على جواز النظر في الجملة لا مطلقاً و هو المطلوب.

فمن قال بتحريم النَّظر مطلقاً لا دليل له عليه مضافاً إلى أنّه يوجب الحرج المنفي في الشّريعة و على هذا فيجوز للرّجال النّظر إلى الوجه و الكفّين و القدمين من النّساء و لا يجوز لهم النَّظر إلى عورات النّساء و هي ما عدا المذكورات و هكذا يجوز للمرأة أن تنظر إلى ما يبدوا من الرّجال و قال بعضهم أنّها تنظر إلى جميع بدن الرّجل إلاّ ما بين السّرة و الرّكبة و ليس كنظر الرّجل إلى المرأة لأنّ بدنها عورة في نفسه و لذلك يجب ستره في الصّلاة و لأنهما لو إستويا لأمر الرّجل بالإحتجاب كالنّساء هكذا حقّقه بعض المحقّقين و الإنصاف أنّ ما ذكره لا يستفاد من ظاهر الآية و ليس في النّصوص أيضاً ما يدلّ عليه و الحقّ أن يقال يجب غضّ البصر على الرّجال و النّساء إلاّ في مواقع الضّرورة بقدر الضّرورة و اللّه أعلم.

و قوله: يَحْفَظُنَ فُرُوجَهُنَّ، فقد ظهر معناه في الآية السّابقة و لا خلاف في حفظهما على الرّجال و النّساء إلاّ ما أباحه الله لهما على ما فصل في الشّريعة و لا يُبْدينَ زينتَهُنَّ الإبداء الإظهار من بدى يبدو إذا ظهر و المراد بالزّينة ما تزين فيه من الحلّي و غيره كالقرط و القلادة و الخاتم و السّوار و الخلخال و الثياب و الكحل و نحو ذلك ممّا يتعارف في كلّ أوانٍ و بلادٍ و يحتمل أن يراد موضع هذه الأشياء المذكورة على طريق مجاز الحذف الشّائع في كلام الفصيح

ء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 🌎 🏲 ا

و ذلك لأنّه لا وجه لتحريم النّظر إلى الحلّي نفسه أو الثّياب كذلك إذا لم يستلزم النّظر إلى مواضعها و على هذا يدلّ بطريق دلالة التّنبيه على تحريم النّظر إلى جميع العضو الذي عليه الزّينة لا نفس الموضع وحده، و يحتمل أن يراد نفس الزّينة أي أنّه يحرم النّظر إليها ما دامت في مواضعها و ملابسة لها و لعلّ جهة تحريمه أنّه يورث الفتنة و أنّه يستلزم النّظر إلى مواضعها غالباً و ذلك محرّم في فيحرم الملزوم و في التّعبير بتحريم الزّينة الملابسة لتلك المواضع دون المواضع نفسها مبالغة في لزوم التّستر و تحريم النّظر إليها و ذلك أنّه لاكلام في حلّ النّظر إلى الزّينة الغير ملابسة فتحريم النّظر إليها بإعتبار الملابسة يستلزم تحريم النّظر إلى تلك المواضع بطريق أولى ثمّ إستثنى من ذلك فقال: إلّا ما تحريم النّظر إلى تلك المواضع بطريق أولى ثمّ إستثنى من ذلك فقال: إلّا ما ظهر مينها و ذلك لأنّ تحريمه مطلقاً يستلزم الحرج المنّفي ثمّ أنّهم إختلفوا في تعيين المراد منها على أقوالي و الأظهر أنّها الوجه و الكفّان و ما عليهما منها هو ظاهر إختيار أكثر الأصحاب و يشهد له الرّوايات السّابقة الدالة على جواز رؤية ذلك.

و ما رواه في الكافي عن زرارة عن أبي عبد الله في قوله: ما ظَهَرَ مِنْها قال النَّلِ: الزِّينة الظَّاهرة و الكحل و الخاتم و عن أبي بصير عنه النَّلِا أنّها الخاتم.

و في الصّحيح عن الفضيل عن أبي عبد اللّه عليّا إلا قال: سألته عن النّراعين من المرأة هما من الزّينة التّي قال اللّه تعالى و لا يبدين زينتهنّ إلاّ لبعولتهنّ قال عليّا إلى الله عن الرّينة و ما دون الضمار من الزّينة و ما دون السّوار فما فوق الخمار هو الوجه و ما فوق السّوار هو الكف فهو من الزّينة الظّاهرة المستثناة و ما دونهما كالعنق و الصَّدر و الذّراع فهو من الزّينة الباطنة المحرّمة.

و هو ظاهر الدّلالة على أنّه أراد مواضع الزّينة و قيل أنّهما الكفّان و الأصابع وَ

لْيَصْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ الخمار المقنعة أكَّد الحكم بتحريم إبداء الزّينة بإيجاب ضرب الخمار و هو المقنعة على الجيب ردّاً على ماكان متعارفاً عند الجاهليّة من جعل الخمار إلى خلف وسعة الجيب فيبدو العنق و الصَّدر ثمّ أنَّه تعالى إستثنى فأباح الزِّينة الباطنة للمذكورين في الآية و هم عشرة:

الأَوَل: البعل و هو الزَّوج و لا خلاف فيه بل يستحبّ للزّوجة ذلك كما دلّ عليه الأخيار.

الثَّاني: أباء المرأة و إن علو كالجدّ و جدَّ الجدّ و إليه الإشارة بقوله: أوْ أَبْآئهنَّ.

الثَّالث: أبناء المرأة و أن نزلوا كإبن الإبن و هكذا و إليه الإشارة بقوله: أُوْ أَبْآئهنَّ.

الرّابع: أبناء الزّوج و أن كانوا من زوجةٍ أخرى و إليه أشار بـقوله: أو البّاء بُعُولَتِهنَّ.

الخامس: إخوانهنّ أي إخوان المرأة سواء كانوا من الأبوين أي كانوا إخواناً لها من أمّها و أبيها أو من أحدهما.

السّادس: بني إخوانهنّ أي أولاد الأخ.

السّابع: بنى أخواتهنّ أي أولاد الأخت و لا فرق فيما ذكر في الآية من المحارم بين ذوي النَّسب والرّضاع إذ يحرم بالرّضاع ما يحرم بالنَّسب ولم يذكر يزء ٨١٨ في الآية الأعمام و الأحوال إكتفاءً بدلالة التّنبيه على مساواتهما المذكورين في أحكام النّكاح.

الثّامن: نسائهن و المراد مطلق النّساء و قيل المراد المؤمنات منهن دون الكافرات.

التَّاسع: أو ما ملكت أيمانهنّ و المراد هنا الإماء و العبيد خصيًّا كان أو فحلاً حملاً للفظ على ظاهره. فقد روي الشّيخ من محمّد بن إسماعيل قال سألت أبا الحسن السِّلِ عن متاع النساء الحرائر من الخصيان فقال السِّلِ كانوا يدخلون على بنات أبي الحسن و لا يتّعففن، و قيل المراد بالإماء خاصّة دون الذّكران و إن كان خصيّاً و هو مذهب أكثر أصحابنا و مع ذلك هو أوفق بالإحتياط و في هذه المذكورات أبحاث في الكتب الفقهية.

العاشر: التّابعين غير أولي الإربة، قيل المراد بالتّابعين من يتبعك لأجل طعامك و شرابك و المراد بغير أولي الإربة من لم يكن له حاجة إلى النّساء كالشّيخ الفاني و الأحمق الأبله الّذي ليس له عقل يصف النّساء و يدخل فيه العّنين.

و روي في الكافي عن زرارة قال سألت أبا جعفر النَّلِا عن قول الله عزّ وجلّ: أو التَّابِعينَ غَيْرِ أُولِى ٱلْاِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجْالِ إلىٰ أخره قال النَّلِا: الأحمق الذي لا يأتى النَّساء إنتهى.

و عن عبد الرّحمٰن بن أبي عبد الله قال النَّالِيِّ: هُو الأحمق المُولّي عليه الّذي لا يأتى النّساء إنتهى.

و نقل عن الشّافعي أنّ المراد الخصّي المحبوب و عن أبي حنيفة أنّ المراد العبيد الصّغار، و وجه الجوار في ذلك الحاجة إلى ذلك غالباً و عدم الفتنة و المراد بالطّفل الجنس الشّامل للواحد و الجمع فلهذا وصفه بصيغة الجمع بقوله: المراد بالطّفل الجنس الشّامل للواحد و الجمع فلهذا وصفه بصيغة الجمع بقوله: اللّذينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْراتِ ٱلنِّسْآءِ، أي لم يطلعوا على ذلك و لم يعرفوا ما العورة و لا يمّيزون بينها و بين غيرها و قيل المراد من لم يبلغوا أوان القدرة على الوطئ.

و أمّا قوله: وَ لَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ، فالمراد ما يشمل ضربها في الأرض و ضرب أحدى رجليها في الاخرى الموجب لزيادة تقعقع خلخالها حتّى يسمع ذلك الأجانب فأنّه يورث تحريك الشّهوة و إثارة الفتنة كالنّظر إلى الزّينة الباطنة و من هـذه الآية يستنبط أنّ كلّما يجّر إلى الفتنة ينبغي إجتنابه كالطّيب و الصَّوت و نحو ذلك.

ففي الكافي عن الوليد بن صبيح عن أبي عبد الله عليه قال: أي إمرأة تطّيبت ثمّ خرجت من بيتها فهي تلعن حتّى ترجع إلى بيتها متى ما رجعت إنتهى. و روي أنّه كان أميرالمؤمنين عليه في يكره أن يسلّم على الشّابة من النّساء مخافة الفتنة بصوتها فلو تجّرد الصَّوت عن الفتنة ففيه خلاف فقيل يحرم اسماعه الأجانب و قيل بالجواز و هو الأظهر و الأقوى.

و قوله: وَ تُوبُوا إِلَى اللهِ جَميعًا أَيَّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، فالوجه فيه أنّ النظر لمّا كان من المحرّمات و هو عامّ البلوى وكاد أن لا يسلم منه أحد ففتح الله تعالى للمؤمنين تفضّلاً منه باب التّوبة، و جعلها مفتاحاً للفلاح و الفوز بالجنّة أو ما يشمل سعادة الدّنيا أيضاً لأنّه باعث لتحريك الشّهوة الملزومة للوقوع بالزّناء الملزوم للفقر و الحاجة.

و في عيون أخبار الرّضا الله في باب ذكر ما كتب الرّضا الله الله محمد بن سنان، و حرم النّظر إلى شعور النساء المحجوبات بالأزواج إلى غيرهن من النساء لما فيه من تهييج الرّجال و ما يدعو التّهيج إليه من الفساد و الدّخول فيما لا يحلّ و كذلك ما أشبه الشّعور إلاّ الّذي قال الله تعالى: و القواعدُ مِن النّساء إلى قوله من الثياب غير الجلباب فلا بأس بالنّظر إلى شعور مثلهن و الأخبار الدالة على أنّ الزّناء مورث الفقر كثيرة. (١)

هذا تمام الكلام في تفسير الآية على ما إستفدنا و فهمنا منها و الله أعلم.

وَ أَنْكِحُوا ٱلْأَيْالِمٰى مِنْكُمْ وَ ٱلصَّالِحِينَ مِـنْعِبَادِكُمْ وَ إِلِمَآئِكُـمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرْآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ ٱللَّهُ والسِعُ عَليِمٌ



آلأًيا لمى مثل اليتامى في كونها من المقلوب جمعى ليم و يتيم و أصلها أيايم و يتايم فجعلت الياء موضع الميم و بالعكس هكذا قيل و قال بعضهم الأيامى جمع، أيم، و أجاز سيبويه أن يكون غير مقلوب و أنّه جمع على فعالى كما قال الشّاعر:

فأن تنكحي أنكح و أن تتأيّمي وإن كنت أفتى منكم أتأيّم يقول لمحبوبته أن تتزوّجي أتزوّج و أن لم تتزوّجي لم أتزوّج، و الأفتى أكثر فتيةً و شباباً و كيف كان فهو في الرّجل من لا مرأة له و في المرأة من لا زوج لها بكراً كانت أو ثيباً و الخطاب في قوله: مِنْكُم، للأولياء و الموالي بأن ينكحوا من لا زوج له من الأحرار و العبيد و الحرائر و الإماء و تخصيص الصّالحين بالذّكر إهتماماً بشأنهم و إعلاءً لقدرهم و لما في ذلك من التّرغيب في الصّلاح حيث يعلمون أنّ له مثل هذه المزيّة و الرغبة في تزويجهم، و قيل المعنى المراد بهم الصّالحون للنّكاح و القيام بحقوقه و قيل هو من باب تسميته الشّئ بما يؤل إليه لأنّ في ذلك إحراز للدّين و إجتناباً للمحرّم.

و قرأ بعضهم، من عبيدكم، و المعنى واحد و قوله: إِنْ يَكُونُوا فُ قَرْآءَ يُغْنِهِمُ ٱللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ ٱللّٰهُ وأسِعٌ عَلِيمٌ، معناه لا تمنعوا من إنكاح المرأة و الرّجل إذا كانا صالحين لأجل فقرهما فأنّهم و أن كانوا كذلك فأنّ اللّه يغنيهم من فضله فأنّه واسع المقدرة كثير الفضل عليهم عليم بأحوالهم و بما يصلحهم فهو يعطيهم على قدر ذلك و قال قومٌ معناه أن يكونوا فقراء إلى النّكاح يغنيهم اللّه بذلك عن الحرام فعلى الأوّل تكون الآية خاصة في الأحرار و على النّاني عامّة في الأحرار و المماليك إنتهى ما قاله الشّيخ في التّبيان.

قال بعض المحقّقين الظّاهر أنّ هذا و عدّ منه سبحانه و إخبارٌ بأنّ النّكاح يكون سبباً لغناهم، كما يدلّ عليه. ما رواه في الكافي عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله التله التله الله المالله عن أبي عبد الله التله المالله عليه المالم الله عليه إنتهى. الله عليه إنتهى.

وعن إسحاق بن عمّار قال قلت لأبي عبدالله الحديث الذي يرويه النّاس أنّ رجلاً أتى إلى النّبي فشكى إليه الحاجة فأمره بالتَّزويج ففعل ثمّ أتاه فشكى إليه الحاجة فأمره بالتَّزويج حتّى أمره ثلاث مرّات فقال أبو عبد الله هو حقّ ثمّ قال الرّزق مع العيال و النساء إنتهى.

و ما رواه في الفقيه بأسناده عن أبي عبد الله التَّالِيَّةِ قال: من ترك التَّزويج مخافة الفقر فقد أساء الظنّ بالله عزّ وجلّ أنّ الله يقول أن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله إنتهى.

و كيف كان ففي الآية فوائد لا بأس بالإشارة إليها.

منها، أنّ القرآن كما دلَّ على النّكاح سبب للغناء كذا دلَّ على كون الطّلاق سبب له لقوله تعالى: **وَ إِنْ يَتَفَرَّفَا يُغْنِ اللّهُ كُلَّا مِنْ سَعَتِهِ**<sup>(١)</sup> و سيأتي الكلام فيه. و منها، أنّ الآية تضَّمنت الأمر بالنّكاح كما دلَّت على الأمر بالإنكاح بناءً على أنّ الأمر بالشّئ أمرٌ بذلك الشّئ فدَّلت الآية على رجحان النّكاح و يدلّ عليه.

العبا الاء بم و روي عن أبي جعفر التَّلِا قال: قال رسول الله ما من بناء في الإسلام أحبَّ إلى الله من التَّزويج إنتهى.

و عنه عليه عن أبائه قال: قال النبي ما إستفاد إمرؤ مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة تسرّه إذا نظر إليها و تطيعه إذا أمرها و تحفظه إذا غاب عنها في نفسه و ماله إنتهى.

أقول و هي أقلً من الكبريت الأحمر.

و عن أبي عبد الله المُنْكِلِ قال: قال أميرالمؤمنين تزَّوجوا فأنَّ رسول الله اللَّنْكَانِ قال: من أحَّب أن يتَّبع سنتَّتي فأنَّ من سنتَّتي التَّزويج إنتهى.

و منها أنَّ في النَّكاح أموراً مطلوبة حسنة و فوائد مندوباً إليها مثل تكثير الولد.

و الأخبار في مدح النَّكاح كثيرة جدًّا.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷



و منها دفع الوساوس الشيطانية و الخلاص من الوحدة المنّهي عنها كما روي أنّ من تزّوج فقد أحرز نصف دينه و لعلّه السّر في قوله للتَّلِيِّ: «ما أحّب أنّ لي الدّنيا و ما فيها و إنّي بتُّ ليلة و ليس لي زوجة».

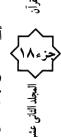
و منها ما ورد في ذّم العزّاب كما قال الله الله الموتاكم العزّاب و في خبر آخر شرار موتاكم العزّاب الى غير ذلك من الفوائد المتَّرتبة على النّكاح. إذا عرفت ذلك ظهر لك إستحباب ذلك للرّجال و النّساء و من إشتهت نفسه للنّكاح و من لا تشتهيه و بذلك أفتى أكثر الأصحاب و قيل أنّ من لا يشتهيه يستَّحب له أن لا يتزَّوج نسب ذلك الى الشّيخ أن في المبسوط مستَّدلاً لا بقوله تعالى حكاية عن يحيى عاليًا و كان سيّد و حصوراً، و أنّ فيه تعريضاً لتَّحمل حقوق الرَّوجية الباعث على الإشتغال عن كثير من المقاصد الآخروية و أنت ترى أنّ ذلك لا يدلّ على مرجوحية النّكاح إلا أنّه يختلف بحسب الأشخاص و الأمكنة و الأزمنة و غير ذلك من العناوين و للبحث فيه مقام آخر.

و أعلم أنّ النّكاح بالنّسبة الى العوارض ينقسم الى الأحكام الخمسة فيجب عند خوف الوقوع في الزّناء بدونه، و يحريم إذا إستلزم ترك واجب كالحّج و مع الزّيادة على الأربع.

و يكره عند عدم التُّوقان و الطّول على قولٍ و ما زاد على الواحدة عند الشّيخ. و يستَّحب فيما عدا ذلك و أمّا المباح فلا تحَقق له على المشهور و في المقام أبحاث كثيرة لم نتَّعرض لها مخافة الأطناب.

وَ لْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ ٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكَتِئَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فَيهِمْ خَيْرًا وَ الْكَوْمُ مِنْ مَالِ ٱللهِ ٱلَّذِيَ اليَّكُمْ وَ لَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ ٱلْحَيْوةِ ٱلدُّنْيَا وَ مَنْ يُكُرهْهُنَّ فَإِنَّ ٱللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْراهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ يُكُرهْهُنَّ فَإِنَّ ٱللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْراهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ

ضياء الفرقان في تفسير القرآن •



الإستعفاف هنا بمعنى العقّة و يجوز أن يكون بمعنى طلب العقّة على ما هو حقيقة الإستفعال أي يطلب من نفسه ذلك يزجرها عن إرتكاب المعاصي أو يطلب الأسباب الّتي تقمع الشّهوة و تحول بينه و بين إرتكاب الفاحشة كالصُّوم و نحوه و المراد بالنّكاح في الآية أسبابه كالمهر و يجوز أن يكون المراد المنكوحة الحُّرة الموافقة له و المناسبة لحاله أو الأعّم و حاصل المعنى أنّه تعالى أمر الّذين لم يتيسر لهم النّكاح بأن يجهدوا أنفسهم على الصّبر على مقاساة العزوبة و عدم إرتكاب الزّناء الى أن يمكنّهم من التَّزويج بالحرائر المومنات و لا ينكح الإماء فالأمر على هذا يكون الإستحباب.

و قال الشّيخ في التّبيان في قوله: وَ لْيَسْتَعْفِفِ آلَّذِينَ أَمرٌ من اللّه تعالى لمن لا يجد السّبيل إلى أن، يتَّزوج بأن لا يجد طولاً من المهر ولا يقدر على القيام بما يلزمها من النَّفقة و الكسوة و أن يتَعفف و لا يدخل في الفاحشة و يصبر حتى يغنيه الله من فضله.

قال بعض المفسّرين و ما أحسن ما رتَّب هذه الأوامر حيث أمر أوّلاً بما يعصم من الفتنة و يبّعد من مواقعة المعصية و هو غَض البصر، ثمّ بالنّكاح الّذي يحصن به الدّين و يقع به الإستغناء بالحلال عن الحرام ثمّ بالحمل على النّفس الأمّارة بالسُّوء و عزمها عن الطّموح إلى الشّهوة عند العجز عن النّكاح إلى أن يرزق القدرة عليه.

وَ ٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَابَ مِمًّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ قال في التّبيان معناه أنّ الإنسان إذا كانت له أمة أو عبداً يطلب المكاتبة و هي أن يقوم على نفسه و ينجم عليه ليؤدّي قيمة نفسه فأنّه يستَّحب للسّيد أن يجيبه إلى ذلك و يساعده عليه لدلالة قوله: فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فيهِمْ خَيْرًا و هذا أمر ترغيب بلا خلاف عند الفقهاء و قيل هو واجب عليه إذا طلب و صورة المكاتبة أن يقول الإنسان لعبده أو أمته قد كاتبتك على أن تعطيني ألف درهم مثلاً على أنّك إذا



أدَّيت ذلك فأنت حرٌّ فيرضى العبد بذلك و يكاتبه عليه و يشهد بذلك على نفسه فمتى أدّى ذلك و هو حال الكتابة في النّجوم الّتي سمَّاها صار حرّاً و أن عجز عن إداء ذلك كان لمولاه أن يرَّده في الرَّق و عندنا ينعتق عنه بحساب ما أدّى و يبقى مملوكاً بحساب ما بقي عليه إذا كانت الكتابة مطلقة فأن كانت مشروطة بأنّه متى عجز ردَّه في الرِّق فمتى عجز جاز له ردَّه في الرّق و المراد بالخير في قوله: إ**نْ** عَلِمْتُمْ فيهمْ خَيْرًا أن يعلم منه القوّة على التكسُّب و تحصيل ما يؤدّي به مال الكتابة و قيل معناه أن علمتم منهم صدقاًو قيل ان علمتم منهم مالاً هكذا قرّره الشَّيخَ أَثَرَيُّ في التَّبيان و هو حقّ لا مرية فيه و أمّا أنّ الأمر بـالكتابة فـي قـوله: فَكَاتِبُوهُمْ، للوجوبِ أو للإستحبابِ، مع طلبِ المملوك لذلك و علم مولاه أنّ فيه خيراً، فقيل هو للفرض، و قال مالك والثَّوري و غيرهما هـو للـندب و هـو المختار عندنا و قوله: وَ أَتُوهُمْ مِنْ مَالَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيَّ أَتَيٰكُمْ قيل في معناه أن يعطى السَّيد مكاتبه من ماله الّذي أنعم الله عليه بأن يحطّ شيئاً منه وليس بواجب فمنهم من قال يحطّ عنه ربع مال الكتابة و منهم من قِال أقلّ أو أكثر.

وَ لَا تُكْرِهُوا فَتَيْاتِكُمْ عَلَى ٱلْـبِغْآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَـحَصُّنَّا قـيل كـان لحويطب بن عبد العزّي مملوك يقال له الصبيح سأل مولاه أن يكاتبه فأبي فنزلت وكان لعبد اللّه بن أبّى رأس النّفاق ستّ جوار معاذة و مسيكة و أميمة و أروى و نتيلة يكرههن على البغاء و ضرب عليهن الضّرائب (ضرائب) فشكت أثنتان منهنّ إلى رسول اللّه عَلَمْ اللَّهِ عَنْ اللَّهِ عَنْ اللَّهِ عَنْ العبد و نز ١٨٠> الأمة و البغاء مصدر البغي و التَّحصن التَّعفف و هذا نهيٌّ عامٌّ لكلِّ مكَّلفٍ من أن يكره أمته على الزّناء طلباً لمهرها و كسبها و قوله أن أردن تحصُّناً، قيل صورته صورة الشّرط وليس بشرطٍ و أنّما ذكر لعظم الأفحاش في الإكراه عملي ذلك و قيل أنَّها نزلت على سبب فوقع النَّهي عن الفتي على تلك الصَّفة.

و قال الزّمخشري الإكراه لا يتّأتي إلاّ مع إرادة التَّحصن و أمر الطّبعة المواتية للبغاء لا يسمّى مكرهاً و لا أمره إكراهاً، إنتهي.

وَ لَقَدْ أَنْزَلْنَاۤ إِلَيْكُمْ اٰيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَ مَثَلًا مِنَ ٱلَّذَبِنَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ

أقسم الله تعالىٰ أنّه أنزل أيات، يعني دلالات و علامات (مُبيّنات) أي و اصحات ظاهرات، و مثلاً من الّذين خلوا من قبلكم، كقصّة يوسف و مريم و نوح و ابراهيم و غيرها، موعظة للمتقين أي أنّ في هذه القصص موعظة لمن إتّقى و إتّعظ بها و المقصود من هذا الكلام أنّ ذكر القصص في القرآن لأجل الموعظة لا لغيرها و قد أشار إلى ذلك في كثيرٍ من الأيات و لا نحتاج إلى ذكر الأيات الدالة عليها كما هو ظاهرً.

اَللهُ نُورُ اَلسَّمُواْتِ وَ اَلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهٖ كَمِشْكُوةٍ فيها مِصْبَاحٌ اللهُ نُورِهِ كَمِشْكُوةٍ فيها مِصْبَاحٌ الْمُصْبَاحُ في زُجَاجَةٍ اَلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبُ دُرِّيِّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُهَا يُضَىءُ وَ لَوْ لَمْ مُبَارَكَةٍ زَيْتُهَا يُضَىءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِى اللَّهُ لِنُورِهٖ مَنْ يَشَاءُ وَ يَضْرِبُ اللهُ اللهُ الْأَمْنَالَ لِلتَّاسِ وَ الله بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ

هذه الآية معركة الأراء بين المفسّرين كيف و هي من مشكلات الأيات في القرآن و لذلك تراهم إختلفوا في تفسيرها و تبيين المراد منها و كلّ واحدٍ منهم فسَّرها على ما فهم منها و نجن نشير إلى بعض ما قيل فيها.

قال في التّبيان، قوله: ٱللّٰهُ نُورُ ٱلسَّــمُواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ مَــقَلُ نُــورِهٖ كَمِشْكُوةٍ، قيل في معناه قولان:

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷



أحدهما: أنَّ اللَّه هادي السَّموات و الأرض ذكره إبن عبَّاس في روايةٍ و أنس. الثَّاني: أنَّه منّور السّموات و الأرض بنجومها و شمسها و قمرها.

في روايةٍ أخرى عن إبن عبّاس، ثمّ قال تعالى: مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكُوةِ فيها مِصْبَاحٌ الهاء في قوله: نُورِهِ قيل أنَّها تعود على المؤمن و تقديره مثل النُّور الذِّي في قلبه بهداية اللَّه و هو قول أبِّي إبن كعب و الضّحاك و قال إبن عبّاس هي عائدة على إسم، الله، و معناه مثل نور الله الّذي يهدي به المؤمن.

و قال الحسن مثل هذا القرآن في القلب كمشكاةٍ و قيل مثل نوره و هو طاعته و قيل مثل نور محمّدٍ و قال سعيد بن جبير النُّور محمّد كأنّه مثل محمّدٍ رسول الله فالهاء كناية عن الله و المشكوة الكوّة التّي لا منفذ لها.

و قيل هو مثل ضرب لقلب المؤمن و المشكاة صدره و المصباح القرآن و الزّجاجة قلبه في قول أبّي إبن كعب فهو بين أربع خلال إن أعطى شكر و إن إبتلي صبر و إن حكم عدل و إن قال صدق و قيل المشكاة عمود القنديل الذّي فيه الفتيلة و هو مثل الكوّة.

و قال كعب الأحبار المشكاة محمّد الله المُثَالَةُ و المصباح قلبه شبّه صدر النّبي بالكوكب الدُّري ثمّ رجع إلى المصباح أي قلبه شبَّهه بالمصباح كأنّه في زجاجة و الزّجاجة كأنّها كوكبٌ درّي يوقد من شجرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ لا شرقيّةٍ و لا غربيّةٍ يكاد زيتها يضئ، أي يتَّبين للنَّاس ولو لم يتكلُّم أنَّه نبَّى و مـن قـال، اللَّـه نــور السّموات يعنني منّورها، بالشَّمس و القمر و النّجوم ينبغى أن يتبعه ضرب المثل نُوالله على أنَّ ذلك مثل ما في مقدوره ثمَّ تنبث الأنوار الكثيرة عنه ضرب اللَّه تعالى لنوره الذِّي هو هدايته في قلوب المؤمنين بالمشكاة و هي الكوّة التِّي لا منفذ لها إذا كان فيها مصباح و هو السّراج و يكون المصباح في زجاجة و تكون الزّجاجة مثل الكوكب الدّري ثمّ عاد إلى وصف المصباح فقال يوقد من شجرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ، أي يشتعل من دهن شجرةٍ مباركةٍ و هي الزّيتونة الشّامية قيل لأنّ زيتون الشَّام أبرك و قيل وصفه بالبركة لأنَّ الزَّيتون يورق من أوَّله إلى أخره.

الفرقان في تفسير لقرآن روي ذلك عنه أيضاً و قال قتادة هي ضاحية للشّمس و قال الحسن ليست من شجر الدُّنيا: يَكُادُ زَيْتُهَا يُضَىءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسُهُ نَارٌ أي زيتها من صفاءه و حسنه يكاد يضي من غير أن تمسسه نار و تشتعل فيه و قال إبن عمر الشّجرة إبراهيم و الزّجاجة الّتي كأنّها كوكب درّي محمّد اللهوي البيان الذي أتى من عنده و قال زيد إبن أسلم نور على نور، معناه يضي بعضه بعضاً، و قيل معناه أنّه يتقلّب في خمسة أنوار فكلامه نور، و علمه نور، و مدخله نور، و مخرجه نور، و مسيره نور الى النّور يوم القيامة الى الجنّة.

و قال مجاهد ضوء النّار على ضوء النّور الزّيت على ضوء المصباح على ضوء الزّجاجة.

و قوله: يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشْآءُ أي يهدي الله لدينه و إيمانه من يشاء بأن يفعل له لطفاً يختار عنده الإيمان إذا علم أنّ له لطفاً و قيل معناه يهدي الله لنبوته من يشاء ممّن يعلم أنّه يصلح لها، و قيل يهدي الله لنوره، أي يحكم بإيمانه لمن يشاء ممّن آمن به، و قوله: وَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ معناه يضرب الله الأمثال للذين يفكرون فيها و يعتبرون بها وَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَعَيْءٍ عَلِيه خافية.

مذا ما ذكره الشّيخ في التّبيان بألفاظه و عباراته و أنمّا نقلناه بطوله و تفصيله لأنّ ما ذكره مَنْ أَنُ حاوٍ لأكثر الأقوال في المقام و لا نحتاج بعده الى ما ذهب اليه من تأخرٌ عنه لأنّهم أخذوا ما أخذوا منه بتغيير في الألفاظ و العبارات كصاحب البيان و غيره من مفسّري الشّيعة، و أمّا العّامة فقد أطالوا الكلام في تفسير الآية و ذكروا فيها ما ذكروا من عند أنفسهم و لا سيّما الّرازي في تفسيره الكبير فأنّه نقل عن

، الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ المجلد الثاني ؛

الغزالي ما قاله في كتابه الموسوم بمشكاة الأنوار و إعترض عليه بما شاء و أراد كما هو دأبه في جميع منقولاته ثمّ فصَّل الكلام في تفسير الآية بما لا فائدة في ذكره لأنّه لم يفهم ما قال و نحن أيضاً بعد إمعان النّظر لم نفهم منه شيئاً و ذلك لأنّه خرج عن موضوع البحث حول الآية و دخل فيما لا مناسبة له بالآية الشّريفة و هكذا الكلام فيما ذكره غيره من مفسّريهم كالطّبري و الزّمخشري و الألوسي و أمثالهم و من أراد الوقوف على ما ذكروه في تفاسيرهم فعليه بمراجعة كتبهم و لنرجع الى تفسير الآية.

فنقول الله نُورُ السَّمٰواتِ وَ الْأَرْضِ النُّور الضَّوء المنتشرة الّذي يعين على الإبصار، و ذلك ضربان، دنيّوي و أخروي، و الدنّيوي ضربان معقولٌ و محسوسٌ و المعقول هو الّذي يدرك بعين البصيرة و هو ما إنتشر من الأمور الإلهية كنور العقل و نور القرآن، و المحسوس يدرك بعين البصر و هو ما إنتشر عن الأجسام النيَّرة كالشَّمس و القمر و النُّجوم و السّراج و أمثالها من النَّيرات ثمّ أنّ النُّور ظاهرٌ بالذَّات و مظهرٌ للغير و معنى كونه ظاهراً بالَّذات أنّ النورانيّة ذاتيّةٌ له غير عارضة عليه كالرّطوبة للماء و السُّخونة و الحرارة للنّار و معنى كونه مظهراً لغيره أنّ ظهور الأجسام و المرّئيات به و هذا بعينه خاصيّة الوجود فأنّه ظاهرٌ بالَّذات و مظهرٌ للغير و نعني بالوجود حقيقة الوجود لا المفهوم العّام البّديهي فالوجود الحقيقي قائم بنفسه و غيره كائناً ما كان قائم بــه فــهو الظّـاهر بالذات و المظهر للغير و لأجل ذلك ترى حكماء الإشراق يعبّرون عن الواجب نزء ١٨ كا بنور الأنوار و حكماء المشائين يعبّرون عنه بواجب الوجود فقوله: ٱللَّهُ نُــورُ ٱلسَّمُواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ على مسلك الإشراقيين معناه أنَّ ظهور السَّموات و الأرض بنوره تعالى و على مسلك المشّائين معناه وجود السَّموات و الأرض قائم به لأنّه تعالى هو الحيّ القيّوم قائم بذاته و غيره قائم به و على هذا التّفسير لا نحتاج الى تأويل النُّور بالمنُّور كما ذهب اليه بعض المفسّرين و أن أمكن القول بأنَّ المراد بالمنّور هو معطى النُّور و هو غير منافٍ لما ذكرناه.

القرآن

رقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ العجا

و قال بعض المفسّرين، **اَللّٰهُ نُورُ اَلسَّـمُواْتِ وَ اَلْأَرْضِ** أَي ذو نور السموات و الأرض فحذف المضاف و أقيم المضاف اليه مقامه كما يقال رجلّ عدل، أى ذو عدل.

أقول ما ذكره ليس بشئ لأنّ قولنا رجلٌ عدل، ليس من قبيل حذف المضاف بل هو من قبيل حمل المصدر على الذات مبالغة أي كأنّه نفس العدل من شدّة عدالته و على هذا فقولنا اللآه نور السّموات معناه هو نفس النُّور لا ذو نور السّموات، إذ ليس النُّور عارضاً على ذاته كما أنّ العدل عارض على ذات الرّجل، بل الدّات في الواجب عين النُّور و نفسه فأنّ الصّفات عين ذاته و محصّل الكلام أنّ اللّه تعالى هو نور السّموات و الأرض أو معطي النُّور لهما و المأل واحد و المراد بالسّماوات و الأرض جميع الموجودات فيهما و هو ظاهر و حيث أنّ الأنوار الإلهية لها مصاديق كثيرة فتارةً يطلق على القرآن:

قال اللّه تعالىٰ: قَدْ جَآءَكُمْ مِنَ ٱللَّهِ نُورُ وَ كِتَابُ مُبِينٌ (١٠).

قال اللّه تعالىٰ: إِنَّا أَنْزَلْنَا ٱلتَّوْرِيٰةَ فَبِهَا هُدًى وَ نُورٌ (٢).

قال الله تعالى: وَ أَتَيْنَاهُ ٱلْإِنْجِيلَ فَيِهِ هُدًى وَ نُورُ<sup>(٣)</sup> و غيرها من الأيات.

قال تعالىٰ: آللَّهُ نُورُ آلسَّمُواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ أَي أَنَ هذه الأنوار في عالم الوجود كلّها يرجع إلى نوره تعالىٰ فأنّه لا مؤثّرٌ في الوجود إلاّ هو.

مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكُوةٍ فيها مِصْباحٌ آلْمِصْباح في زُجاجَةٍ المِشكة بكسر الميم الكُوّة غير النّافذة، و قيل هي الحديد أو الرّصاصة التّي يوضع فيها الزّيت و قيل هي العمود الذي على رأسه المصباح، و قيل ما يعلّق فيه القنديل من الحديدة و في القاموس و شرحه المشكاة كلّ كوّةٍ غير نافذة و كلّ ما يوضع فيه أو عليه المصباح.

١- المائدة = ١٥

و قيل المشكاة حبشيّة معرّبة إذا عرفت هذا فنقول الضّمير في نوره، عائد على اللَّه تعالى و هذا ممَّا لا خلاف فيه، و الكاف في قوله: كَمِشْكُوةٍ، من أداة التّشبيه فقد جاء التّشبيه في المقام بواسطة الأداة و هي الكاف فالمشّبه هو النُّور و المشبّه به المشكاة و حرف التّشبيه الكاف و وجه الشَّبه الإنارة فقد كمل التّشبيه بأركانها الأربعة و إختلفوا في هذا التّشبيه هل هو تمثيلًى أي مرّكبٌ قصد فيه تشبيه جملةٍ بجملةٍ من غير نظر إلى مقابلة جزء بجزء بل قصد تشبيه نوره بهذه الجملة من النُّور الّذي تتَّخذونه و هو أبلغ صفات النُّور عندكم أعنى به السّراج في المشكاة.

أو هو غير تمثيلًى أي غير مرّكب قصد فيه مقابلة جزء بجزء و على التّقديرين هو من تشبيه المعقول بالمحسوس و حيث أنَّ المشبِّه به يكون أقوى من المشبِّه في التّشبيه شبَّه النُّور بالمشكاة التّي فيها مصباح و هـو فـي زجـاجةٍ فأنّ نـور المصباح الّذي في زجاجةٍ في المشكاة أقوى حسّاً من غيره و لعله لهذا يوضع الزّجاجة التّي فيها مصباح في المشكاة و يمكن أن يكون وجه الشُّبه هـو كـون النُّور تحت الحجب و الله أعلم.

ٱلزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبُ دُرِّيُّ يُوقَدُّ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةِ وَ لَا غَرْبِيَّةِ ثُمَّ وصف اللَّه الزَّجاجة التِّي يكون المصباح فيها بـقوله: كَأَنُّها كَوْكَبُ دُرِّيٌّ الكاف للتّشبيه أي أنّ الزّجاجة كأنّها كذلك، الزّجاج بفتح الزّاء و ضمّها و كسرها جسمٌ شفاف يصنع من الرَّمل، و القلى و الإناء و القطعة منه الزّجاجة بتليء الزّاي أيضاً، والدُّري بضّم الدّال من غير همزِ و بالتّشديد منسوبٌ نزء ١٨> إلى الدُّر شبّه به لصفائه و إضائته و المعنى أنّ الزّجاجة التّى فيها مصباح كأنّـها كوكبٌ درّي في صفائها و إضائتها و قوله: يُوقَدُ، أصل الوقود يقال للحطب المجعول للوقود و قد يستعار ذلك للتَّلألوء فيقال إتَّقد الجوهر و الذَّهب و هذا هو المراد في المقام و على هذا فمعنى الكلام أنّ الكوكب الدُّري يتلالو من شجرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ أي يشتعل من دهـن شـجرةٍ مـباركةٍ وصـفها بـالبركة لأنّ الزَّيتون يورق من أوَّله إلى أخره.

لقرآن

رقان في نفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ العبو

و قوله: لا شَرْقِيَّةٍ وَ لا غَرْبِيَّةٍ، الظّاهر أنّ قوله: لا شَرْقِيَّةٍ وَ لا غَرْبِيَّةٍ وصف للشَّجرة أي أنّ الشَّجرة كذلك و إختلفوا في معنى الكلام فقال قوم لا شرقية بشروق الشّمس عليها فقط و لا غربيّة بغروبها عليه فقط بل هي أي الشَّجرة تأخذ حظّها من الأمرين فهو أجود لزيتها.

و قال صاحب الكشّاف أنّ الشّمس و الظّل يتعاقبان عليها و ذلك أجود لحملها و أصفى لدهنها، و قيل أنّها ليست من شجر الدُّنيا و الأقوال فيها كثيرة.

يَكُادُ زَيْتُهُا يُضَمَىءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ أي زيتها من صفائه و حسنه يكاد يضئ من غير أن تمسه نار و تشتعل فيه.

نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِى ٱللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَآءُ وَ يَنضْرِبُ ٱللّٰهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَآءُ وَ يَنضْرِبُ ٱللّٰهُ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَيْمٌ

قيل معناه نور الهدى إلى توحيده على نور الهدى بالبيان الذّي أتى به من عنده، و قيل معناه يضئ بعضه بعضاً، و قيل أنّه يتّقلب في خمسة أنوار فكلامه نور، و علمه نور، و مدخله نور، و مخرجه نور، و مسيره نور إلى النّور يوم القيامة إلى الجنّة.

وعن مجاهد أنّه قال، ضوء النّار على ضوء النّور على ضوء الزّيت على ضوء المصباح على ضوء الزّجاجة و قوله: يَهْدِى ٱللّهُ لِنُورِم أي لمعرفته و دينه و إيمانه من يشاء من عباده بأن يفعل له لطفاً يختار عنده الإيمان، و قيل يهدي اللّه لنبّوته من يشاء ممّن يعلم أنّه يصلح لها، و قيل يحكم بإيمان من يشاء ممّن أمن به و يضرب اللّه الأمثال لمن يتفكّر فيها و يعتبر بها، و اللّه بِكُلِّ شَيْءٍ عَليم ، لا يخفى عليه خافية لأنّه قد أحاط بكلّ شي علماً و قد مرّ الكلام في معنى علمه تعالى غير مرّة فيما مضى هذا كلّه تفسير ألفاظ الآية و أمّا المراد منها فاللّه أعلم و الإنصاف أنّ الآية من المتشابهات بل المشكلات التّي لا يعلم تفسيرها إلاّ اللّه و الرّاسخون في العلم و أنّما قلنا ما قلنا في تفسيرها تبعاً للقوم فلابّد لنا من نقل بعض الأخبار الواردة في الآية من طريق أهل البيت فأنهم أدرى و اعرف بما في البيت.

منها ما رواه في الكافي بأسناده عن صالح بن سهل الهمداني قال: قال أبو عبد الله المنظيلا في قول الله عز وجلّ: آلله أنور السّموات و آلاًرْضِ مَثَلُ نُورِهٖ كَمِشْكُوةٍ هي فاطمة للهلا فيئها مصباح، الحسن، المصباح في زجاجة، الحسين المنظية الزجاجة كأنها كوكب درّي، فاطمة كوكب درّي بين نساء أهل الدّنيا يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ إبراهيم الخليل المنظيلا لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَةٍ، أي لا يهودية و لا نصرانية، يَكادُ زَيْتُها يُضَىءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ نُورُ عَلَى نُورٍ إمام منها بعد إمام يَهْدِى ٱلله لِنُورِهِ مَنْ يَشاء و يَضْرِبُ مَنْ يَشاء و يَضْرِبُ الله الأَنه عليهم السّلام مَنْ يَشاء و يَضْرِبُ الله الأَمْقال لِلنّاس الحديث.

و في كتاب التوحيد بأسناده عن عبّاس بن هلال قال سألتُ الرّضا الله عن قول الله عزّ وجلّ: ٱلله نُورُ ٱلسَّمُواتِ وَ ٱلْأَرْضِ، قال اللهِ عن قول الله عزّ وجلّ: هادى لأهل السّموات و الأرض إنتهى.

و قد روي عن الصّادق النّيلا: أنّه سئل عن قول الله عزّ وجلّ: اَلله نُورُ اَلسَّمُواتِ وَ اَلاً رُضِ فقال النّيلا: هو مثل ضربه الله لنا فالنّبي و الأئمّة صلوات الله عليهم من دلالات الله و أياته التّي يهتدي بها إلى التّوحيد و مصالح الدّين و شرائع الإسلام و السُّنن و الفرائض و لا قوّة إلاّ بالله العلّى العظيم إنتهى.

 رقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ المجلد الثاني عنا

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

نسرالقرآن 🔷 🌱 المجلدال

قال عليه الله عَرْبِيَّة ، قات يُوقَدُ مِنْ شَجَرَة مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّة وَ لا غَرْبِيَّة ، قال عليه الله عَرْبِيَّة ، قال عليه الله عَرْبَ عَلَى الله عَلَم العالم من أل محمّد من قبل أن ينطق به ، قلت نُورٌ عَلَى نُورٍ ، قال عليه الإمام إثر الإمام إنتهى .

و بأسناده عن عيسى بن راشد عن محمّد بن علّي بن الحسين عليهم السّلام في قول الله عزّ وجلّ: كَمِشْكُوة فيها مِصْباحٌ، قال السِّخِ المشكاة نور العلم في صدر النّبي الشَّنِ الْمُصْباحُ في رُجَاجَة الزُّجاجَة صدر علي السِّخِ صار علم النّبي الى صدر علي علم النّبي علياً السِّخِ، الرُّجاجَة كَأَنّها كَوْكَبُ دُرِّيٌ يُسوقَدُ مِنْ عَلَم النّبي علياً السِّخِ، الرُّجاجَة كَأَنّها كَوْكَبُ دُرِيٌ يُسوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ قال السِّخِ نور العلم لا شَرْقِيَّة و لا غَرْبِيَّة قال: لا يهودية و لا نصرانية يكاد أن محمّد يتكلّم بالعلم قبل أن يسأل نُورٌ على نُورٍ يعني إماماً مؤيّداً بنور العلم و الحكمة في إثر الإمام من أل محمّد يتكلّم بالعلم قبل أن يسأل نُورٌ على نُورٍ يعني إماماً مؤيّداً بنور العلم و الحكمة في إثر الإمام من أل محمّد النبي إلى أن تقوم السّاعة أل محمّد الله عزّ وجلّ خلفاء في أرضه و فهؤلاء الأوصياء الذين جعلهم الله عزّ وجلّ خلفاء في أرضه و حجمه على خلقه لا تخلو الأرض في كلّ عصرٍ من واحدٍ منهم إنتهى.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن الح

أريد أن أقبضك فإجعل الذي عندك عند الوَّصي كما يجعل المصباح في الزّجاجة، كَأَنَّها كَوْكَبُ دُرِّيُّ، فأعلمهم فضل الوَّصي يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْارَكَةٍ فأصل الشَّجرة المباركة إبراهيم اليَّالِيِّ. رَحْمَةُ اللهِ وَ بَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَميدُ مَجيدُ (١) و هو قول الله عزّ وجلّ: رَحْمَةُ اللهِ وَ بَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَميدُ مَجيدُ (٢) و هو قول الله عزّ الله عزّ وجلّ: إِنَّ اللهَ اَصْطَغَى ادَمَ وَ نُوحًا وَ ال إِبْراهيمَ وَ الْ عِمْرانَ عَلَى الله عزّ وجلّ: إِنَّ اللهَ اَصْطَغَى ادَمَ وَ نُوحًا وَ ال إِبْراهيمَ وَ الْ عِمْرانَ عَلَى الْعَالَمينَ، ذُرِيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضِ وَ اللهُ سَميعُ عَليمُ (٣) لا شَرْقِيَّة وَ لا غَرْبِيَّةٍ يقول ألستم بيهود فتُصلوا قبل المغرب و لا نصارى فتصلوا قبل المغرب و لا نصارى فتصلوا قبل المغرب و قد قال الله عزّ وجلّ: قبل المشرق و أنتم على ملّة إبراهيم اللهُ اللهُ عن وجلّ: ما كانَ إِبْراهيمُ يَهُودِيًّا وَ لا نَصْرانِيًّا وَ لَكِنْ كَانَ حَنيفًا مُسْلِمًا وَ مَا كانَ مِنَ المُشْرِكِينَ (٢).

و قوله: يَكَادُ زَيْتُهَا يُضَىءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ نُورُ عَلَى نُورٍ يَهْدِى اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ (۵) يقول مثل أولادكم الّذين يولدون مثل الزّيت الّذي يعصر من الزّيتون يكادون أن يتكلّموا بالنّبوة و أن لم ينزل عليهم ملك إنتهى.

أقول الأحاديث نقلناها عن تفسير نور الثّقلين (<sup>6)</sup> و الأحاديث كثيرة في الباب و أن كان الفهم قاصراً عنها أيضاً.

في بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ يُسَبِّحُ لَـهُ فيها بِالْغُدُوِّ وَ ٱلْأَصْالِ، رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ ٱللهِ وَ إِقَامِ ٱلصَّلُوةِ وَ ايِتَٰآءِ ٱلزَّكُوةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فَهِهِ ٱلْـقُلُوبُ وَ أَلْأَبْصَارُ

۲- هو د = ۷۳

۴- آل عمران ۶۷

۶- ج ۳ ص ۶۰۲ إلىٰ ص ۶۰۵

۱- هود = ۷۳

٣- آل عمران = ٣٣/٣٤

۵- النور = ۳۵

قال صاحب الكشّاف في بيوت، يتعلّق بما قبله أي كمشكاةٍ في بعض بيوت الله و هي المساجد كأنّه قيل مثل نوره كما يرى في المسجد نور المشكاة التّي من صفتها كيت و كيت، أو بما بعده و هو يسبّح أي يسبّح له رجال في بيوت و فيها تكرير كقولك زيد في الدّار جالس فيها، أو بمحذوف كقوله في تسع أيات أي يسبّحوا في بيوت و المراد بالإذن الأمر و رفعها بناءها إنتهى.

قال بعض المفسّرين الظّاهر أنّ في بيوت، مطلق فيصدق على المساجد و البيوت التّي تقع فيها الصّلاة و العلم.

و قال مجاهد بيوت الرّسول و قال إبن عبّاس و الحسن و مجاهد هي المساجد التي من عادتها أن تنّور بذلك النّوع من المصابيح و قيل، الكعبة و بيت المقدّس و مسجد الرّسول و مسجد قبا.

أقول الحقّ انّ في بيوت، يتعلّق بما بعده و هو يُسبّح بفتح الباء بصيغة المجهول و التقدير يسبّح له رجال في بيوتٍ أن قرئ بكسر الباء في يسبّح أو يسبّح له أن قرئ بفتح الباء بالغدّو و الإصال في بيوتٍ أذن الله أن ترفع و يذكر فيها إسمه و أنّما قلنا ذلك لأنّ إبن عامر و إبن شاهي و غيرهما قرأوا، يُسبّح بفتح الباء و الباقون بكسرها فمن فتح الباء و قرأ على ما لم يسم فاعله فقد تمّ الكلام عند قوله: و آلاً صال و من كسر الباء فالفاعل.

قوله: رِجُالٌ أي يسبَّح فيها رِجُالٌ لا تُلْهيهِمْ، و أكثر القُراء على الكسر و عليه المصاحف و على هذا فتقدير الكلام يسبّح له فيها بالغدوّ و آلاصال، رِجالٌ لا تُلْهيهِمْ تِجْارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ آللهِ في بيُوت أذِن اللّه أن تُرفع ويُذكر فيها إسمه.

و بأسناده عن محمّد بن الفضل قال سألت أبا الحسن اليلام عن قول الله عزّ وجلّ: في بُيُوتٍ أَذِنَ ٱلله أَنْ تُرْفَعَ قال اللهِ بيُوت محمّد الله عُنَّ ثُمَّ بيوت علي منها إنتهى.

مارواه عن إبن عبّاس قُال كنت في مسجد رسول الله وَ الله عَلَيْنَا وَ قَد قرأ القارئ في بُيُوتٍ أَذِنَ ٱلله فقلت يا رسول الله ما البيوت فقال مَا الله عنه الله عنه الله عنه الله عنه المناطقة الم

ما رواه بأسناده عن عيسى بن داود قال حدَّثنا الإمام موسى إبن جعفر عليه عن أبيه في قول الله عزّ وجلّ: في بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللهُ أَنْ تُرْفَعَ قال بيُوت أل محمد الله عزّ وجلّ: في بيُوت ألاهم أنْ تُرْفَعَ قال بيُوت أل محمد الله المحمد الله عنه و الإصال، قال الصّلاة في الحسين و جعفر و حمزة قلت بالغُدو و الإصال، قال الصّلاة في أوقاتها قال ثمّ وصفهم الله عزّ وجلّ و قال: رِجْالٌ لا تُلهيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ ٱللهِ قال عليها الله عنهم غيرهم الخبر.

ما رواه بأسناده عن جابر عن أبي جعفر في قوله تعالى: في بيوت أَذِنَ ٱلله أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فيها آسْمُهُ قال النَّالِا: هي بيوت الأنبياء و بيت على منها إنتهى.



الله أضطفى أدم و نُوحًا و ألَ إِبْراهيم و ألَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمينَ إنتهى. ما رواه بأسناده عن الثّمالي عن أبي جعفر النّيلِ قال أتى قتادة أبا جعفر النيلِ فقال النيلِ له أنت فقيه أهل البصرة قال: نعم فقال له أبو جعفر ويحك ياقتادة أنّ الله عزّ وجلّ خلق خلقاً من خلقه فجعلهم حججاً على خلقه فهم أوتاد في أرضه قوّام بأمره نجباء في علمه إصطفاهم قبل خلقه أظلَّهم عن يمين عرشه قال فسكت قتادة طويلاً ثمّ قال أصلحك الله و الله لقد جلست بين يدي الفقهاء و قدّام إبن عبّاس فما إضطرب قلبي قدّام واحدٍ منهم ما إضطرب قدّامك فقال له أبو جعفر أتدري أين أنت بين يدي بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها إسمه يسبّح له فيها بالغدُّو و الإصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله و أقام الصّلاة و إيتاء الزّكوة، فأنت ثمّ و نحن أولئك منها له قتادة صدقت و الله جعلني الله فداك و الله ما هي بيوت فقال له قتادة صدقت و الله جعلني الله فداك و الله ما هي بيوت حجارة ولا طين و تمام الخبر في كتاب الإحتجاجات إنتهى.

أقول الأحاديث من طرق الشّيعة كثيرة.

و أمّا من طرق العامّة فقد روى الحافظ الحسكاني وهو من أعيان العّامة في كتابه المسّمى بشواهد التَّنزيل بأسناده عن أبي داوود عنِ أبي برزة. ِ

قال قرأ رسول الله ﷺ فَهَا أَنْ تُكَالَّهُ وَ فَيَ بُيُوتٍ أَذِنَ ۗ ٱللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ قال هي بيوت النّبي اللَّيْكَةِ و قيل يا رسول الله أبيت علّيٍ و فاطمة منها قال اللَّهُ الْفَكَاةِ: من أفضلها إنتهي.

ما رواه بأسناده عِن أنس و بريدة قالا قرأ رسول الله سَلَهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ هذه الآية في بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ الى قوله: وَ ٱلْأَبْصَارُ فقام إليه رجل فقال يا رسول الله أيّ بيوت هذه قال بيوت الأنبياء فقام إليه أبو بكر فقال يا رسول الله هذا البيت منها (لبيت علّي وفاطمة) قال اللهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ نعم من أفاضلها إنتهي.

أقول الأخبار الواردة عن الطّريقين كثيرة جـدّاً و فـيما ذكـرناه كـفاية لأولى الأبصار و الدّراية فهذه الأخبار تنادي بأعلى صوتها أنّ المراد بالبيوت في الآيـة هي بيوت الأنبياء و بيت علّي و فاطمة من أفضلها و هكذا بيوت الأئمّة لعدم القول بالفعل و إلى هذا المعنَّى أشار الإمام الهادي النِّكِ في الزّيارة الجامعة لجميع الأئمة عليهم السّلام حيث قال:

خَلقَكُم الله أنواراً فَجَعلكُم بعَرشِه مُحدِقين، حَتَّىٰ مَنَّ عَلَينا بِكُم فَجعَلكُم في بيُوتٍ أذِن الله تُرفَعَ و يُدكَر فيها اسمَهُ ألخ.

و إذا عرفت المراد بحسب الأخبار الواردة في الباب فأعلم.

أنَّ البيت كما يطلق على بيت الحجر و الطِّين، يطلق على البيت المعنَّوي فأنَّه شائع بين العرب و العجم التَّعبير عن الأنساب الكريمة و الأحساب الشّريفة بالبيوت كما يقال، فلانٌ له بيتٌ شريفٌ، أي شرفٌ و نسبٌ حال و على هذا فالمراد برفعها أي رفع البيوت في قوله (أذن اللَّه أن ترفع) ليس رفعها بالطِّين و ر الحجارة كما زعمه صاحب الكشّاف و من تبعه من مفّسري العّامة حيث إستَّدلوا بقوله تعالى: وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ ٱلْقَواعِدَ(١) بل المراد رفعها المعنوي الّذي لا يعقله و لا يفهمه إلاّ المنصف المنزّه عن اللجّاج و العناد و أيّ ربطٍ بين قوله تعالى: في بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وبين اذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت) اليس قوله تعالى: يُسَبِّحُ لَهُ فيها بِالْغُدُو وَ ٱلْأَصَالِ قرنية علىٰ أنّ

المراد بالرَّفع هو الرفع المعنوي الذي يحصل بالتَّسبيح لا الرَّفع الصُّوري الَذي يحصل بالطَّين و الحجارة و الخشب و من يضلل الله فما له ما هاد و أمّا قول من قال بأنّ المراد بها مساجد الله فهو أيضاً باطل لا محَّصل له و ذلك لأنّ البيت إذا لم يضف الى الله لا يحمل على المسجد و ما نحن فيه ليس كذلك لأنّه لم يقل في بيوتي رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ و لا بيعٌ عن ذكر الله و أقام الصّلاة و إيتاء الزّكوة يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب و الأبصار.،

و بما ذكرناه في تفسير الآية السّابقة ظهر معنى هذه الآية أيضاً و ذلك لأنّ الله تعالى وصف من في البيوت و قال رجال لا تلهيهم تجارةً و لا بيعٌ عن ذكر الله و هؤلاء الرّجال هم الذين يسبّحون الله فيها بالغُدو و الإصال و يخافون يوماً تتَّقلب فيه القلوب و الأبصار و هو يوم القيامة و هذه الآية من أدَّل الدَّلائل على أنّ المراد بالبيوت بيوت النَّبوة و على هذا فالمراد بالرّجال الأئمة و عباد الله الصّالحين من شيعتهم و المراد بذكر الله ليس ذكر الله بلسانهم فقط بل المراد به الذكر اللّساني و الحالي و العملي و أن شئت قلت ذكر الله على كلّ حال، و قوله: وَ إِقَامَ السّائية فيه آلْقُلُوبُ و آلاً بصارُ، إشارة إلى هول المطلع.

و من المعلوم أنّه لا يخاف منه إلاّ المؤمن و أمّا الفاسق و الكافر و الّذي لا يعتقد بالقيامة فلا يخاف لجهله و كيف كان فأنّ هذه الأوصاف لا توجد إلاّ في المؤمن الكامل في إيمانه و لذلك قال الله تعالىٰ: لِيَجْزِينَهُمُ ٱللّٰهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَ يَزيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ ٱللّٰهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ و المعنىٰ أنّهم يفعلون ذلك طلباً لمجازات الله إيّاهم بأحسن ما عملوا من ثواب الجنّة و يزيدهم على ذلك من فضله وكرمه ثمّ أخبر الله تعالى أنّه يرزقهم على أعمالهم و طاعاتهم تفضّلاً منه بغير حساب فأنّ الثّواب لا يكون إلا بحسابٍ و التَّفضل يكون بغير حساب ففي الآية إخبارٌ بالثّواب و التَّفضل معاً.

وَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوۤا أَعْمَالُهُمْ كَسَراب بِقيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْانُ ماآءًحَتَّى إذا جاآءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَ وَجَدَ ٱللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّيْهُ حِسْابَهُ وَ ٱللَّهُ سَريعُ ٱلْحِسابِ (٣٩) أَوْ كَظُلُماتٍ في بَحْرِ لُجِّى يَغْشيهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَـوْقِه سَحاً بُ ظُلُّماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضِ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَريْهَا وَ مَنْ لَمْ يَجْعَل ٱللَّهُ لَـهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورِ (٤٠) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَـهُ مَـنْ فِـى ٱلسَّـمُواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صٰآفًّاتِ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَ تَسْبيحَهُ وَ ٱللَّهُ عَليمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤١) وَ لِلَّهِ مُسلُّكُ ٱلسَّمٰواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ إِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصيرُ (٤٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَ يُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمٰآءِ مِنْ جِبْالِ فيها مِنْ بَرَدٍ فَيُصيبُبِهِ مَـنْ يَشَآءُ وَ يَصْرفُّهُ عَنْ مَنْ يَشْآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (٢٣) يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱللَّيْلَ وَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فَى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي ٱلْأَبْصَارِ (٢٣) وَ ٱللُّـهُ خَلِّقَ كُلَّ دٰآبَّةٍ مِنْ مٰآءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشى عَلَى بَطْنِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشى عَلَى رِجْلَيْنِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشَى عَلَىٓ أَرْبَع يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ

لرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ المجلد الثاني عنا

#### ▶ اللّغة

كَسَرَابٍ بِهِبَةٍ: السَّراب بفتح السّين شعاع يتَّخيل كالماء يجري على الأرض نصف النّهار حين يشتّد الحرّ، و أنّما قيل سراب لأنّه يتسرّب أي يجري كالماء.

يقيعة: بكسر القاف و سكون الياء و فتح العين جمع قاع، و هو المنبسط من الأرض الواسع و فيه يكون السراب و يجمع أيضاً على، أقواع، و قيعان و الشّعاع بالقاع يتَّكشف فيرى كالماء فإذا قرب منه صاحبه أنفش كالضباب فلم يره شيئاً كما كان و قال إبن عبّاس القيعة الأرض المستوية.

آلظَّمْانُ: الظُّمأ العطش.

لُجِّيَّ: بضّم اللّام و كسر الجيم لجّة البحر معظمه الذّي تتراكب فيه أمواجـاً لا يرى ساحله.

يَغْشَيْهُ: أي يستره.

صْآفَٰتِ: أي في حال إصطفافها في الهواء.

يُؤجى: أي يسوق و منه زجا الخراج إذا إسناق إلى أهله و أزجاه فلان أي ساقه. رُكَامَهُ: الرُّكام بضّم الراّء المتراكب بعضه فوق بعضٍ.

آلْوَدْقَ: بـفتح الواو و سكـون الدّال و القـاف المـطر يـقال ودقت السّـحابة إذا أمطرت.

خِلْاِلهِ: بكسر الخاء جمع خلل.

سَنَا بَرْقِهِ: أي ضياء برقه و قيل ضوء برقه.



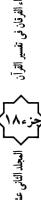
#### ◄ الإعراب

بِهَبَهَ في موضع جرّ صفة لسراب والياء في، قيعةٍ، بـدل مـن واو لسكـونها و إنكسار ما قبلها لأنّهم قالوا في وقاع أقواع يَحْسَبُهُ صفة لسراب شَيثُافي موضع المصدر أَوْ كَظُلُمَاتٍ معطوف على، كسراب، في بحرٍ، صفة لظلمات و يَغْشيْهُ صفة أخرى و مِنْ فَزْقِهِ صفة لموج ظُلُمَاتُ بالرَّفع خبر مبتدأ محذوف أي هذه ظلمات وَٱلطَّيُّرُمعطوف على من و صٰآفَّاتٍ حال من الطَّير.

#### ▶ التّفسير

وَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرابِ بِقيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمَانُ مِآءًحَتَّىۤ إِذَا جْآءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَ وَجَدَ ٱللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفّيٰهُ حِسْابَهُ وَ ٱللَّهُ سَريعُ آلْحِسٰاب

أخبر اللّه تعالى في هذه الآية و ما بعدها عن أحوال الكفّار بعد ما أخبر في الآية السّابقة عن أحوال المؤمنين فقال و الذّين كفروا باللّه و رسوله و بما جاء به أعمالهم التّي عملوها و إعتقدوا أنّها طاعات و قربات كسرابِ بـقيعةٍ، شبَّه أعمالهم بسرابٍ في مكانٍ منخفضٍ ظنَّه العطشان ماءً، فقصده و أتعب نفسه في الوصول إليه حتّى إذا جاءه أي جاء موضعه الّذي تخَّيله فيه لم يجده شيئاً أي - مع الدُّنو لا يرى شيئاً كذلك الكافر يظّن أنّ عمله في الدَّنيا نافعة حتّى الرَّنيا نافعة حتّى المُّنيا نافعة حتّى إذا أفضى إلى الأخرة لم ينفعه عمله بل صار و بالاً عليه و إلى هذا المعنى أشار الله تعالى بقوله: يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْانُ مُآءَحَتَّى إِذا جَآءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا، و ذلك لعدم الإخلاص في العمل مع أنّ الإخلاص يتَّفرع على المعرفة بالله و رسوله و المفروض أنّه كافر باللّه فكيف يتَّمشي منه الإخلاص و إذا كان كذلك فلا قيمة لعمله.



ضياء الفرقان في تفسير القرآن

قال صاحب الكشّاف شبّه ما يعمله من لا يعتقد الإيمان و لا يتبع الحقّ من الأعمال الصالّحة التّي يحسبها تنفعه عند اللّه و تنجيه من عذابه ثمّ تخيب في العاقبة أمله و يلقى خلاف ما قدر، لسراب يراه الكافر بالسّاهرة و قد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماءً فيأتيه فلا يجد ما رجاه و يجد زبانية اللّه عنده يأخذونه فيغلونه إلى جهنّم فيسقونه الحميم و الغساق.

أقول على قول صاحب الكشّاف يكون تشبيه أعمال الكافر بالسّراب في الأخرة و ظاهر الآية أنّ المشّبه به أعني به السّراب في الدّنيا و يؤيّده أنّ الله تعالى ضرب مثلاً و شبّه شيئاً بشئ لكفّار في الدّنيا ليعتبروا به و يصلحوا أعمالهم فيها و أمّا الأخرة فهي دار الجزاء لا دار الإعتبار و بعبارة أخرى المشبّه به لابد أن يكون محسوساً للعامل و هو ليس إلا في الدُّنيا لا في الأخرة ثمّ كيف يتَّحقق التَّشبيه بما لا يحسّ و لا يدرك في دار العمل، قيل أناً الآية نزلت في عتبة بن ربيعة بن أميّة قد كان تعبّد لبس المسوح و إلتمس الدّين في الجاهليّة ثمّ كفر في الإسلام.

أقول خصوصية المورد لا تنافي عموم المعنى و هو ظاهرٌ و أمّا قوله: وَ وَجَدَ اللّهُ عِنْدَهُ فَوَقَيْهُ حِسْابَهُ وَ اللّهُ سَرِيعُ الْحِسْابِ، فالضّمير في وجد، للكافر الذي ضرب له مثلاً الظّمأن أي فوجد هذا الكافر وعد الله بالجزاء على عمله بالمرصاد فوّفاه حسابه عمله الذي جازاه عليه و أفرد الضّمير في، وجد، بعد تقدّم الجمع حملاً على كلّ واحدٍ من الكفّار.

أَوْ كَظُلُمُاتٍ فَى بَحْرٍ لُجِّيِّ يَغْشَيْهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَـوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَريْها وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ ٱللّٰهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ

شبّه اللّه تعالى ثانياً أعمال هؤلاء الكفّار بالظُّلُمات التّي في بحر لجّي و هـو أيضاً من تشبيه المعقول بالمحسوس و أنّما وصف البحر باللّجي و هو العميق الكثير الماء منسوبٌ إلى اللّج و هو معظم مـاء البحر لأنّ هـؤلاء الكفّار يـرون



ضياء الفرقان في تفسير القرآن ،

نسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ المجلد النا

أعمالهم كثيرة نافعة صالحة، لأنهم يظنون أنهم يحسنون صنعاً ولم يعلموا أنّ أعمالهم لا قيمة لها عند الله لأنّها كظلمات في بحر لجّي يغشاه أي يستره موج من فوقه موج من فوقه ظلمات، مبالغة في تشبيه هذه الأفعال بالظّلمات المتكاثفة على ما وصفه الله تعالى و الظّلمات مثل التّحير و التّحير الجهل الذي يغشى القلب.

قال بعض المفسّرين أنّما أتى بتشبيهين لأنّ التَّشبيه الأوّل بالنّسبة إلى الأخرة و الثّاني بالنّسبة إلى الدّنيا فشَّبه أوّلاً أعمالهم في إضمحلالها و فقدان شمرتها بسرابِ في مكانٍ منخفضٍ ظنّه العطشان ماءً.

ثانياً: بالظُّلمات المتكاثفة التي لا أصل لها و أنّما هي أمواج توجد و تفني و بعبارةٍ أخرى شبَّهها في ظلمتها و سوادها لكونها باطلة و في خلّوها عن نور الحقّ بظلمات متراكمة من لجّ البحر و الأمواج و السّحاب بحيث إذا أخرج يده لم يكد يراها مع أنّه بدون هذه الظُّلمات لا يراها و ذلك لأنّ معنى، لم يكد يراها، لم يقارب أن يراها فهي نفي مقاربة الرّؤية على الحقيقة فضلاً عن أصل الرّؤية و على هذا فوجه الشَّبه في هذا التَّشبيه هو أنّ أعمالهم كالأمواج المتراكمة المتكاثفة التي لا حقيقة لها و هو من عجائب التَّشبيه.

وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ ٱللّٰهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورِالظّاهر أنّ المراد منه نُور الإيمان و هو التوحيد و النبوة و المعاد و المراد بالجعل في الآية هو التوفيق أي من لم يوَّفقه الله للإيمان فما له من نور بل هو في ظلمة الكفر و الجهل و قيل معناه من لم يجعل الله له نوراً يوم القيامة يهدي إلى الجنَّة فما له من نور يهديه إليها، و الحقّ ما ذكرناه لأنّ من لم يجعل الله له نوراً في الدّنيا كيف يجعل له نوراً يوم القيامة و قد ورد أنّ الدّنيا مزرعة الأخرة.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي ٱلسَّـمٰواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَٱلطَّـيْرُ طَآفًاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ وَ ٱللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ الإستفهام للإنكار أي ترى فهو من قبيل قوله تعالىٰ: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَهُوع قَديرُ<sup>(١)</sup> أي تعلم و الرّؤية في الآية قيل هي الرّؤية بالبصر و قيل بـالقلب بدليل قوله كلِّ قد علم صلاته و تسبيحه و الحقّ الجمع بين البصر و القلب لأنَّ الرّؤية بالبصر تؤدّي إلى الرّؤية القلبيّة و قوله: مَنْ فِي ٱلسَّمُواْتِ وَ ٱلْأَرْض يشمل جميع المخلوق من الملائكة و الجنّ و الإنس و الحيوان و النّبات و الجماد إلاَّ أنَّ تسبيح كلِّ موجودٍ بحسبه و توضيح ذلك أنَّ التَّسبيح من السَّبح و هو في اللُّغة المر السَّريع في الماء و في الهواء يقال سبح سبحاً و سباحةً و أستعير لمرَّ النَّجوم في الفلك كقوله تعالى: كُلُّ في فَلَكٍ يَسْبَحُونَ و لجري الفرس نحو، فالسّابحات سبحاً، و لسرعة الذّهاب في العمل نحو، إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَويلًا (٢) و أمّا التَّسبيح فهو تنزيه الله تعالى و أصله المرّ السَّريع أيضاً إلاّ أنّه في عبادة اللَّه و هو عامٌ في العبادات قولاً كان أو فعلاً أو نيَّةً إذا عرفت هذا فأعلم أنّ الأشياء كلُّها تسبّح له تعالى بعضها بالتّسخير و بعضها بالإختيار و لا خلاف أنّ السَّموات و الأرض مسبحات بالتَّسخير من حيث أنَّ أحوالها تدلُّ على حكمة الله و أنَّما الخلاف هل تسبّح بإختيار أم بالتَّسخير قيل الآية تقتضي الإختيار.

أقول الآية لا تقتضي ذلك و أنّما هي و غيرها من الأيات دالّة على أنّها تسبّح و أمّا أنّه بإختيار فلا دلالة منها عليه مضافاً الى أنّ الإختيار لا يتحقق إلاّ للموجود العامل إذ بسبب العقل يختار التّسبيح على عدمه و السّموات و الأرض لا عقل لها و لا شعور و أمّا الموجودات فيها فالبعض منها يسبّح بالإختيار و بعض آخر بغيره و لكن أصل التّسبيح ثابتٌ في الكلّ عند الجميع:

قال الله تعالىٰ: تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمْواْتُ ٱلسَّبْعُ وَ ٱلْأَرْضُ وَ مَنْ فَيِهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَنَىْءٍ.

قال الله تعالى: إِلَّا يُسَيِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ (٣٠).

١- البقرة = ١٠۶

٣- الإسراء = ٤٤

رَ**بِّهمْ**(٣) والأيات كثيرة.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷

قال الله تعالىٰ: وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَدْدِهِ وَ الْمَلَائِكَةُ مِنْ خيفَتِهِ (١). قال الله تعالىٰ: يُسَبِّحُونَ اَللَّيْلَ وَ اَلنَّهٰارَ لا يَفْتُرُونَ (٢). قال الله تعالىٰ: اَلَّذينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ

و لا شك أنّ التّسبيح فرعٌ على المعرفة فكلٌ مخلوقٍ يعرف ربّه و خالقه بحسب الفطرة إجمالاً و أنّما الخطأ و الإشتباه يقع في المصداق و تطبيق اللفظ عليه و الأديان و الشّرائع تدلّ على ذلك و ترشد المكلّف الى الخالق الحقيقي الّذي ينبغي أن يعرف و يعبد في ذاته و صفاته و محصّل الكلام أنّ التّسبيح و هو تنزيه الرّب من شؤون المخلوق في كلّ موجود بحسبه و أمّا قوله: وَ الطّيرُ صا قال من يقال صففت كذا، جعلته على صفّ و أصل الصّف أن تجعل الشّئ على خط مستو، كالنّاس و الأشجار يقال صففت اللّحم قددّته و القيته صفاً صفاً، و الطّير مصدر طار يطير و الفاعل منه الطّائر و هو كلّ ذي جناح يسبح في الهواء و العير معدر طار يطير و الفاعل منه الطّائر و هو لكل ذي جناح يسبح في الهواء و جمع الطّائر، طيرٌ كراكب و ركب، و أنّما ذكر الطّير في الآية مع أنّ التّسبيح لا يختص به لأنّ الكلام في التّسبيح و هو من السّبح و الطّير يسبح في الهواء لا غيره من الإنسان و الحيوان وغيرهما.

و قوله صافّات بتشديد الفاء معناه في حال إصطفافها في الهواء لأنّ الطّير في هذه الحالة أي في حالة الإصطفاف كأنّه يسبح في الهواء.

قال بعض المفسّرين لأنّها إذا صفت أجنحتها في الهواء و تمكنّت من ذلك على على الله و عبرة على أنّ ممّكنها و خالقها لا يشبه شيئاً من المخلوقات و قوله: كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَ تَسْبيحَهُ، إختلفوا في معناه على أقوالٍ:

أحدها: أنّ جميع ذلك قد علم اللّه تعالى صلاته و تسبيحه يعني دعاءه الى توحيده و تسبيحه و تنزيهه عمّا لا يليق به.

ثانيها: أنّ الصّلوة للإنسان و التّسبيح لكلّ شئ.

ثالثها: كلِّ قد علم صلاته أي صلاة نفسه و تسبيح نفسه فالضمير في، علم، على الأوّل يعود على إسم الله و على الثّاني و الثّالث، لكلّ، قال الزّمخشري لا يبعد أن يلهم الله الطّير دعاءه و تسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة الّـتي لا يكاد العقلاء يهتدون اليها.

أقول قوله: كُلَّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ يعني كلّ موجود في السَّموات و الأرض و هو المراد بقوله: مَنْ فِي السَّموات و الأرض و هو المراد بقوله: مَنْ فِي السَّموات و الأرض و هو المراد بقوله: مَنْ فِي السَّموات و التَّسبيح فرع المعنى أنّ كلّ موجودٍ قد علم صلاته و تسبيحه و ذلك لأنّ الدُّعاء و التَّسبيح العلم فمن لا يعلم معنى التَّسبيح كيف يسبّح و فيه إشارة الى أنّ تسبيح الموجودات يكون عن علم أي يعلم كلّ واحدٍ منها أنّه مخلوق لغيره و هذا أصل عقلي لا إشكال فيه و يدلّ عليه قوله تعالى في موضع آخر: و لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ فالجهل منا لامنها قال الله تعالى: وَ مَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (١) نعم، علم الموجودات هو معرفتها خالقهم لا بمعنى إدراك الكلّي الذي هو من شؤون علم المقودة: وَ اللّهُ عَلَيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ لا يخفى عليه شي من أعمالكم و العقل و قوله: وَ اللّهُ عَلَيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ لا يخفى عليه شي من أعمالكم و أفعالكم و نيّاتكم و هو ظاهر: وَ لِلّهِ مُلكُ السَّمُواتِ وَ الأَرْضِ وَ إِلَى اللهِ الْمَصبِرُ.

أَكُمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَ يُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِنْ جِبَالِ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَ يُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءُ مِنْ جِبَالِ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُبِهِ مَنْ يَشَاءً يُكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ فَيُصِيبُبِهِ مَنْ يَشَاء يُكادُ سَنَا بَرْقِه يَذْهَبُ اللَّهُ اللَّيْلُ وَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فَي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ، يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱللَّيْلُ وَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فَي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي اللَّهُ الْمُعِلَّةُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللِّهُ اللَّهُ الْمُلْعُلُولُ اللَّهُ الل

اللاّم في قوله: وللّه، للإختصاص أو الملك أي أنّ اللّه تعالى هو المالك للسَّموات و الأرض و من فيها من الموجودات و هو حقٌّ و قوله: إلَى ٱللّٰهِ

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

أَلْمَصِيرٌ، قيل معناه اليه المرجع يوم القيامة الى ثوابه أو عقابه و عليه جميع المفسّرين و لقائل أن يقول الثّواب و العقاب للمكلّف بالتّكليف و من شرائطه العقل فمن لا عقل له لا تكليف له و من لا تكليف له لا ثواب له و لا عقاب و من المعلوم أنَّ الحيوان و الجماد و النَّبات لا عقل لها فلا ثواب لها و لا عقاب فكيف ترجع الى يوم القيامة للثُّواب و العقاب اللَّهم إلاَّ أن يقال أنَّ تفسيرهم للكلام ناظر الى المكلّفين دون غيرهم وكيف كان فالأمر سهل لوضوح المعنى و الحقّ في المقام أن يقال أنَّ المقصود من الآية هو رجوع الكلِّ الى اللَّه يقال صار اليه إذا رجع فالمصير المرجع و المآب و فيه إشارة الى أنّ كلّ شئ يرجع الى أصله فمنه المبدأ و اليه المرجع إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ و حيث أنَّ رجوع الكلّ اليه تعالى فالكلّ يسبّحه و ينزّهه و يعتقد بربوّبيته ثمّ قال تعالى مخاطباً لنبيّه ظاهراً و الى جميع العقلاء واقعاً: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُرْجِي أي يسوق، سحاباً الى حيث يريد و منه زجا الخراج إذا إنساق الى أهله، ثمّ يؤلُّف بينه أي بين بعضه وبـعضٍ، ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا، أي مُتركباً بَعضه فوق بعضٍ، فَتَرَى ٱلْـوَدْق، يعنى المطر، يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَ يُنَزَّلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مِنْ جِبَالِ فيها مِنْ بَرَدٍ من، الأولى لابتداء الغاية لأنّ من السَّماء إبتداء إنزال المَطَر.

الثّانية: للتّبعيض لأنّ البرد بعض الجبال الّتي في السَّماء.

الثّالثة: لتبيين الجنس لأنّ جنس الجبال جنس البرد و قيل في السَّماء جبال برد مخلوقة في السَّماء و قال البلخي يجوز أن يكون البرد يجتمع في السَّحاب بزعها فيُصيبُ، يعني ذلك البرد، مَنْ يَشْآءُ أن يهلك أو يهلك ماله، وَ يَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشْآءُء على حسب إقتضاء المصلحة، يَكادُ سَنَا بَرُقِه، أي ضياء البرق أو ضوء البرق يختطف الأبصار و قال قتادك، لمعان برقه هكذا قالوا في تفسير الأية.

أقول أخبر الله تعالى في هذه الآية عن كيفية نزول المطر من السَّماء فالهمزة في قوله، ألم تر للإنكار أي أنّك ترى و يحتمل أن لا تكون للإنكار و ذلك لأنّ

الَّذي يرى هو المطر و أمّاكِيّفية نِزوله فلا يرى بل تحتاج الى بيان و لذلك بيَّن اللَّه تعالى كيّفية نزوله فقال: أَنَّ ٱللّٰهَ يُرْجِى أي يسوق سحاباً ثمّ يؤلّف بينه، أي بين بعضه و بعضٍ، أي يجمع ذلك لأنّ لفظ سحاب جمع، واحدة سحابة و لفظ بين لا تستعمل إلاّ في شيئين و المقصود أنّ اللّه تعالى بقدرته الكاملة يجمع بين سحابة و سحابة، ثمّ يجعله ركاماً، متراكباً بعضه فوق بعض كما هو المشاهد حين نزول المطر و أمّا السّحاب فهي توجد من بخار الماء المتصاعد من البحور الى السّماء فالماء يصير بخاراً و البخار يصير سحاباً ثمّ يخرج الماء من خلاله كما قال: فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ و الودق المطر، و هو دليل قاطع على أنَّ مادّة المّائية موجودة باقية في جميع الأحوال و التّغيير و التّبديل في الصّورة فقط و قد ثبت في بحث المّادة و الصُّورة في العلوم العقليّة أنّ المّادة تقبل الصُّور المختلفة على التّناوب و لذلك قالوا أنّ المّادة في قبول الصُّورة تكون لا بشرط و الصُّورة في قبولها المّادة بشرط شئ أي أنّ المآدة تقبل كلّ صورةٍ أي تقبل الصُّور المختلفة على التَّعاقب و الصُّورة لا تقبل إلاّ مادّةً واحدة إذا عرفت هـذا فـنقول الماء له مادّة و صورة لأنّه جسم باردٌ سيّال و الجسم لا يوجد بدون المادّة و الصُّورة في الخارج فمادّة المائية لها صورة الماء ثمّ أنّ صورة الماء تتَّبدل بالبخار و صورة البخار تتَّبدل بالسّحاب ثمّ ينزل من السّحاب المطر فلو لم تكن مادّة المائية موجودة في السّحاب فمن أين ينزل المطر.

أن قلت أنّ الله تعالى قادرٌ على كلّ شئٍ فهو قادرٌ على إيجاد الماء في السّحاب.

قلت هذا الذي قلناه و قررّناه هو نَّص الكتاب و فيه إشعار بأنّ اللّه تعالى جعل لكُّل شئ سبباً فأنّ العالم، عالم الأسباب و قد ورد في الخبر أبى اللّه أن يجري الأمور إلا بأسبابها، و هو لا ينافي القدرة، قال اللّه تعالى: إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَوٍ وَ الأَمور إلا بأسبابها، و هو لا ينافي القدرة، قال اللّه تعالى: إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَوٍ وَ أَنْثَى، و خلق عيسى بن مريم من أَنْثَى الله آدم و حوّاء من غير ذكرٍ و أنثى، و خلق عيسى بن مريم من

غير ذكر، و الحاصل أنَّ جعل الأسباب لمصلحةٍ يراها الخالق لا ينافي قدرته بمعنى أنّه لا يقدر على غيره من غير سبب، فما ذكره الله تعالى في الآية في كيفية نزول المطر و أنّ مادّة باقية على كلّ حالٍ في جميع الأطوار دليلٌ على مصلحة البعث يوم النّشور فأنّ المادّة التُّرابية موجودة باقية في بطن الأرض بعد تلاشي الأعضاء كما يأتي البحث فيه في موضعه، و في الآية نكتة دقيقة خفَّية لمن تأمّل فيها و هي قوله: فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ حيث قال يخرج و لم يقل يوجد و ذلك لأنّ الخروج لا يكون إلاّ بعد البقاء كما أنّ الوجود بعد العدم و أن شئت قلت الخروج يقال للموجود و والوجود و الإيجاد للعدم فقوله تعالى يخرج، دليل على بقاء المادّة في السّحاب إلاّ أنّها تنتظر الخروج إذا إقتضت المصلحة.

و أمَّا قوله: وَ يُنَزَّلُ مِنَ ٱلسَّمْآءِ مِنْ جِبْالِ فيها مِنْ بَـرَدٍ فـهو مـن المشكلات و ما ذكره المفسّرون لا نفهم معناه و أظَّن أنّهم أيضاً لم يفهموا ما قالوا، ونحن نشير إلى شطر من كلماتهم لتعلم صدق ما قلناه.

قال صاحب الكشَّاف و هو من أعاظم العامَّة في المقام ما هذا لفظه، معناه أنَّه ينَّزل البرد من السّماء من جبالٍ فيها، فأن قلت ما معنى من جبالٍ فيها من بردٍ.

قلت فيه معنيان:

أحدهما: أن يخلق الله في السّماء جبال برد كما خلق في الأرض جبالٍ حجر. الثّاني: أن يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالاً من ذهب إنتهي كلامه و تبعه الرّازي و الألوسي و غيرهما من المتّأخرين.

و قال الطّبري قيل في ذلك قولان:

**أحدهما**: أنّ معناه أنّ اللّه ينَّزل من السّماء من جبالٍ في السّماء من بردٍ مخلوقة هناك كما يقال جبال من طين.

و القول الأخر أنّ اللّه ينزّل من السّماء قدر جبالٍ و أمثال جبالٍ من بردٍ إلى الأرض إنتهى كلامه.

و أنت ترى أنّ ما ذكروه لا يسمن و لا يغني و محصّل الكلام أنّا بعد الفّحص فيما بأيدينا من التّفاسير لم نجد غير ما نقلناه عنهم.

و قال بعض المحققين، من، هنا زائدة و التَّقدير، ننَّزل من السّماء جبالاً منها برد و البرد شئ ينَّزل من السّحاب يشبه الحصى و يسمّى حبّ الغمام و حبَّ المزن قيل و أنّما سمّى برداً لأنّه يبرّد وجه الأرض إنتهى كلامه.

أقول لعلّه أراد ما يقال له بالفارسيّة (تَكرَك) و الذّي يخطر بـالبال في حـلّ الإشكال هو أنّ اللّه تعالى أشار بقوله: فَتَرَى ٱلْوَدْقَ إلىٰ قوله: مِنْ بَرَدٍ، إلىٰ أنّ ما يخرج من السّحاب المتراكمة هو الماء إلاّ أنّه قد ينزل بصورة المطر و قد يخرج بصورة الثّلج و قد يخرج بصورة حبَّ الغمام فالصُّور مختلفة و المادّة واحدة إلاّ أنّها بعد الخروج من السّحاب تتّغير صورةً بتّغير الهواء من حيث الحرارة و البرودة.

و أمّا قولهم في السّماء جبال بردٍ مخلوقة في السّماء، فهو مجرد الإحتمال و التّخيل و لا يساعده العلم بل ينكره الحسّ أيضاً و ذلك لأنّ مسير الطّيارة في سيرها من بلدٍ إلى بلدٍ أو من قارّةٍ إلى قارّةٍ أخرى دائماً يكون فوق السّحاب لا تحتها فأن كان تحت السّحاب جبال من برد كما زعموه لرأوها لا محالة مضافاً إلى أنّ تحت السّحاب قابل للرُّؤية للسّاكن في الأرض مع الايات و بدونها ولم يقل أحد أنّ تحت السّحاب جبال من برد بل نقول فوق السّحاب أيضاً كذلك فأن السّفينة الفضّائية في مسيرها من الأرض إلى كرة القمر من أوضح الدّلائل على عدم وجودها تحت القمر فأين هذه الجبال المخلوقة فقد ظهر بذلك أنّه لا جبال هناك من برد لا تحت السّحاب و لا فوقها إلى كرة القمر اللّهم إلا أن يراد بالجبال غير معناها المصطلح الّذي نعرفه فالأحسن في المقام و أمثاله ردَّ علمه إلى اللّه و الرّاسخين في العلم.

قال الله تعالى: مَا أُوتيتُمْ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَليِلًا (١).

نعم نحن نعلم أنّ البخار المائي إذا وصل إلى الطّبقة الباردة من الهواء صار سحاباً و نزلت الأجزاء المائيّة فهي علىٰ أحوالِ أمّا أن يكون بردها قليلاً فيكون مطراً و أمّا أن يكون بردها شديداً فأن جمدت قبل الإجتما فهي ثلج و أن جمدت بعد الاجتماع فهي البرد و لا نعلم أكثر من هذا و أمّا كيف يكون البرد قليلاً أو كثيراً و غير ذلك من الرُّموز و الأسرار المودّعة فعلمه عند اللّه و أوليائه و ما قيل فيه أو يقال مجّرد حدسٍ و خيال لا يفيد العلم.

و أمَّا قوله تعالىٰ: فَيُصيبُ بِهِ مَنْ يَشْآءُ وَ يَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشْآءُ الظَّاهر إعادة الضّمير في، به، على البرد و يحتمل أن يكون أريد به الودق و البرد و جرى في ذلك مجرى إسم الإشارة فكأنّه قال فيصيب بذلك و المطر هو أعمّ و أغلب في الإصابة و الصَّرف أبلغ في المنفعة و الإمتنان وكيف كان أنَّه تعالى يقسم رحمته بين خلقه و يقبضها و يبسطها على ما تقتضيه حكمته.

و قوله: يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ قيل معناه يريهم البرق في السّحاب الّذي يكاد يخطف أبصارهم ليعتبروا أو يحذروا.

اقول قرأ الجمهور، سَنا مقصوراً برقه، مفرداً، و قرئ سَناء، مـمدوداً، و بُرقه، بضّم الباء و فتح الرّاء جمع برقة، بضّم الباء و هي المقدار من البرق و ذلك كالغرفة و اللّقمة، و بعضٌ أخر بضّم الباء و الرّاء أتبع حركة الرّاء لحركة الباء كما أتبعت في ظلمات و أصلها السّكون و السّنا بالمّد إرتفاع الشّأن كأنّه شبَّه يزء ١٨ ﴾ المحسوس من البرق لإرتفاعه في الهواء بغير المحسوس من الإنسان و قوله: يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ أي يذهب النُّور من الأبصار فالمفعول محذوف و لمّا كان ذلك محسوساً لكلِّ أحدٍ فلا نحتاج إلى إطالة الكلام فيه.

يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱللَّيْلَ وَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فَى ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِى ٱلْأَبْصَارِ فَي هذه الآية إشارة إلى ما تقدّم من الدّلائل الدّالة على وحدانيّته من تسبيح من ذكر و تسخير السّحاب و ما يحدثه تعالى فيه من أفعاله حتّى ينزل المطر فيقسم رحمته

بين خلقه و إرائتهم البرق في السّحاب الذّي يكاد يخطف الأبصار و تقليب اللّيل و النّهار أنّ في هذه المحدثات لعبرة لأولي الأبصار و خصّ أولوا الأبصار بالعبرة و الإتّعاظ لأنّ البصر و البصيرة إذا إستعملا وصلا إلى إدراك الحقّ كقوله أنّما يتذكر أولوا الألباب.

وَ ٱللّٰهُ خَلَقَ كُلَّ دٰآبَّةٍ مِنْ مٰآءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشَى عَلَى بَطْنِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشَى عَلَى بَطْنِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشَى عَلَىٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللّٰهُ مَنْ يَمْشَى عَلَىٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللّٰهُ مَا يَشْآءُ إِنَّ ٱللّٰهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرُ

الدّابة تطلق على كلّ ما يدّب على الأرض برجليه ولو في بعض حالاته كالطّير و هي تطلق على الذّكر و الأنثى و بالجملة كلّ ماشٍ على الأرض حتى الطّير لأنّه يدّب على رجليه في بعض حالاته يسمّى بها و جمع الدّابة الدّواب بفتح الدّال و تشديد الباء أخبر اللّه تعالى في هذه الآية أنّه خالق كلّ شئ يدّب من الحيوان و هذا ممّا لا خلاف فيه و أنّما الخلاف في كيفيّة ذلك و أنّ هذا الحكم عامٌ أو أنّه على سبيل التّغليب و الظّاهر أنّ، من، ماء متعلق بخلق و كلمة من، الابتداء الغاية أي إبتدأ خلقها من الماء، قيل لمّا كان غالب الحيوان مخلوقاً من الماء لتولّده من النّطفة ولكونه لا يعيش إلاّ بالماء أطلق لفظ كلّ تنزيلاً للغالب منزلة العام و يخرج عمّا خلق من ماء، ما خلق من نور و هم الملاتكة و ما خلق من نارٍ و هم الجنّ و من تراب و هو آدم و من الرُّوح و هو عيسى و كثير من الحيوان لا يتّولد من نطفة، و قيل كلّ دابّةٍ على العموم في هذه الأشياء كلّها و ذلك لأنّ أصل جميع المخلوقات الماء.

فقد روي أنّ ما خلق الله جوهرة فنظر إليها بعين الهيته فصارت ماء ثمّ خلق من ذلك الماء النّار و الهواء و النُّور و لمّا كان المقصود من هذه الآية بيان أصل الخلقة و كان الأصل الأوّل هو الماء قال تعالىٰ: خَلَقَ كُلٌّ دُ آبَّةٍ مِنْ مَآءِ.

و قال القفال ليس مِن ماء، متّعلقاً، بخلق، و أنّما هو في موضع الصّفة لكلّ دابّة فالمعنى أنّه تعالى خلق كلّ دابّة متّولدة من الماء أي متّولدة من الماء مخلوقة للّه تعالى، و أنّما، نكّر الماء، في الآية لأنّ المعنى خلق كلّ دابّة من نوع من الماء مختصّ بهذه الدّابة ثمّ فصّله فقال: و مِنْهُمْ مَنْ يَمْشي على بطنه و ذلك مثل الحياة و السّمك و الدّودة و غير ذلك و منهم من يمشي على رجلين كالطّير و إبن آدم و غير ذلك و منهم من يمشي على رجلين كالطّير و إبن يذكر ما يمشي على أكثر من أربع لندوره و قلّته كالعنكبوت و العقرب و الرُّتيلاو من المعلوم أنّ اللّه على كلّ شي قدير و حكم الأمثال واحد فمن قدر على خلق من يمشي على أربع يقدر على خلق من يمشي على أربعين أو أكثر و لعلّه إلى من يمشي على أربع يقدر على خلق من يمشي على أربعين أو أكثر و لعلّه إلى هذه النكتة أشار بقوله: يَخْلُقُ ٱللّهُ مَا يَشْآءُ إِنَّ ٱللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٍ و هذه النكتة أشار بقوله: يَخْلُقُ ٱللّهُ مَا يَشْآءُ إِنَّ ٱللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٍ و هذه النكتة أشار بقوله: يَخْلُقُ ٱللّهُ مَا يَشْآءُ إِنَّ ٱللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٍ و هذه النكتة أشار بقوله: يَخْلُقُ ٱللّهُ مَا يَشْآءُ إِنَّ ٱللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٍ و هذه النكتة أشار بقوله: يَخْلُقُ ٱللّهُ مَا يَشْآءُ إِنَّ ٱللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٍ و لعلّه النكتة أشار بقوله: يَخْلُقُ ٱللّهُ مَا يَشْآءُ إِنَّ ٱللّهُ عَلَى كُلُ مَا يَشَاءً إِنَّ اللّهُ عَلَى كُلُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى كُلُو اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى كُلُولُكُ اللّهُ عَلَى كُلُولُ اللّهُ عَلَى كُلُولُ اللّهُ عَلَى كُلُولُ اللّهُ عَلَى كُلُولُهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى كُلُولُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى كُلُولُ اللّهُ عَلَى كُلُولُ اللّهُ عَلَى كُلُولُ اللّهُ عَلَى كُلُولُ اللّهُ عَلَى كُلُهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى كُلُولُ اللّهُ عَلَى كُلُولُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى كُلُولُ اللّهُ عَلَى كُلُولُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى كُلُولُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّ

لَقَدْ أَنْزَلْنَاۤ اٰیٰاتٍ مُبَیِّنَاتٍ وَ اَللّٰهُ یَـهْدې مَـنْ یَشٰآءُ اِلٰـی صِـراٰطٍ مُسْتَقیم

أقسم الله في هذه الآية أنّه أنزل أيات مبيّنات، أي دلالات واضحات لا خفاء فيها و الله يهدي بلطفه و كرمه من يشاء من عباده بما يعلم أنّه يهتدي عنده إلى صراط مستقيم لا عوج فيه من توحيده و عدله و قدرته و صدق أنبيائه و المقصود أنّ جميع النّاس لا يعتبرون بها و لا يتفكّرون فيها لأنّهم بسبب

المعاصي حرموا عن معرفة الحقّ و متابعته.

ان فی نفسیر القرآن کرنگی

> المجلد الثاني عشر

ضياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ المجلد الثاني عنا وَ يَقُولُونَ أَمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالرَّسُولِ وَ أَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَ مٰآ أُولٰيِّكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧)وَ إِذَا دُعُوآ إِلَى ٱللَّهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨) وَ إِنْ يَكُنْ لَهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْه مُـذْعنينَ (٢٩) أَفَى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَم آرْتُابُوۤا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ رَسُولُهُ بَلْ أُولٰئِكَ هُـمُ ٱلظَّالِمُونَ (٥٠) إنَّمًا كَانَ قَـوْلَ ٱلْـمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِه لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَــقُولُوا سَــمعْنا وَ أطَـعْنا وَ أولٰـتَكَ هُـمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٥١) وَ مَنْ يُطِع ٱللَّهَ وَ رَسُّـولَهُ وَ يَخْشَ ٱللَّهَ وَ يَتَّقْهِ فَأُولٰتِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ (٥٢) وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَـئِنْ أَمَـرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٥٣) قُلْ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَ أَطْيَعُوا ٱلرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَـإِنَّمَا عَـلَيْهِ مُــا حُمِّلَ وَ عَـلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَ إِنْ تُـطيعُوهُ تَهْتَدُوا وَ مَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلاغُ ٱلْمُبينُ (٥٢) وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ أَمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَـمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَـيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِـى ٱلْأَرْضِ كَـمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَـيُمَكِّنَنَّ لَـهُمْ دينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُـمُ ٱلْـفَاسِقُونَ (۵۵) وَ أَقيمُوا ٱلصَّلُوةَ وَ أَتُوا ٱلزَّكُوةَ وَ أَطَيعُوا ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (۵۶)

#### ◄ اللّغة

مُذْعِنِهَ: الإذعان الإنقياد من غير إكراهٍ. آرْثَابُوّا: الإرتياب الشكّ و الباقي واضح.

### ◄ الإعراب

إذا فَهِقَ هي لِلمفاجأة قَوْلَ آلْمُؤْمِنِينَ يقرأ بالنَّصب و الرّفع ؤ طاعَةٌ مبتدأ و الخبر محذوف أي أمرنا محذوف أي أمرنا طاعة كمّا آشتَخْلَفَ نعت لمصدر محذوف أي إستخلافاً كما إستخلف أو من الضّمير في، وَ لَيُبَدِّلنَّهُمْ، لا يُشْرِكُونَ يجوز أن يكون حالاً بدلاً من الحال الأولى و أن يكون حالاً من الفاعل في يعبدونني أي يعبدونني موّحدين.

### ▶ التّفسير

نز ١٨٠ وَ يَقُولُونَ أَمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالرَّسُولِ وَ أَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ ﴿ يَعْدِ ذَٰلِكَ وَ مَا ٓ أُولَٰتِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿ يَعْدِ ذَٰلِكَ وَ مَا ٓ أُولَٰتِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ

نزلت الآية في المنافقين لأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فيقولون أمنًا بالله و بالرَّسول و أطعنا منهما فإذا إنصرفوا إلى أصحابهم من المنافقين قالوا خلاف ذلك و ما أولئك بالمؤمنين، ما، نافية أي ليسوا بمؤمنين واقعاً و أن إعترفوا به ظاهراً.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

المجلد الناني عنا

إعلم أنّ النّفاق هو الدّخول في الشّرع من بابٍ و الخروج عنه من بابٍ أخر و هو من أقبح الصّفات و أخبثها بل هو أضّر و أقبح من الكفر و لذلك ترى الأيات الواردة في ذمّ المنافقين أكثر ممّا ورد في ذمّ الكفّار كمّاً وكيفاً أمّا كمّاً فظاهر لا خفاء فيه و أمّا كيفاً فلأنّ اللّه تعالى لم يقل أنّ الكافرين في الدَّرك الأسفل من النّار بل قال أنّ المنافقين في الدُّرك الأسفل من النّار.

قال المفسّرون نزلت الآية في رجل من المنافقين إسمه بشر، كان بينه و بين رجلٍ من اليهود خصومة فدعاه اليهودي إلى رسول الله و دعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف و قيل أنَّها نزلت في علِّي النَّلِلَّا و رجلٍ من بني أميَّة دعاه إلى رسول الله و دعاه الأموي إلى اليهود وكان بينهما منازعة في ماءٍ و أرضٍ و حكى البلخي أنّه كان بين علّي و عثمان منازعة في أرضٍ إشتراها من علّي فخرجت فيها أحجار و أراد ردَّها بالعَّيب فلم يأخذها فقال للتِّيلاِّ بيني و بينك رَسُول اللَّهُ مَالَمَاتِكَانِ فقال الحكم بن أبي العاص إن حاكمته إلى إبن عمّة حكم له فلا تحاكمه إليه فأنزل اللّه الآية.

أقول الحكم بن أبي العاص هو أبو مروان الخبيث اللّعين المطرود و هو الّذي نفاه رسول اللّه إلى الطّائف مع إبنه مروان الوزغ بن الوزغ فلمّا توّلى الأمر عثمان بعد عمر أرجعه إلى المدينة و قصّته مشهورة في التّواريخ و كيف كان لا شكّ أنّ النَّفاق مذمومٌ عقلاً و شرعاً و المنافقون في صدر الإسلام كانوا أكثر من المؤمنين بل نقول أنَّ المؤمنين بالنَّسبة إلى المنافقين من أصحاب النَّبي كـانوا مـن قبيل النّادركالمعدوم إلاّ أنّهم لم يظهروا ما في قلوبهم في حياة النّبي لمصلحة رأوها و أمًا بعد موت النّبي فقد ظهر ما في قلوبهم و الدّليل على ذلك أنّهم سمعوا مـن النّبي في غدير خمّ ما سمعوا في علّي في أمر الولاية و الإمارة و الخــلافة بـعد النّبي و بايعوه على ذلك ثمّ أعرضوا وّ توَّلوا عنه و فعلوا ما فعلوا فمورد الآية و أن كان خاصًا إلاّ أنّ الحكم فيها عامٌّ يشمل جميع المنافقين إلى يوم القيامة.

إِذَا دُعُوٓا إِلَى ٱللهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ

هذه الآية بمنزلة البرهان على وجود النّفاق فيهم و ذلك لأنّ المؤمن باللّه و بالرَّسول كيف يعرض عن حكم الله و حكم رسوله و حيث أنَّهم أعرضوا عن حكم الرّسول في حياته و بعد مماته فليسوا بمؤمنين واقعاً و أن كانوا متّظاهرين بالإيمان ظاهراً ولا نعني بالنّفاق إلاّ هذا.

# وَ إِنْ يَكُنْ لَهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوۤا إِلَيْهِ مُذْعِنبِنَ

و هذا دليل أخر عـلىٰ نـفاقهم و ذلك لأنّ الحكـم أن كـان لهـم يـقبلونه و يختارونه و أن كان عليهم لا يختارونه و أن كان الحكم الصّادر عن الحاكم كان حقّاً، مع أنّ المؤمن الواقعي مع الحقّ و الحقّ معه سواءٌ كان الحقّ له أم كان عليه و من لم يكن كذلك و أن إدَّعي الإيمان في ظاهر الأمر فهو منافق إذ لا واسطة بين الكفر و الإيمان إلاّ النّفاق فالمنافق كافرٌ باطناً مؤمنٌ ظاهراً فالنّفاق من الأمراض القلبيّة الّتي لا دواء له إلاّ الإيمان و قوله: يَأْتُوآ إِلَيْهِ مُذْعِنينَ يعني أن كان الحقّ لهم لا عليهم يأتوا الى النّبي مذعنين أي منقادين مطيعين.

أقول هذه سيرة مسمرة في جميع المسلمين إلاّ ما شذُّ و نذر أعاذنا اللّه منها.

أَفَى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَم آرْتِابُوٓا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ رَسُولُهُ بَلْ أُولٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ

الهَمزَة في الجميع للإستفهام التَّوبيخي ليقرّوا بأحد هذه الوجوه الّتي عليهم و منــُ 🔨 أم، بمعنى بل لأنّها منقطعة و التّقدير بل إرتابوا و حيث أنّ الإستفهام للتّوقيف و التّوبيخ و التّوقيف يستعمل في الأمور الظّاهرة ممّا يوبَّخ به و يذمّ أو ممّا يمدح به وهو بليغٌ جدًّا في البلاغة أتى بها فمن المبالغة في المدح قول الشَّاعر:

ألســتم خـير مـن ركب المـطايا وأنـــدىٰ العــالمين بــطون راح و من المبالغة في الذّم قول الشّاعر:

ألست مــــنالقـــوم الّـــذين تـــعاهدوا على اللّوم و الفحشاءفي سالفالدّهر

<u>آ</u> <u>اع</u>ر



ثمّ أنّه تعالى قسّم جهات صدورهم و إعراضهم عن حكومته فقال أفى قلوبهم مرض، أي نفاق و عدم الإخلاص، أم إرتابوا أي عرضت لهم الرَّيبة و الشُّكُ في نبوّته بعد أن كانوا مخلصين في إدّعاءهم الإيمان أم يخافون، أي يعرض لهم الخوف من الحيف في الحكومة و الحيف بفتح الحاء الجور و الظُّلم ثمّ إستدرك، ببل، و قال: أ**ولٰئِكَ هُـمُ ٱلظّــالِمُونَ** فـى نــفوسهم و غـيرهـم و المانعون لهم حقوقهم و أنَّما أفرد قوله: لِيَحْكُمَ بَيْنَهُم بعد قوله الى اللَّه: وَ رَسُولُهُ لأنّ حكم الرّسول حكم الله فالحكم واحد.

## إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُّعُوٓا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا وَ أُولٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ

لمًا بيّن الله تعالى في الأيات السّابقة حكم المنافق بيّن في هذه الآية حكم المؤمن فيما إذا دعي الى الله و رسوله فقال أنّما كان قول المؤمنين إذا دعوا الى الله و رسوله ليحكم بينهم، كلمة، أنَّما تفيد الحصر أي أنَّ المؤمن لا يقول إلاَّ هذا، و قوله: سَمِعْنًا وَ أَطَعْنًا، أي سمعنا و أطعنا الله و رسوله في الحكم سواء كان لنا أم علينا و أولئك هم المفلحون، إذ الفلاح لا يتحقق إلاّ بإطاعة اللَّه و إطاعة رسوله كما أنّ الشّقاء لا يحصل إلاّ بمخالفة اللّه و مخالفة الرَّسول و لا نعني بالإيمان الواقعي إلاّ الإنقياد و الطّاعة و إلى هذا أشار اللّه تعالى بقوله:

## وَ مَنْ يُطِعِ ٱللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَخْشَ ٱللَّـهَ وَ يَـتَّقْهِ فَأُولُــتِّكَ هُــمُ **ٱ**لْفَآئِزُونَ

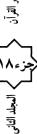
أي و من يطع اللّه في فرائضه و نواهيه و رسوله في سننه، و يخش اللّه على ما مضى من ذنوبه و يتَّقي اللَّه فيما يستقبل من عمره فاولئك هم الفائزون و الحقّ أنَّ هذه الآية كافية لمن تدُّبر فيها حقّ التَّدبر، و ذلك لأنّ إطاعة اللّه في أحكامه توجب الاتيان بالواجبات و ترك المحرّمات، و إطاعة الرّسول في سنّته توجب متابعته قولاً و فعلاً، و الخشية على ما مضى من ذنوبه توجب التَّوبة و الإنابة إليه و التَّقوى في المستقبل توجب رعاية أحكام الله و سنّة رسوله في بقيّة عمره و من كان كذلك أي أتى بالواجبات و ترك المحرّمات و تاب عن الذّنـوب التّي صدرت منه و راعى التَّقوى في المستقبل فهو المؤمن حقّاً و أيّ فوزٍ أحسن ممّا ذكر في هذه الآية.

وَ أَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

رز ١٨٠ قُلْ أَطْبِعُوا ٱللَّهَ وَ أَطْبِعُوا ٱلرَّسُولَ فَاِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَ عَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَ إِنْ تُطْبِعُوهُ تَهْتَدُوا وَ مَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلاغُ اللهَّهُ وَ إِنْ تُطْبِعُوهُ تَهْتَدُوا وَ مَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلاغُ اللهَّهُ وَ إِنْ تُطْبِعُوهُ تَهْتَدُوا وَ مَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلاغُ اللهَ اللهَ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ

أي قل يا محمد لهؤلاء المنافقين و غيرهم أطيعوا الله و أطيعوا الرَّسول، فأن تولُوا أي تتَّولوا، فَإِنَّما عَلَيْهِ، أي على الرّسول، ما حمَّل، و هو تبليغ الرّسالة و أعمال الجهد في إنذارهم، و عليكم ما حمَّلتم، و هو السَّمع و الطَّاعة و إتَّباع الحَّق



ثمّ علَّق هدايتهم على طاعة الرَّسول، بقوله: وَ إِنْ تُطيعُوهُ تَهْتَدُوا و معنى التَّعليق أنّ المعَلق عليه هو الأصل و التَّعليق أنّ المعَلق عليه هو الأصل و هو طاعة الرَّسول و المعَلق هو الفرع و هو الإهتداء و لا يمكن وجود الفرع قبل وجود الأصل فمن زعم أنّ الإهتداء يتحقَّق بغير طاعة الرَّسول وقع في الخبط و الإشتباه و لذلك:

قال الله تعالى: وَ مَا الْتَيْكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهِيْكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُو (١٠).

و قال الله تعالىٰ: و ما عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلاغُ ٱلْمُبِينُ ٢٠).

كلمة، ما، للنفي أي ليس على الرَّسول إلاَّ تبليغ الأحكام من جانب الحق الى عباده المكلّفين و قد أدّى وظائفهم جميع الأنبياء على أحسن الوجوه و إنّما التَّقصير من جانب الأمم و هكذا في الإسلام فأنَ الرَّسول اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ رسالته بالتَّمام و الكمال:

قال الله تعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دبِنَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِـعْمَتِي وَ رَضيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلامَ دبِنَا (٣) و هو ظاهر.

وَعَدَ ٱللهُ ٱلَّذِينَ أَمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا ٱلصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دينَهُمُ ٱلَّذِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولٰتِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ بِي شَيْئًا وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولٰتِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ

لا شكّ أنّ الله تعالى وعد في هذه الآية ما وعد من إستخلاف المؤمنين في الأرض و تدَّينهم بدين الله كما هو حقَّه و تبديل الخوف بالأمن و عبادة الله عن إخلاص من غير شركٍ و هذه المواعيد ممّا لا كلام فيه لظهور الآية فيها و إنّـما

١- الحشر = ٧

٣- المائدة = ٣

الكلام في حصولها و عدم حصولها و نحن ننقل كلمات المفسّرين حول الآية ثمّ نردفها بما هو الحقّ عندنا بعون الله و توفيقه فنقول قال بعض المفسّرين روي أنّ بعض الصّحابة شكى الى رسول اللّه جهد مكافحة العدُّو و ما كانوا فيه من الخوف و أنَّهم لا يضعون أسلحتهم فنزل وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ الْمَنُوا مِنْكُمْ. و روى انّه عليه السّلام لما قال بعضهم ما أتى علينا يومُ نأمن فيه و نضع السِّلاح فقال اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ : «لا تخبرون إلاّ يسيراً حتّى يجلس الرَّجل منكم في الملاء العظيم محتبساً ليس معه حديدة فأنجز الله وعده و أظهرهم على جزيرة العرب، و أفتتحوا بعد بلاد المشرق و المغرب و مزَّقوا ملك الأكاسرة و ملكوا خزائنهم و أستَّولوا على الدّنيا ثمّ خرج الّذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك الأنعم و فسقوا و ذلك قول رسول الله الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثمّ يملك الله من يشاء فتصير ملكاً هذا ما قاله الزّمخشري في الكشّاف و يظهر عن كلامه أنّ وعد الله قد حصل ثمّ خرج الّذين على خلاف سيرتهم الى آخر ما قال».

أقول ما ذكره لا يصَّح و على فرض صحَّته و صحّة الأحاديث الّتي رواها عن الصّحابة.

فقوله فأنجز الله وعده و أظهرهم على جزيرة العرب الى آخر ما قال من فتح يزء ٨٨ لي بلاد المشرق و المغرب و هكذا بقَّية كلامه، لا ربط له بتفسير الآية و ذلك لأنَّ اللَّه وعد المؤمنين الإستخلاف في الأرض و التَّسلط عليها لا على جزيرة العرب و ملك الأكاسرة فقط و بعبارة أخرى ما ذكره في المقام في تفسير الآية ليس الوعد بتمامه وكماله بل هو بعض الوعد و لا يقال على من إستولى على جزيرة العرب و ملك الأكاسرة و خزائنهم أنّه إستولي على الأرض كلُّها كما هو ظاهر الآية فما وعد غير ما حصل و ما حصل غير ما وعد فقوله أنجز الله وعـده عـلى سبيل

الإطلاق لا معنى له و أمّا قوله فذلك قول رسول الله الخلافة بعدي ثلاثون سنة، فهو خارج عن مورد البحث و لا يناسب تفسير الآية إذ الآية ساكتة عن البحث في الخلافة مع أنّ الحديث الّذي رواه لا أصل له و إنّما هو من محصولاتهم و مخترعات أنفسهم و للبحث فيه مقام آخر و قد أطال الرّازي الكلام حول الآية و أستنبط منها بزعمه التكلّم و العلم و القدرة و نفي الشّريك عنه تعالى و لاكلام لنا معه في هذه المسائل فعلاً لأنّها خارجة عن مورد البحث حول الآية الشّريفة و إنّما البحث فيما حقّقه بعد ذلك بزعمه فنقول:

قال الرّازى، المسئلة السّادسة أنّ الآية دلَّت على نبَّوة محمد تَّالَّهُ الْأَثْرَ وصحَّتها لأنّه أخبر عن الغيب في قوله: لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم في الْأَرْضِ وقد وجد هذا الخبر موافقاً للمخبر عنه مثل و هذا الخبر معجز و المعجزة دليل الصّدق فدَّل على صدق محمد تَّالَةُ اللَّهُ التَّهِي.

و الجواب أنّ نبَّوة محمد تُلَكِينُكُ ثابتة بغير هذه الآية عقلاً و نقلاً و الآية لا تدُّل على ما ذكره الرّازي إذ الخبر و أن كان حقًا واقعاً إلاّ أنّه لم يوافق المخبر عنه الى زماننا هذا إذ لم يتَّحقق المخبر عنه و هو الإستخلاف في الأرض و غيره من الأمور المذكورة فيها للمؤمنين و هو ظاهر.

قال الرّازي المسئلة السّابقة دلَّت الآية على أنّ العمل الصّالح خارج عن مسمّى الايمان خلافاً للمعتزلة لانه عطف العمل الصالح على الإيمان و المعطوف خارج عن المعطوف عليه إنتهى.

و الجواب أنّ الإيمان في الأصل هو الإعتقاد بالقلب إلاّ أنّ هذا الإعتقاد لا يوجد في الخارج الا في قالب العمل الصّالح الكاشف عن الإعتقاد و قد ثبت في العلوم العقليّة أنّ الوجود الذَّهني لا أثر له و الأثر يتَّرتب على الوجود الخارجي فالعمل الصّالح هو الإيمان في الخارج الذي يتَّرتب عليه الأثار الشّرعية و العقليّة و محَّصل الكلام أنّ الإعتقاد القلبي إيمان ذهناً و العمل الصّالح إيمان خارجاً فالعطف في الآية تفسيريّ و هو لا يقتضي التَّغاير واقعاً.

بياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 🌱 ر

قال الرّازي المسئلة النّامنة \_دلّت الآية على إمامة الأئمة الأربعة و ذلك لأنه تعالى وعد الله في آمنوا و عملوا الصّالحات من الحاضرين في زمان محمّد الله في وهو المراد بقوله: لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اَسْتَخْلَفَ اللّه محمّد الله والمراد بقوله: لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الله وان يبدّلهم بعد خوفهم أمناً و معلوم أنّ المراد بهذا الوعد بعد الرّسول هؤلاء الائمة لأنّ استخلاف غيره لا يكون إلاّ بعده و معلوم أنّه لا نبّي بعده لأنّه خاتم الأنبياء فأذن المراد بهذا الإستخلاف طريقة الإمامة و معلوم أنّ بعد الرّسول الإستخلاف الذي هذا وصفه أنّما كان في أيّام أبي بكر و عمر و عثمان لأنّ في أيّامهم كانت الفتوح العظيمة و حصل التَّمكين و ظهور الدّين و الأمن ولم يحصل ذلك في أيّام علي رضي الله عنه لأنّه لم يتّفرع لجهاد الكفّار لإشتغاله بمحاربة من خالفه من أهل الصّلاة فثبت بهذا دلالة الآية على خلافه هؤلاء إنتهي.

و الجواب أنّ اللّه تعالى وعد المؤمنين باللّه و برسوله بذلك و إختصاص المؤمنين بالحاضرين في زمان محمّد لا دليل عليه بل هو واضح البطلان للزوم ذلك أن تكون الخطابات في القرآن بالحاضرين فقط فقوله تعالى يوصيكم اللّه في أولادكم للذّكر مثل حظّ الأنثيين، خطاب للحاضرين في زمان محمّد و هكذا سائر الخطابات و قد ثبت في الأصول أنّ خطابات القرآن لا تختصّ بشخص دون شخصٍ و لا بزمانٍ دون زمانٍ بل تشمل جميع المكلّفين إلىٰ يوم القيامة بدليل الإشتراك في التّكليف و هذا معنى قوله: حلال محمّدٍ حلال إلىٰ يوم القيامة القيامة و حرامه كذلك و العجب من الرّازي و إنكاره هذا الأمر الواضح الّذي لم يختلف فيه أحدٌ من عقلاء الأمّة و كيف يقول عاقل أنّ قوله تعالىٰ: في آلميُها الّذين من المنوا آتَقُوا اللّه و كونُوا مَع الصّادِقينَ (١)، خطابٌ للحاضرين في زمانٍ محمّد و هكذا سائر الأيات.

اء القرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ المجلد الثاة

ألم يعلم الرّازي أنّ إثبات خلافة أبي بكر و عمر و عثمان لا ربط له بهذه الأباطيل التّي لا طائل تحتها أليس الله تعالى قال وعد الله الذّين أمنوا الأية، فكلّ من إتّصف بالإيمان داخل في العموم إلى يوم القيامة، و قوله هو المراد بقوله: لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ الخ هو أوّل الكلام فيقال له من أين علمت أنّ المراد هذا و أيّ ربط بين الإستخلاف في الأرض و غيره ممّا ذكر في الآية و بين الخلافة المتّولدة من السّقيفة و القدرة الحاصلة منها و أعجب من الكلّ قوله فأذن المراد بهذا الإستخلاف طريقة الإمامة و معلوم أنّ بعد الرّسول الإستخلاف الذّي هذا وصفه أنّما كان في أيّام أبي بكر و عمر و عثمان إلى أخر ما قال، ولم يعلم أنّ المراد بالإستخلاف في الآية ليس من سنخ خلافة السّقيفة و غيرها ممّا الأرض و هذا الإستخلاف لم يتحقّق إلى الآن قطعاً فكيف يقول أنّه كان في أيّام أبى بكر و عمر و عثمان، فأن كان ما ذكره الرّازي حقاً فما ذكره المؤرّخون أبى بكر و عمر و عثمان، فأن كان ما ذكره الرّازي حقاً فما ذكره المؤرّخون والمحدّثون و أرباب السّير ممّا وقع في عهد الخلفاء الثّلاثة باطلً.

و أن كان ما ذكروه حقاً فما ذكره الرّازي باطل و على هذا فالرّازي إمّا جاهل بالتّواريخ و السّير و إمّا معاندٌ منكرٌ للبدّيهيات و إلاّ فكيف يقول حصل التّمكين و ظهور الدّين و الأمن في أيّام الخلفاء الثّلاثة ولم يحصل ذلك في أيّام علّي لأنّه لم يتّفرع لجهاد الكفّار لإشتغاله بمحاربة من خالفه من أهل الصّلاة، ولم يعلم الرّازي لجهله بالتّواريخ و السيّر أو لعناده و لجاجه أنّ إشتغال علّي بمحاربة من خالفه كان معلولاً لخلافة الخلفاء الثّلاثة و لا سيّما عمر بن الخطّاب الذّي قسّم أموال المسلمين في بيت المال بين النّاس على التفاضل بزعمه الفاسد و هكذا أموال المسلمين في بيت المال بين النّاس على التفاضل بزعمه الفاسد و هكذا معاوية بن أبى سفيان و أمثالهما و أمّا في الأموال فجعل للزّبير عشرة ألاف و معاوية بن عبيد اللّه و عبد الرّحمٰن بن عوف و أبو عبيدة و من النّساء

عائشة بنت أبي بكر و حفصة ولم يجعل ذلك لسائر الأزواج و جعل في الشّوري هؤلاء الأشرار مع علَّى بن أبي طالب و أين الثّري من الثّريا فلّما وصلت النّوبة إلى علِّي قطع عنهم ما جعله عمر من الأموال و عزل من جعله عمر حاكماً على النَّاس فُخالفوه و حاربوه و ليس الذُّنب إلاَّ على من أسَّس أساس الظُّلم و الجور على الإسلام و المسلمين بعد النَّبي تَلْدُوسَكُو و أوقع علياً في معركة القتال مع هؤلاء المنافقين على خلاف ميله و طبعه مع أنَّ محاربته لِلتِّللِّ إيَّاهم كانت في الحقيقة دفاعاً عن نفسه و نفوس المسلمين و أعراضهم و أموالهم و أنّما قلنا ذلك بشهادة التّاريخ أليس الزُّبير و طلحة و عائشة و من تبعهم خرجوا من المدينة إلى مكّة و منها إلى البصرة و قتلوا كثيراً من المسلمين حين إشتغالهم بالصّلاة في مسجد البصرة و نهبوا أموالهم و خرَّبوا بيوتهم و فعلوا بهم ما عجر اللَّسان عن بيانه و القلم عـن تـحريره أليس دفع الأشـرار و الفّسـاق الذّيـن لا يخافون الله واجباً على كلِّ مسلم قادر على الدُّفع، و هكذا معاوية و هو أخبث النَّاس لمَّا عزله أميرالمؤمنين عن ألإمارة أوقد نار حرب صفِّين التِّي توَّلدت منها حرب الخوارج في النّهروان الّذين سمّاهم رسول اللّه بالمارقين كما سمّي أهل الجمل بالنّاكثين و معاوية و أصحابه بالقاسطين و سمّاهم الرّازي بأهل الصّلاة رغماً لأنف رسول الله متأسفاً و متَّعنداً ثمّ أنّه أطال الكلام في المقام بما لا فائدة في ذكره إلاّ تضييع الوقت و الخروج عن موضوع الكتاب و ليت شعري ما الدَّاعي له على ذكر هذه الكلمات في تفسير الأيات فأنَّ المراد بالآية واضح لا مزء ۱۸ کمناء فیه.

و هو أنَّ اللَّه وعد المؤمنين الَّذين عملوا الصَّالحات كذا وكذا في الدُّنيا من العزّ و الشّرف و الدّين و غيرها و هذه الأمور إن حصلت فعلى المدّعي بيانه و إثباته و إن لم تحصل إلى الآن فلا محالة تحصل في المستقبل و من أصدق من اللَّه قيلاً هذا محصّل الكلام في الآية و ما قيل أو يقال فيها غير ما ذكرناه فـهو خارج عن الموضوع و داخل فيما لا فائدة فيه إلاّ تسويد الأوراق وليس بين

الإستخلاف في الآية و الخلافة المتولدة من السقيفة رابطة و سنخية أصلاً فما ذكره الرّازي و غيره ممّن تبعه او سبقه ليس من تفسير الآية بل هو من مستخرجات أنفسهم و ملّفقات إفكارهم و أوهامهم الفاسدة التي يكشف عن سوء سريرتهم و خبث طينتهم و عداوتهم لأهل البيت الذّين طهرهم اللّه عن كل رجس و طهّرهم تطهيراً و قد قال رسول اللّه و الله المُناسِكُ من فَسّر القرآن برأيه فليُتّبُوء مقعده من النّار، و هذا يكفيهم أن كانوا من المؤمنين و لنرجع إلى تفسير الآية على ما إستفدناه منها.

فنقول وعد الله تعالى في هذه الآية المؤمنين العاملين بالأعمال الصالحة بأمورِ أربعة:

أحَدها: الإستخلاف في الأرض.

ثانيها: تدَّينهم بالدّين الّذي إرتضى لهم.

ثالثها: تبديل خوفهم بالأمن.

رابعها: العبادة الخالصة و أخبر أنّ وصولهم إلى هذه المقامات يتَّوقف عـلى أمرين:

أحدهما: الإيمان.

ثانيهما: العمل الصّالح.

ففي الحقيقة الوصول بما وعـدهم اللّـه مشـروط بـتّحقق الإيـمان و العـمل الصّالح و من المعلوم أنِّ المشروط ينتفي بإنتفاء شرطه.

فقوله: وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ أَمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا ٱلصَّالِخاتِ إشارة إلىٰ أَنَّ ما وعدناه موقوفٌ عليه، ثمّ أنّ الإيمان على ما فسَّره الرّاغب في المفردات يستعمل تارة إسماً للشريعة التي جاء بها محمد اللَّهُ الشَّكَةُ على ذلك:

قوله تعالىٰ: إِنَّ ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا وَ ٱلَّذِينَ هَادُوا وَ ٱلصَّابِئُونَ ۖ ` .

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷

و يوصف به كلّ من دخل في شريعته مقّراً باللّه و نبّوته قيل و على هذا: قال تعالىٰ: وَ مَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلّا وَ هُمْ مُشْرِكُونَ (١). انتهى الكلام الراغب في المفردات.

و تارةً يستعمل على سبيل المدح و يراد به إذعان النّفس للحقّ على سبيل التّصديق و ذلك بإجتماع ثلاثة أشياء تحقيقٌ بالقلب، و إقرار باللّسان، و عملٌ بحسب ذلك بالجوارح و على هذا قوله:

وَ الَّذِينَ اٰمَنُوا بِاللّٰهِ رُسُلِةٖ أُولْئِكَ هُمُ الصِّبِيْقُونَ<sup>(٢)</sup> إنتهىٰ كلام الرّاغب في المفردات.

فقوله تعالى: ٱللَّذينَ أَمَنُوا مِنْكُمْ، المراد به هو الإيمان بالمعنى النَّاني قطعاً أعني به التّحقيق بالقلب و الإقرار باللّسان و العمل بالجوارح و يدلّ على ذلك قوله تعالى بعد ذكر الإيمان، و عملوا الصّالحات، و قوله: مِنْكُمْ، أي ممّن أمن باللّه و رسوله و أمّا تخصيصه بالحاضرين من أصحاب النّبي في حياته وَ المعنى منكم، أيها المسلمون و يحتمل أن يكون، من، للتّبعيض أي بعضم، فمن خصّ الخطاب بالحاضرين من أصحاب رسول اللّه في حياته فلابد له من القول بعدم تحقّق الوعد لعدم الشّرط بشهادة التّواريخ و ذلك لأنّ الموعود به الإستخلاف في الأرض لا على أرض المشركين من العرب فقط أو عليها و على بلاد أخر كما زعم المفسّرون إذ لم يقل ليستّخلفنهم في بعض الأرض فأن قالوا بتّحقق الموعود به فهو كلام لا دليل عليه و أن قالوا بعدمه فهو المطلوب و قالوا بتحقق الموعود به فهو كلام لا دليل عليه و أن قالوا بعدمه فهو المطلوب و أمّا الأمور الأربعة المتّوقفة على الإيمان و العمل الصّالح.

فمنها، الإستخلاف في الأرض وإليه الاشارة بقوله: لَـيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِـى الْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَـبْلِهِمْ أي ليسـتخلفنَهم الله الذي وعدهم به فالمستخلف هو الله و المستخلف عنه هو الذين أمنوا و عملوا

الصّالحات كما إستخلف الله الذين من قبلهم من قوم موسى بعد هلاك فرعون و أعوانه و قيل كما إستخلف الذّين من قبلهم في زمن داود و سليمان، فهو من قبيل قوله: أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُها عِبْادِي ٱلصّالِحُونَ (١).

و منها أنّ اللّه يمكنهم في دينهم الّذي إرتضى لهم، أي يجعلهم متّمكنين قادرين على العمل بأحكام دينهم الّذي إرتضى لهم، و الدّين هو الإسلام قطعاً و في هذا الكلام إشارة إلى خلُّو الأرض عن الظّالمين المانعين عن العمل بالأحكام أو قلتهم و حقارتهم و عدم قدرتهم على المنع و ذلك لظهور دولة الحقّ و أفول الباطل بالكليّة أو المراد غلبة الحقّ على الباطل و المراد بالدّين الّذي إرتضى الله لهم ليس مجّرد الإسلام و هو الإقرار بالشّهادتين بل المراد به الإسلام و الولاية و أنما قلنا ذلك لأنّ اللّه تعالى قال:

# الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دَيِنْكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْيَوْمَ أَكْمَلُهُ الْيَوْمَ أَكْمُ الْيَوْمَ أَكْمُ الْيَوْمَ الْيَوْمَ الْيَوْمَ الْمَالُمُ وَيِئُلُ ٢٠).

تقريب الإستدلال بها أنها نزلت بعد غدير خم و ذلك أنه تعالى أمر رسوله تبليغ ما أنزل عليه و هو ولاية أميرالمؤمنين و الأئمة المعصومين بعده فقال: يا أينها الرّسُولُ بَلِغ ما أَنْزِلَ إِلَيْكَ و قد مرّ الكلام فيها في سورة المائدة مفصّلاً فلا نعيده فلمّا فرغ الله و عليم التي خطبها و نصب علياً بالإمامة بعده و أخذ من الحاضرين البيعة أنزل الله تعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دَبِنَكُمْ و حيث أنّ الألف و الله من الحاضرين البيعة أنزل الله تعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دَبِنَكُمْ و حيث أنّ الألف و الله من قوله: النيوم العهد الحاضر و المعنى هذا اليوم الحاضر الذي بايعتم علياً الله من قوله: النيوم لعهد الحاضر و المعنى هذا اليوم الحاضر الذي بايعتم علياً وَضَيْتُ لَكُمُ دَبِنَكُمْ مِنْ الله و الله علي و أَنْمَاقُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَى، أي نعمة الولاية و رضيت لكم الإسلام الذي فيه ولاية علي ديناً، و مفهوم الآية أنّ الإسلام بدون الولاية ليس مرضياً عندي و أنّما قلنا به لأنّ الألف و الله في الإسلام للعهد الذّكري أو العهد الحاضر او للعهد الذّهني و على جميع الله في الإسلام للعهد الذّكري أو العهد الحاضر او للعهد الذّهني و على جميع

التّقادير فالمطلوب ثابت إذا عرفت هذا فنقول، الدّين المرّضي عند اللّه ليس إلاّ الإسلام الّذي أساسه الولاية و قد وردت الأخبار الكثيرة به مضافاً إلى ما صرَّح به رسول اللّه عَلَيْنُونَ فِي خطبته التّي خطب بها يوم الغدير.

و منها، تبديله الخوف بالأمن كما قال: و لَيْبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا أي و ليبدلَّن الله خوفهم بالأمن، و المراد بالخوف خوفهم من الظّالمين لدين الحقّ فأن المؤمنين يخافون منهم على أموالهم و أنفسهم و أعراضهم كما كانوا في عهد الخلفاء و من حذى حذوهم من الحكّام إلى يومنا هذا فتبديل الخوف بالأمن معناه تسليط الحقّ على الباطل إذ لو كان الباطل مسلّطاً على الحقّ فالخوف موجودٌ قهراً و أنّما نسب الله التّبديل إلى نفسه و قال ليبدلّنهم أي ليبدلّنهم الله، لأنّ الله تعالى قادرٌ على كلّ شيّ و ما سواه مقهورٌ مغلوب تحت قدرته فإذا أراد شيئاً لا رادّ لما أراد و لا مانع لما شاء و هذا ظاهرٌ.

و منها أنّهم يعبدونه و لا يشركون به شيئاً، و هذا ممّا لا شكّ فيه بعد تحقّق الثّلاثة المتقدّمة لأنّ إستخلاف المؤمن في الأرض و تمكّنه في دينه و وجود الأمن يوجب العبادة الخالصة للّه تعالى إذ المقتضى موجود و المانع مفقود و يحتمل أن يكون المراد بقوله لا يشركون شيئاً أنّ الشّرك في ذلك الزّمان لا وجود له لأنّ المؤمن الحقيقى لا يشرك باللّه شيئاً.

وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولِيّكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ قالوا في معناه و من كَفَر بعد الّذي قصصنا عليك و وعدناهم به فأولئك هم الفاسقون، و الحقّ في معنى الكلام أنّ من كفر بعد ذلك أي بعد تحقق الوعد فأولئك هم الفاسقون و ذلك لأنّ مقتضى الإيمان موجود و موانعه مفقودة فلا عذر للكافر هذا إذا قلنا المراد بالكفر مقابل الإيمان و هو الكفر باللّه في توحيده و بالنّبي في نبّوته و يحتمل أن يكون المراد به كفر النّعمة أي و من كفر بهذه النّعم التّي أعطيناها فهو فاسق و يؤيّد هذا الإحتمال ذكر الفسق بعد الكفر إذ لو كان المراد بالكفر هـ و الكفر هـ و الكفر عد الكفر هـ و الكفر هـ و الكفر عد الكفر هـ و الكفر عد الكفر عد الكفر عد الكفر هـ و الكفر عد الكفر عد الكفر عن المراد بالكفر هـ و الكفر عد الكفر إذ لو كان المراد بالكفر هـ و الكفر عد الكفر إذ لو كان المراد بالكفر هـ و الكفر عد الكفر إذ لو كان المراد بالكفر هـ و الكفر

ضياء الفرقان في تفسير القرآن  $\left\{egin{array}{c} > \\ > \\ \end{array} \right\}$  المجلد الثاني ء

المصطلح أعني به الكفر بالتّوحيد و النّبوة فلا يقال أنّه فاسقٌ بل يقال أنّه كافر وهو أفحش من الفسق و العجب من المفسّرين حيث لم يتفطّنوا لهذه النكتة و حملوا الكفر على إنكار التّوحيد و النّبوة ثمّ قالوا في معنى الكلام أنّه تعالى أراد الخارجين في كفرهم إلى أفحشه لأنّ الفسق في كلّ شيّ هو الخروج إلى أكبره و لم يعلموا أنّ هذا لا معنى له بل هو مجّرد تبديل لفظ بلفظ أخر و ذلك لأنّ كون الفسق من الكافر أكبر من كفره لا يقول به عاقل فضلاً عن فاضل فأنّ الكفر من أكبر مصاديق الفسق و لا عكس و إنّي بعد الفحص في التّفاسير ظفرت على قول صاحب الكشّاف و رأيت أنّه سبقني إلى هذا المعنى و قال في تفسيره لهذه الأية: و مَنْ كَفَرَ يريد كفر النّعمة كقوله: فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ و قال في قوله: فَأُو لُقِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ أي هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النّعمة العظيمة و جسروا على غمطها إنتهى.

ثمّ قال فإن قلت هل في هذه الآية دليلٌ على أمر الخلفاء الرّاشدين.

قلت أوضح دليلٍ أو بينة لأنّ المستخلفين الّذين أمنوا و عملوا الصّالحات هم هم إنتهيٰ.

و العجب من صاحب الكشّاف في هذا الكلام و كان عليه أن يبيّن ذلك الدّليل الواضح فأنّ قوله لأنّ المستخلفين إلى أخر كلامه ليس إلاّ مجرّد الدّعوى و لعلّ الرّازي أخذ كلامه الذّي نقلناه عنه من صاحب الكشّاف ثمّ أتعب نفسه في تفصيله و قد مرَّ الكلام فيه و المقام لا يستدعي التكلّم في هذا البحث أكثر ممّا أشرنا إليه و لولا مخافة الإطناب و الخروج عن موضوع الكتاب لأوضحنا كلام صاحب الكشّاف.

إذا عرفت ما تلوناه عليك في تفسير ألفاظ الآية و علمت أنّ اللّه تعالى وعد المؤمنين العاملين بما ذكر في الآية من الإستخلاف في الأرض و غيره و علمت أنّ المفسّرين إتّفقوا على أنّه تعالى أنجز ما وعده بعد الرّسول على ما مرّ تفصيل الكلام فيه و أنكرنا ذلك عليهم فلك أن تقول ما المراد بالآية الشّريفة فنقول:

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

للَّية منطوقٌ و مصداق أمَّا المنطوق فلا خفاء فيه و هو أنَّ اللَّه تعالى وعـد المؤمنين بما وعد و قد مرَّ الكلام فيه و أمَّا المصداق فعلى قول الجمهور فقد وجد بعد الرّسول في زمان الخلفاء و هو الفتوحات العظيمة و تسَّلط المسلمين على جزيرة العرب و تمَّكنهم في دينهم الَّذي إرتضي لهم و عبادتهم اللَّه خالصاً لوجهه الكريم و عدم كفرانهم النِّعمة أو عدم كفرهم باللَّه و رسوله هذا ما ذهب إليه المفسّرون و أمّا نحن فنقول أنّ وعد اللّه حقّ لا مرية فيه و أمّا إنجازه فـلم يحصل إلى الآن و سيوجد في المستقبل و لا نعلم وقته و ذلك لأنَّ الأوصاف المذكورة في الآية لا توجد إلاّ بعد وجود المقتضى و رفع الموانع و نعني بالمقتضى وجود المؤمنين الذين يعملون الصّالحات و برفع الموابع عدم وجود الظَّالمين المانعين عن إجراء أحكام الله و هذا لا يمكن إلا بظهور الدُّولة الحُّقة في آخر الزّمان و هي لا توجد إلاّ بعد ظهور القائم المنتظر الّذي يملأ اللّه الأرض به قسطاً و عدلاً بعد ما ملئت ظلماً و جوراً و ذلك لأنّ إستخلاف المؤمنين في الأرض و تمكنُهم من العمل بدينهم و عدم خوفهم من الأشرار موقوفٌ على تطهير الأرض من الظُّلمة و الفُّساق و الكفّار و من يقدر على ذلك من الحكّام و إذا يقدر الحاكم فالموانع موجودة لا محالة و إلى هذا المعنى أشار النَّبي لَلْمُؤْتِثُكُمْ اللَّهِ عَلْمُؤْتُثُمُ بقوله:

لو لم يبق من الدّنيا إلاّ يومٌ واحد لطُّول الله ذلك اليوم حتّى يخرج من ولدي من إسمه إسمي فيملأ الله الأرض به قسطاً و عدلاً بعد ما ملئت ظلماً و جوراً.

و محّصل الكلام هو أنّ المعصوم المأذون من الله تعالى يقدر على إنجاز ما وعد الله لا غيره و نظيره هذه الآية في عدم إنجاز الوعد الى يوم الوقت المعلوم عند الله.



قوله:

هُوَ ٱلَّذِيَّ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدٰى وَ دينِ ٱلْحَقِّ لِيُطْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿ ١ ﴾.

و من المعلوم أنّ النّبي لم يظهر الدّين كلّه في حياته و الدّليل على ذلك وجود الكفّار فهذا أيضاً ممّا وعده اللّه و أمّا ظهوره فهو في عصر الحجّة المنتظر كما ورد به الخبر و قوله تعالى: أَنَّ ٱلأَرْضَ يَرِثُهَا عِبْادِيَ ٱلصَّالِحُونَ (٢) ومن المعلوم عدم تحّقق الوعد الى الآن.

قال الله تعالى: لَقَدُ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ وَ اللهِ تَعَالَىٰ: لَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَ أَنْزَلْنَا ٱلْحَديدَ فِيهِ بَأْسُ شَديدٌ (٣).

و من المعلوم أنّ قيام النّاس بالقسط لم يتحقّق الى زماننا هذا و أمثال ذلك من الآيات كثيرة فالوعد بيد اللّه و الإنجاز أيضاً بيده و قدرته و إرادته و أمّا الفصل بين الوعد و الإنجاز فلا يعلمه إلاّ اللّه نعم خلف الوعد محالٌ في حقّه تعالى و هذا ممّا لا كلام فيه فمن الفصل بين الوعد و الموعود به قصّة نوح النّبي و نزول العقاب على قومه فقد ذكر في كتاب كمال الدّين و تمام النّعمة. بأسناده الى سدير الصّيرفي عن أبي عبد الله علي خديث طويل، و فيه يقول علي و أمّا إبطاء نوح فأنّه لمّا إستنزل العقوبة على قومه من السّماء بعث اللّه تعالى جبرئيل و معه سبع نوايات فقال يا نبّي اللّه أنّ اللّه تعالى يقول لك أنّ هؤلاء خلائقي و عبادي لست أبيدهم بصاعقة من عواعقي إلاّ بعد تأكيد الوعد و إلزام الحجّة فعاود إجتهادك في الدّعوة لقومك فإنّي مثيبك عليه و أغرس هذا النّوى فأنّ لك في

۲- الأنبياء = ۱۰۵

اء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ العجلد الثاني عنا

١ – الصَّف = ٩

بيانها و طوعها و إدراكها إذا أثمرت الفرج و الخلاص فبشر بذلك من إتَّبعك من المؤمنين فلَّما نبتت الأشجار و تأزّرت و تسُّوقت منه هي الثّمر على ما كان بعد زمان طويل إستنجز من الله العّدة فأمر الله تعالى أن يغرس نوى تلك الأشجار و يعاود الصَّبر و الإجتهاد و يؤكِّد الحجّة على قومه و سباق الحديث الى أن قال ثمّ أنّ اللّه تبارك و تعالى لم يزل يأمره عند كلّ مرَّةِ بأن يغرسها مرَّة بعد أخرى إلى أنّ غرسها سبع مرّاتِ فما زالت تلك الطّوائف من المؤمنين ترتَّد منهم طائفة بعد طائفة إلى أن عاد إلى نيّف و سبعين رجلاً فأوحى الله تعالى إليه و قال يا نوح الآن أسفَّر الصّبح عن اللّيل بعينك عن صرح الحقّ محضه و صفا الكدر بإرتداد كلّ من كانت طينته خبيثة فلو أنّى أهلكت الكفّار و أبقيت من إرتَّد من الطّوائف الّتي كانت أمنت بك لما كنت صدقت وعدى السّابق للمؤمنين الذّين أخلّصوا التّوحيد من قومك و إعتصموا بحبل نبوتك فأنّى أستخلفهم في الأرض و أمكّن لهم دينهم و أبدل خوفهم بالأمن لكى تخلّص العبادة لى بذهاب الشّرك من قلوبهم و كيف يكون الإستخلاف و التّمكين و بدل الأمر منّى لهم مع ما كنت أعلم مِن ضعف يقين الّذين إرتّدوا و خبث طينتهم و سوء سرائرهم التّى كانت نتائج النّفاق و شبوح الضّلالة إلى أن قال الطِّلانِ:

و قال الصّادق التَّلِا: وكذلك القائم فأنّه تمتَّد أيّام غيبته فيصرح الحقّ عن محضه و يصفوا الإيمان من الكدر بإرتداد كلّ من كانت طينته خبيثة من الشّيعة التّي يختّص عليهم النّفاق إذا أحسُّوا بالإستخلاف و التّمكين و الأمر المنتشر في عهد القائم.

قال الفضل فقلت يابن رسول الله فأن هذه النواصب تزعم أن هذه الآية نزلت في أبي بكر و عمر و عثمان و علي عليه فقال عليه لا لا يعدي الله قلوب الناصبة متى كان الذين إرتضاه الله و رسوله متمكناً بإنتشار الأمر في الأمة و ذهاب الخوف من قلوبها و إرتفاع الشك من صدورها في عهد واحد من هؤلاء و في عهد علي مع إرتداد المسلمين و الفتن التي كانت تثور في أيامهم و الحروب التي كانت تنسب إليهم بين الكفّار و بينهم إنتهي.

و في تفسير علّي بن إبراهيم قوله: وَعَدَ ٱللّٰهُ ٱلَّذَيِنَ أَمَـنُوا، نزلت في القائم من أل محمّد عليهم السّلام إنتهي.

و عن عبد الله بن سنان قال سألت أبا عبد الله للسلام عن قول الله عزّ وجلّ: وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ أَمَنُوا قال السِّلاِ: هم الأئمة إنتهىٰ.

أقول و قد تكلّم الشّيخ مُنْتُنُ أيضاً في التّبيان و لنحتم الكلام حول الآية و الحمد لله الّذي هدانا إلى ذلك.

وَ أُقِيمُوا ٱلصَّلُوةَ وَ أَتُوا ٱلزَّكُوةَ وَ أَطْبِعُوا ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

أمر الله تعالى المؤمنين بإتيان الصّلوة و إيتاء الزّكوة و إطاعة الرّسول ثمّ قال لعلّكم ترحمون أي لكي ترحمون فأنّ رحمة اللّه قريبٌ من المحسنين و قد مرّ الكلام في الصّلوة و الزّكاة غير مرّة فيما مضى من الأيات.

و أمّا قوله: وَ أَطْيِعُوا ٱلرَّسُولَ ففيه إشارة إلىٰ أنّ إطاعة الرّسول هو الأصل في الباب فمن أقام الصّلاة و اتى الزّكاة و لم يطع الرَّسول فيما أمر به و نهى عنه لم ينتفع بها يوم القيامة:

قال اللّه تعالىٰ: وَ مَا الْتَيْكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَيْكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُولُ ( ).

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 💙



قال الله تعالىٰ: مَنْ يُطِعِ آلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهُ (١).

قال الله تعالىٰ: وَ إِنْ تُطْبِعُوهُ تَهْتَدُوا وَ مَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلاغُ ٱلْمُبِينُ (٢).

و الآيات كثيرة دالَّة على أنّ إطاعة الرَّسول هي إطاعة الله لأنّه اللَّه الله النَّة اللَّه الله النَّة النَّة الله النَّة النَّة الله النَّة الله النَّة الن

ضياء الفرقان في نفسير القرآن کمياء الفرقان في نفسير القرآن کم کمياء العاملا الخاني ع

لا تَــحْسَبَنَّ ٱلَّـذينَ كَـفَرُوا مُـعْجِزينَ فِــى ٱلْأَرْضِ وَ مَأْوِيهُمُ ٱلنَّارُ وَ لَـبِئْسَ ٱلْـمَصيرُ (۵۷) يَا ۚ أَيُّهَا ٱلَّذينَ اٰمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ ٱلَّذينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَ ٱلَّذينَ لَمْ يَـبْلُغُوا ٱلْـحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرّاتِ مِنْ قَبْل صَلْوةِ ٱلْـفَجْرِ وَ حينَ تَضَعُونَ ثِيابَكُمْ مِنَ ٱلظَّهيرَةِ وَ مِنْ بَعْدِ صَلوة ٱلْعِشْآءِ ثَـلاثُ عَـوْراتِ لَكُـمْ لَـيْسَ عَلَيْكُمْ وَ لَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْض كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَاتِ وَ ٱللَّهُ عَلِيمٌ خَكِيمٌ (٥٨) وَ إِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَالُ مِنْكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَأَذِنُوا كَمَا ٱسْتَأَذَنَ ٱلَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَيْاتِهِ وَ ٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩) وَ ٱلْقُواٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسٰآءِ ٱللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَعَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجاتٍ بِزينَةٍ وَ أَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَ ٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٠) لَيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمٰى حَرَجٌ وَ لا عَلَى ٱلْأَعْرَج حَرَجٌ وَ لَاعَلَى ٱلْـمَريض حَـرَجٌ وَ لَا عَـلْيَ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ الْبَايِّكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَمَّهَا تِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخُواٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخُواٰتِكُمْ أَوْ بُسِيُوتِ أَعْـمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْواٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

خْالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَديقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٓ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَّاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٤١)

### ◄ اللّغة

أقيموا الصَّلُوة: اقامة الصَّلاة الإتيان بها في أوقاتها بجميع شرائطها المقّررة في الشّريعة.

لِيَسْتَأْذِنْكُمُ: الإستئذان طلب الإذن.

ٱلْحُلْمَ: يقال حلم، حلماً و حلماً في منامه هو مصدر جمعه، أحلام، مايراه النّائم في نومه أي زمان البلوغ و سمّى الحُلّم لكون صاحبه جديراً بالحَلم.

عَوْراْتٍ: بفتح العَين جمع عورة قيل حكم ما كان على وزن، فعلة، من الأسماء أن تحرك العين منه نحو صفحة و صفحات و جفنة و جفنات إلا أنّ عامّة العرب يكرهون تحريك العين فيما كان عينه واواً أو ياءً لأنّه كان يلزمه الإنقلاب إلى الألف فأسكنوا لذلك و قالوا عورات و جوزات و بيضات و قرأ الأعمش بفتح

ٱلْقَوَاعِدُمِنَ ٱلنِّسَاءِ: أي المسنَّات من النِّساء اللَّاتي قعدت عن التَّزويج و قيل هي اللاّتي قعدن عن حيضهن.

حَرَجٌ: بفتح الحاء و الرّاء الضّيق في الدّين مشتّق من الحرجـة و هـي الشّـجر الملتّف بعضه ببعضِ لضيق المسالك فيه.

أَشْنَاتًا: واحدها الشُّت و هو التَّفرق ضدّ الجمع و الباقي واضح.



ثَلاثَ مَرَاٰتٍ مرَّة في الأصل مصدر وقد أستعملت ظرفاً فعلى هـذا يـنتصب ثلاث مرّات على الظّرف مِنْ قَبْلِ صَلْوةِ ٱلْفَجْرِ فيه ثلاث أوجه:

أحدها: نصب بدلاً من ثلاث.

الثّاني: جرّ بدلاً من مرّات.

الثّالث: رفع بدلاً على أنّه خبر مبتدأ محذوف أي هي من قبل و تمام الثّلاث معطوف على هذا مِنَ آلظّهِرَةِ من، لبيان الجنس و حين، معطوف على موضع من قبل، ثلاث عورات فحذوف المبتدأ و قبل، ثلاث عورات فحذوف المبتدأ و المضاف و بالنّصب على البدل من الأوقات المذكورة، أو على إضمار أعني بعدمن التقدير بعد إستئذانهن فيهنّ، ثمّ حذف حرف الجرّ و الفاعل فيبقى بعد إستئذانهن من المصدر و القواعد مبتدأ و مِنَ النِّسَاءِ حال و اللّاتي صفة و الخبر فَلَشَ عَلَيْمِنَ و دخلت الفاء لما في المبتدأ من معنى الشّرط غَيرُ حال تَجِيّة مصدر من معنى سلّموا لأن سلّم و حيّاً بمعنى.

### ◄ التّفسير

لا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَ مَأُويٰهُمُ ٱلنَّارُ وَ لَبَّسَ ٱلْمَصِيرُ

قرأ الجمهور بالتّاء و قرأ بعضهم بالياء فعلى الأوّل الخطاب للنّبي ظاهراً كغيره من الخطابات في القرآن و على الثّاني معناه لا يظنّن من كفر أنّه يفوتني و يعجزني أيّ مكانٍ في الأرض و المقصود أنّه لا يمكن لأحد الفرار من حكومة الله تعالى و مأواهم، أي مكانهم و مستقرهم يوم القيامة النّار و بئس المصير هذه لو كانوا يعلمون.

و قال صاحب الكشّاف معجزين في الأرض هما المفعولان و المعنى لا يحسبّن الّذين كفروا أحداً يعجز اللّه في الأرض حتّى يطمعوا لهم في مثل ذلك إنتهى.



أقول الحسبان الظنّ و المعنى لا تظّن أو لا يظّن أنّ الكفّار يقدرون بما عندهم من القوّة و الشّوكة أن يمنعوه من أن ينجز وعده فأنّه تعالى قادرٌ على إنجاز وعده ففي الآية دلالة على أنّ المخلوق لا قدرة له في جنب قدرة الخالق و هذا ممّا لا شك فيه عقلاً و نقلاً.

يٰآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَ ٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا ٱلْحُلُّمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلُّوةِ ٱلْفَجْرِ وَ حَينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ ٱلظُّهيرَةِ وَ مِـنْ بَـعْدِ صَـلُوةِ ٱلْـعِشْآءِ ثَـلَاثُ عَوْراْتِ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَ لا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوّاْفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضِ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ٱلْأَيْـاتِ وَ ٱللَّـهُ عَـليمٌ

الخطاب للمؤمِنين أمرهم الله أن يأمروهم بذلك فقال: يَا ٓ أَيُّهُا ٱلَّـذينَ أَمَنُوا إلى قوله: أَيْمَانُكُمْ، الإستئذان طلب الإذن خاطب الله المؤمنين أن يأمروا العبيد بالإستئذان أي طلب الإذن من مواليهم في الدُّخول عليهم قبل صلاة الفجر و حين يضعون ثيابهم من الظّهر و من بعد صلاة العشاء و هكذا الأطفال الّذين لم يبلغوا الحلم و ذلك لأنّ الحكم فيهما واحد فقوله الذّين ملكت أيمانكم، المراد به المماليك و قوله: وَ ٱلَّذينَ لَمْ يَبِللُّغُوا ٱلْحُلُّمَ، المراد به غيرالبالغ، و هو المميز الّذي لم يبلغ الحلم فأنّه لا حكم له و قوله: بزء ١٨ ﴾ ثَلاثُ عَوْراْتِ لَكُمْ أي مخصوصة لكم للخلوة فيها و عبَّر عن هذه الأوقات بالعورة لأنّ العورة هي الخلل و منها الأعور سميّت بذلك لأنّهم يضعون ثيابهم فيها و تبدو عوراتهم و تحصيل كشفها و ربّما يواقعون النّساء فيها فهو من قبيل العلَّة للحكم المذكور.

و قال بعض المفسّرين ذلك أمرٌ للأباء أن يأخذوا الأولاد بذلك فظاهر الآية يدلُّ علىٰ وجوب الإستئذان ثلاث مرّات في ثلاث أوقات من ساعات اللَّيل و <u>العران</u>

و أمّا قوله: لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَ لا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ أي بعد الأوقات المذكورة أن يدخلوا عليكم من غير إذن يعني في الذين لم يبلغوا الحلم، دون المماليك و هو المراد بقوله: طَوّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ قيل قوله: طَوّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ قيل قوله: طَوّافُونَ عَلَيْكُمْ الخ علة لترك الإستنذان مطلقاً حتى المماليك و ذلك لإحتياج كلّ منهم إلى المخالطة للأخر فالخادم لخدمة مولاه و الطفل لينال من أبويه ما يحتاج إليه و المولى لطلب عبده للإستخدام إذا غاب عنه و كذا الوالد.

فَفِي تَفْسَيْرَ عَلَي بِن إِبرَاهِيمِ و أَمَّا قُولُهُ: يُلَّ أَيُّهُمَا ٱ**لَّذَبِنَ اُمَــنُوا** إِلَىٰ قُـولُهُ: ثَلَاثُ عَوْرِات قال<sub>َ</sub>النَّلِاِ:

أنّ اللّه تبارك و تعالى نهى أن يدخل أحد في هذه الثّلاثة الأوقات على أحد، لا أب ولا أخت و لا أمّ و لا خادم إلاّ بأذن و الأوقات بعد طلوع الفجر و نصف النّهار و بعد العشاء الأخرة ثمّ أطلق بعد هذه الثّلاثة الأوقات فقال ليس عليكم و لا عليهم جناح بعدهنّ، يعني بعد هذه الثّلاثة الأوقات طوّافون بعضكم على بعضٍ إنتهى.

و في الصّحيح عن أبي عبد الله في قول الله عز وجلّ: يا آيُها الله عن الصّحيح عن أبي عبد الله في قول الله عز وجلّ: يا آيُها الله ين المنوا ليسْتأذنكم إلى قوله: ثلاث عورات قيل من هم قال الله المملوكون من الرّجال و النساء و الصّبيان الّذين لم يبلغوا الحلم يستأذنون عليكم عند هذه الثّلاث عورات من بعد صلاة العشاء و هي العتمة، و حين تضعون ثيابكم من الظّهيرة و من قبل صلاة الفجر و يدخل مملوككم من بعد هذه الثّلاث عورات بغير إذن إن شاءوا.



و في الآية نكات و فوائد لا بأس بالإشارة إليها إجمالاً:

الأولى: أنّ اللّه تعالى خاطب المؤمنين بأن يأمروهم بذلك و ظاهر الأمر الوجوب و هو بالنّسبة إلى البالغ لا إشكال فيه و أمّا غير البالغ فقيل أنّه للوجوب أيضاً نقل ذلك عن البلخي و هو لا يصحّ لأنّ ذلك تكليفٌ و غير البالغ لا يكلّف و يمكن أن يقال أنّ الأمر تعلّق بالمؤمنين ليأمروهم بذلك و الأمر بالأمر بالشّي يمكن أن يقال أنّ الأمر بالشّي نفسه أو أنّ المراد هنا مطلق الرُّجحان الشّامل ليس على حدّ الأمر بالشّي نفسه أو أنّ المراد هنا مطلق الرُّجحان الشّامل للواجب و غيره فيكون للبالغ للوجوب و لغيره للنّدب أو أنّ القصد هنا الإرشاد إلى تعليم الأداب فيكون إدخال الصّغار قرينة لكون المراد الأمر الإستحبابي و يؤيده أنّ المحرّم هو النّظر إلى العورة و تلك الأوقات مظنّة لذلك بالاجرّم بحصوله فيها فلا يكون الدّخول بدون الإذن حرام في هذا الحال كما أنّه يحرم بعد الأوقات المذكورة إذا علم بحصوله.

الثّانية: الإستئذان طلب الإذن بأي شيّ كان و لو بضرب الحائط أو إحدى اليدين على الأخرى أو بضرب الباب فما ورد في الأخبار من كونه بالسّلام فهو من باب التّمثيل بالأفضل.

الثّالثة: قد عرفت أنّ المأمور بالإستئذان هنا هم مماليك المدخول عليهم و من لم يبلغ الحلم و أنّه يجوز لهم الدُّخول بعد هذه الأوقات الثّلاثة بلاإذن فهي خاصّة بهم بخلاف ما سبق من قوله تعالىٰ: لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ فَأَنّ المراد هناك الأحرار البالغين فلامنافاة فلانسخ.

وَ إِذَا بَلَغَ آلاً طَفْالُ مِنْكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا ٱسْتَأْذَنَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَيَّاتِهِ وَ ٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

قُوله: مِنْكُمُ في موضع نصب على الحال أي كائنين منكم أيّها الأحرار دون المماليك لأنّ حكمهم علم من الآية المتقدمة حيث أطلق في المماليك و قيّد غيرهم بمن لم يبلغ الحلم فعلم أنّ من بلغ الحلم ليس هذا حكمه و المراد

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷



بالحلم حدّ البلوغ كما مرَّ و حاصل المعنى أنّ الأطفال ما داموا أطفالاً مأذون لهم بالدّخول بغير إذن إلاّ في الأوقات الثّلاثة كما عرفت فإذا بلغوا فلا يجوز لهم الدّخول في الأوقات الثّلاثة و غيرها إلاّ بالإذن كما لا يجوز للّذين بلغوا قبلهم من الرّجال الكبار إلاّ بالإذن وإحتمل بعض المحققين أنّ المراد بالّذين قبلهم الذّين ذكروا قبلهم في الآية السّابقة في قوله: يا آ أيُّها آلَّذين أَمنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَ تُسَلِّمُوا عَلَى آهلِها الله عليم عليم عليم عليم بعواقب الأمور حكيم بوضعها.

وَ ٱلْقُواٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسْآءِ ٱللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجاتٍ بِزِينَةٍ وَ أَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرُ لَهُنَّ وَ ٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

القواعد جمع قاعد أي ذات قعود و المراد العجوز التّي قعدت من الحيض و معنى قوله: لا يَرْجُونَ نِكَاحًا لا يطمعن فيه ولا يرغبن لكبرهن و في بعض الأخبار من قعدن عن النّكاح.

و قوله: غَيْرَ مُتَبَرِّجاتٍ منصوب على الحاليّة من فاعل يضعن و التّبرج بالزّينة تكلّف إظهارها و البّاء للملابسة أي يباح طرح الثّياب عند الأجانب في حالٍ لا يكونن قاصدات بذلك إظهار الزّينة التّي أمر اللّه بإخفائها في قوله: وَ لا يُبْدينَ زينتَهُنَّ بل مجّرد التّخفيف و طلب الرّاحة فأنّه مرخص لهن في ذلك و مقتضى ذلك إنهن لو قصدن بذلك إظهارها حرم، و قيل التبرُّج إظهار المرأة من محاسنها ما يجب عليها ستره و لمّا كان وضع الثّياب لها من باب الرُّخصة بيَّن سبحانه أنّ تركه خيرً لهن و ذلك لأنّه أبعد من التّهمة و أحسن للحفظ من طرق المفاسد و المراد بالثّياب في الآية الجلباب و قوله: وَ ٱللَّهُ سَميعٌ عَليمٌ، معناه سميعٌ لأقوالكم عليمٌ بقصدكم و نيّاتكم.

قال الشّيخ وَ النّبيان و أنّما ذكر القواعد من النّساء لأنّ الشّابة يلزمها من التَّستر أكثر ممّا يلزم العجوز و مع ذلك فلا يجوز للعجوز أن تبدي عورة لغير محرم كالسّاق و الشّعر و الذّراع و غيرها ممّا يسمّىٰ عورة.

لَيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمٰى حَرَجٌ وَ لَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَ لَاعَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَ لَاعَلَى الْمُوتِ الْمُريضِ حَرَجٌ وَ لَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بَيُوتِكُمْ أَوْ بَيُوتِ الْمَاتِكُمْ أَوْ بَيُوتِ الْحُواٰنِكُمْ أَوْ بَيُوتِ أَخُواٰتِكُمْ أَوْ بَيُوتِ أَخُواٰتِكُمْ أَوْ بَيُوتِ أَخُواٰلِكُمْ أَوْ بَيُوتِ أَخُواٰلِكُمْ أَوْ بَيُوتِ أَخُواٰلِكُمْ أَوْ بَيُوتِ خَالاتِكُمْ أَوْ بَيُوتِ أَخُواٰلِكُمْ أَوْ بَيُوتِ خَالاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكُتُمْ مَفَاتِحَةً أَوْ صَديقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ خَالاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكُتُمْ مَفَاتِحَةً أَوْ صَديقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بَيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَعْقِلُونَ عَنْدِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ ٱلْأَيْلَاتِ لَعَلَيْكُمْ تَعْقِلُونَ لَكُمْ تَعْقِلُونَ

نفى الله تعالى الحرج و هو الضّيق في الدّين عن الأعمى و الأعرج و المريض و الأكل من البيوت التي أشير إليها في الآية و لم يبيّن فيها ما لا حرج فيه و لذلك إختلف المفسّرون فقال بعضهم لا حرج عليهم في التّخلف عن الجهاد و يكون قوله: و لا أَنْفُسِكُمْ، كلاماً مستأنفاً.

و عن إبن عبّاس ليس من مؤاكلتهم حرج لأنّهم كانوا يتَّحرجون من ذلك.

و قال الفراء كانت الأنصار يتَّحرج و قال مجاهد ليس عليكم في الأكل من بيوت من سمّىٰ على جهة قراباتهم و قال الزّهري ليس عليهم حرج في أكلهم من بيوت الغزاة إذا خلفوهم فيه بإذنهم و ساق الكلام إلىٰ أن قال و الّذي روي عن أهل البيت أنّه لا بأس بالأكل لهؤلاء من بيوت من ذكرهم الله بغير إذنهم و قدر حاجتهم من غير إسراف إنتهى ما ذكره الشّيخ في التّبيان و به قال أكثر المفسّرين أو جميعهم.

ئىياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿

العجلد الثاني عذ

و هذا هو الظّاهر من الآية في قوله: وَ لا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بَيُو تِكُمْ إلى أخر الآية فكأنّ قوله هذا قرينة على أنّ الحرج المنفي هو الأكل و على هذا فالواو في قوله: وَ لا عَلَى أَنْفُسِكُمْ للعطف و الذي يختلج بالبال في تبيين المراد أنّ الواو للإستئناف بمعنى أنّه أي قوله: وَ لا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إلىٰ أخر ما قال حكم أخر غير ما حكم به أوّلاً مع دخول الحكمين في الحرج المنفي في الشريعة عقلاً و نقلاً و توضيح ذلك إجمالاً.

أنّه لا شكّ عقلاً و نقلاً في نفي الحرج في الدّين أمّا عقلاً فواضح لأنّ التّكليف بما لا يطاق غير معقول و يدخل فيه التّكليف المستلزم للحرج و المشّقة.

و أمّا نقلاً فلقوله مَّالْمَا اللَّهُ عَلْتُ إلى الشَّريعة السَّمحة السَّهلة، و قوله تعالىٰ: لا يُكلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إلَّا وُسْعَهَا و هذا ممّا لا خلاف فيه بَينَ المُسلمين ثمّ أنّ الحرج تارةً يكون في الدّين أعنى به الأحكام الشرعيّة من الصّوم و الصّلاة و الجهاد و الحجّ و غيرها و أخرى في غيرها فالأعمى و المريض و الأعرج نفي الله عنهم الحرج في العبادات و غيرها مطلقاً و أمّا غيرهم فلا إذا لا عـذر لغـير هؤلاء مثلاً الجهاد بالنّسبة إلى المريض حرج و ليس كذلك في غيره و هكـذا الصّوم و الحجّ و الصّلاة و غيرها و هكذا في الأعرج و الأعمى فأنّهما لا يقدران عقلاً على الجهاد وكثير من الأعمال بخلاف الصّحيح و ليس المراد أنّ جميع العبادات في حقّهم حرج فالأعرج مثلاً لا يقدر على الجهاد و يقدر على الصّلاة و الحجّ و الصّوم و هكذا الأعمى و المريض لا يقدر على الصّوم و الجهاد و يقدر على الصّلاة ولو قاعداً أو جالساً أو مضطجعاً و هكذا و الملاك تحقّق الحرج بالنَّسبة إلى المكلُّف مريضاً كان أو صحيحاً و أنَّما خصَّ هؤلاء بالذَّكر لكونهم من ذوي الأعذار ظاهراً لا أنّ الحرج المنَّفي مختَّص بهم و علىٰ هذا فيمكن أن يقال إنّ الحرج المنّفي فيهم أكثر من غيرهم إذا عرفت هذا فإعلم أنّ قوله: لَيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمٰى حَرَجٌ وَ لَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَ لَاعَـلَى ٱلْـمَريضِ

حَرَجٌ، و المرادبه في بعض الأمور لا أنّ التّكليف ساقط عنهم و ذلك لكونهم من ذوي الأعذار ثمّ بعد ذلك قال و لا على أنفسكم الخ.

و الأعمى و الأعرج و المريض داخل في هذا الحكم أيضاً لدخولهم فى قولهم و لا على أنفسكم فغير الأعرج و المريض لا يدخل في حكمهما إذ لا عذر له و المريض و الأعرج لا خلاف في حكم غيرهما من الأكل في البيوت المشار إليها في الآية و لنرجع إلى تفسير ألفاظ الآية فنقول:

قوله: لَيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمٰى و هو الّذي كفُّ بصره، حرج و لا على الأعرج و هو الّذي يعرج من رجليه أو أحدهما، و لا على المريض حرج و هو الّذي يكون عليلاً ضعيفاً، و قلنا معنى الحرج هـ و الضِّيق في الدّين فأنَّهم يعملون من العبادات و غيرها على قدر طاقتهم و إستطاعتهم كمّاً و كيفاً فهذا الحكم مختص بهم ثمَّ قال: وَ لا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ و هذا حكمٌ يشمل جميع المكلَّفين مريضاً كان المكلِّف أو صحيحاً فلا فرق بينهم في هذا الحِكم.

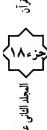
أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ إِلنِّي تسكنون فيها أَوْ بُيُوتِ اٰبِآئِكُمْ و أن علوا كالجدّ و الأجداد أوْ بُيُوتِ أُمَّها تِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخُو أَنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخُواْتِكُمْ الأخوان جِمع الأخ و الأخوات جِمع الأختِ و الإخوة (أو بيوت أعمامكم) جمع عمَّ أَوْ بِيُوتِ أَمَّهَاتِكُمْ جمع عمَّة أَوْ بُيُوتِ أَخُوالِكُمْ جمع خال و هو أخ الأُمّ أَوْ بُيُوتِ خَالاتِكُمْ جمع خالة و هي أخت الأمّ أَوْ مِا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَةً و هو الوكيل و ما جرى مجراه و قيل المراد بيوت عبيدكم أَوْ ز ١٨٠> صَديقِكُمْ أي بيوت صِديقكم لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُـنَاحٌ أي لا بأس عـليكم أنْ تَأْكُلُوا جَميعًا أَوْ أَشْتَاتًا متَّفرقين و المقصود أنَّه يجوز الأكل جماعاً و وحداناً، و قيل معناه لا بأس أن يأكل الغني مَع الفقير في بيته، وقيل كانوا إذا نزل بهم ضيف، تحرّجوا أن يأكلوا معه فأباح الله الأكل منفرداً و مجتمعاً و قيل غير ذلك و المعنى واضح لا خفاء فيه و ذلك لأنّ الأكل إذا كان مباحاً فلا فرق بين الجمع و التَّفريق.

القرآن

فَإِذا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُم تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ مُبْارَكَةً طَيِّبَةً أمر الله تعالى في هذه الآية جميع المكلفين إذا دخلوا بيوتاً ليس فيها أحد أن يسلموا على أنفسهم فأن السّلام تحيّة من عند الله يعني تحيون به تحيّة من عند الله مباركة طيّبة، لما فيها من الأجر و الثّواب.

كَذْلِكَ يُبَيِّنُ ٱلله لَكُمُ ٱلأَيْاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ أي كما بَيَّن الله لكم هذه الأحكام و الأداب يبيَّن الله لكم الأدلة على جميعها لتعقلوا ذلك و تعملوا بموجبه.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



إنَّــمَا ٱلْــمُؤْمِنُونَ ٱلَّــذينَ اٰمَـنُوا بــاللهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٓ أَمْرِ جَامِع لَـمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَأْذِنُّونَكَ أُولٰئِكَ ٱلَّذينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ فَاذِا ٱسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْض شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِـمَنْ شِـئْتَ مِنْهُمْ وَ ٱسْتَغْفِرْ لَـهُمُ ٱللَّـهَ إِنَّ ٱللَّـهَ غَـفُورٌ رَحيمٌ (٤٢) لا تَجْعَلُوا دُعْآءَ ٱلرَّسُول بَـيْنَكُمْ كَدُعْآءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِواٰذًا فَلْيَحْذَر ٱلَّذينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابُ أَلِيمٌ (٤٣) أَلاَّ إِنَّ لِـلَّهِ مُـا فِــى ٱلسَّــمُواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَ يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءِ عَليمٌ (۶۴)

ضياء الفرقان في تفسير القرآء

### ◄ اللّغة

يَسْتَأْذِنُوهُ الإستئذان طلب الإذن.

يَتَسَلَّلُونَ: السَّل بفتح السّين و اللآم المشّددة النَّزع يقال سلَّ الشَّيُ من الشَّيُ إذا نزعه عنه كسَّل السَّيف من الغمد.

لِواٰذًا: هو من قولهم لاوذ بكذا إذا إستتر.

فَيُبَتُّهُمْ: الإنباء الإخبار و منه النَّبي لأنَّه يخبر عن اللَّه.



### ◄ الإعراب

لِواْذًا هو مصدر في موضع الحال و أنّما صحّت الواو في لواذ مع إنكسار ما قبلها لأنّها تصحّ في الفعل الّذي هو لاوذ، ولو كان مصدر لاذ، لكان، المصدر لياذاً مثل صام صياماً أنْ تُصِبِبَهُمْ مفعول يحذر في قوله فليحذر الذّين الخ.

#### ▶ التفسير

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ أَمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهٖ وَ إِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىۤ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَ أُولٰئِكَ ٱللَّهَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ آلَدُينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهٖ فَإِذَا ٱسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَعْنُونَ مِنْهُمْ وَ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لِمَنْ

في هذه الآية بيَّن اللّه أوصاف المؤمنين الحقيقي و عرَّفهم بما لا مزيد عليه و يدلّ عليه الحصر بكلمة، أنّما، فأنّها تفيد الحصر و الآية صدَّرت بها للدّلالة على الحصر فقال: إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذَبِنَ أَمَنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ و هذا هو الحصر فقال: إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذَبِنَ الْمَنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ و هذا هو الأصل في تحقق الإيمان بحسب الإعتقاد القلبي فأنّ من لم يؤمن باللّه و رسوله فليس بمؤمن قطعاً و فيه إشارة إلى أنّ الإيمان باللّه دون الرَّسول و بالعكس لا فائدة فيه بل لا يصدق عليه الإيمان واقعاً و ذلك لكونهما من المتلازمين بمعنى أنّ أحدهما يستلزم الأخر لتحقُّقه و قد مرَّ الكلام في معنى الإيمان لغةً و إصطلاحاً غير مرَّة في تضاعيف الأيات و قلنا أنّ العمل بمقتضى الإيمان شرط في تحققه في الخارج و أنّ الوجود الذّهني لا أثر له و إلى هذه الدّقيقة أشار اللّه تعالى بقوله: وَ إِذا كَانُوا مَعَهُ عَلٰيَ أَمْرٍ جُمع لَمْ يَدْهُبُوا حَتّىٰ يَسْتَأُذُوهُ أي يستأذنوا الرّسول و هذا هو العمل بمقتضى الإيمان فأنّ الإعتقاد يَسْتَأُذُوهُ أي يستأذنوا الرّسول في جميع الشّئون لأنّ إطاعته إطاعة اللّه بالرّسالة يستلزم الإطاعة من الرّسول في جميع الشّئون لأنّ إطاعته إطاعة اللّه واقعاً و مخالفته والمراد بالأمر الجامع الأمر الّذي يقتضي الإجتماع عليه واقعاً و مخالفته مخالفته والمراد بالأمر الجامع الأمر الذي يقتضي الإجتماع عليه

، الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ المجلد الثاني ع

و التّعاون فيه من حضور حزبِ أو مشورة في أمرِ أو في صلاة جمعة هكذا قيل

و قال بعض المفسّرين الأمر الجامع الّذي يـجمع له النّـاس فـوصف الأمـر بالجمع على سبيل المجاز و يمكن أن يكون المراد بالأمر الجامع اللذي يعمّ بضرره أو بنفعه أي كان ضرره أو نفعه عامًّا لجميع المسلمين وكيف كان فالمراد به ما يرتبط بالإجتماع مثل الحرب مع الكفّار و أنّما حكم الله بذلك لأنّ ذهابهم بدون الأذن يوجب الوهن و الضَّعف و مع ذلك هو ممّا يشّق على قلب النّبي و لا سيّما إذا كانوا من ذوي رأي و قوّةٍ يظاهرونه عليه و يعاونونه و كيف كان فالإستئذان كاشف عن الإيمان و مظهر للطّاعة و الإنقياد و هو الأصل في المقام ثمّ حكم الله بجواز الإذن.

فقال تعالىٰ: إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ رَسُو لِهِ... أمّا أنّهم المؤمنون واقعاً فظاهرٌ لأنّ الإستئذان يدلّ عليه و أمّا قوله فإذا إستأذنوك فأذن لمن شئت منهم، فهو أمرٌ من الله تعالى بالإذن لهم و ليس هذا الأمر للوجوب بدليل قوله: لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ، أي أنَّك مختار في الإذن لمن شئت منهم، فالإذن معلِّقٌ على مشّية النبيّ و هو دليل على عدم الوجوب.

إن قلت لم لم يقل لرسوله فأذن لهم و قال فأذن لمن شئت منهم.

قلت الوجه فيه واضح إذ لو قال فأذن لهم، لزم منه نقض الفرض ثمّ قال تعالى: وَ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحيمٌ و من المعلوم أنَّ الإستغفار نزء١٨> للمستأذنين دليل على عدم حسن الإستئذان إلاّ في موارد الضّرورة و ذلك لأنّ الإستغفار لا يكون إلاّ للخاطئ فلو كان المستأذن مريضاً مثلاً و إستأذن النّبي لا يحتاج إلى الإستغفار لأنّ الضّرورات تبيح المحظورات وكيف كان يستفاد من الآية أنَّ الأحسن الأفضل هو عدم الإستئذان حتَّى الإمكان قيل نزلت الآية في حفر الخندق، وكان قومٌ يتَّسللون بغير إذنٍ و قالوا كذلك ينبغى أن يكون النَّاس مع أئمتهم و مقدّميهم في الدّين، و إستغفر لهم اللّه أي أطلب لهم المغفرة من اللّه

لقرآن

4

و إستغفار النبي هو دعاءه لهم باللَّطف الذي تقع منه المغفرة أنّ الله غفور رحيم أي أنّه تعالى ساتر لذنوبهم منعم عليهم بالرَّحمة و الشَّفقة ثمّ نهى الله تعالى المكلفين عن أن يجعلوا دعاء النبي كدعاء بعضهم بعضاً فقال: لا تَجْعَلُوا دُعاء ألرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعآء بعضهم بعضاً إختلف المفسرون في المراد بالدُّعاء في الآية على أقوالي:

أحدها: إحذروا دعاءه عليكم إذا أسخطتموه فأنّ دعاءه موجب ليس كدعاء غيره قاله إبن عبّاس.

الثّاني: قال مجاهد و قتادة أدعوه بالخضوع و التَّعظيم و قولوا له يا رسول الله يا نبّى الله و لا تقولوا يا محمّد كما يقول بعضكم لبعضٍ.

الثّالث: ما ذكره الزّمخشري في الكشّاف قال و لا تقيسوا دعاءه إيّاكم على دعاء بعضكم بعضاً و رجوعكم عن المجمع بغير إذن الدّاعي.

الزابع: ما ذكره أيضاً قال و لا تجعلوا دعاء الرّسول ربّه مثل ما يدعوا صغيركم كبيركم و فقيركم غنيكم يسأله حاجة فربّما أجابه و ربّما ردَّه فأنّ دعوات رسول اللّه مسموعة مستجابة.

أقول ما ذكروه لا بأس به لأنّ جميع الأقوال يرجع إلى قولٍ واحدٍ و هو أنّ دعاء الرّسول بأيّ معنى كان ليس كدعاء غيره و الفرق بين دعاءه و دعاء غيره كالفرق بين الرّسول و غيره و هو واضح.

قَدْ يَعْلَمُ ٱللّٰهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِواٰذًا معناه إذا تسلل واحد منكم من عند النبي فأن الله عالم به و قال الحسن معنى، لواذاً، أي فراراً من الجهاد.

أقول اللَّواذ الملاوذة و هو أن يلوذ هذا بذاك و ذاك بهذا يعني يتسلّلون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة و إستتار بعضهم ببعض و قيل كان بعضهم يلوذ بالرّجل إذا إستأذن فيأذن له فينطلق الّذي لم يؤذن له معه ذكره صاحب الكشّاف و لا شكّ في أنّ اللّه تعالى عالم بقصد القاصد إذا قصد بل قبل قصده و لا يخفى عليه شئ لا في الأرض و لا في السّماء ثمّ حذَّرهم اللّه و قال:

فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذَيِنَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهٖۤ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُسصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلْيم والظّاهر أنّ الضّمير في، أمره، عائد على الرّسول و قيل على الله و هو بعيد و أن كان المأل فيهما واحد لأنّ مخالفة الرّسول مخالفة الله.

و قوله: فَلْيَحْذَرِ، فيه تهديدٌ و تخويف بالعذاب في الدّنيا و الأخرة قال صاحب الكشّاف و المعنى عن طاعته و دينه (فِتنة) محنةٌ في الدّنيا أو يصيبهم عذابٌ أليمٌ في الأخرة و نقل عن إبن عبّاس أنّه قال فتنة قتل، و عن عطاء، زلازل و أهوال، و عن جعفر بن محمّد عليّاً في يسلّط عليهم سلطان جائر إنتهى ماذكره.

أقول لا شك أنّ أكثر المسلمين خالفوا نبيَّهم في حياته و بعد وفاته و هذا ممّا لا ينكره إلا متعصّبٌ عنيدٌ و لذلك أوقعهم الله في الفتنة و هي البليّة و المحنة و القتل و الزّلازل و الأهوال أو ما شئت فسمّه فأنّ الفتنة تشمل الجميع و تصدق عليها و من المعلوم الحاكم الجائر رأس الفتنة إذ منه خرجت الفتنة و إليه تعود فإذا نظرت بعين الإنصاف إلى المسلمين بعد النّبي و الّذين سلّطهم الله عليهم من الحكام لعلمت معنى قوله: أَنْ تُصبِبَهُمْ فِتْنَةٌ و سترى عذابهم في الأخرة و هناك تعلم معنى قوله أو يصيبهم عذابٌ أليمٌ، فأنّ البلّيات و الفتن الحادثة في الإسلام بعد موت النّبي في القتل و النّهب و الغصب و غيرها ممّا أصاب المسلمين عن الخلفاء المتوّلدة عن السّقيفة لا يمكن عدّها و لا حصرها.

أَلآ إِنَّ لِلّٰهِ مَا فِي ٱلسَّمُواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَاۤ أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَ يَوْمَ رَءِ٨٨ كُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ ألا حرف تنبيهِ كما قال الشّاعر:

الله عنه عن الله الله باطلُ وكــــلّ نــعيم لا مــحالة زائـــلُ

الاكل تسيِّ ماحلا الله باطل وكل ل عيم لا محاله راسل نبَّه اللّه تعالى في هذه الآية جميع المسلمين إلى يوم القيامة فقال: إِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمُواتِ وَ ٱلْأَرْضِ، و هذا ممّا لا شكّ فيه ثمّ قال: يَعْلَمُ مَلَ أَنْتُمْ عَلَيْهِ في نيّاتكم و أعمالكم و أقوالكم فلا يخفى عليه شيّ لا في الأرض و لا في عَلَيْهِ في نيّاتكم و أعمالكم و أقوالكم فلا يخفى عليه شيّ لا في الأرض و لا في

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷

القرآن ﴿ ﴿ ﴿ ﴾ العجلة الثان

السّماء وَ يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ وهو يوم القيامة فَيُنَيِّنَهُمْ بِمَا عَمِلُوا أي يخبرهم بما عملوا في الدّنيا وَ ٱللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ سَراً و جهراً هذا تفسير ألفاظ الآية و لا بأس بالإشارة إلى ما يستفاد منها إجمالاً فنقول:

هذه الآية في الحقيقة مرتبطة بقوله: فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذَيِنَ يُخْالِفُونَ عَنْ أَمْرِةَ أَيْ أَمْرِةَ أَيْ أَمْرِةَ الله أو أمر الرّسول و من المعلوم أن التّحذير من اللّه تعالى قد وقع للمسلمين و مخالفة أمر الله أو أمر الرّسول لا تختص بزمان حياته و المَوْنَ المسلمين الله الكلام دلالة أو إشعار بأن كثيراً من المسلمين أو أكثرهم كانوا من المنافقين الذين أظهروا الإيمان و الطّاعة لله و رسوله و أبطنوا الكفر و الإلحاد في قلوبهم و كانوا ينتهزون الفرصة و يدلّ على ذلك قوله: قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ، أي ما أنتم عليه من النّفاق و حيث أن الله تعالى قد علم بما في قلوبهم حذَّرهم بقوله: فَلْيَحْذَرِ اللّه بَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ وَعَوا في الفتنة لأجل إظهارهم ما في قلوبهم في الخارج و مع ذلك أنّهم وقعوا في الفتنة لأجل المخالفة لأنّ وجود العلّة يستلزم وجود المعلول.

أن قلت من أين ثبت لك هذا.

قلت من وجود المعلول و هو الفتنة نعلم وجود العلّة و هو المخالفة و يسمّى هذا الإستدلال بالبرهان الآني و حاصله إنّا نرى أنّ المسلمين بعد موت الرسول وقعوا في البلّية و المحنة الى زماننا هذا و ليس هذا إلا أنّ المسلمين في صدر الإسلام خالفوا رسولهم حيّاً و ميّتاًو التّواريخ أيضاً تشهد بذلك و لا نحتاج الى ذكر مواردها لخروجها عن موضوع الكتاب و أصل المخالفة و أساسها هو مسألة الخلافة بعد الرّسول و لذلك لم يجهزوا جيش أسامة في مرض الرّسول مع تأكيده و الله على تجهيزها بقوله: نفذوا جيش أسامة ألعن الله من تخلّف عن جيش أسامة، و هذا ممّا نقله الكلّ من الخّاصة و العامّة فلولا في قلوبهم النّفاق لم يفعلوا ذلك أليس هذا من مخالفة النّبي، و هكذا قول القائل دعوه أنّ

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷

القرآن ﴿ ﴿ ﴾ المجلداك

الرّجل ليهجر، ألم يعلم عمر أنّ النّبي لا يهجر أو علم و قال ذلك فأن لم يعلم به فهو لم يعرف النّبي و أن علم به فهو منافق و من هنا وجدت الفتنة في الإسلام في نَتَبِنّهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيْمَةِ إِنَّ ٱللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَيْمٌ (١) وأمّا مسألة الخلافة فهي أظهر من الشّمس و أبين من الأمس و مع ذلك أنكروها و ضيّعوها و لنعم ما قيل: ولم أر مثله حقّاً أضيعا ولم أر مشله حقّاً أضيعا مراده باليوم يوم الغدير الذي قال رسول الله وَ الله وَلَا الله وَ الله وَالله وَ الله وَ الله وَالله وَ الله وَ اله وَالله وَ الله وَاله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله

«مَنْ كُنْتُ مَولاهُ فَعَلِيُ مَولاهُ، اَللّٰهُمّ وال مَنْ والاهُ وَ عادِ مَنْ عاداهُ وَ انْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَ اخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ».

### ورَةُ ٱلْفُرْقَانِ ﷺ

# بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحيمِ

تَبْارَكَ ٱلَّذَى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِم لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذيرًا (١) أَلَّذى لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمُواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَ لَـمْ يَكُـنْ لَـهُ شَريكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَـقَدَّرَهُ تَـقْديرًا (٢) وَ ٱتَّخَذُوا مِـنْ دُونِـةِ اللهَةَ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَ هُمْ يُخْلَقُونَ وَ لَا يَـمْلكُونَ لأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَ لا نَفْعًا وَ لا يَمْلكُونَ مَوْتًا وَ لَا حَيْوةً وَ لَا نُشُورًا (٣) وَ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هٰذٰآ إِلَّا إِفْكُ ٱفْتَرِيْهُ وَ أَعَانَهُ عَــلَيْهِ قَــوْمٌ أَخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَ زُورًا (٢) وَ قَالُوٓا أَسْاطِيرُ ٱلْأُوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلِّي عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا (٥) قُلْ أَنْزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمُواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ إِنَّـٰهُ كُـانَ غَـفُورًا رَحيمًا (۶) وَ قَالُوا مَا لِهٰذَا ٱلرَّسُـولِ يَأْكُـلُ ٱلطُّعَامَ وَ يَمْشَى فِي ٱلْأَسْواٰقِ لَوْلآ أَنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذيرًا (٧) أَوْ يُلْقَٰىَ إِلَيْهِ كَنْزُ



أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَ قَالَ ٱلظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (٨) أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ أَلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَـلا يَسْـتَطيعُونَ سَبِيلًا (٩) تَبْارَكَ ٱلَّذِيٓ إِنْ شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَ يَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا (١٠) بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَ أَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِـالسَّاعَةِ سَـعيرًا (١١) إذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانِ يَعيدٍ سَمِعُوا لَـهَا تَـغَيُّظًا وَ زَفيرًا (١٢) وَ إِذْآ أَلْـقُوا مِـنْهَا مَكَـانًا ضَـيَّقًا مُقَرَّنينَ دَعَوا هُـنالِكَ ثُـبُورًا (١٣) لا تَـدْعُوا ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وأحِدًا وَ ٱدْعُوا ثُبُورًا كَثيرًا (١٤) قُلْ أَذٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزْآءً وَ مَصيرًا (١٥) لَهُمْ فيها ما يَشاآؤُنَ خالِدينَ كانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْؤُلًا (١٤) وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَ مَا يَـعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللّٰهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضْ لَلْتُمْ عِبادى هَـــؤُلآءِ أَمْ هُــمْ ضَـلُّوا ٱلسَّـبيلَ (١٧) قُــالُوا سُبْحانَكَ ما كانَ يَنْبَغى لَـنْآ أَنْ نَـتَّخِذَ مِـنْ دُونِكَ مِنْ أُوْلِياآءَ وَ لَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَ الْباآءَهُـمْ حَتَّىٰ نَسُوا ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا (١٨) فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطيعُونَ صَرْفًا وَ لا نَصْرًا وَ مَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبيرًا

لمرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ المجلد الثاني عنا (۱۹) وَ مَا آَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْـمُرْسَلِينَ إِلَّا إِلَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعْامَ وَ يَمْشُونَ فِي ٱلْأَسُواٰقِ وَ جَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا (۲۰)

### ✔ اللّغة

تُنارَكَ: من البركة و هي زيادة الخير و كثرته و الزّيادة تكون حسيّة و معنويّة أي تزايد خيره و تكاثر و هو فعل ماضٍ جامد لا يتصرّف فلا يأتي منه مضارع و لا أمر و لا إسم فاعل و ليس له مصدر و لا يستعمل في غير اللّه.

و قال الرّاغب في المفردات البركة ثبوت الخير الإلهي في الشّيئ.

ٱلْفُرْفَانَ: بضّم الفاء القرآن لأنّه فرق بين الحقّ و الباطل.

نُشُورًا: النّشور هو البعث بعد الموت.

إِنْكُ: بكسر الألف الكذب و قيل كذبٌ إفتعله النّبي.

أساطير: جمع أسطورة.

بُكْرَةً وَ أَصِيلًا: البكرة الغداة و الأصيل العشاء لأنّه أصل اللّيل و أوّله. جَنَّةُ بفتح الجيم، البستان.

مَسْحُورًا: أي سحر به.

سَعِيرًا: السَّعير بفتح السّين النّار الملتهبة.

تَغَيَّظُا: هو مصدر باب التَّفعل و الماضي منه تغيّظ و معناه إنتفاض الطَّبع لشّدة نفور النَّفس.

مُقَرِّبِنَ: أي مغلَّلين من قرنت أعناقهم إلى أيديهم في الأغلال.

تُبُورًا: الثّبور بضّم الثّاء الويل.

بُورًا: البور بضّم الباء الفاسد.

### ◄ الإعراب

لِيَكُونَ إسم كان، الفرقان و قيل العبد، و قيل اللَّه تعالى ظُلْمًا مفعول، جاءوا، أي أتو ظلماً، و قيل مصدر في موضع الحال آكْتَبَهَا في موضع الحال من الأساطير لَيَأْكُلُونَ ٱلطُّعٰامَ في موضع الحال فَيكُونَ منصوب على جواب الإستفهام جَنَّاتٍ بدل من خيراً وَ يَجْعَلْ لَكَ بالجزم عطفاً على موضع جعل الَّذي هو جـواب الشَّـرط و بالرَّفع على الإستئناف إذا رَأَتُهُمْ إلى أخر الآية في موضع نصب صفة، لسَعير بُّبُورًا مفعول به خٰلادبنَ حال من الضّمير في، يشاؤون أو من الضّمير في، لهم، و ما يعبدون، الواو يجوز أن تكون عاطفة و أن تكون بمعنى، مع، و باقى اللّغات و اضحة.

### ▶ التّفسير

## تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمينَ نَذيرًا

لما ذكر الله تعالى وجوب مبايعة المؤمنين للرّسول و أنّهم إذا كانوا معه في أمرِ جامع مهّم توقّف إنفصال واحدٍ منهم على إذنه و حذّر من خالف أمره و ذكر أنَّ اللَّه لهُ ملكُ السَّموات و الأرض و أنَّه تعالى عالمٌ بما هم عليه و مجازيهم على ذلك فكان ذلك غاية في التّحذير و الإنذار ناسب أن يفتتح هـذه السُّـورة بأنّـه \_\_\_\_\_\_ تعالى منّزة في ذاته و صفاته عن النّقائص كثير الخير و من خيره أنّه نزّل الفرقان المرقان على رسوله منذراً لهم فكان في ذلك إطماعٌ في خيره و تحذير من عقابه فقال تبارك الّذي نزّل الفرقان على عبده، و تبارك تفاعل مطاوع بارك و هـو فـعل لا يتّصرف و لا يستعمل في غيره تعالى فلا يجئ منه مضارع و لا إسم فاعل و لا مصدر قال الطّرماح:

وليس لما أعطيت ياربّ مانعُ

تباركت لا معطٍ لشيّ منفعة

قال إبن عبّاس معناه لم يزل و لا يزول، و قال الخليل، تمجُّد، و قال الضّحاك تعظم و قال الأصمعي أي تعاليت و إرتفعت و هو من البركة و هو التّزايـد فـي الخير من قبله فالمعنى زاد خيره و عطاءه و كثر و على هذا يكون صفة فعل و الفرقان القرآن سمّى به لأنّه فارقّ بين الحقّ و الباطل، و قوله: عَلَى عَبْدِم، أي على رسوله عبر عنه بالعبد لأنّ العبوديّة من أعلى المقامات قال اللّه تعالى: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِم لَيْلًا مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرام (١) و أنَّما قلنا أنَّ العبوديّة أعلى المقامات لما ورد في الخبر عن الصّادق المُثَلِّا: أنّ اللّه تبارك و تعالى جعل إبراهيم عبداً قبل أن يجعله نبيّاً و جعله نبيّاً قبل أن يجعله رسولاً و جعله رسولاً قبل أن يجعله إماماً الحديث قال المنالج: ذلك عند قوله تعالى: إنسى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا (<sup>٢)</sup>. و قد ورد أنّه قال: عبدي أطِعني حتّى أجعلك مثلى أو مثلى و الحاصل أنّ العبوديّة هي الأصل في الوصول الى المقامات و النّيل الى الكرامات و التَّعبير بالتَّنزيل إشارة الى أنّ القرآن كلام الله و أنَّه نـزَّل عـن مـقام الربوبيّة الى مقام العبوديّة أين التّراب و ربّ الأرباب، لإرشاد الخلق الى الحقّ و ليكون للعالمين نذيراً، أي منذراً و مخوّفاً من عقابه يوم القيامة هـذا إذا قـلنا أنّ الضَّمير في، ليكون، عائد على القرآن و إن قلنا أنَّه عائد على عبده فالمعنى أنّ العبد يكون نذيراً أي منذراً و يؤيده قوله تعالى: إِنَّهَآ أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْم هَادٍ<sup>٣</sup>)و يجوز أن يكون، نذيراً، مصدراً بمعنىٰ الإنذار كالنّكير بمعنى الإنكار و منه فكيف كان عذابي و نذر، و قوله للعالمين، عاّم للإنس و الجنّ ممن عاصر النّبي أو جاء ىعدە.

ٱلَّذِي لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمْواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَريِكُ فِي ٱلْمُلْكِ وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْديرًا

١- الاسراء= ١

في الآية مسائل:

الأولىٰ: أنَّ له ملك السّموات و الأرض، و ذلك لأنَّه تعالى خلقهما و أوجدهما و الخالق مالك المخلوق حقًّا بمعنى أنَّ مالكيَّته حقيقيّة ذاتيّة و مالكيّة غيره إعتباريّة و أن شئت قلت مجازيّة فلامالك في عالم الوجود إلاّ هو تعالى و ما سواه مملوكٌ له كائناً ما كان و المالك يتَّصرف في مملوكه كيف يشاء.

الثَّانية: قوله وَ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًّا، الظَّاهر من قوله: لَمْ يَتَّخِذْ، نفي الإتّخاذ أي لم ينزّل أحداً منزلة الولد، و قيل المعنى لم يكن له ولد بمعنى قوله: لَم يَلِد، لأنّ التّوالد مستحيلٌ عليه و كيف كان ففيه ردٌّ على مشركي قريش و على النّصاري و اليهود النّاسبين لله الولد بقولهم عزير إبن الله، و المسيح إبن الله، و الملائكة بنات اللّه و الوجه في ذلك بحسب الإجمال أنّ اللّه تعالى غنّى عمّا سواه فلا يحتاج الى الإتّخاذ بأن ينزّل أحداً منزلة الولد، و كذلك ليس له ولد لأنّ التّوالد و التّناسل من شؤون الجسم و هو تعالى منزّة عن الجسم و الجسّمانية فالإتّخاذ بكلا المعنيين محالٌ عليه و سيأتي تفصيل الكلام في هذا الباب في سورة الإخلاص إن شاء الله.

الثَّالثة: قوله وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَريكٌ فِي ٱلْمُلْكِ، وذلك لأنّه لوكان له شريك في الملك فلا محالة يكون واجب الوجود إذ الممكن لا يكون شريكاً للواجب لكونه مخلوقاً و المخلوق لا يكون شريكاً لخالقه، و الممتنع لا وجود يزء ١٨ لل فهو معدوم و المعدوم لا يكون شريكاً للموجود، و أمّا الواجب فقد مرّ الكلام فيه مراراً و قلنا أنّ تعدُّد الواجب محال عقلاً لأنّ الواجبين إن كانا مختلفين في الذَّات و الصَّفات يلزم أن لا يكونا واجبين لأنَّ مفهوم الوجـوب لا يـنتزع عـن المختلفين بالّذات و الصّفات و أن كانا متَّحدين فيهما فهما واحد في الحقيقة مضافاً الى عدم وجوبهما أيضاً لأنّ في صورة إستغناء أحدهما عن الأخر يلزم أن يكون أحدهما لغواً و عيشاً و في صورة الإحتياج يـلزم الإمكـان و هـو يـنافي

الوجوب مضافاً الى أن الولد مخلوق و هو لا يكون واجباً لحدوثه و كلّ حادثٍ مخلوق فكيف يعقل أن يكون شريكاً للواجب و هذا ظاهر.

الْوَابِعة: قُولُهُ وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْديرًا فَفِي قُولُه: خَـلَقَ كُـلَّ شَيْءٍ الْقَارِة شَيْءٍ إشارة الى خالقيّته و أنّ ما سواه مخلوق له كائناً ما كان و قوله: فَـقَدَّرَهُ تَقْديرًا إشارة الى أنّه خلق كلّ شئِ بقدرٍ:

قال الله تعالىٰ: إِنَّا كُلَّ شَنيُّءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (١).

قال اللّه تعالىٰ: وَ إِنْ مِنْ شَمَىْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزْآئِنُهُ وَ مَا نُنْزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُوم<sup>(٢)</sup>.

وَ ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ اللِهَةَ لَا يَـخْلُقُونَ شَــيْثًا وَ هُـمْ يُـخْلَقُونَ وَ لَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَ لَا حَيْوةً وَ لَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَ لَا حَيْوةً وَ لَا نَشُورًا

أخبر اللّه في هذه الآية أنّ المشركين إتّخذوا من دون اللّه آلهة من الأصنام و الأوثان و النّار و الكواكب و غيرهما و في قوله: لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَ هُمْ مُ يُخْلُقُونَ إِشَارة الى ضعفها و عدم قدرتها على الخلق و الإيجاد وكيف يقدر على ذلك من هو مخلوق و المخلوق لا يكون خالقاً حقاً و واقعاً لأنّ العبد و ما في يده كان لمولاه فما يخلقه العبد أو يصنعه ظاهراً ففي الواقع يخلقه الله فيقال هذا مخلوق للعبد و العبد مخلوق للّه فهذا مخلوق لله هذا إذا كان الإله و المعبود هذا مخلوق للعبد و العبد مخلوق لله فهذا معبودهم من الأوثان و الأصنام و الذي إتّخذوه معبوداً من البشر و أمّا إذا كان معبودهم من الأوثان و الأصنام و الكواكب فالأمر أظهر لأنها جمادات لا قدرة لها على الخلق ظاهراً و واقعاً فصّح قوله تعالىٰ: لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَ هُمْ يُخْلَقُونَ بقولٍ مطلق.

أَمَّا قُولُه: وَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَ لَا نَفْعًا وَ لَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَ لَا تَفْعًا وَ لَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَ لَا خَيْوةً وَ لَا نُشُورًا فقد ظهر معناه فما ذكرناه، أمَّا الأصنام و الأوثـان و

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

نظائرها فواضح، و أمّا غيرهم من الملائكة و البشر فهو أيضاً واضح لأنّ المخلوق لا يقدر على شيّ إلاّ بتوفيقٍ من الله فلو كان مالكاً لشيّ من الأمور المذكورة من دفع الضّرر و جرّ المنفعة و إستمرار الحياة لفعل.

# وَ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هٰذَآ إِلاَّ إِفْكُ ٱفْتَرِيْهُ وَ أَعَانَهُ عَـلَيْهِ قَـوْمُ الْخَرُونَ فَقَدْ جٰآءُو ظُلْمًا وَ زُورًا

ثمّ أخبر الله تعالى عن الكفّار بأنّهم يقولون ليس هذا القرآن الذي أنزلناه إلاً، إفك، يعني كذبٌ إفتعله النّبي وَاللّهِ اللّهُ على الخورون، من علماء اليهود و النّصارى و قيل عبد حبشي يعني الحضرمي فأنّهم أعانوا النّبي بزعمهم على جعل الأيات ولم يعلموا أنّ هذا القول منهم ليس إلاّ ظلماً و زوراً، لأنّهم أضافوه إلى غير من صدر عنه و نسبوه إلى المخلوق و هو كلام الخالق و الذّليل على ذلك أنّهم لم يقدروا على أن يأتوا بمثله و لا مثل أيةٍ من أياتها فكيف يكون القران كلام المخلوق:

قال اللّه تعالىٰ: قُلْ لَـئِنِ ٱجْـتَمَعَتِ ٱلْإِنْسُ وَ ٱلْـجِنُّ عَـلَىۤ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهٰذَا ٱلْقُرْانِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (١٠).

و قد مرَّ الكلام في هذا الباب مفصّلاً و الحقّ أنّ الكلام منهم دليلٌ على الضّعف و العجز فهو ظلمٌ من حيث أنّه خروج عن حدّ الإعتدال و زورٌ من حيث أنّه لا دليل لهم عليه.

رِ زِيهِ إِلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا اللَّأُوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصيلًا

و التّقدير هذا أساطير الأوّلين فالمبتدأ محذوف قال إبن عبّاس الذّي قال ذلك هو النّضر بن الحارث بن كلدة و المعنى أنّ القرآن أخبار قد سطرها الأوّلون من الأمم إكتتبها محمّد اللّه المُثَالِثُ و إنتسخها، فهي أي الأساطير تملى عليه حتّى ينسخها بكرة و أصيلاً أي غداة و عشياً.



أقول ما ذكرناه في المقام من قول إبن عبّاس نقلناه عن التّبيان بألفاظه و عباراته، و أظنّ أنّ الصّحيح إستنسخها بدل قوله و إنتسخها و هكذا قوله حتّى ينسخها، يستنسخها و اللّه أعلم.

### قُلْ أَنْزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمٰواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحيمًا

أمر الله نبّيه أن يقول لهم تكذيباً لقولهم، قل أنزله أي أنزل القرآن، الذي يعلم السّر في السّموات و الأرض، أي يعلم الخفايا فضلاً عن الظّواهر فلا يخفى عليه شئ لا ظاهراً و لا باطناً أنّه كان غفوراً، لا يعاجلهم بالعقوبة بل يستر عليهم، رحيماً، لأنّ رحمته وسعت كلّ شئ و من المعلوم أنّ ذلك لا يكون إلاّ الله الواحد الأحد، فليس القرآن من الإفتراء و لا هو من أساطير الأولين بل هو كلام الله.

# وَ قَالُوا مَا لِهِٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَ يَمْشَى فِى ٱلْأَسُواٰقِ لَوْلاَّ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذْبِرًا

هذا طعن ثالث لهم على الرّسول و هو أنّه ما لهذا الرّسول، أي أيُّ شيْ له يأكل الطّعام، كغيره من أفراد البشر و يمشي في الأسواق للبيع و الشّراء و طلب المعاش كما يمشي غيره، لولا أنزل عليه، أي هلاّ أنزل عليه ملك لو كان صادقاً فيما يقول و يدَّعي من النّبوة فيكون يستغني به و يكون معه نذيراً أي منذراً.

### اَوْ يُلْقٰیۤ إِلَیْهِ کَنْزُ أَوْ تَکُونُ لَهُ جَنَّةٌ یَأْکُلُ مِنْهَا وَ قَالَ اَلظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا

هذا الكلام أيضاً من الطّاعنين على نبّوة النّبي و كلمة (أو) للعطف أي لولا أنزل اليه ملك أو يلقى اليه كنزّ يستغني به و يكون عوناً له على دنياه أو تكون له جنّة، أي بستانٌ يأكل هو و أصحابه من ثمراتها ثمّ حكى الله تعالى عنهم أنّهم

سياء الفرقان في تفسير القرآن كم كم كم الم

قالوا لأصحاب النّبي إن تتَّبعون، أي لا تتَّبعون إلاّ رجلاً مسحوراً، قد سحر به و حاصل كلماتهم في هذه الأيات أنّه ليس بنبّي أمّا أوّلاً فلأنّه يأكل و يمشي في الأسواق فلا فرق بينه و بين النّاس.

ثانياً: أنّ النّبي يحتاج الى من يعينه فلم لم ينزل عليه ملك ليعينه على دعواه. ثالثاً: النّبي يحتاج الى المال فلم لا يلقى اليه كنزٌ أو تكون له جنّة يأكل منها و إذا إنتفي عنه هذه الأمور يعلم أنّه كاذبٌ في دعواه ولم يعلموا أنّ صدق الدّعوى لا ربط له بهذه الأمور المذكورة فأنّ النّبي لا بدّ له من أن يكون من جنس البشر و إذا كان كذلك كما هو مقتضى قانون السّنخية فلامحالة يأكل و يشرب و يمشى في الأسواق كغيره من آحاد البشر:

قال الله تعالى: أَنَا بَشَرُ مِثْلُكُمْ (١).

قال اللّه تعالىٰ: هُوَ ٱلَّذي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ایاته<sup>(۲)</sup>.

قال اللّه تعالىٰ: لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهمْ (٣).

و غيرها من الأيات مضافاً الى حكم العقل فأنّه يحكم بذلك حكماً قطعيّاً لا شُكُّ فيه و قد تكلَّمنا في ذلك فيما مضى و أقمنا عليه البراهين العقليَّة فهذا أمرٌ مفروغ عنه، و أمّا قولهم أنزل عليه ملك، فقد أنزل عليه غير مرّةٍ إلاّ أنّهم لم يروه و وز ١٨٠ ليس كلّ ما لا يرى بعين البصر ممّا ينكر، و أمّا قولهم يلقى اليه كنزّ أو تكون له جنّة، فهو كلام لا طائل تحته بل هو يدلّ على جهل قائله لأنّ النّبي لم يبعث من عند اللّه لجمع المال و الأكل و التّعيش بل أرسله اللّه تعالى لإرشاد الخلق الى ما ينبغي لهم من الخير و السّعادة في الدّارين و أين هذا مـن الكـنز و البسـتان، و

١- الفصلت = ٤

قولهم إن تتّبعون إلاّ رجلاً مسحوراً، مجرّد كذب و إفتراء إذ لا دليـل لهـم عـلى مدّعاهـم و ما لا دليل على صحّته و صدقه فهو كذبٌ و الى ما ذكرناه أشار اللّـه تعالى بقوله:

# أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطيعُونَ سَبيلًا

أي أنظر يا محمّد الى هذه الجهّال كيف ضربوا لك الأمثال، ولم يعلموا أنّ النّبي لا يحتاج الى كنز أو بستان و الحاصل أنّهم لم يعرفوا النّبي و لو عرفوه لم يقولوا ذلك فضّلوا و إنحرفوا عن طريق الهدى فلا يستطيعون أي فلا يقدرون على إتّخاذ طريق الحقّ مع تمسَّكهم بطريق الجهل و عدولهم عن الدّاعي الى الرّشد، و قيل معنى الكلام لا يقدرون على إبطال أمرك بأمثال هذه الكلمات.

### تَبَارَكَ ٱلَّذَيِّ إِنْ شٰآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذٰلِكَ جَنَّاتٍ تَـجْرِي مِـنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَ يَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا

أي تقدّس و تعاظم الله الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك، أي ممّا قالوه من الكنز و البستان و غيرهما جَنّاتٍ تَجْري و هي خير من البستان الذي قالوه، و يَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا، و هو خير من الدُّنيا و ما فيها، الظّاهر أنّ المراد بالقصور قصور الجنّة بقرينة جنّات تجري من تحتها الأنهار، كما عليه القوم في تفاسيرهم و لا يبعد أن يكون المراد إعطاءه أيّاه في الدُّنيا و المعنى أن شاء الله يعطيك في الدُّنيا و أنّما إحتملنا ذلك لأنّ الكلام ناظرٌ الى الدُّنيا و لا بحث لنا في الأخرة مضافاً الى أنّ القائلين لم يكن لهم إعتقاد بالأخرة، فالمعنى تقدّس الله الذي إن شاء جعل لك خيراً ممّا قالوه في هذه الدُّنيا فأنّه تعالى قادر على كلّ شي الأ أنّ مقام النّبوة لا يقتضي ذلك أي لا يقتضي البستان و التمر و التعيّش فيهما فأن هذه الأمور لا مناسبة لها بشأن النّبي بل هي من شؤون الأكاسرة و القياصرة و الفراعنة، و الجاهل لا يفهم ما يقول و لا يفرق بين النّبي و غيره و أظنّ أنّ هذا

، الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ المجلد الثاني

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷

4

الّذي إحتملناه في تفسير الآية أولى و أليق بالمقام ممّا قالوه و حملوا الآية عليه و هو الأخرة، والله أعلم.

# بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَ أَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعيرًا

كلمة، بل، للإستدراك عندهم و على هذا فمعنى الكلام أنَّ هؤلاء الكفّار لم يكفروا لأنّك تأكل الطّعام و تمشي في الأسواق بل لأنّهم لم يقروا بالبعث و النُّشور و الثّواب و العقاب فهذا الإنكار هو الّذي صار باعثاً على تكذيبهم إيّاك ذكره الشّيخ في التّبيان و به قال الكرماني من العامّة و عليه أكثر المفسّرين.

و قيل بل كذّبوا بالسّاعة فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب و كيف يصدّقون بتعجيل مثل ما وعدك في الأخرة و هم لا يؤمنون بها و قوله: وَ أَعْتَدُنْا، أصله أعددنا فقلّبت إحدى الدالين تاءً لقرب مخرجهما و السَّعير النّار الملتهبة و الإسعار تهيج النّار بشّدة الإيقاد ثمّ وصف اللّه تعالى النّار المستعرة فقال:

# إِذاْ رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَ زَفيرًا ۗ

إختلف المفسّرون في المراد بقوله: إذا رَأَتُهُمْ و ذلك لأنّ ظاهر الآية أنّ النّار رأتهم أي رأت النّاظرين و من المعلوم أنّ النّار لا تتّصف بالرّؤية و المتصف بها هو النّاظر إليها فحقّ الكلام أن يقال و إذا رأوها بدل قوله تعالى: إذا رَأَتُهُمْ و هذا هو الذي صار منشأ الإختلاف في تفسير الكلام فقال الشّيخ في البّيان، في البّيان، نسب الرؤية إلى النّار، و أنّما هم يرونها، لأنّ ذلك أبلغ كأنّها تراهم رؤية الغضبان الذي يزفر غيظاً فهم يرونها على تلك الصّفة و يسمعون منها تلك الحال الهائلة إنتهى.

و قال بعض المفسّرين من العامّة هو حقيقة و أنّ لجهنّم نعبيّين و إدّعى أنّ في ذلك أثر، إلاّ أنّه لم يرو الأثر الّذي إدّعاه فأن صحَّ ما ذكره كان هو القول و إلاّ كان مجازاً أي صارت منهم بقدر ما يرى الرّائي من البعد كقولهم دورهم تترأى أي تتناظر و تتقابل.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

و قال بعضهم النّار إسم لحيوان ناري يتكلّم و يسمع و يرى و يتَغير و يزفر حكاه الكرماني و هو كما ترى بالموهومات أشبه و قيل هو على حذف مضاف أي رأتهم خزنتها من مكانٍ بعيدٍ مسيرة خمس مائة عام وكلّ هذه الأقوال لا دليل عليها و لا يقبلها العقل السّليم و لا الطّبع المستقيم إلاّ ما ذكره الشّيخ في التّبيان وهو أنّ الرّؤية نسبت إلى النّار مجازاً.

و أمّا قوله: تَغَيَّظًا وَ زَفيرًا فالتغيّظ في الأصل إنتفاض الطبّع لشّدة نفور النّفس و المعنى صوت التغيُّظ من التلهّب و التَّوقد و عن الجبائي معناه إذا رأتهم الملائكة الموكّلون بالنّار سمعوا لها، للملائكة، تغيُّظاً و زفيراً، للحرص على عذابهم.

أقول هذا عدول عن ظاهر الكلام مع حسن ظاهره من غير حاجةٍ إليه و الحقّ انّ النّار شبّهت بمن له تلك الحال و ذلك في نهاية البلاغة فلا يحتاج الكلام إلى هذه التّأويلات الباردة و اللّه أعلم بكلامه.

# وَ إِذَآ أَلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا

الضّمير في، منها، عائد على النّار و قوله: مَكَانًا، إنتصب على الظّرف أي في مكانٍ ضيّقٍ و على هذا فمن، في قوله: مِنْها بمعنى، في، و الضّيق ضدّ السّعة و قوله: مُقَرَّنينَ، قيل معناه مغلّلين قد قرنت أعناقهم إلى أيديهم في الأغلال كما قال تعالى: مُقَرَّنينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ (١).

و قيل مقرّنين مع الشّياطين في السّلاسل و الأغلال، و قيل يقرن الإنسان و الشّيطان الّذي كان يدعوه إلى الضّلال، و النُّبور، بضّم النّاء الهلاك و قيل هو الويل و أنّما قال: أَلْقُوا بصيغة، المجهول و لم يقل إذا دخلوا منها مع أنّ المأل فيهما واحد و هو الدّخول فيها لنكتة و هي أنّ الدُّخول في الشّيُ يكون مع الإختيار يقال دخل فلان داره إذا دخل فيها بإختياره و إرادته و السّر فيه أنّ الدّخول فعل



الفاعل و هو مسبوق بالإرادة و الإختيار و إلاّ لا يكون الفعل فعله و هذا بخلاف الإلقاء لأنّه فعل الغير كما يقال ألقيته في النّار معناه أدخلته فيها بغير إختيارٍ و إرادةٍ منه إذا عرفت هذا فنقول الدّخول في النّار ليس بإختيار العصاة و بإرادتهم إذ لا يدخل فيها أحدٌ بإختياره و أنَّما يلقون فيها على خلاف ميلهم و إرادتهم فالفاعل في الحقيقة هو اللَّه تعالى لا العبد و من المعلوم أنَّ الإختيار محقَّق في حقّ اللّه تعالى، و معنى الآية أنّ هؤلاء الكفّار و العصاة إذا ألقوا في النّار بأمر من الله تعالى مع الأوصاف المذكورة للنّار في الآية من ضِيق المكان و التقرّن بالأغلال و السّلاسل دعوا هنالك ثبوراً أي يقولون و اثبوراه أي يقال يا ثبور فهذا أوَانك و أنَّما يقولون ذلك لشَّدة عذابهم و ضيق مكانهم فيقال في جوابهم:

## لَا تَدْعُوا ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وأُحِدًا وَ ٱدْعُوا ثُبُورًا كَثيرًا

و في هذا الجواب إشارة إلى أنّه لا مخلص لهم من العذاب و لا يمكن الخروج منها لأحد إلا بأذن الله تعالى وفي قوله ثبوراً كثيراً إشارة إلى خلودهم أو دوامهم فيها فلا محالة يستّمر النّبور منهم إلى ما شاء اللّه أعاذنا اللّه منها، و هذا جزاء من كذّب الرُّسل و ما جاءوا به من الأحكام الشرعيّة و إستهزء بهم و ما ربّك بظلام للعبيد ثمّ أمر الله نبيّه أن يقول لهؤلاء المستهزئين المكذّبين فقال تعالىٰ: قُلْ أَذٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزْآءً وَ ز ١٨٠ كُمُ مَصِيرًا، لَهُمْ فيها مَا يَشْآؤُنَ خَالِدُينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْؤُلًا

الظَّاهر أنَّ الإشارة، بذلك إلى النَّار و أحوالها و أوصافها، و قيل إلى الجنَّة و الكنز في قولهم و قيل إلى الجنّة و القصور المجعولة في الدّنيا على تقدير المشيئة أو خير هنا ليست على الأفضليّة بل هي على ما جرت عادة العرب في بيان فضل الشّئ و خصوصيّته بالفضل دون تعامله و فيه قال الشّاعر:

فَسَّر كما لخبر كما القداء

كقول العرب الشَّقاء أحبَّ إليك أم السّعادة، و كقوله تعالى حكايةً عن يوسف: ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَى مِمَّا يَدْعُونَني إلَيْهِ (١) و الإستفهام في قوله أذلك للتَّوبيخ .

قال بعضهم و من حيث كان الكلام إستفهاماً جاز فيه مجئ لفظه للتّفضيل بين الجنَّة و النَّار في الخير وكيف كان فمعنى الآية قـل يـا محمَّد لهـؤلاء الكـفَّار المستهزئين يعني ما ذكره من السَّعير و أوصافه خيرٌ أم جنَّة الخلد، و أنَّما قال ذلك على وجه التَّنبيه لهم على تفاوت ما بين الحالين و إلاَّ فليس في النَّار خير حتّى يقال أذلك خيرٌ أم جنَّة الخلد، فالمراد بذلك أيُّ المنزلين خيرٌ تبكَّتاً لهم و تقريعاً المنزل الّذي أنتم فيه يوم القيامة و هو النّار مع ما فيها من الأوصاف أم جنَّة الخلد التَّى وعد المتَّقون و هم الَّذين يتَّقون معاصيه في دار الدُّنيا كَانَتْ لَـهُمْ جَزْآءً وَ مَصيرًا، أي كانت جنَّة الخلد مصيرهم و جزائهم على أعمالهم يوم القيامة لهم، للمتّقين، فيها أي في جنّة الخلد (ما يشاؤن) فأنّ فيها ما تشتهيه الأنفس و تلتَّذ الأعين خالدين فيها، كَانَ عَلْمِي رَبُّكَ وَعْدًا مَسْؤُلًا، أي هم مقيمون فيها أبداً لا يفنون فيهاكانَ عَلَى رَبُّكَ وَعْدًا مَسْؤُلًا، أي كان الخلود فيها و التَّنعم بها على ربِّك وعداً مسئولاً.

قال بعضهم أنَّ المراد من قوله: مَسْؤُلًا أنَّ المؤمنين يسألون اللَّه الرّحمة في قولهم: رَبَّنآ أَمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَ ٱرْحَمْنَا ٢ ) و قولهم: مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ (٣) و قيل معناه، أنّه بمنزلة قولك، لك ما تمَّنيت منّى أي متى تمَّنيت شيئاً فهو لك فكذلك متى سألوا شيئاً فهو لهم بوعد الله عزّ وجلّ إيّاهم ذكره الشّيخ في التّبيان.

و قال بعض المفسّرين المصدر بمعنى المفعول، فقوله: وَعْدًا، أي موعوداً مسئولاً سألته الملائكة في قولهم: رَبَّنا وَ أَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنِ ٱلَّتِي وَعَدْتَهُمْ (٢).

١- يوسف = ٣٣ ٧- المؤمنون = ١٠٩

۴- غافر = ۸

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 😽 📏

و قال الفّراء وَعْدًا مَسْؤُلًا أي واجباً يقال لأعطيّنك ألفاً وعداً مسئولاً، أي واجباً و أن لم يسأل.

و قال الزّمخشري كان ذلك موعوداً واجباً على ربّك إنجازه حقيقاً أن يسأل و يطلب لأنّه جزاء و أجرٌ مستّحق.

أقول ما ذكروه لا بأس به إذ لا شك أنّ اللّه تعالى وعد المتّقين في كثير من الأيات بأنّ لهم الجنّة و أنّهم خالدون فيها و أنّ لهم فيها كذا وكذا من النّعم و من المعلوم أنّ اللّه تعالى لا يخلف الميعاد و من أصدق من اللّه قيلاً و قد قال اللّه في كتابه:

وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُلًا ١٠).

و قال تعالىٰ: وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ (٢).

و قال تعالىٰ: **وَ مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ ٱللَّهِ**(٣).

و قال تعالىٰ: قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُ ۗ ٢٠).

و الأيات بهذه المضامين كثيرة و على هذا فمعنى الآية أنّ ما وعد الله المتقين من الأجر و الثّواب و الخلود في الجنّة و غيرها من النّعم حقِّ لا مرية فيه و من أوفى بعهده منه و هذا ظاهر لا خفاء فيه و معنى كونه مسئولاً، أنّ المتّقين يسألونه ما وعدهم في كتابه بواسطة نبيّه فقوله: مَسْقُ لاً، حال من الوعد لا من الرّب في قوله، ربّك، وإنّي أظن أنّ المفسّرين جعلوا مسئولاً، حالاً من ربّك فقالوا كيف يكون الرّب مسئولاً و لا سيّما على القول بأنّ الثّواب منه تعالى للعبد على أساس يكون الرّب مسئولاً و لا سيّما على القول بأن الثّواب منه تعالى للعبد على أساس حال من الوعد فالمعنى أنّ الوعد مسئولٌ يوم القيامة و هذا ممّا لا إشكال فيه لقوله تعالى: إنّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُلًا (٥).

١- الإسراء = ٣٤

۲- البَقرة = ۴۰

٣- التّوبة = ١١١ ٥- الاسراء = ٣۴

و الحاصل أنَّ الوعد يسأل منه سواء كان من اللَّه تعالى أم من العبد و اللَّه تعالى لا يسأل منه و هذا فيه دقّة و الفرق واضح على المتّآمل.

وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَ مَا يَغْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادى هَوُّلاآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبِيلَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغى لَنَآ أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيآءَ وَ لَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَ الْبَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا ٱلذَّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا

قرأ إبن كثير و أبو جعفر و حفص و يعقوب يَحشرهُم بالياء و عليها المصاحف فعلاً و قرأ الباقون بالنُّون و هكذا في فيقول، فمنهم من قرأ بالياء و منهم من قرأ بالنُّون و قرأ أبوجعفر أَنْ نُتَّخِذَ بضُّم النُّون بصيغة المجهول و الباقون بفتح النُّون على المعلوم و لكلِّ هذه القراءت وجهٌ وجيه كما لا يخفي على المتَّأمل فيها، و المراد باليوم في قوله: وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ هو يوم القيامة، وَ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ **ذُونِ ٱللَّهِ، الواو** للعطف أي يحشرهم مع ماكانوا يعبدونه في الدّنيا من الاوثان و الأصنام و الملائكة و هكذا.

قال صاحب الكشّاف يريد المعبودين من الملائكة و المسيح و عزير و عن الكلبي الأصنام ينطقها اللّه و يجوز أن يكون عامّاً لجميعهم.

فأن قلت كيف صحَّ إستعمال، ما، في العقلاء.

قلت هو موضوع على العموم للعقلاء و غيرهم إنتهي موضع الحاجة من كلامه.

أقول لعلّ مراده أنّه لا إشكال في ذكر العامّ و إرادة الخاصّ منه فاللّفظ و أن كان عامًا، إلاَّ أنَّ المراد منه خصوص العقلاء إذ ليس لغير العقلاء حشرٌ و لا نشر و لا سؤال و لا جواب هذا ما فهمناه من كلام الزّمخشري و هو و أن كان حقًّا إلاَّ أنَّه مخالفٌ لظاهر الكلام إذ لو كان المقصود من الكلام ما ذكره لقال يوم يحشرهم ومن يعبدون من دون اللَّه، و حيث لم يقل ذلك نستكشف منه عدم إرادة



ضياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿

القرآن \ المجلدافا

خصوص العقلاء و أنّ اللّفظ على عمومه لفظاً و معنى و عليه فالإشكال باق على حاله و هو أنّ ما لا يعقل كيف يحشر و يمكن أن يجاب عنه بوجهين:

أحدهما: أنَّ الله تعالى قادر على إحياء ما لا يعقل و إنطاقه كما قيل.

الثّانى: و هو الّذي يقّوي في نفسي أنّ الكلام على التَّغليب أي تغليب ما لا يعقل على ما يعقل لكونه أكثر و توضيحه إجمالاً:

أنّ المعبود على قسمين، ما يعقل و ما لا يعقل، أمّا الأوّل كالملائكة و المسيح و عزير، و النّاني كالأصنام و الأوثان و الكواكب و الشّمس و النّار و غيرها من الجمادات و من المعلوم أنّ الثّاني أعني به ما لا يعقل أكثر مصداقاً من الأوّل، فأنّ ما يعقل منحصر في الثّلاثة المذكورة أعني بها الملائكة و المسيح و عزير ظاهراً و أمّا ما لا يعقل من الجمادات و النّباتات فالله أعلم بعدده و على هذا فلا يبعد أن يكون الإتيان بما، لأجل ذلك و أمّا أن الله يحشرهم يوم القيامة معناه يجمعهم فأنّ الحشر الجمع:

قال الله تعالىٰ: وَ حُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ ٱلْجِنِّ وَ ٱلْإِنْسِ وَ الطَّيْرِ (١).

أي جمع له ذلك فكان إذا خرج إلى مجلسه عكف عليه الطّير و قام الإنس و الجنّ حتّى يجلس على السَّرير و عليه قوله تعالىٰ: وَ إِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٢) أي جُمعت فقوله تعالىٰ: وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللهِ معناه يوم يجمعهم أي يجمع العابد و المعبود و يسأل منهم و هذا أمرٌ معقول.

و أمّا كيفيّة الحشر و الجمع فالله أعلم بها و لا يضّرنا الجهل بها.

إن قلت المعبود الجماد كيف يسأل عنه.

قلت يسأل عنه إتماماً للحجّة على العابد كما يسأل عن الأعضاء و الجوارح. إن قلت كيف يسأل عنه و هو لا يقدر على النّطق.

افرقان فی تفسیر القرآن کانگیا قلت أنّ اللّه تعالى قادر على إنطاقه:

قال اللّه تعالىٰ: وَ يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ اللّهِ إِلَى النّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ، حَتَٰى إِذَا مَا جَآءُ وَهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْضارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَ قَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللّهُ اللّهُ الّذِي أَنْطَقَ كُلُّ شَيْءٍ وَ هُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، وَ مَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ كُلُّ شَيْءٍ وَ هُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، وَ مَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَ لَا أَبْصَارُكُمْ وَ لَا جُلُودُكُمْ وَ لَكِنْ طَنَنْتُمْ أَنَّ اللّهَ لا يَعْمَلُونَ (١).

فهذه الأيات تنادي بأعلى صوتها بأنّ اللّه قادر على إنطاق كلّ شـئ وليس إنطاق الأصنام و الكواكب و الأوثان و غيرها بأصعب من إنطاق الجلود و كما أنّ إنطاق الجلود و غيرها من الأعضاء للشّهادة على كذب صاحبها كذلك إنطاق الأوثان و أمثالها للشهادة على من عبدها ثمّ أنّ الله تعالى يقول بعد حشرهم: ءَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادى هَؤُلاآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبيلَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ مًا كَانَ يَنْبَغَى لَنَآ أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أُولِيٰآءَ وَ لَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَ أَبْآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا قَـوْمًا بُـورًا أَى يقول اللَّه لهؤلاء المعبودين ءَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبادي، عن طريق الحقّ أمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبيلَ، من عند أنفسهم و بعبارةٍ أخرى ءأنتم دعو تموهم إلى الشِّرك بي أم لا فيقولون في الجواب ما حكاه الله عنهم و هـو **قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغَى لَــنْآ أَنْ** نَتَّخِذُ مِنْ دُونِكَ، أي أنت منَّزة عن الشِّرك لا إله إلاّ أنت و في قولهم: لا ينبغي إشارة إلى إقرارهم بعدم إستحقاقهم للمعبوديّة وَ لَكِنْ مَــتَّعْتَهُمْ وَ لَإِلَّاءَهُــمْ حَتَّىٰ نَسُوا ٱلذِّكْرَ، أي متَّعت هؤلاء الكفّار و متَّعت أبائهم في نعيم الدّنيا حتّى نسوا الذَّكر، أي نسوا ذكرك، يحتمل أن يكون المراد بالذِّكر المنسى العهد الذِّي أخذه عليهم في عالم الذّر حيث قال ألست بربّكم قالوا بلي، و أن يكون المراد به

الفطرة التي فطر النّاس عليها و هي التَّوحيد، و في قولهم هذا إشارة إلى أنّ اللّه أنطقهم بقدرته فالمدّعى ثابت و أمّا قولهم: مَتَّعْتَهُمْ الخ فيستفاد منه أنّ الحطام الدنيويّة و زخارفها و نعمها من الأموال و الأولاد و العشيرة و الرّئاسة و غيرها توجب في حقّ كثيرٍ من النّاس لولا أكثرهم الإعراض عن الحقّ و الإقبال إلى الباطل و نسيانهم عمّا كلّفوا به من الطّاعات و ترك المحرّمات و التَّوجه إلى معبودهم الحقيقي و ليس ذلك إلاّ لغلبة الهوى على العقل.

قال الإمام موسى بن جعفر التلال لهشام بن الحكم: يا هشام من سلَّط ثلاثاً على ثلاثٍ فكأنما أعان على هدم عقله، من أظلم نور تفكّره بطول أمله، ومحى طرائف حكمته بفضول كلامه و أطفأ نور عبرته بشهوات نفسه فكأنما أعان على هدم عقله و من هدم عقله أفسد على نفسه دينه و دنياه إنتهى.

فالمتَّمتع بالدنيّا و زخارفها قد أظلم نور تفكّره بطول أمله و لازم ذلك هدم العقل و تعطيله عن الإرشاد إلى الحقّ و إستيلاء الشّيطان عليه و هذا الحكم و أن لم يكن كليّاً و لكنّه أكثريٌ قطعاً.

و أمّا قوله: وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا، فالبور بضّم الباء الفاسد و هو مصدر كالزُّور، لا يثنى و لا يجمع و لا يؤنّث و قيل هو جمع، بائر، قال الشّاعر: يا رسول المليك أنّ لسانى راتقُ ما فتقت إذا أنا بورُ

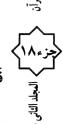
و حاصل جوابهم أنّا ما أضللناهم و لكنّهم كانوا قوماً فاسدين.

# فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَ لَا نَصْرًا

قال صاحب الكشّاف قرأ بعضهم تَقُولُون بالتّاء و قرأ بعضهم بالياء فمعنى من قرأ بالتّاء فقد كذّبوكم بقولكم أنّهم ألهة، و معنى من قرأ بالياء فقد كذّبوكم بقولهم سبحانك ماكان ينبغي لنا أن نتّخذ من دونك أولياء.

فأن قلت هل يختلف حكم التّاء و الياء.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔻



قلت أي و اللّه هي مع التّاء كقوله: بَلْ كَذَّبُو ا بِالْحَقّ و الجار و المجرور بدل من الضّمير كأنّه قيل فقد كذّبوا بما تقولون و هي مع اليـاء كقولك كتبت بـالقلم إنتهى كلام صاحب الكشّاف.

و الحقّ أن يقال أن كان المجيب الأصنام فالخطاب للكفّار و المعنى قد كذَّبتكم معبوداتكم من الأصنام و الأوثان بقولهم: ما كُانَ يَسْبُغي لَسْاً أَنْ تَتَخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيْآءَ و أن كان الخطاب للمعبودين من العقلاء من الملاتكة و عيسى و عزير و هو الظّاهر لتناسق الخطاب مع قوله ءأنتم أضللتم فالمعنى كذّبكم المعبودون بما تقولون أي بقولهم أنكم أضللتم و زعمهم أنكم أولياؤهم من دون الله.

و قيل هو خطاب للمؤمنين في الدّنيا أي قد كذّبكم أيّها المؤمنون الكفّار في الدّنيا فيما تقولونه من التّوحيد و الشّرع.

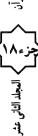
و قال الفراء من قرأ بالياء معناه، كَذَّبُوكُم بقولهم و أمّا قوله: فَما تَسْتَطْيِعُونَ صَرْفًا وَ لا نَصْرًا، معناه ما تستطيعون أنتم يا كفّار صرف العذاب عنكم و أمّا على قراءة الياء فالمعنى ما تستطيع ألهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو أن يحتالو لكم.

# وَ مَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبيرًا

قيل الخطاب على العموم للمكلّفين و العذاب الكبير لا حقَّ بكلّ من ظلم و الكافر ظالم و الفاسق ظالم قاله صاحب الكشّاف.

و أنا أقول تفسير الآية لا يحتاج إلى هذه التكلّفات و ذلك لوضوح المعنى فيها فأنّ اللّه تعالى يقول، فقد كذَّبوكم بما تقولون أيّها الكفّار، من أنّ هؤلاء أضَّلونا عن قصد السّبيل، و ذلك لأنّهم قالُوا سُبْخانَكَ ما كانَ يَنْبَغي الخ فَما تَسْتَطيعون صرف العذاب عن فَما تَسْتَطيعون صرف العذاب عن أنفسكم و لا نصر أنفسكم من عذاب اللّه هذا كلّه على قراءة التّاء في، تقولون، و

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



ضياء الفرقان في تفسير القرآن

القرآن ﴿ ﴾ المجلدالنا

تستطيعون كما عليها الجمهور و أمّا على قراءة الياء فالمعنى، كذَّبوكم بما يقولون هؤلاء المعبودين، بقولهم: سُبُخانَكَ الخ و من يظلم منكم، أي من العابدين المكلّفين أو من العابد و المعبود، نذقه عذاباً كبيراً.

وَ مَاۤ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّـهُمْ لَـيَأْكُـلُونَ ٱلطَّـعَامَ وَ يَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْواٰقِ وَ جَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا

هذه الآية في الحقيقة ردِّ على قول هؤلاء الكفّار حيث قالوا: ظا لِهٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعٰامَ وَ يَمْشَى فِي ٱلْأَسُواٰقِ (١) فقال الله تعالىٰ مُخاطباً لنَبيّه: وما أرسلنا قبلك يامحمد من المرسلين، إلا أنّهم ليأكلون الطّعام و يمشون في الأسواق، فليس أكل الطّعام و لا المشي في الأسواق مانعاً من النّبوة بل و لا نقصاً فيها لأن الأكل و الشّرب و المشي و النّوم و غيرها من الأوصاف من لوازم البشرية فلا يمكن لبشرٍ أن لا يأكل و لا يمشي و هكذا و حيث أنّ الأنبياء من جنس البشر و حكم الأمثال و احد فلابد لهم من الأكل و المشي و النّوم و غيرها من اللوازم في إدامة حياتهم و هذا ممّا لا يضُر برسالتهم و نبوتهم:

قال الله تعالى: قُلْ إِنَّمْآ أَنَا بَشَرُ مِثْلُكُمْ يُوحٰىۤ إِلَىَّ أَنَّمْاۤ إِلَهُكُمْ إِلَٰهُ واحِدٌ(٢).

قال اللّه تعالىٰ: قٰالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرُ مِثْلُكُمْ <sup>(٣)</sup>. قال اللّه تعالىٰ: وَ مَا قَدَرُوا اَللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهَ إِذْ قَالُوا مَاۤ أَنْزَلَ اَللّٰهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَىٰءٍ <sup>(۴)</sup>.

و غير ذلك من الأيات الواردة في الباب و قد مرَّ الكلام في النَّبوة و أنّ النّبي لا يكون إلاّ من جنس البشر كما هو مقتضى قانون السّنخية بما لا مزيد عليه فيما مضيٰ.

٣- إبراهيم = ١١

١- الأية ٧

۲- الكَهف = ۱۱۰

۴- الأنعام = ۹۱

الغرقان في نفسير القرآن كرنج

و أمّا قوله: وَ جَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضِ فِتْنَةً فقيل في معناه يقول الأعمىٰ لو شاء الله لجعلني بصيراً مثل فلان و يقول هذا الفقير لو شاء لجعلني غنيّاً مثل فلان و يقول هذا السَّقيم لو شاء لأصَّحني مثل فلان نقله الشَّيخ في التبيان عن الحسن.

و قال الأخر هو عام للمؤمنين و الكفّار فالصّحيح فتنة للمريض و الغنّي فتنة للفقير و الفقير الشّاكر فتنة للغنّي و الرّسول المخصوص بكرامة النّبوة فتنة لأشراف النّاس من الكفّار في عصره و كذلك العلماء و حكّام العدل إنتهى.

و قال بعض المعاصرين في تفسيره لهذه الآية أجاب تعالى عن قولهم ما لهذا الرّسول يأكل الطّعام و يمشي في الأسواق إلى أخر الآية أوّلاً بقوله تبارك الذّي أن شاء جعل لك خيراً من ذلك الخ مع ما يلحقه من قوله: بَلْ كُذَّبُوا بِالسّاعَةِ الخ و هذا جواب ثان محصّله أنّ هذا الرّسول ليس بأوّل رسولٍ أرسل إلى النّاس بل أرسل الله قبله جمّاً غفيراً من المرسلين و قد كانوا على العادة البشريّة بين النّاس يأكلون الطّعام و يمشون في الأسواق و لم يخلق لهم جنّة يأكلون منها و لا ألقي اليهم كنز و لا أنزل معهم ملك و هذا الرّسول أنّما هو كأحدهم ولم يأت بأمر بدع حتى يتوقع منه ما لا يتوقع من غيره فالآية في معنى قوله: قُلُ ما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرّسُلِ وَ مَا أَدْرى مَا يُفْعَلُ بِي وَ لا بِكُمْ إِنْ أَتّبِعُ إِلّا مَا يُوخِيَ إِلَى الرّا إنتهى كلامه.

، الفرقان في تفسير القرآن 🔷 😽

و قال الرّازي و أمّا قوله تعالى: وَ جَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ففيه مسائل: المسئلة الأولى: فيها أقوال:

أحدها: أنّ هذا في رؤوساء المشركين و فقراء الصّحابة فإذا رأى الشّريف الوضيع قد أسلم قبله أنف أن يسلم فأقام على كفره لئّلا يكون لوضيع السّابقة و الفضل عليه و دليله قوله تعالى: لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونًا إِلَيْهِ (١) و هذا قول الكلبي و الفّراء و الزّجاج.

ثانيها: أنّ هذا عام في جميع النّاس روى أبو الدّرداء عن النّبي اللّه الله قال: ويل للعالم من الجاهل و ويل للسّلطان من الرّعية و ويل للرّعية من السّلطان و ويل للمالك من المملوك و ويل للشّديد من الضّعيف و للضّعيف من الشّديد بعضهم لبعضٍ فتنة و قرأ هذه الآية.

ثالثها: أنّ هذا في أصحاب البلاء و العافية هذا يقول لم أجعل مثله في الخلق و الخلق و العقل و في العلم و في الرّزق و في الأجل و هذا قول إبن عبّاس و الحسن.

رابعها: هذا إحتجاج عليهم في تخصيص محمد المُوسَّالَةُ بالرّسالة مع مساواته إلى البشريّة و صفاتها فإبتلى المرسلين بالمرسل إليهم و أنواع أذاهم إلى أخر ما قال إنتهى موضع الحاجة من كلامه.

أقول هذا ما وصل إلينا من أقوال المفسّرين حول الآية و الذي يختلج بالبال في تفسيرها أنّ الفتنة في الآية بمعنى الإختبار و الإمتحان و المعنى جعلنا بعضكم لبعض فتنة، فالنّبي يختبر بتبليغه الرّسالة إلى الأمّة و الصَّبر على الأذى منها، و الأمّة تختبر بالنّبي بالطّاعة و الإنقياد و الإعتقاد بنبوّته و أنّه ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيّ يوحى، و قوله: أَتَصْبِرُونَ وَ كَانَ رَبُّكَ بَصيرًا معناه أتصبرون على هذا الإختبار فموقع، أتصبرون، بعد ذكر الفتنة، موقع، أنّكم بعد

الإبتلاء في قوله تعالى: لِيَبْلُوَكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا و قوله: بَصِيرًا، أي عالماً بالصواب فيما يبتلي به و بغيره ففي هذا الكلام تسلية للنبي أي فلا يضيقن صدرك و لا يستخفنك أقاويلهم فأن في صبرك عليهم سعادة و فوزك في الدّارين، و قيل هو تسلية عمّا عيَّروه به من الفقر حين قالوا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنّة و أنّه جعل الأغنياء فتنة للفقراء لينظر هل تصبرون و أنّها حكمته و مشيئته يغني من يشاء و يفقر من يشاء، و قيل غير ذلك من الأقوال التي لا طائل تحتها فأنّ المعنى واضح لا خفاء فيه و الإختبار و الامتحان واقع في الشريعة بلا كلام:

قال الله تعالىٰ: (ألم، أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوۤا أَنْ يَقُولُوۤا اٰمَتَٰا وَ هُمْ لا يُقْتَنُونَ (١).

و الأيات و الأخبار الواردة في الباب كثيرة و قد تكلّمنا في ذلك فيما مضى مفصّلاً فلا نحتاج إلى إعادة البحث و إطالة الكلام فيه هذا أخر ما أردنا إيراده في المقام في تفسير الجزء النّامن عشر و يتلوه الجزء النّاسع عشر.

# الجزء التاسع عشر

وَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِـقَآءَنَا لَـوْلَآ أُنْــزلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلاَّئِكَةُ أَوْ نَرٰى رَبَّنَا لَقَد ٱسْتَكْبَرُوا في أَنْفُسِهمْ وَ عَتَوْ عُتُوًّا كَبيرًا (٢١) يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَآئِكَةَ لَا بُشْرٰی يَوْمَئِذِ لِلْمُجْرِمِينَ وَ يَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا (٢٢) وَ قَدِمْنَاۤ إِلٰى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَل فَجَعَلْنَاهُ هَبَاآءً مَنْثُورًا (٢٣) أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذِ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقيلًا (٢٢) وَ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَ نُزِّلَ ٱلْمَلاّئِكَةُ تَـنْزِيلًا (٢٥) ٱَلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمٰنِ وَكَانَ يَـوْمًا عَلَى ٱلْكَافِرِينَ عَسيرًا (٢۶) وَ يَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتْي لَيْتَنِي لَـمْ أَتَّـخِذْ فُـلانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّني عَن الذِّكْر بَعْدَ إِذْ جَاءَني وَ كَانَ ٱلشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَــٰذُولًا (٢٩) وَ قَــالَ

ٱلرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا هٰذَا ٱلْقُرْانَ

مَهْجُورًا (٣٠) وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِي عَدُوًّا

مِنَ ٱلْمُجْرِمينَ وَكَفْي بِرَبِّكَ هَادِيًا وَ نَـصيرًا

(٣١) وَ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْاٰنُ

جُمْلَةً والحِدَةً كَذٰلِكَ لِنُثَبَّتَ بِهِ فُؤَاٰدَكَ وَ رَتَّلْنَاهُ تَرْتيلًا (٣٢) وَ لَا يَأْتُـونَكَ بِـمَثَل إِلَّا جِـئْناكَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسيرًا (٣٣) ٱلَّذينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَ أَضَلَّ سَبِيلًا (٣٤) وَ لَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ وَ جَعَلْنَا مَعَةً أَخَاهُ هٰرُونَ وَزيرًا (٣٥) فَقُلْنَا ٱذْهَـبْآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِاياتِنا فَدَمَّرْناهُمْ تَدْميرًا (٣۶) وَ قَوْمَ نُوحٍ لَمًّا كَذَّبُوا ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَ جَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسُّ أَيَةً وَ أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٣٧) وَ عَادًا وَ ثَمُودَا وَ أَصْحَابَ ٱلرَّسِّ وَ قُرُونًا بَيْنَ ذٰلِكَ كَـثيرًا (٣٨) وَ كُـلًّا ضَـرَبْنا لَـهُ ٱلْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا (٣٩) وَ لَـقَدْ أَتَـوْا عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي أَمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لا يَوْجُونَ نُشُورًا (٢٠)

#### ▶ اللغة

عُتُوًا: العتّو، الخروج الى أفحش الظُّلم.

حِجْراً: الحجر الضَّيق و يقال على الحرام الضِّيقة بالنَّهي عنه.

هَبَاءً؛ الهباء غباراً كالشّعاع لا يمكن القبض عليه، و قيل هو غبار يدخل الكّوة
 في شعاع الشّمس و قيل هو الماء المهراق و قيل هو رهج الخيل.

مَقِيلًا: بفتح الميم المكان الذي يأوون إليه في الإسترواح الى الأزواج و التَّمتع و حيث أنّه لا نوم في الجَّنة سمّي مكان إسترواضهم الى الحور مقيلاً.

ضياء الفرقان في تفسير القرآر



عَسِرُهُ أي صعباً شديداً.

لِعَضُّ: العَّض التَّلهف و التَّأسف.

مَهْجُورًا: الهجر التَّرك.

فُؤاٰدَكَ: الفؤاد القلب.

تَوْتِهُ التَّرتيل التَّبيين في تثَّبتٍ و ترَّسل.

#### ◄ الإعراب

يَوْمَ يَرَوْنَ في العامل فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أذكر يوم يرون.

الثّاني: يعذّبون يوم.

الثَّالث: لا يبُّشرون يوم يرون، و لا يجوز أن تعمل فيه البشرى لأمرين:

أحدهما: أنّ المصدر لا يعمل فيما قبله.

الثّانى: أنّ المنفى لا يعمل فيما قبل لا يؤمّنِذ تكرير ليوم الأوّل، أو هو خبر، بشرى، فيعمل فيه المحذوف و لِلْمُجْرِمِينَ تبيينٌ أو هو خبرٌ ثان حِجْرًا مَحْجُورًا هو مصدر و التَّقدير حجرنا حجراً، و الفتح و الكسر لغتان فيه و قد قرئ بهما يَوْمَ تشقَقُ إنتصاب يوم على تقدير، إذكر، و تشقَّق، يقرأ بالتَّخفيف و التَّشديد و الأصل تشقَّق و هذا الفعل يجوز أن يراد به الحال و الإستقبال و الماضي آلْمُلْكُ مبتدأ لِلرَّحْمْنِ خبر و قبل الخبر، الحَّق، و قبل، يومئذٍ مَهْجُورًا مفعول ثان لقوله، إتَّخذوا جُمْلةً حال من القرآن.

#### ▶ التَّفسير

وَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِفَآءَنَا لَوْلَآ أُنْزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلاَئِكَةُ أَوْ نَرٰى رَبَّنَا لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا فَيَ أَنْفُسِهِمْ وَ عَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

كم المجلد الثاني عث

ءالفرقان في نفسير القرآن 🔷 🛧 📏

أخبر الله تعالى عن الكفّار الّذين لا يرجون ثواب الله أنّهم قالوا كذا و كذا و الرّجاء ترَّقب الخير الّذي يقوّي في النَّفس وقوعه و حيث أنّ الله تعالى لا يرى فالمراد باللّقاء في الآية هو ثواب الله أو جزائه و إنّما لا يرجونه لكفرهم بالله ثمّ أشار الله تعالى بما قالوا و هو أمران:

أحدهما: قولهم لولا نزَّل علينا الملاتكة.

ثانيهما: رؤية الرَّب و المراد بها الرُّؤية بالبصر، أمّا الأوّل فقد مضى الكلام فيه و قلنا أنّ قانون السّنخية يقتضي أن يكون النَّبي من جنس البشر و أمّا الثّاني و هو رؤية الرَّب فهو محال لأنّ المرَّئي لابُد له من أن يكون في وضع أو جهة حتى يرى و اللّه تعالى منَّزة عمّا يليق بالأجسام و بعبارة أخرى المكان و الجهة و الوضع و أمثال ذلك من لوازم الجسم و شؤنه فما ليس بجسم و لا جسماني لا يكون متَّصفاً بأوصاف الجسم فكيف يرى بالبصر و لذلك قال الله تعالى: لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فَي أَنْفُسِهِم و عَتَو عُتُواً كَبيرًا قال الزَّمخشري ـ فأن قلت ما العناد في قلوبهم و أعتقدوه كما قال تعالى: إنْفي صُدُورِهِمْ إلا كِبْرُ ما هُمْ العناد في قلوبهم و أعتقدوه كما قال تعالى: إنْفي صُدُورِهِمْ إلا كِبْرُ ما هُمْ إِبْالِغِيهِ (١) و عتوا و تجاوزوا الحَّد في الظَّلم وقد وصف العتو بالكبير فبالغ في إفراطه يعني أنّهم لم يجبروا على هذا القول العظيم إلاّ أنّهم بلغوا غاية الإستكبار و أقصى العتو و اللام جواب قسمٌ محذوف إنتهى كلامه.

و قال الشّيخ في التّبيان في قوله: لَقَدِ ٱسْتَكُبْرُوا فَيَ أَنْفُسِهِمْ، أي طلبوا الكبر و التَّجبر بغير حقًّ و عتُّوا بذلك، أي طغوا به إنتهى.

و به قال الرّازي و غيره من المفسّرين و الّذي نفهم من الآية في المقام، أنّ هؤلاء الكفّار إستكبروا عن متابعة النّبي و قبول قوله في النّبوة لكونه من جنس البشر يأكل الطّعام و يمشي في الأسواق فزعموا أنّ النّبي وَاللّهُ اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى جميع

الشَّنُون و لا فضل له عَلَيْكِ عليهم و بذلك إستكبروا عن متابعته فقالوا: لَوْ لاَ أَنْزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلآئِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا، أي أنّا لا نؤمن لبشر مثلنا بالنُّبوة ولا نعني بالإستكبار إلا هذا و عليه فقوله في أنفسهم إشارة إلى أنّ هذا المعنىٰ كان في قلوبهم و ضمائرهم إلا أنّهم لم يظهروا به والحاصل أنّ الكفّار أضمروا في أنفسهم أنّهم أشرف و أفضل و أعلى مكاناً من النّبي.

و أمّا قول صاحب الكشّاف و غيره من أنّهم إستكبروا لطلبهم الرّؤية فلا محصّل له لأنّ طلب الرّؤية منشأه الجهل و الحماقة لا الإستكبار ألا ترى أنّ اللّه تعالى جعل الشّيطان من المستكبرين حيث لم يسجد لآدم:

قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرِ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَاٍ مَسْنُونِ (١).

فكذلك هؤلاء الكفّار فكأنّهم قالوا أنتَّبع من يأكل الطّعام و يمشي في الأسواق الخ.

و قوله: وَ عَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا معناه تكبَّروا و تجبَّروا عـن مـتابعة النّبي لمـا ذكرناه في وجهه لا أنّهم تكبَّروا بإستدعائهم الرُّؤية كما شرحنا و اللّه أعلم.

يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلاَئِكَةَ لا بُشْرٰی يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَ يَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا

أي يوم يرون هؤلاء الكفّار، ملائكة الله المراد باليوم يوم القيامة و يحتمل أن يكون المراد به قبض الأرواح أي وقت الموت و على التَّقديرين يقول الملائكة لهؤلاء الكفّار لا بشرى يومئذ للمجرمين و هم الّذين أجرموا و إرتكبوا المعاصي في دار الدّنيا وَ يَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا الظّاهر أنّه من قول الملائكة يقولون للكفّار أنّ البشرى عليكم محرّمة و قيل أنّه من قول الكفّار كما كانوا يقولون في الدّنيا إذا لقوا من يخافون منه القتل حجراً محجوراً، أي حراماً

ضياء القرقان في تفسير القرآن

. چن

محرّماً، أي دمائنا و أصل الحجر الضّيق و يطلق على الحرام لضيقه بالنّهي عنه و منه حجر القاضي عليه، و حجر فلان على أهله و منه حجر الكعبة لأنّه لا يدخل إليه في الطّواف و أنّما يطاف من وراءه ليتَّضيقه بالنّهي عنه و الحقّ أنّه من قول الملائكة كما هو مقتضى العطف فالمعنى، حراماً محرّماً عليكم الغفران و الجنّة و البشرى أي جعل اللّه ذلك حراماً عليكم.

# وَ قَدِمْنَاۤ إِلٰى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلِ فَجَعَلْنَاهُ هَبْآءً مَنْثُورًا

قال البلخي معناه قدم أحكامنا بذلك و قال مجاهد معناه عمدنا قيل في الكلام بلاغة حسنة لأنّ التقدير كان قصدنا إليه قصد القادم على ما يكرهه ما لم يكن رأه قبل فغيَّره و قيل هو على حذف مضاف أي قدمت ملائكتنا و أسند ذلك إليه لأنّه عن أمره و حسنت لفظة، قدمنا، لأنّ القادم على شئ مكروه لم يقرره و لا أمر به فمثلّت حال هؤلاء القوم و أعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم و إغاثة ملهوف و قرئ ضيف و من على أسير و غير ذلك من مكارمهم بحال قوم خالفوا سلطانهم فقصد إلى ما تحت أيديهم فمزقها بحيث لم يترك لها أثر، و قوله: فَجَعَلْنَاهُ هَبْآءً مَنْثُورًا، فالهباء غبارٌ كالشّعاع لا يمكن القبض عليه و قيل هو غبارٌ يدخل الكوّة في شعاع الشّمس.

و قال عكرمة هو رهج الخيل وقيل هو الماء المهراق، شبّه عملهم بالهباء للقلّته و أنّه لا ينتفع به ثمّ وصف الهباء بمنثور لأنّ الهباء تراه منتظماً مع الضَّوء فإذا حرَّكته الرّبح رأيته قد تناثر و ذهب.

و قال إبن عبّاس الهباء المنثور ما تسفى به الرّياح و تبّثه و محصّل الكلام في الآية أنّ أعمال الكفّار حال كفرهم كالهباء المنثور في قلّة نفعها فلا فائدة فيها حتّى يترتب عليها الثّواب يوم القيامة.

أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقْبِلًا

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷

المستقر المكان الذّي يكونون فيه في أكثر أوقاتهم مستقرين يتجالسون و يتحادثون، و المقيل المكان الّذي يأوون إليه للإسترواح إلى أزواجهم و التَّمتع بمغازلتهنّ و ملامستهنّ كما أنّ المترفين في الدّنيا يعيشون هكذا قاله صاحب الكشّاف.

و قال بعض المفسّرين معناه أنّ الّذين يحصلون في الجنّة مثابين منّعمين في ذلك اليوم مستقرهم خير من مستقر الكفّار في الدّنيا و الأخرة و أنّما قال ذلك على وجه المظاهرة بمعنى أنّه لو كان الكفّار مستقر خير و منفعة لكان هذا الّذي للمؤمنين خيراً منه و أحسن مقيلاً أي أحسن موضعاً و أن لم يكن في الجنّة نوم إلاّ أنّه من تمهيده يصلح للنّوم لأنّهم خوطبوا بما يعرفون كما قال تعالى: وَ لَهُمْ وَيُهُا فِيهَا بُكْرَةً وَ عَشِيلًا (١) على ما إعتادوه.

و قال البلخي معناه أنّه خيرٌ في نفسه و حسن في نفسه لا أنّه أفضل من غيره، و قال قومٌ معنى خير مستّقراً و أحسن مقيلاً، أي أنفع من مستّقرهم.

أقول لا شكّ أنّه لا نوم في الجنّة و على هذا فسمّي مكان إسترواحهم في الجنّة إلى الحور مقيلاً على طريق التشبيه إذا لمكان المتّحيز للقيلولة يكون أطيب المواضع، و أمّا لفظة خير، فقيل أنّها ليست على بابها من إستعمالها دلالة على الأفضليّة فيلزم من ذلك خير في مستّقر أهل النّار و يمكن إبقاؤها على بابها و يكون التَّفضيل وقع بين المتّقرين و المقيلين بإعتبار الزّمان الواقع ذلك فيه فالمعنى أنّ المؤمنين خير مستّقراً في الأخرة من الكفّار المترفين في الدّنيا و أحسن مقيلاً في الأخرة من أولئك في الدّنيا.

# وَ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَ نُزِّلَ ٱلْمَلاّئِكَةُ تَنْزِيلًا

أخبر الله تعالى بذلك من هول يوم القيامة و عظم شدائده.

قال الرّاغب في المفردات الشُّق الخرم الواقع في الشِّئ يقال شققته بنصفين و

المجلد الناني : ي

اء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 🔫

قال بعض أهل اللّغة الإنشقاق إفتراق إقتداد عن إلتيام فكلّ إنشقاق إفتراق و ليس كلّ إفتراق إنشقاقاً و المعنى إذ السّماء تصَّدعت و إنفجرت و هو من علامات القيامة، و قوله: بِالْغَمَامِ، أي و عليها الغمام فالباء للحال كما تقول ركب الأمير لسلاحه أي و عليه سلاحه وقيل الباء هنا للمجاوزة بمعنى عن، و قرأ إبن كثير، و ننزل، بنونين، و الجمهور بنونٍ واحدة و المعنى أنّ نزول الملائكة للمؤمنين بالإعظام و للكافرين بالإستخفاف و الإهانة.

# ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَافِرِينَ عَسيرًا

قيل الحقّ صفة للملك و معناه الثّابت لأنّ كلّ ملكٍ يومئذٍ يبطل و لا يبقى إلاّ ملكه تعالى و خبر الملك يومئذٍ و الرّحمن متعلق بالحقّ أو للبيان أعني للرّحمن و قيل الخبر للرَّحمن و يومئذٍ مفعول للملك، و قيل الخبر للحقّ و الحقّ و للرَّحمن متعلق به أو للبيان و عسر ذلك اليوم على الكافرين بدخولهم النّار.

# وَ يَوْمَ يَعَضُّ ٱلظُّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا، يَا وَيْلَتٰي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلًا

العَضُّ بفتح العين و سكون الضّاد المشدّدة أزمٌ بالأسنان كما قال اللّه تعالى: عَضُوا عَلَيْكُمُ ٱلأَنْامِلُ (١) و ذلك عبارة عن النَّدم لما جرى به عادة النّاس يفعلوه عند ذلك و المراد باليوم هو يوم القيامة أخبر الله تعالى في هذه الآية عن شدّة ذلك اليوم و هوله بعد قوله في الآية السّابقة: وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَافِرِينَ عَسبيرًا و المعنى أنّ الكافر يوم القيامة يعضّ على يديه تلّهفاً و تأسُّفاً على ما فرّط في جنب الله من المعاصي قيل أنّ الآية نزلت في أبّي بن خلف و عقبة بن أبي معيط و كانا خليلين إرتَّد أبّي لما صرفه عن الإسلام عقبة و قتل عقبة بن أبي معيط يوم بدر صبراً و قتل أبّي بن خلف يوم أحد قتله النّبي بيده ذكره قتادة.

و قال بعض المفسّرين كان عقبة خليلاً لأميّة فأسلم عقبة فقال أميّة وجهى من وجهك حرام أن يا ليت محمّداً فكفر و إرتَّد لرضا أميّة فنزلت قاله الشّعبي و كيف كان فالمقصود ذكر هول يوم القيامة بتَّندم الظَّالم و تمَّنيه أنَّه لم يكن أطاع خليله الَّذي كان يأمره بالظُّلم و ما من ظالم إلاَّ و له في الغالب خليلٌ خاصٌ يعبّر عنه بفلان و الظَّاهر أنَّ الظَّالم يعضَّ على يُديه فعل النَّادم المتَّفجع، لا ما قاله الضّحاك من أنّه يأكل يديه إلى المرفق ثمّ تنبت و لا يزال كذلك كلّما أكلها تنبت، إذ لو كان كذلك لم يعبّر عنه بالعضّ الّذي هو غير الأكل لغةً و عقلاً، فالحقّ أنّه مجاز عبّر به عن التَّحير و الغَم و النَّدم و التَّفجع و نقل أَثمّة اللّغة أنّ المـتَأسف المتَّحزن المتَّندم يعضّ على أبهامه ندماً و إلى هذا المعنى أشار الشَّاعر بقوله:

غيري جنى و أنا المعاقب فيكم فكأنّـني سـبّابة المــتّندم و في المثل يأكل يـديه نـدماً ويســــــيل دمـــــعه دمـــاً

قال صاحب الكشّاف عضَّ الأنامل و اليدين و أكل البنان و حرق الأسنان و الأزم و فروعها كنايات عن الحسرة و الغيظ لأنّها من روادفها إنتهي.

قال الفيض يَثْيُّنُّ في تفسير الصّافي ما هذا لفظه و يوم يعضّ الظَّالم على يديه من فرط الحسرة، القمى قال الأوّل: يَقُولُ يَا لَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبيلًا القمى عن الباقر لِمُلِئِلًا علياً ولَـياً. يُما وَيُللُّنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّـخِذْ فُــلانًا خَلَيْلًا قال يَعني النَّاني، لَقَدْ أَضَلَّني عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدُ إِذْ جَآءَنبي يعني الولاية وَكَانَ ٱلشَّيْطَانُ و هو النَّاني لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا.

و في الكافي عن أميرالمؤمنين في خطبة الوسيلة قال التَّالِيْ:

في مَناقب لَو ذَكرتها لَعَظُم بها الإرتفاع وطالَ لها الإستماع ولئِن تَقَّمصها دُوني الأشقان ونازعان فيما لَيس لَهما بحقٍّ وَرَكباها ضلالة وإعتقداها جهالة فَلَبئس ما عليه وَرَداً، وَلَبئس ما لأنفسهما مَهدّاً يتلاعنان في دورهما ويتَّبَرأ كلّ منهما من صاحبه يقول لقَرينه إذا إلتَقيا يا لَيتَ بَيني وبَينك بُعد المَشرقَين فَبئس القَرين فَيُجيبَه الأشقىٰ علىٰ وثوبه يا لَيتني لَم أتَّخذ فلاناً خليلاً لقد أَضَّلَني عن الذَّكر بعد إذ جائني وكان الشّيطان لِلإنسان خَذُولاً فأنا الذَّكر الّذي عنه ضَّل، والسَّبيل الّذي عنه مال والإيمان الّذي به كَفَر والقرآن الّذي إيّـاه هَجر والدّين الّذي به كَذب والصّراط الّذي عنه نكب إنتهيٰ.

أقول ما ذكره وَأَيُّ في تفسير الآية في نقله عن الكافي ممّا لا بأس به إلا أنّه من التَّأُويل لا من التَّفسير و قد ثبت أنَّ للقرآن تفسير و تأويل فقوله تعالى: وَ يَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يشمل كلّ ظالم و لا سيّما الظَّالم الّذي أسَّس أساس الظِّلم في الأمّة بغصبه الخلافة بعد موت النّبي و لا شكّ أنّ الظُّلم في الإسلام نشأ من غصب الخلافة و أيُّ ظلم أقبح و أفحش من الظّلم على أولاد الرَّسول و أهل بيته و خالفة الرّسول في مسألّة الخلافة و من المعلوم أنّ المؤسّس للظّلم في هذه الأمّة أليق و أحرى بالتَّندم و التَّحسر من غيره ممّن تبعه في ظلمه و عدوانه و هو ظاهر.

لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جُآءَنِي وَكَانَ ٱلشَّيْطَانُ لِـلْإِنْسَانِ

أي يقول أحد الخليلين لقد أضَّلني و أغواني عن الحقّ خليلي الذّي إتَّخذته خليلاً لنفسي بعد إذ جائني الذِّكر و هو القرآن أو الرّسول وكان الشّيطان للإنسان خذولًا، يخذله في وقت حاجته و معاونته سواء كان الشَّيطان من الجنّ أم من الإنس.

وَ قَالَ ٱلرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا هٰذَا ٱلْقُرْاٰنَ مَهْجُورًا

الهجر التّرك و الإعراض عنه أي أنّهم أعرضوا عن القرآن و العمل به فـصـار القرآن مهجوراً متروكاً بينهم من حيث العمل بأحكامه.

لا شكّ أنّ هذه الأيات أعني بها قوله تعالى الملك يومئذٍ الحقّ إلى قوله: هٰذَا ٱلْقُرْانَ مَهْجُورًا، ناظرة إلى يوم القيامة و ذلك لأنّ قوله يوم يعضَ الظّالم على يديه إلى أخر ماقال على المدّعى فقول الرّسول يٰل رَبّ إِنَّ قَوْمِي الآية أيضاً يوم القيامة و على هذا فالمراد بالظَّالم العاضّ على يديه و أن كان ظاهره العموم إلاَّ أنَّ المراد به ليس إلاَّ من ظلم بعد الرَّسول على الإسلام و المسليمن إذ لو كان المراد بالظَّالم هو الكافر الَّذي لم يؤمن باللَّه و سوله لا معنى لقول الرَّسول ياربّ أنَّ قومي إتَّخذوا هذا القرأن مهجوراً، فالمراد بالقوم في قوله: قَـوْمِي، أمَّته لا قومه من النَّسب من الكفّار ومن المعلوم أنّ المسلمين اوْتَخذوا القرأن مهجوراً.

فلقائل أن يقول، من الَّذي ظلم على الأمَّة و الإسلام غير أصحب السَّقيفة فلا يبعد أن يكون المراد بالظَّالم في الآية أوّل ظالم ظلم و غصب الخلافة إذ لا ظلم أفحش منه بل هو أساس الظِّلم في الإسلام فهو الَّذي يعضُّ على يديه يوم القيامة " و يقول يا ليتني إتَّخذت مع الرّسول سبيلاً، و لا معنى لإتّخاذ السَّبيل مع الرّسول إلاّ متابعته في جميع أقواله و أفعاله و لا سيّما مسألة الخلافة و الوصاية التّي هي الأصل و الأساس في المقام و حيث أنَّ الرَّسول تَلْأَرْضُكُما ۖ قال في غدير خمَّ مـنَّ كنت مولاه فهذا علِّيّ مولاه إلى أخر ما قال و أخذ من المسلمين الحاضرين في الغدير و هم جميع المهاجر و الأنصار البيعة لعلّي عليُّلًا بالخلافة و للأتّمة المعصومين بعده واحداً بعد واحد ثمّ أنّهم نقضوا البيعة و نكثوا العهد بعد موت الرّسول و بايعوا أبا بكر ثمّ أوصى أبو بكر إلى عمر و هكذا إلى أن وصل الأمر إلى أولاد أبي سفيان و مروان إبنالحكم و بني العبّاس فلامحالة صار القرأن مهجوراً

متروكاً قال رسول الله عَلَيْ الْمُعَلَّةِ: إنّي تاركُ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا أبداً، أي بالقرأن و العترة معا و السّر فيه أنّ العمل بالقرأن فرعٌ على العلم به و العلم به عند العترة فمن تمسك بالقرأن فقط ضّل عن سواء السّبيل و لازم ذلك أن يكون القرأن مهجوراً متروكاً في الحقيقة لأنّ المتّمسك له لم يفهم مراد الله من الأيات و لا نعني بالتّرك إلا هذا إذا عرفت هذا فالظّالم العاض على يديه يوم القيامة هو الأول و قوله: فُلانًا، كناية عن النّاني و هو المراد بالخليل أيضاً فأنّ عمر كان خليلاً لأبي بكر بشهادة التواريخ ولذلك أوصى أبو بكر إليه على رغم أنوف المسلمين فكان عمر في الواقع خليفة أبي بكر و إذا كان الأمر على هذا المنوال فحقٌ لأبي بكر أن يقول، لقد أضّلني عن الذّكر بعد إذ جائني الخ و قد مرّت خطبة أميرالمؤمنين في ذلك.

و قد روي في الكافي بأسناده عن أبي الجارود قال قال أبو جعفر على العريز الجبّار يوم القيام و كتابه و أهل بيتي ثمّ أمّتي ثمّ أسألهم ما فعلوا بكتاب الله و بأهل بيتي أنتهي.

و بأسناده قال أبو عبد الله لا و الله لا يرجع الأمر والخلافة إلى أبي بكر و عمر أبداً و لا إلى بني أميّة أبداً و لا في ولد طلحة و الزّبير أبداً و ذلك أنّهم نبذوا القرأن و أبطلوا السُّنن و عطلوا الأحكام و قال رسول الله المُوسِّلِيَّةُ: القرأن هدى من الضّلالة و تبيانُ من العمى و إستقالة من العثرة و نورٌ من الظلمة و ضياءٌ من الأحداث و عصمة من الهلكة و رشدٌ من الغواية و بيانُ من الفتن و بلاغٌ من الدّنيا في الأخرة و فيه كمال دينكم و ما عدل أحدٌ من القرأن إلاّ إلى النّار إنتهى.



ضياء الفرقان في تفسير القرآن

و في تفسير علّي بن إبراهيم بأسناده عن أبي عبد الله عليه أنه قال: سألتُه عن قول الله عزّ وجلّ: يَوْمَ تَشْعَقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ قال عليهِ!
الغمام أميرالمؤمنين و قوله: وَ يَوْمَ يَعَضُّ الظّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبيلًا، يقول: يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبيلًا، يقول: يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبيلًا، علياً و لياً، يا وَيْلَتٰي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ قُلانًا خَليلًا، يعني الثّاني، لَقَدْ أَضَلَّني عَنِ الذّي رِبَعْدَ إِذْ أَتَخِذْ قُلانًا خَليلًا، يعني الثّاني، لَقَدْ أَضَلَّني عَنِ الذّي لِلْإنْسَانِ جَلَيْ اللهُ اللهُ

و الأحاديث كثيرة و فيما ذكرناه كفاية لأولي الدّراية.

وَكَذٰلِكَ جَعَلْنٰا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ ٱلْمُجْرِمينَ وَكَفْى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَ نَصيرًا

قال بعض المفسّرين، أي كما جعلنا هؤلاء المجرمين عدُّواً لك كذلك جعلنا لكلّ نبّي عدُّواً منهم أي هذه من سنتنا الجارية في الأنبياء و أممهم فلا يسوءنك ما تلقى من عداوتهم و لا يشقن عليك ذلك ففيه تسلية للنّبي المُوضَّةُ و معنى جعل العدُّو من المجرمين أنّ اللّه جازاهم على معاصيهم بالختم على قلوبهم فعاندوا الحقّ و أبغضوا الدّاعي اليه و هو النّبي فلعداوتهم نسبة اليهم تعالى فالمجازاة إنتهى كلامه.

و قال الزّمخشري حكى الله عنه شكواه قومه اليه و في هذه الحكاية تعظيم للشّكاية وتخويفٌ لقومه إنتهي موضع الحاجة من كلامه.

أقول ما ذكروه في تفسير الآية لا يرفع الإشكال منها و أنّما الإشكال في كلمة، الجعل، و حاصله أنّ ظاهر الآية مشعر بكون المجرمين الّذين كانوا من أعداء



النّبي مجعولين أي مخلوقين من قبل اللّه تعالى و على هذا فما ذنب المجرم و المفروض أنَّ اللَّه جعله مجرماً و عدُّواً للنَّبي و أمَّا ما ذكره المفسّرون فلا يناسب ظاهر الآية و الّذي يختلج بالبال في حلّ الإشكال هو أنّ الجعل على قسمين، بسيط و مرّكب.

فالبسيط منه إيجاد الشِّئ و المرّكب جعل الشّئ شيئاً فقولنا الإنسان موجود أو وجد الإنسان، من الجعل البسيط و قولنا الإنسان ناطق من المرّكب إذا عرفت هذا.

فقوله تعالىٰ: لِكُلِّ نَبِي عَدُوًّا مِنَ ٱلْمُجْرِمينَ ليس معناه من المجرمين ليكون من قبيل جَعل الشِّئ شيئاً آخر كما في الجعل المرّكب بل معناه أوجدناه ثمّ صار مجرماً و عدّواً بسوء سريرته و إختياره.

و الحاصل أنَّ اللَّه تعالى أوجد الإنسان و خلقه و فوَّض إختيار الكفر و الإيمان إليه كما هو شأن المختار فمن زعم أنّ اللّه تعالى جعل الإنسان عدُّوا للحقّ فقد أخطأ للزومه الجبر و هو ينافي الإختيار و العقاب للمجبور ظلمٌ عليه و هو تعالى منزهٌ عنه قال اللّه تعالى: إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَ إِمَّا كَفُورًا و علىٰ هذا فمعنىٰ الآية إنّ سُنّتنا في خلق الإنسان جرت بذلك فلا محالة يكون بعض أفراد الإنسان مؤمناً محبّاً للنّبي و بعضٌ أخر عدّواً مجرماً فالإيجاد لنا و الإختيار لهم ليهلك من هلك عن بيّنةٍ و يحيا من حيَّ عنها.

و أمّا قوله: وَكَفْي بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَ نَصيرًا، فقيل في معناه، وكفي بربّك يا محمّد هادياً و نصيراً أي حسبك الله الهادي إلى الحقّ و النّاصر على العدّو و الحقّ في المعنى أن يقال كفي بربّك هادياً لهؤلاء الكفّار أي أنّ اللّه يكفي لهدايتهم لو شاء و أراد و يكفى لنصرتك كذلك قال اللّه تعالى: إِنَّكَ لا تَهْدي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدَى مَنْ يَشَاءُ (١) و هذا ممّا لاكلام فيه لأنّه مقلّب القلوب و على كلّ شيّ قدير.

وَ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْانُ جُـمْلَةً واْحِـدَةً كَـذَٰلِكَ لِنُتَبِّتَ بِهِ فُوَّاٰدَكَ وَ رَتَّلْنَاهُ تَرْتيلًا

حكى الله تعالى في هذه الآية عن الكفّار أنّهم قالوا: لَوْ لا تُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُوالْ وَ مَا الله تعالى في هذه الآية عن الكفّار أنّهم قالوا: لَوْ لا تُزِّلَ عَلَيْهِ اللهُ القرأن جملة واحدة، أي هلا نزّل القرأن عليه كذلك لو كان صادقاً في نبوته و أنّ القرأن نزل عليه من الله، و لم يعلموا أنّ التوراة أنزلت جملة لأنّها أنزلت على موسى مكتوبة على نبّي كان يكتب و يقرأ و هو موسى عاليًا و أمّا القرأن فأنّه أنزل متّفرقاً لأنّه غير مكتوب على نبّي أمّي و هو محمّد الله والمُنْ اللهُ الله

و قال بعض المفسّرين أنّمًا لم ينزّل جملة واحدة لأنّ فيه النّاسخ و المنسوخ و فيه ما هو جواب لمن سأل من أمور و فيه ما هو إنكارٌ لما كان و في الجملة المصلحة معتبرة في إنزال القرأن فإذا كانت المصلحة موجودة في إنزاله متّفرقاً كيف ينزل جملة واحدة و قوله: كَذْلِك، أي كذلك فرّقناه، فنثبت به فؤادك، أي قلبك و رتّلناه ترتيلاً، أي رتّلنا القرأن و معنى ترتيله أنّ قدّره أية بعد أية و وقفه عقيب و قيل معناه، أمرنا بترتيل قراءته كما قال في موضع أخر و رتّل القرأن ترتيلاً هكذا فسّروا الآية.

أقول ما ذكروه لا بأس به و الذي يقتضيه النظر هو أنّ القرأن لكونه جامعاً لما يحتاج إليه البشر إلى يوم القيامة كما قال تعالى: وَ لا رَطْبٍ وَ لا يَابِسِ إِلّا في كِتَابٍ مُبينٍ (٢) لا يقاس بالتوراة و غيرها من الكتب المنزلة على الأنبياء في الأمم السّالفة فأنّ الكتب السّماوية غير القرأن كانت مشتملة على المواعظ و النّصائح فقط مضافاً إلى أنّ العمل بما فيها كان محدوداً بزمانٍ معيّن ثمّ نسخ بعد ذلك وهذا بخلاف القرأن فأنّ حلاله حلال إلى يوم القيامة و حرامه كذلك مضافاً إلى

كونه مشتملاً على جميع الأحكام من النّكاح و الطّلاق و الميراث و الدّيات و الكفّارات و الحجّ و الصّوم و الأداب و الأخلاق و غير ذلك من فـنون العـلم و بالجملة جميع ما يحتاج إليه البشر إلى يوم القيامة في جميع شئونه و ماكان كذلك لا يكون نزوله جملة واحدة بل ينبغي أن يكون النُّزول فيه تـدريجاً ألا ترى أنّ المسائل المشكلة الغامضة التّي يعسر فهمها على المخاطب تلقى إليه تدريجاً و إلى هذه الدّقيقة أشار الله تعالى في هذه الآية بقوله: كَذْلِكَ لِنُثَيِّتَ بِهِ فُّو أَدَكَ أَى ليطيب به نفسك و تستَّعد لقبلوه فكأنَّه أشار بقوله هذا إلى أنَّ قلب المخلوق في أوّل الأمر لا يستّعد لقبول كلام الله جملة فواد بل يحتاج إلى عناية الرّب و توفيقه و من المعلوم أنّ الإفاضات الغيبيّة تـفاض عـلى القـلوب عـلى حسب إستعدادها آناً فآناً و إلى ذلك أشار بقوله: و رَتَّلْناهُ تَرْتيلًا، أي رتَّلنا القرأن نوعاً من التَّرتيل و هو التّبيين في تثّبتٍ و ترسُّلِ.

# وَ لَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلِ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسيرًا

قالوا في تفسير الآية أي لم ننَّزل القرأن جملة واحدة لأنَّهم لا يأتونك بشئ يريدون به إبطال أمرك إلاّ جئناك بالحقّ الّذي يبطله و أحسن تفسيراً أي يجيئوكً بأحسن تفسيراً ممّا يأتونك به و أجود معانى، قاله الشّيخ في التّبيان.

و قال صاحب الكشّاف في معناه أي لا يأتونك بسؤالٍ عجيب من سؤالاتهم الباطلة كأنَّه مثل في البطلان إلا أتيناك نحن بالجواب الحقِّ الَّذي لا محيد عنه و ز ـ ١٩ كل بما هو أحسن معنى و مؤدّي من سؤالهم ثمّ أطال الكلام بذكر الإحتمالات في تبيّين المراد من الآية لا خفاء فيه و لا يحتاج إلى ذكر الإحتمالات البعيدة و المقصود منها أنَّ كلِّ ما ذكره الكافرون من الأمثال مثل قولهم، لولا أنزل عليه القرأن جملة واحدة، و غيره من نظائره لا يعتني به و ذلك لأنَّ ما جئناك هو الحقِّ و ما ذكروه هو الباطل و من المعلوم أنّه إذا جاء الحقّ زهق الباطل أنّ الباطل كان زهوقاً.

آلَّذينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولُـيِّكَ شَـرُّ مَكَانًا وَ أَضَلُّ سَبيِلًا

أخبر الله تعالى في هذه الآية عن حال الكفّار يوم القيامة و ما يؤل إليه أمرهم في الأخرة بكونهم شرّ مكاناً و أضَّل سبيلاً، و الظّاهر منها أنّهم يحشرون على وجوههم و هذا قول الجمهور و قيل هو مجاز للذّلة المفرطة و الهوان و الخزي، و قيل هو من قول العرب مرَّ فلان على وجهه إذا لم يدر أين ذهب، و يقال مضى على وجهه إذا لم يدر أين ذهب، و يقال مضى على وجهه إذا أسرع متَّوجهاً لقصده، و كلمة، شر، و أضَّل ليسا على بابهما من الدّلالة على التّفضيل و قوله شرّ مكاناً أي مستقراً و مقاماً و يحتمل أن يراد بالمكان، المكانة و الشَّرف لا المستقر و لكن هذا الإحتمال ضعيف أمّا أوّلاً فلاته خلاف ظاهر الآية و ثانياً خلاف المتبادر إلى الذّهن من المكان ثالثاً، أنّ المأل في المعنيين إلى شئ واحد بل هما متلازمان و هو ظاهرً.

# وَ لَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ وِ جَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هٰرُونَ وَزيرًا

قالوا، اللآم، في قوله: وَ لَقَدْ أَتَيْنَا، لام القسم أي أقسم الله تعالى بأنّه أتى موسى الكتاب، يعنى التّوراة و جعل معه أي مع موسى هارون وزيراً.

قد مرَّ الكلام في موسى و هارون غير مرّةٍ إجمالاً و سيأتي في سورة القصص تفصيل الكلام في قصّة موسى و هارون إن شاء الله تعالى، و قوله: وَزيرًا، هو مشتّق من الوِزد بكسر الواو و هُو في الأصل ما حمله الإنسان فسمّى السّلاح وزراً لأنّه يحمل و الأوزار الأثقال و معه:

قال الله تعالىٰ: وَ لا تَزِرُ وأَزِرَةً وِزْرَ أُخْرَى (١).

قال الله تعالى: حُقِلْنا آؤزارًا مِنْ زبِنَةِ ٱلْقَوْم (٢).

أي أثقالاً من حليّهم و وزير الملك هو الّذي يحمل ثقله و يعينه برأيه و كثيراً ما يطلق على الذّنب و الإثم أيضاً و الجمع أوزار و منه الحديث لك المهنّا و عليه الوزر أي الإثم و لعلُّ وجه إطلاقه على الذُّنب و الإثم هو حملهما و ثقلهما على المذنب فأن حمل الذّنب ثقيلٌ جدّاً على الرُّوح كما أنّ حمل السّلاح ثقيلٌ على الحامل ثمّ أنّ في قوله تعالىٰ: وَ جَعَلْنا مَعَهُ أَخَّاهُ هٰرُونَ وَزيرًا، إشارة أمرين: أحدهما: أنَّ اللَّه تعالى جعل هارون وزيراً لموسى.

الثَّاني: أنَّ هارون كان شريكاً لموسى في نبّوته و إلاّ كيف يعقل أن يكون حاملاً لوزر أي ثقل النّبوة و هو كذلك فأنّ هارون كان نبيّاً بعد موسى إلاّ أنّه مات قبل موسى ولو كان حيّاً بعد موسى لكان نبيّاً.

قال بعض المفسّرين الوزرة لا تنافى النّبوة فقد كان في الزّمان الواحد أنبياء يوازر بعضهم بعضاً.

أقول يمكن أن يستدلّ في المقام أعنى نبُّوة هارون بقول رسول اللّه للمُّلَّاللِّيُّكَانِّةُ في الحديث المجمع عليه بين الفريقين حيث قال علياً إلى المتالج، لِعلَّى أَنتَ مِنَّى بمنزلة هارُون من مُوسىيٰ إلاّ أنّه لا نَبّي بعدي، و ذلك لأنّ النّبي إُستثنى علّياً عاليَّالْإِ من النّبوة و أثبت له في الوزارة جميع ما كان لهارون فلو لم يكن هارون نبيّاً لا وجه للإستثناء و هو ظاهر و يمكن أن يستدلُّ بها على نبُّوة هارون بقوله تعالى: مَعَهُّ، وتقريب الإستدلال أنّ المعيّة تستدعي النُّبوة إذ لو لم يكن كذلك كان حقّ العبارة أن يقال و جعلنا هارون وزيراً بدون كلمة، معه، فالمعيّة تقتضي الإشتراك في جميع الشَّئون و لأجل هذا يقال أنَّ، هارون، بدل من موسى في الآية أو عطف بيان له و قيل أنَّ معه، مفعول ثانِ، لجعلنا وكيف كان لا شكَّ في أنَّ هارون كان من بزء ١٩ كالأنبياء و عليه إجماع الأمّة.

فَقُلْنَا آذْهَبَا إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذينَ كَذَّبُوا بِالْياتِنا فَدَمَّرْناهُمْ تَدْميرًا

أى أمرنا موسى و هارُون بأن يذهبا إلى القوم الَّذين كفروا بأيات اللَّه يعني فرعون و قومه و أخبر في الآية أنّهم لم يقبلوا منهما و أنكروا نبُّوتهما فأهلكهم الله بذنوبهم تدميراً أي نوعاً من الإهلاك فأنّ التّدمير الإهلاك بأمر عجيب و مثله التَّنكيل و قد مرَّ كيفيّة هلاكه.

<u>ښ</u>

قد مرَّ الكلام في قصّة نوح فيما مضى في سورة الأعراف و يونس، و لا سيّما في سورة هود فأنّا قد فصَّلنا الكلام فيها و بيَّنا كيفيّة العذاب و أنّه تعالىٰ أغرقهم بالطُّوفان و سيأتي الكلام فيها فيما يأتي من الأيات أيضاً و المراد بالرُّسل قيل هو نوح و الأنبياء قبله و قيل هو و الملائكة و قيل هو و من بعده من الرُّسل لأنّ الأنبياء يصدّق بعضهم بعضاً في توحيد الله و خلع الأنداد فمن كذَّب بواحد منهم فقد كذَّب بهم جميعهم، وقيل تكذيبهم بنوح تكذيبهم لسائر الرُّسل و قوله: وَ جَعَلْناهُمْ، أي علامة ليعتبر النّاس بهم بعدهم و قوله: وَ أَعْتَدْنا من للظّالِمينَ عَذَابًا أَليمًا، أي في الأخرة مضافاً إلى ما نزل بهم في الدّنيا من العذاب و قوله: أَليمًا أي موجعاً، و فيه إشارة إلى شدّة العذاب ثمّ أشار الله تعالى العذاب و مود فقال:

# وَ عَادًا وَ ثَمُودَا وَ أَصْحَابَ ٱلرَّسِّ وَ قُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثَهِرًا

أمّا قصّة عاد و ثمود فقد مرّ الكلام فيهما في سورة الأعراف و أمّا أصحاب الرَّس فقد إختلفوا فيهم فقال إبن عبّاس هم قوم ثمود و يبّعده عطفه على ثمود في الآية فأنّ العطف يقتضي التّغاير، وقال قتادة هم أهل قرية من اليمامة يقال لها الرّس و الفلج قيل إنّهم قتلوا نبيّهم فهلكوا و هم بقية ثمود و قوم صالح.

و قال كعب و مقاتل و السّدي بئرٌ بأنطاكية الشّام قتل فيها صاحب ياسين و هو حبيب النّجار، و قيل قتلوا نبيّهم و رسوه في بئرٍ أي دفنوه فيه.

و قال وهب و الكلبي أصحاب الرَّس و أصحاب الأيكة قومان أرسل إليهما شعيب أرسل إلى أصحاب الرَّس و كانوا قوماً من عبدة الأصنام و أصحاب أبار و مواشٍ فدعاهم إلى الإسلام فتمادوا في طغيانهم و في إيذاءه فبينما هم حول الرَّس و هي البئر غير المطوية و عن أبي عبيدة إنهارت بهم فخسف بهم و

ا الفرقان في تفسير القرآن ﴿ مُحْمُ ﴾ ا

بدارهم، و قيل هم أصحاب النبي حنظلة بن صفوان ثمّ أنّهم قتلوا حنظلة فأهلكوا و قيل هم أصحاب الأخدود و الرّس هو الأخدود و غير ذلك من الأقوال التي لا مستند لها، و الحقّ في ذلك.

ما رواه المجلسى الله في البحار بأسناده عن الهروى عن الرَّضا النَّا ﴿ عِن أَبِائِهِ عِن الحسين بن علَّى النَّا ﴿ قَالَ: أَتِي علَّى بِن أَبِي طالب قبل مقتله بثلاثة أيّام رجلٌ من أشراف بنى تميم يقال له عَمر و فقال يا أميرالمؤمنين أخبرني عن أصحاب الرَّس في أيّ عصر كانوا و أين كانت منازلهم و من كان ملكهم و هل بعث الله إليهم رسولاً أم لا و بماذا ألكوا فأنّي أجد في كتاب الله عزّ وجّل ذكرهم و لا أجد خبرهم فقال له علَّى المنا لله علَّى المنافي لقد سألت عن حديث ما سألنى عنه أحد قبلك و لا يحَّدثك به أحدُ بعدى إلاّ عنّى و ما في كتاب اللّه آية إلاّ وأنا أعرف تفسيرها و في أيّ مكانِ نزلت من سهلِ أو جبلِ و في أيّ وقتٍ من ليلِ أو نهارِ و أنّ هاهنا لعلّماً جمّاً و أشار الى صدره و لكن طلاّبه يسير و عن قليل يندمون لو فقدوني، كان من قصصهم يا أخا تميم أنهم كانوا قوماً يعبدون شجرة صنوبر يقال لها شاه درخت و كان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها روشناب كانت أنبتت لنوح بعد الطّوفان و إنّما سمّوا أصحاب الرَّس لأنّهم رسُّوا بينهم في الأرض و ذلك بعد سليمان بن داوود و كانت لهم إثنتي عشرة قرية على شاطئ نهرِ يقال له الرَّس من بلاد المشرق و بهم سمّي ذلك النَّهر و لم يكن يومئذٍ في الأرض نهرٌ أغرر منه و لا أعذب منه و لا قرى أكثر و لا عمر منها تسمى إحدّاهن أبان و الثّانية خُرداد و الثّالثة دي و الرّابعة بهمن و الخامسة إسفند و السّادسة فروردين و السّابعة أرديبهشت و الثّامنة آذر والتّاسعة مرداد و

ا الفرقان في تفسير القرآن ﴿ هُمُ } المجلد الثاني ع

العاشرة تير و الحادي عشر مهر و الثّاني عشر شهريور و كانت أعظم مدائنهم إسفند و هي الّتي ينزلها ملكهم و كان يسمى تركوذبن غابور بن يارش بن ساذن بن نمرود بن كنعان فرعون إبراهيم و بها العين و الصنوبرة و قد غرسوا في كلّ قريةٍ منها حبّة من طلع تلك الصَّنوبرة و أجروا عليها نهراً من العين الّتي عند الصَّنوبرة فنبتت الحبّة و صارت شجرةً عظيمة.

أقول الحديث طويل الى أن قال الله الله تعالى اليهم بالله عز وجّل و عبادتهم لتلك الشَّجرة فبعث الله تعالى إليهم نبياً من بين إسرائيل من ولد يهودا إبن يعقوب فلبث فيهم زماناً طويلاً يدعوهم الى عبادة الله و معرفة ربوبَّيته فلا يتَّبعونه فلما رآى شدّة تماديهم في الغَّي والضَّلال و تركهم قبول ما دعاهم إليه من الوشاة و حضر عيد قريتهم العظمى.

قال: يا ربّ أنّ عبادك أبوا إلاّ تكذيبي والكفر بك يعبدون شجرة لا تنفع و لا تضُّر فأيبس شجرهم أجمع وأرهم قدرتك و سلطانك فأصبح القوم و قد يبس شجرهم كلّها فهالهم ذلك و قطع بهم و صاروا فرقتين فرقة قالت سحر آلهتكم هذا الرَّجل الّذي زعم أنّه رسول ربّ السّماء و الأرض إليكم ليصرف وجوهكم عن آلهتكم الى الله و فرقة قالت لا بل غضبت آلهتكم حين رأت هذا الرَّجل يعيبها و يقع فيها و يدعوكم الى عبادة غيرها فحجبت حسنها و بهاءها لكي تغيضوا لها فتنتصروا منه فأجمع رأيهم على قتله فأتّخذوا أنابيب طوالاً من رصاص واسعة الأفواه ثمّ أرسلوها في قرار العين الى أعلى الماء واحدة فوق الأخرى مثل البرانج و زحوا ما فيها من الماء ثمّ حضروا في قرارها بئراً ضيّقة المدخل عميقة و

ياء الفرقان في نفسير الفرآن كم العجلة الثاني عشر

ياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 🚓 📏

أرسلوا فيها نبيهم و ألقموا فاها صخرة عظيمة ثم أخرجوا الأنابيب من الماء و قالوا نرجوا الآن أن ترضى عنّا آلهتنا إذا رأت ما قد قتلنا من كان يقع فيها و يصَّد عن عبادتها و دفَّناه تحت كبيرها يتَّشفي منه فيعود لنا نورها و نضرتها كما كان فبقوا عامة يومهم يسمعون أنين نبَّيهم و هو يقول سيّدي قد ترى ضيق مكاني و شدّة كربي فأرحم ضعف ركني و قلّة حيلتي و عجَّل بقبض روحي و لا تؤخّر إجابة دعوتى حتّى مات فقال الله تعالى: (لجبرئيل يا جبرئيل أيّظن عبادي هؤلاء الّذين غرَّهم حلمي و آمنوا مكري و عبدوا غيرى و قتلوا رسولى أن يقوموا لغضبى أو يخرجوا من سلطانى كيف و أنا المنتقم ممّن عصانى ولم يخش عقابى و إنّى حلفت بعزّتي و جلالي لأجعلّنهم عبرةً و نكالاً للعالمين فلم يرعهم و هم في عيدهم ذلك إلاّ بريح عاصفً شديد الحمرة فيتَّحيروا فيها و زعرواً منها و تضّام بعضهم الى بعضً ثمّ صارت الأرض من تحتهم حجر كبريت يتَّوقد و أظَّلتهم سحابة سوداء فألقت عليهم كالقَّبة جمراً يلتهب فذابت أبدانهم كما يذوب الرّصاص في النّار فنعوذ بالله من غضبه و نزول نقمته و لا حول و لا قوّة إلا بالله العلّى العظيم

و قد ذكر المجلسي تَنْتُلُ هناك كثيراً من الأقوال التّي ذكروها في المقام و قوله تعالى: وَ قُرُونًا بَيْنَ ذُلِكَ كَثيرًا أي أهلكنا قروناً بين هؤلاء الذّين ذكرناهم كثيراً و القرن سبعون سنة و قيل أربعون و قيل مائة سنة و المقصود أنّ ممن أهلكناهم بذنوبهم غير منحصرِ بأصحاب الرّس فأنّ حكم الأمثال واحد.

# وَ كُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتُبيرًا

ياء الفرقان في تفسير القرآن  $\left\{egin{array}{c} \mathbf{a}_{n}^{T} \\ \mathbf{a}_{n}^{T} \end{array}\right\}$  المجلد الثائر

قيل تقدير الكلام دلَّلنا كلاً ضربنا له الأمثال فلمّا كفروا بها دمَّرناهم تدميراً و كلاً تبَّرنا تتبيراً أي أهلكنا كلاً منهم إهلاكاً و التَّتبير الإهلاك و التَّبر مكسر الزّجاج و مكسّر الذّهب و قيل تقدير الكلام و أنذرنا كلاً أو حذَّرنا كلاً و معنى ضرب الأمثال قيل بيَّن لهم القصص العجيبة من قصص الأوّلين و وصفنا لهم ما أدّى اليهم تكذيبهم بأنبيائهم من عذاب الله و تدميره إيّاهم ليهتدوا بضرب الأمثال فلم يهتدوا.

و قال بعضهم المعنى كلّ الأمثال ضربنا للرّسول و هذا القول ضعيفٌ وكيف كان فحاصل المعنى إنّا لم نهلكهم قبل إتمام الحجّة عليهم بضرب الأمثال و ذكر القصص و هذا واضح.

## وَ لَقَدْ أَتَوْا عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِيَ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ أَفَـلَمْ يَكُـونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا

حكى الله تعالى في هذه الآية أنهم أتوا إلى القرية التي كانت ظالمة أهلها فأمطرت بمطر السُّوء و رأوا ما فيها ممّا وقع عليها من العذاب فلم يعتبروا بها، أفلم يكونوا يرونها، الهمزة للإنكار أي بلى أنهم رأوها بل كانوا لا يرجون نشوراً أي كانوا لا ينخافون البعث و قيل أنهم ركبوا المعاصي لأنهم لا يرجون ثواب من عمل خيراً بعد البعث و الضّمير في قوله: أتوا، قيل عائد على قريش فأنهم كانوا يمرون على القرية المذكورة وهي سدوم من قرى قوم لوط في متاجرهم إلى الشّام و كانت قرى خمسة أهلك الله منها أربعاً و بقيت واحدة و هي رزغر لم يكن أهلها يعملون ذلك العمل قاله إبن عبّاس و أمّا مطر السُّوء فهو الحجارة التي أمطرت عليهم من السّماء فهلكوا و أفرد لفظ القرية و أن كانت قرى لأن سدوم هي أمّ تلك القرى و أعظمها و قال بعضهم الضّمير في، أتوا، عائد على الّذين هي أمّ تلك القرى و أعظمها و قال بعضهم الضّمير في، أتوا، عائد على الّذين هي أمّ تلك القرى و أعظمها و قال بعضهم الضّمير في، أتوا، عائد على الّذين

وَ إِذاْ رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهٰذَا ٱلَّذَى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا (٤١) إنْ كُـادَ لِـيُضِلَّنَا عَــنْ الهَتنا لَوْلاً أَنْ صَبَرْنا عَلَيْها وَ سَوْفَ يَعْلَمُونَ حينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَـنْ أَضَـلُّ سَـبيلًا (٤٢) أَرَأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَـويْهُ أَفَأَنْتَ تَكُـونُ عَلَيْهِ وَكُيلًا (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَام بَــلْ هُمْ أَضَلُّ سَبيلًا (٢٠) أَلَمْ تَرَ إلى رَبِّكَ كَينفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَ لَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَليلًا (٤٥) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَّيْنَا قَبْضًا يَسيرًا (۴۶) وَ هُو ٱلَّذي جَعَلَ لَكُمُ ٱللَّيْلَ لِبْاسًا وَ ٱلنَّوْمَ سُبْاتًا وَ جَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُــورًا (٤٧) وَ هُوَ ٱلَّذِيَ أَرْسَلَ ٱلرّيْـاحَ بُشْـرًا بَـيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ وَ أَنْزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا (٤٨) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَ نُسْقِيَهُ مِمًّا خَلَقْنَآ أَنْعَامًا وَ أَنَاسِيَّ كَـشيرًا (٤٩) وَ لَـقَدْ صَـرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبِيٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إلَّا كُـفُورًا (٥٠) وَ لَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فَي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذيرًا (٥١) فَلا تُطِع ٱلْكَافِرِينَ وَ جَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبيرًا (۵۲) وَ هُوَ ٱلَّذِي مَِرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هٰـذَا عَـذْبُ فُراٰتٌ وَ هٰذاْ مِلْحٌ أَجاجٌ وَ جَعَلَ بَيْنَهُمٰا بَرْزَخًا وَ حِجْرًا مَحْجُورًا (٥٣) وَ هُوَ ٱلَّذَى خَلَقَ مِنَ

ئان في تفسير القرآن عميم المجلد الثاني

ٱلْماآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ سُباتًانسَبًا وَ صِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَديرًا (٥٤) وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ مَا لا يَنْفَعُهُمْ وَ لا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا (٥٥) وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُسَبَشِّرًا وَ نَذيرًا (٥٥) قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرِ إِلَّا مَنْ شٰآءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهٖ سَبيلًا (٥٧) وَ تَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَ كَفْي بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبيرًا (۵۸) ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمُواٰتِ وَ ٱلْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا فَى سِـتَّةِ أيَّام ثُمَّ ٱسْتَوٰى عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمٰنُ فَسْئَلْ بهِ خُبيرًا (٥٩) وَ إِذا قيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا لِلرَّحْمٰن قَالُوا وَ مَا ٱلرَّحِمٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُهُ نَا وَ زاْدَهُمْ نُفُورًا (٤٠)

#### ◄ اللّغة

هُزُوًا: بضّم الهاء و الزّاء، الهزو إظهار خلاف الإبطان لإس و جه اللّهو.

الظِّلُّ: بكسر الظَّاء قيل حدَّه من طلوع الفجر إلىٰ طلوع الشَّـمس و قـال أبـو عبيدة الظِّل بالغداة و الفئ بالعشي لأنَّه يرجع بعد زوال الشَّمس.

مَنضناه القبض في الأصل الأخذ و المرادبه في المقام جمع الأجزاء

سُبَاتًا: السُّبات بضّم السّين قطع العمل.

نُشُورًا: النّشور الإنبساط في تصّرف الحيّ.

أَنْاسِيَّ: جمع إنسان.

مرَجَ: أهل المرج الخلط.

عَذْبٌ فُراٰتٌ: أي شديد العذوبة و الملح الأجاج المرّ.

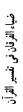
بَرْزَخًا: البرزخ الحاجز.

### ◄ الاعراب

هُزُوا أي مهزؤاً به و في الكلام حذف تقديره يقولون، أهذا، و المحذوف حال و العائد إلى، الّذي، محذوف أي بعثه إنْ كَادَ قيل هي مخفّفة من الثّقيلة مَنْ أَضَلُّ هو إستفهام مِمَّا خَلَقْنَا في موضع نصب على الحال من أنعاماً و أناسّي، والتّقدير أنعاماً ممًا خَلقنا و قيل يتعلّق بنسقيه و أناسّى أصله أناسين فأبدلت النّون فيها يـاء و أدغمت و قيل هو جمع إنسّي على القياس يَتْهُمٰا ظرف، لجعل، أو حال من برزخ، عَلَى رَبِّه خبر كان ظَهِيرًا حال أو حبر ثان إلَّا مَنْ شَآءَ هو إستثناء من غير الجنس ٱلَّذي خَلَقَ مبتدأ و آلرَّحْمٰنُ الخبر والباقى واضح.

### ▶ التّفسير

اللهُ رَسُولًا وَ إِذَا رَأُونُكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهْذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا إِذَا رَأُونُكَ إِنَّا هُرُواً أَهْذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا كلمة إن بكسر الألف نافية أي لا يتَّخذونك و الهَمزة في قوله: أَهٰذَا ٱلَّذي، للإنكار و المعنى إذا رأوك يا محمّد لا يتَّخذونك إلاّ هزواً أي سخريّاًفأنّ الهزو إظهار خلاف الإبطان أي يقولون هؤلاء الكفّار مستّهزئين بك أهذا الّذي بعث الله رسولًا، أي ليس هذا مبعوثاً من الله كأنّهم تعجّبوا من ذلك و منكرين له و ذلك لأنَّهم يعتقدون في الباطن أنَّه ما بعثه اللَّه.





إِنْ كَادَ لِيُضِلُّنَا عَنْ اللِهَتِنَا لَوْلاَ أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَ سَوْفَ يَــعْلَمُونَ حينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبيلًا

أن، مخفّفة من الثقيلة و الجملة من تتُّمة مقولهم و إسمها محذوف أي أنّه كاد ليضلنا و جملة، كاد، خبرها و المعنى إنّه أي إنّ الّذي يدّعي الرّسالة كاد ليضلنا و يغوينا عن ألهتنا، من الأصنام و الأوثان، لَو لا أَنْ صَبَرْنا عَلَيْها، أي على عبادة الأصنام لصرفنا عنها و تركناها فالجواب محذوف فقال الله تعالى في جوابهم: و سَوْفَ يَعْلَمُونَ حَبِنَ يَرَوْنَ ٱلْعَذاب مَنْ أَضَلُّ سَبيلًا أي سوف يعلمون بعد نزول العذاب عليهم في الدّنيا و الأخرة من أضل سبيلاً عن طريق الحق هم أم غيرهم ثمّ أخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفّار بأنّهم لا يعبدون في الحقيقة شيئاً غير الهوى و النّفس الأمّارة بالسُّوء و من كان كذلك فحاله معلوم.

# أَرَأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَويٰهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكيلًا

الهَمَزة للإستفهام والخطاب للرّسول و المعنى أرأيت يامحمّد من إتَّخذ إلهه و معبوده هواه أي يعبد ما يشاء من غير تعقل و تدَّبر، أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيلًا، و هذه الهَمَزة للإستفهام الإنكاري أي لست عليه وكيلاً، فلا تقدر على إرشاده و هدايته إلى الحقّ لعدم قابليّته كما قال تعالى:

إِنَّكَ لا تَهْدي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدي مَنْ يَشْاءُ (١).

و ذلك لأنّ القلوب بيد الله يقلّبها كيف يشاء و ليس على الرّسول إلاّ البلاغ و إنّما قال تعالى لنّبيه لأنّه كان حريصاً على إيمانهم كما هو شأن النّبي و لا سيّما الإسلام الّذي كان رحمةً لللعالمين.

إن قلت كيف يعقل أن يتَّخذ الإنسان إلهه هواه، قلت إذا عبد الإنسان ما شاء و أراد من غير تعَقل و تدَّبر فهو لا محالة عبد هواه إذ عبد معبوداً لا يضُّر ولا ينفع و العقل لا يحكم بذلك قطعاً و هو واضح.

، الفرقان في تفسير القرآن 🔷 🔫 📏

قيل في الآية تقديم و تأخير و الأصل إتَّخذ الهوى إلها، قدَّم المفعول الثّاني و هو الأله على الأوّل و هو، هواه، للعناية به مضافاً الى أنّه يفيد الحصر و ذلك لأنّ المبتدأ في الأصل، هواه، و الخبر، إلهه، و تقديم الخبر على المبتدأ في اللّفظ يفيد الحصر كما أنّ قول القائل زيد قائم لا حصر فيه بخلاف القائم زيدٌ فأنّه يفيد الحصر، فكأنّه.

قال تعالىٰ: (أَرأيتَ مَن لَم يَتَّخذ مَعبُوده إلا هَواه) فهو أبلَغ في ذَمَّه وتَوبيخه كما قال تعالىٰ:

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبيلًا

كلمة أم، منقطعة تتقدر، ببل، و الهمزة على المذاهب الصّحيح كأنّه قال، بل أتحسب كان هذه المذّمة أشّد من الّتي تقدمت و لذلك حفّت بالإضراب عنها إليها و هو كونهم مسلوبي الأسماع و العقول لأنّهم لا يلقون الى إستماع الحّق أذنا و لا إلى تدّبره عقلاً و مشّبهين بالأنعام الّتي هي مثل في الغفلة و الضّلالة و نفي ذلك عن أكثرهم لأنّ فيهم من سبقت له السّعادة و قد قال اللّه تعالىٰ: و قَليلٌ مِنْ عِبادِى الشّعكورُ (١) قالوا في وجه كونهم أضلٌ من الأنعام، لأنّها تنقاد لأربابها و تعرف من يحسن إليها ممّن يسئ إليها و تطلب منفعتها و تجتنب مضّرتها و تهتدي الى مراعيها و مشاربها و أمّا هؤلاء الكفّار فلا ينقادون لربّهم و لا يعرفون تهتدي الى مراعيها و مشاربها و أمّا هؤلاء الكفّار فلا ينقادون لربّهم و لا يعرفون العقاب الذي هو أعظم المنافع و لا يتّقون العقاب الذي هو أشد المضّار و لا يهتدون للحّق، هذا ما ذكروه في تفسير الآية في وجه كونهم أضّل من الأنعام و لا بأس به و أنا أقول في الآية نقاط و لطائف أخرى لا بأس بالإشارة إليها على سبيل الإجمال:

ساءالفرقان في تفسير القرآن 🔷 🏲

الأولى: أنّه تعالى قسّم النّاس الى قسمين، الأقّل و الأكثر، ثمّ حكم بما حكم على الأكثر و سكت عن الأقّل لأنّهم على ضّد الأكثر في الحكم فقال: أمَّ تُحْسَبُ أَنَّ ٱكْثَرَهُم الىٰ آخر ما قال.

الثَّانية: أنَّه تعالى حكم على الأكثر بأنَّهم لا يسمعون و لا يعقلون مع أنَّهم يسمعون ظاهراً لوجود السَّمع فيهم و يعقلون لوجود العقل فيهم فأنَّ الذَّم يتعَّلق بالعقلاء والسّامعين لا بالمجانين و الّذين لا يسمعون، لنقطة خفيف على أكثر النَّاس و هي أنَّ السَّمع و البصر و الذُّوق و الشَّم و اللَّمس كُلها آلات و أسباب للتَّعقل و الإدراك القلبي فإذا لم يكن للمدركات بالحَّواس الظَّاهرة تعقُّلُ و تدُّبرٌ لا نفع فيها و الدَّليل على ذلك هو أنَّ هذه القوى موجودة في الحيوان أيضاً فأنَّه يدرك بها ما ندركه من غير تفاوت بين الأدركين في الظَّاهر الأقوى أنَّ الحيوان يسمع بالأذن و يبصر بالعين و يذوق باللّسان و يشُّم بالأنف و هكذا فوجود هذه القوى في الإنسان لا يدلُّ على أنَّه أفضل من الحيوان بل القوى الخمسة المذكورة في أكثر الحيوانات لولم تكن في جميعها أكمل و أقوى منها في الإنسان و الّذي يمَّيز الإنسان عن الحيوان و يفضُّله عليه هو العقل لا غيره و شأن العقل في البدن الحكم بالمدركات بعد التُّدبر فيها فالمسموع و المبصر و الملموس و غيرها من الإدراكات بالحوّاس الخمسة الظّاهرة إذا لم تتّرتب عليها أثارها التّي يحكم العقل بها لا نفع فيها بل هي في حكم العدم فأنّ كلّ موجودٍ يعرف بأثارها و إن شئت قلت:

قيمة الموجود بأثاره المترتبة على وجوده و إلا فالوجود بما هُو هُو في جميع الموجودات على حدِّ سواء و لا فضيلة للموجود على موجودٍ أخر بوجُوده و من المعلوم أنّ ترَّتب الأثار ببركة العقل السّليم الخالي عن شوائب الأوهام فمن سمع و لم يعقل فيه مكأنّه لم يسمع و هكذا في غيره من المدركات بالحوّاس إذا عرفت هذا فقد علمت أنّ نفي السّمع و العقل عن الكافر ليس على

سبيل الحقيقة بل هو على سبيل المجاز و الدّليل على ذلك أنّه يقدر على التَّعقل في المسموع إذ لو لم يقدر لا يتّوجه إليه الخطاب و لا يتعلّق به التّكليف.

الثَّالثة: شبَّههم اللَّه تعالى بالأنعام لا بغيرها من الموجودات من الجماد و النَّبات مثلاً لوجهين:

أحدهما: عدم وجود السّمع و البصر و غيرهما من القوى في الجماد و النّبات فتشبيه الإنسان بهما لا معنى له لعدم وجود وجه التَّشبه في الجماد و النَّبات و هو

ثانيهما: أنّ الحيوان و الإنسان من جنسِ واحد و هـو الحيّوانية و إمتياز أحدهما عن الأخر بالفصل و لذلك يقال في تعريف الإنسان حيوانٌ ناطق، فالحيوانيّة مشتركة بينهما و الفصل و هو النّاطق يميّز الإنسان عن الحيوان إذا عرفت هذا فقد علمت أنّ اللّه تعالى شبّه الإنسان بما هو شريك له في الحيوانيّة لوجود السَّمع و غيرها من القوى الحيّوانية فيهما و حيث أنّهم إعتبروا في التّشبيه كون وجه الشّبه في المشّبه به أقوى منه في المشبّه علمنا أنّ القوّة السّامعة في الحيوان أقوى منها في الإنسان هذا إذا قلنا أنّ وجه الشُّبه هو السَّمع و أن قلنا أنَّ وجه الشَّبه هو البلادة و عدم التَّعقل فالأمر أوضح لأنَّ الحيوان لا عقل له أصلاً بخلاف الإنسان الكافر فأنّ له عقل إلاّ أنّه يعقل أي لا يتّعقل و إلى هذه الدّقيقة أشار اللّه تعالى بقوله: يَسْمَعُونَ أو يعقلون و لم يقل لا سمع لهم و لا عقل و يزء ٩ الحاصل أنَّ المنَّفي في الآية هو عدم التَّعقل و هو في الحيوان أقوى بل التَّعقل فيه منتف رأساً.

الزابعة: قوله: بَلْ هُمْ أُضَلُّ سَسبيلًا، و الوجه فيه مضافاً إلى ما ذكره المفسّرون في تفاسيرهم و أشرنا إليه في صدر البحث هو أنّ الموجود العاقل إذا لم يعمل بوظيفته المقَّررة له من طريق العقل و الشَّرع فهو أضَّل من الموجود الّذي لا عقل له أصلاً ألا ترى أنّ العالم العاصي أضّل من الجاهل العاصي، و

القادر الّذي يقدر على مقدوره أضَّل و أخبث ممّن لا يقدر و هكذا ففي المقام الحيوان لا يقدر على التَّعقل و الإنسان يقدر فهو أضَّل من الحيوان و هو ظاهر.

أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَ لَوْ شٰآءَ لَجَعَلَهُ سٰاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَليلًا، ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسيِرًا

الظُّل ضدّ الضح و هو أعمّ من الفئ فأنّه يقال ظُّل اللّيل و ظُّل الجنّة و يقال لكلّ موضع لم تصل إليه الشّمس ظُّل و لا يقال الفئ إلاّ لما زال عنه الشّمس و قد يعبّر بالظُّل عن العزّة و المنعة عن الرّفاهة قال تعالىٰ: إِنَّ ٱلْمُتَّقبِنَ في ظِلالٍ<sup>(١)</sup> أي في عزّة و مناع قاله الرّاغب في المفردات.

إذا عرفت هذا فمعنى الأية، ألم تر الهَمزة للإنكار و الرُّؤية قيل هي الرَّؤية القلبيّة و معناها العلم أي ألم تعلم، ربّك كيف مدَّ الظُّل و المدّ البسط قال إبـن عبّاس و إبن جبير الظُّل مدّه من طلوع الفجر إلى طلوع الشّمس.

و قال أبو عبيدة الظُّل بالغداة و الفيُ بالعشّي لأنّه يرجع بعد زوال الشّمس و على هذا فالمعنى ألم تعلم ربّك كيف بسط الظُّل، وَ لَوْ شَلَّة لَجَعَلَهُ سَاكِنًا، أي دائماً لا يَزُول ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلَيلًا، قيل لأنّ الظُّل يتبع الشّمس في طوله فإذا إرتفعت في أعلى إرتفاعها قصر و أن إنحطَّت طال بحسب ذلك الإنحطاط ولو شاء الله لجعله ساكناً بوقوف الشّمس و الظُّل يتبع الدّليل الّذي هو الشّمس كما يتبع السّائر في المفازة الدّليل، ثمّ قبضناه، يعني الظُّل يقبضه الله من طلوع الشّمس و قيل بغروبها فالقبض جمع الأجزاء المنبسطة.

و قال صاحب الكشّاف في معنى ألم تر إلى ربّك، ألم تنظر إلى صنع ربّك و قدرته و معنى مدّ الظّل أن جعله يمّتد و ينبسط فينتفع به النّاس.

وَ لَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُ سُاكِنًا أي لاحقاً بأصل كلِّ مظّلٍ من جبلٍ و بناءٍ و شجرة

غير منبسط فلم ينتفع به أحد حتّى إنبساط الظّل و إنتداده، و معنى كون الشّمس دليلاً أنَّ النَّاس يستَّدلون بالشَّمس و بأحوالها في مسيرها على أحوال الظُّل من كونه ثابتاً في مكان زائلاً و متسعاً و متّقلصاً فيبنون حاجتهم إلى الظِّل، و قبضه إليه أنّه تعالى ينسخه بضح الشّمس يسيراً أي على مهل وَنيٰ هذا القبض اليسير شيئاً بعد شئ من المنافع ما لا يعدُ و لا يحصر ولو قبض دفعةً واحدة لتَّعطلت أكثر مرافق النّاس بالظّل و الشّمس جميعاً إنتهي موضع الحاجة من كلامه وبه قال الرّازي في تفسيره لهذه الآية إلاّ أنّه غيّر الألفاظ كما هو ظاهر على من تأمّل في كلامه.

و قال بعض الفلاسفة الظِّل هو الوجود الإضافي الظَّاهر بتعيّنات الأعيان الممكنة و أحكامها التّي هي معدومات ظهرت بإسمه النُّور الَّـذي هـو الوجـود الخارجي المنسوب إليها فيستر ظلمة عدميّتها النُّور الظّاهر بصورها صــار ظِّـلاً لظهور الظِّل بالنُّور و عدّميته في نفسه فالظِّلمة بأزاء هذا النُّور هي العدم و كـلّ ظلمته فهي عبارة عن عدم النُّور عمّا من شأنه أن يتَّنور به إلى أخر ما قال و أنت ترى أنّ هذه الملّفقات أجنبيّة عن كلام اللّه و لا يمكن تأويل الآية عليها و رفع اليد عن ظاهرها فأنَّ اللَّه تعالى بصدد بيان النِّعم التِّي أنعمها على عباده و لا شكَّ أنَّ الظِّل منها كما أنَّ الضُّوء منها فقوله ثمَّ جعلنا الشَّمس عليه دليلاً، معناه لو لم تكن الشّمس لم يوجد في العالم ظُل أصلاً بل كان الحاكم على الموجودات يز، ٩ إلى الظّلمة المحضة و هو كما ترى من أعظم المصائب فهو تعالى مقدرته الكاملة و عناياته الشَّاملة جعل النُّور و الظُّلمة و الظِّل و المظِّل و الحركة و السَّكون و غيرها ممّا يحتاج إليه الموجود في بقاءه و تعّيشه.

و قوله: وَ لَوْ شٰآءَ لَجَعَلَهُ سٰاكِنَّا، معناه أنَّ من مدَّ الظِّل قادرٌ على سكونه أيضاً فأنّ القادر على إيجاد الشّئ قادرٌ على إعدامه أيضاً إذ لو لم يقدر على الإعدام لم يقدر على الوضع و قد ثبت أنّه على كلّ شيّ قدير.

# وَ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱللَّيْلَ لِبَاسًا وَ ٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَ جَعَلَ ٱلنَّـهَارَ نُشُورًا

و من النّعم التّي أنعم اللّه بها على عباده هو أنّه جعل اللّيل لباساً قيل معناه أنّ ظلمة اللّيل تلبس كلّ شخصٍ و تغشيه حتّى تمنع من إدراكه و أنّما جعله كذلك ليهتدوا فيه و الرّاحة من كدّ الأعمال مع النّوم الّذي فيه صلاح البدن.

أقول قوله: جَعَلَ لَكُمُ ٱللَّيْلَ لِبَاسًا، شبَّه اللّيل باللّباس الّذي يغطّي البدن و يستره فكما أنّ اللّباس يستر البدن فاللّيل أيضاً يستر الأشياء و هذا أعني السَّتر هو وجه الشَّبه.

و أمّا قوله: وَ ٱلنَّوْمَ سُبِاتًا، فالسُّبات ضربٌ من الإغماء يعتري اليقظان مرضاً فشَّبه النّوم به و قيل معناه جعل نومكم ممتّداً طويلاً به راحتكم و هدؤكم و قيل أنّه أراد جعله قاطعاً للأعمال التّي يتّصرف فيها و السُّبات قطع العمل و منه يوم السَّبت و هو يوم ينقطع فيه العمل.

و قال المبّرد سباتاً يعني سكوتاً يقال أسبت الرّجل إذا أخذته سكتةً.

و قوله: وَ جَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا، أي للإبساط و التصرف في الحوائج و النشور الإنبساط في تصرف الحيّ يقال نشر الميت إذا حيّ و أنشره الله فنشر و منه يوم النّشور شبّه اليقظة بالنّشور ليتطابق الإعياء مع الإماتة للّذين يتّضمنهما النّوم و السّبات.

و قال الزّمخشري السَّبات الموت و هو كقوله: وَ هُو اَلَّذَى يَتَوَفِيكُمْ بِاللَّيْلِ (1). و قال أبو مسلم النّشور بمعنى الإنتشار و الحركة وكيف كان فهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها إظهارٌ لنعمته على خلقه لأنّ الإحتجاب بستر اللّيل فيه فوائد كثيرةٌ دينيّة و دنيّوية و النّوم واليقظة و شبّههما بالموت و الحياة فيه عبرة لمن إعتبر ولذلك قال لقمان لإبنه يابني كما تنام فتوقظ فكذلك تموت فتنشر وإلى هذا المعنى أشار الشّاعر بقوله:

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

نفسير القرآن ﴿ مَا \* بَمُ

النَّشور ثُمَّ أخبر اللَّه تعالى عن نعمةٍ أخرى و هي إرسال الرّياح. فقال:

وَ هُوَ ٱلَّذَيِّ أَرْسَلَ ٱلرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَى ْ رَحْمَتِهِ وَ أَنْـزَلْنَا مِـنَ ٱلسَّمٰآءِ مُآءً طَهُورًا

ذكر الله تعالى في هذه الآية نعمتين:

إحدايهما: إرسال الرّياح.

الثّانى: إنزال الماء من السّماء فأشار إلى الأولى بقوله: وَ هُو َ ٱلَّذَيّ أَرْسَلَ الرّياحَ وإلى النّانية بقوله: وَ أَنْزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمْآءِ مُآءً طَهُورًا فالبحث يقع في فصلين:

الفَصل الأوّل: في الرّياح و هي بكسر الرّاء جمع ريح و الرّيح معروف و هي فيما قيل الهواء المُتّحرك و عامّة المواضع التّي ذكر الله تعالى إرسال الرّيح بلفظ الواحد فعبارةٌ عن العذاب و كلّ موضع ذكر فيه بلفظ الجمع فعبارةٌ عن الرّحمة: فَمن الأوّل:

قال الله تعالىٰ: فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فَيَ أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ (١٠). قال الله تعالىٰ: إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فَي يَـوْمِ نَـحْسٍ سُتَمِرٌ (٢).

قَالَ اللّه تَعَالَىٰ: وَ أَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٣). قَالَ اللّه تَعَالَىٰ: وَ فَي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرّبِحَ ٱلْعَقْيِمَ (۴).

قال الله تعالىٰ: بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ربح فيها عَذَابٌ أَلبِمُ (٥) و

الأيات كثيرة.

١- فصّلت = ١٤

٢- القمر = ١٩

۴- الذّاريات = ۴۱

من الثّاني:

قال اللّه تعالىٰ: وَ هُوَ اَلَّذَى يُرْسِلُ اَلرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىٰ رَحْمَتِهِ (¹). قال اللّه تعالىٰ: وَ أَرْسَلْنَا اَلرِّيَاحَ لَواٰقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ اَلسَّمَاءِ مَآءً (¹). قال اللّه تعالىٰ: وَ مِنْ اٰيَاتِهَ أَنْ يُرْسِلَ اَلرَيْاحَ مُبَشِّرِاْتٍ (٣).

قال إبن عطية إنّ عرف الرّيح متى وردت في القرآن مفردة فأنّما هي للعذاب و متّى كانت للمطر و الرّحمة فأنّما هي رياح و إستدّل على ذلك بأنّ ريح المطر تتشعب و تتدأب و تتفرق و تأتى لنية و من ها هنا و ها هنا و شيئاً إثر شيّ، و أمّا ريح العذاب خرجت لا تتّدأب و لا تتّفرق و أنّما تأتي جسداً واحداً ألا ترى أنّها تحطم ما تجدونه و تهدمه، و قال الرّماني جمعت رياح الرّحمة لأنّها ثلاثة لواقح، الجنوب و الصّبا، و الشّمال، و أفردت ريح العذاب لأنّها واحدة لا تلقح وهي الدّبور، قال إبن عطية ما ذكره الرُّماني ليس بشيّ و يردّه قول النّبي تَلَمَّوْتُكُوْتُ إِذَا هبّت الرّبح اللّهم إجعلها رياحاً و لا تجعلها ريحاً إنتهى.

و كيف كان لا شكّ أنّ الرّياح في الآية للرّحمة بدليل قوله: بُشْرًا بَيْنَ يَدَى رَحْمَتِهِ و أنّما جمعت بإعتبار الجنوب و الشّمال و الصّبا، لا بإعتبار موصوفة للرّحمة و الرّيح للعذاب و ذلك لأنّه ممّا لا دليل عليه و مجرّد إستعمال اللّفظ لا يدلّ على ما ذكروه و مع ذلك يبطله إستعمال الرّيح للرّحمة أيضاً.

قال الله تعالىٰ: حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي اَلْقُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِربِحٍ طَيِّبَةٍ (<sup>۵</sup>). قال الله تعالىٰ: وَ لِسُلَيْمَانَ اَلرّبِحَ غُدُوُهَا شَهْرٌ وَ رَواحُهَا شَهْرٌ (<sup>8</sup>).

۲- الحجر = ۲۲

۴- الرّوم = ۴۸

۶- سبأ = ۱۲

٣- الرّوم = ۴۶

و محصّل الكلام هو أنّ الرّيح و الرّياح تحت قدرته تعالى يصرفها كيف يشاء و فوائدها كثيرة لا يمكن إحصاءها.

الفصل الثَّاني: قوله: وَ أَنْزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَآءً طَهُورًا أي طاهراً مُطهّراً مزيلاً للأحداث و النّجاسات مع طهارته في نفسه و الطُّهور، فعول، أمّا للمبالغة كنؤوم و أكول و عليه فهو معدولٌ من طاهر، و أمّا أن يكون إسماً لما يتطهر به كالسحور و الفطور، و أمّا مصدر للتطّهير جاء على غير المصدر حكاه سيبويه و الظَّاهر في قوله: مُآءً طَهُورًا أن يكون للمبالغة في طهارته قيل في وجه المبالغة أنَّ الماء المنزّل من السّماء، و هو المطر لا يشوبه شئ بخلاف ما نبع من الأرض و نحوه فأنّه تشوبه أجزاء أرضيّة من مقرّه أو ممَّره أو ممّا يطرح فيه هكذا قيل و أنت ترى ضعف هذا الوجه لأنَّ هذا الوصف أعنى به الطهوريَّة لا يختصُّ بماء المطر بل الوصف ثابت لجميع المياء و أن شئت قلت الوصف ثابت لجنس الماء سواء أنزل من السَّماء أم نبع من الأرض بل الماء كلّه من السّماء في الأصل و على هذا فقوله: طُّهُورًا وصف لجنس الماء و ذكره في الآية بعد الماء المنزل من السّماء لا يدلُّ على إختصاص الوصف به فالماء كلّه طهور أي طاهرٌ بالذّات و مطهّر للغير و هو من أجلّ النِّعم الّتي أنعَم اللّه بها على عباده كيف لا و حياة كلّ موجود حيٌّ به: قال الله تعالىٰ: وَ جَعَلْنا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَمَىْءٍ حَيِّ (١).

قال الله تعالىٰ: وَ أَنْزُلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِمِنَ ٱلثَّمَراٰتِ رِزْقًا لَكُمُّ<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالىٰ: وَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ (٣).

قال الله تعالى: وَ أَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ ٱلْحَيْوةِ ٱلدُّنْيَا كَمْآءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ ٱلسَّمَآءُ ( أَنُ اللهُ عَلَى اللهُ الله

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷



١- الأنبياء = ٣٠

۲- البقرة = ۲۲ ۴- الكهف = ۴۵

٣- البقرة = ١۶۴

قال اللّه تعالىٰ: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآ فُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتَيِكُمْ بِمَآءٍ مَعِينِ (١).

هذا كلّه مضافاً الى أنّ المحسوسات لا تحتاج الى دليلٍ و أيّ دليلٍ أعظم من الحسّ هذا كلّه بالنّسبة الى أصل وجود الماء من حيث أنّ بقاء الموجود الحيّ به لأجل الشَّرب و أمّا غيره من المنافع المترتبة عليه الّتي منها طهوريّته فلا يمكن لأحدٍ إحصاءها و لأجل ذلك خصّ بالذّكر في الآية الشّريفة ثمّ أشار اللّه تعالى الى بعض فوائد الماء المنزل من السّماء و هو المطر بل أعظم فوائده.

# لِنُحْيِىَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَ نُسْقِيَهُ مِمًّا خَلَقْنَآ أَنْعَامًا وَ أَنَاسِيَّ كَثَيْرًا

اللآم للتعليل أو للغاية أي أنزلنا من السّماء ماءً طهوراً لأجل إحياء الأرض الميتة به فالمراد بالبلدة في الآية أرض البلدة الّتي ماتت بسبب الخدب و قال بعضهم المراد بالميتة و هو الأرض الّتي لا نبات فيه فهو بغيرها، هاء، و إذا كانت حيّة روحانيّة فهي ميتة، و قال بعضهم أراد بالبلدة المكان فلذلك قال ميتاً بالتّذكير فلو كان المراد بها أرض البلد لقال ميتة بدل ميت.

أقول كأنّ هذا القائل لم يعلم أنّ مكان البلدة ليس إلاّ الأرض وكيف كان فالأمر سهل بعد وضوح المعنى و في التّعبير بالحياة في قوله لنحي، إشارة الى أنّ حياة الأرض بالماء فأنّ حياة كلّ شيّ بحسبه ثمّ بعد الحياة بسبب الماء تترّتب عليها آثارها المطلوبة منها فأنّ الأثار مترتبة على الحياة فما لا حياة له لا أثر له فمن الأثار المتّرتبة على حياة الأرض إهتزازها بعد كونها هامدة:

قال الله تعالىٰ: وَ تَرَى ٱلأَرْضَ هَامِدَةً فَاذِآ أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ آهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ (٢).

و منها إخضرارها:

ياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 😽

قال اللّه تعالىٰ: أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللّٰهَ أَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَةً (١).

و منها إخراج النّبات و الثّمرات منها:

قال الله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللهَ أَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَراْتِمُخْتَافًا أَلُوانُهُمْ ٢٠).

و غيرها من الأثار الّتي أشارت بها الآية الشّريفة من سقاية الأنعام و الأناسى كما قال تعالى: وَ نُسْقِيَهُ مِمّا خَلَقْنآ أَنْعامًا وَ أَنَاسِى كَثيرًا قيل معنىٰ نسقيه نجعله سقياً للأنعام الّتي خلقها الله و الأناسيّ و هي جمع إنسان جعلت الياء عوضاً من النّون و قد قالوا في الجمع، أناسين أيضاً، على الأصل نحو بستان و بساتين و يجوز أن يكون جمع أنسي نحو كرسي و كراسي و قد قالوا أناسية كثيرة.

قال بعض المفسّرين قدّم إحياء الأرض و سقى الأنعام على سقى الأناسي في الآية لأنّ حياتهم بحياة أرضهم و حياة أنعامهم فقدّم ما هو السّبب في ذلك و لأنّهم إذا وجدوا ما يسقى أرضهم و مواشيهم وجدوا سقياهم و نكّر الأنعام و الأناسي و وصفا بالكثرة لأنّ كثيراً منهم لا يعبثهم إلاّ ما أنزل اللّه من المطر و كذلك لنحيي به بلدةً ميّتاً يريد به بعض بلاد هؤلاء المتباعدين عن مظّان الماء كذلك لنحيي به بلدةً ميّتاً يريد به بعض الأودية و الأنهار و العيون فهم غنيون بخلاف سكّان المدن فأنّهم قريبون من الأودية و الأنهار و العيون فهم غنيون غالباً عن سقى ماء المطر و خص الأنعام من بين الحيوان الشّارب لأنّ الطيور و الوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشَّرب بخلاف الأنعام فأنّها منيّة الأناسي و منافعهم متّعلقة بها فكأنّ الأنعام عليهم بسقى أنعامهم كالأنعام بسقيهم هكذا قيل و اللّه أعلم بما أراد.

# وَ لَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبِيٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا

الظّاهر أنّ الضّمير في صرَّفناه، عائد على الماء المنزل من السّماء أي جعلنا إنزال الماء تذكرة بأن يصرفه عن بعض المواضع الى بعضٍ و هو في كُل عام بمقدارٍ واحدة قاله الجمهور منهم إبن مسعود و إبن عبّاس و مجاهد و على هذا التّأويل، إلا كفوراً، هو قولهم بالأنواء و الكواكب قاله عكرمة، و قيل، كفوراً، على الإطلاق لما تركوا التّذكير، و قال إبن عبّاس الضّمير عائد على القرآن و إن لم يتّقدم له ذكرٌ لوضوح الأمر و يعضده قوله تعالى: وَ جَاهِدُهُمْ بِهِ لتوافق الضّمائر و على أن يكون للمطر يكون، به، للقرآن، و قال أبو مسلم راجع الى المطر و الرّياح و السّحاب و سائر ما ذكر فيه من الأدلة.

و قال الزّمخشري صرَّفناه هذا القول بين النّاس في القرآن و في سائر الكتب و الصَّحف الّتي أنزلت على الرُّسل و هي ذكر إنشاء السّحاب و إنزال المطر ليتفكّروا و ليعتبروا و يعرفوا حقّ النَّعمة و يشكروا فأبى أكثرهم إلاّ كفران النَّعمة و جحودها و قلَّة الإكتراث بها، و قيل صرَّفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة و الأُوقات المتغايرة على الصّفات المتفاوتة و غير ذلك من الأقوال و الكُّل محتماً.

## وَ لَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فَي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذَبِرًا

قيل في تفسير الكلام لمّا علم اللّه تعالى ما كابده الرّسول من أذى قومه أعلمه أنّه تعالى لو أراد لبعث في كلّ قريةٍ نذيراً فيّخف عنك الأمر و لكّنه أعظم أجرك و أجلك إذ جعل إنذارك عامّاً للنّاس كلّهم و خصّك بذلك ليكترثوا بك لأنّه على كثرة المجاهدة يكون الثّواب و ليجمع لك حسنات من آمن بك إذ أنت مؤسسها و قيل في الكلام تخويفٌ يخوفهم باللّه و يحذَّرهم و المعنى لو شئنا لقسمنا النُّذر بينهم كما قسمنا الأمطار بينهم ففي ذلك أخبار عن قدرته على ذلك لكن دبّرنا على إقتضَّته مصلحتهم و ما هو أعود عليهم في دينهم و دنياهم، و فيه

القرآن

إمتنانٌ على النّبي بإنّا لو شئنا لبعثنا في كلّ قريةٍ نذيراً فيخّف عنك كثير من ثقل ما حملته و لكّنا حمَّلناك ثقل أوزار جميع القرى لتستوجب بصبرك عليه إذا صبرت، عظيم المنزلة و جزيل الكرامة إنتهى.

أقول لا يبعد أن تكون الآية جواباً للكفّار فكأنّهم قالوا لم لم يبعث الله في كلّ قريةٍ رسولاً منذراً فقال تعالى في جوابهم ما قال و يؤيّد هذا الإحتمال أنّ قبائل العرب لتعَّصبها و عنادها كانت لا تجتمع على حكم واحدٍ و حيث كان الرّسول من قريش فغيرها من القبائل خالفوه و هذا بخلاف مًا إذا كان الرّسول من القبيلة و لأجل ذلك شاء كلّ قبيلةٍ أن يكون الرّسول منها و حيث لم يكن كذلك عصوا و تمُّردوا عن حكمه و أنكروا رسالته فقال تعالى في جوابهم ما حاصله لو شئنا لفعلنا ذلك و لكّن المصلحة إقتضت خلاف ما قالوه فأنّ الدّين الواحد يقتضي رسولاً واحداً و قد قال الله تعالى: إنَّ ٱلدِّينَ عِنْدَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلاَمُ ١١ أنَّ الدِّين عند اللّه الإسلام الآية فلو فرضنا في كلّ قريةٍ رسولاً منذراً فأمّا أن يكونوا جميعاً على دين واحدٍ فلانفع في الكثرة أو على أديانِ مختلفة فيلزم أن يكون في زمانِ واحدٍ أدياناً مختلفة و هو كما ترى يوجب إختلال النَّظم وقد قال اللَّه تعالىٰ: وَ أَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَ لا تَفَرَّقُوا (٢) وإذا كان الأمر على هذا المنوال فالعقل يحكم بوحدة الدّين و الرّسول و هذا ينافي كثرة المنذرين في القرى تحت عنوان النُّبوة هذا ما خطر بالبال و لا نعلم أنَّه حقٌّ أو ليس بحقٌّ فأقض ما أنت قاض و الله تعالى أعلم و أمّا ما ذكره المفسّرون فلا إشكال فيه إلا أنّ ما ذكرناه ن ۱۹۶ کا أولى و أوفق بسياق الكلام و هو قوله:

## فَلا تُطِع ٱلْكَافِرِينَ وَ جَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبيرًا

أي فلًا تطع الكافرين في قولهم لولا أرسل في كلُّ قريةٍ من نذير مثلاً و حيث لم يرسل في قريتنا من نذير و أرسل في غير قريتنا فلانتّبعه و لا نعتقد به، فأمر الله تعالى نبيه أن يجاهدهم جهاداً كبيراً، و المعنى لا تطعهم في قولهم هذا بل جاهدهم فقوله تعالى: فَلا تُطع الْكُافِرينَ قرينة لولم يكن دليلاً على ما ذكرناه في تفسير الآية إذ لولم يكن لهم قولٌ في المسئلة لا معنى لقوله فلا تطع الكافرين لأنّ الرّسول لا يطبع الكافرين كفره قطعاً.

## وَ هُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هٰذا عَذْبٌ فُراٰتٌ وَ هٰذا مِلْحٌ أُجْاجٌ وَ جَعَلَ بَيْنَهُمٰا بَرْزَخًا وَ حِجْرًا مَحْجُورًا

المَرْج بفتح الميم و سكون الرّاء الخلط و قيل معناه الإفاضة و قيل معناه الإجراء فعلى الأوّل قوله: مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ خلطهما و على الثّاني أفاض أحدهما بالآخر و على الثّالث أجراهما و الظّاهر أنّ المراد بالبحرين ماء الكثير لا البحر المصطلح فالمعنى خلط الماء الكثير العذب و الماء الكثير الملح، و قيل المراد بحران معنيّان أعني بهما بحر فارس و بحر الرُّوم، و قيل بحر السّماء و بحر الأرض يلتقيان في كلّ عامٍ قاله إبن عبّاس و قال مجاهد مياه الأنهار الواقعة في البحر الأجاج.

و قال إبن عطية و المقصد بالآية التَّنبيه على قدرة الله و إثَّقان خلقه للأشياء في أن بثَ في الأرض مياهاً عذبة كثيرة من الأنهار و العيون و الآبار و جعلها خلال الأجاج و جعل الأجاج خلالها و الحجر ما حجز بينهما من الأرض و السَّد و البرزخ البلاد و القفار فلا يختلفان إلا بزوال الحاجز يوم القيامة هذا ما قالوه في معنى الآية.

أقول البحر في الأصل الماء الكثير سمّي البحر بحراً لكثرة الماء فيه و هذا ممّا لا خلاف فيه و لا شكّ في أنّ الماء عنه عذبٌ فرات و منه ملح أجاج و هذا أيضاً ممّا لا شكّ فيه لأنّه محسوسٌ بالذّوق إلاّ أنّ البحث في أنّ هذا الإختلاف في الماء من أين وجد و المفروض أنّ حقيقة الماء لا تقتضي ذلك إذ لو كان الإختلاف ناشئاً من طبيعة الماء فهو غير معقول لأنّ صرف الحقيقة لا تكثّر فيه و لا إختلاف

شيئين متَّضاديّن فلو كان هذا ممكناً معقولاً لصَّح أن يقال أنّ طبيعة النّارية في بعض الموارد تقتضي الحرارة و في بعض آخر تقتضي البرودة و لا يقول بــه عاقل فضلاً عن فاضل و إذا كان كذلك فلا محالة تكون الملوحة و العذوبة من العوارض الطَّارية على طبيعة الماء و لازم ذلك أن يقال طبيعة المائية من حيث هي لا تقتضي العذوبة و لا الملوحة بل هي عاريةٌ عنهما في حَّد ذاتها و إنّهما من العوارض الطارية عليها. الحرارة مثلاً.

فأن قيل طبع الماء يقتضي العذوبة أو الملوحة كما أنّ طبع النّار يقتضي

ألا ترى أنّ طبيعة النّارية لا تقتضي إلاّ الحرارة كما أنّ طبيعة المائية لا تقتضي إلاّ البرودة و على هذا كيف يعقل أن تكون طبيعة واحدة من حيث هي هي تقتضي

قلنا هذا ممّا لا دليل عليه بل هو مجّرد إحتمالٍ و على فرض التّسليم ثبوت أحــد الوصفين للماء يقتضي عروض الآخر له لأنّ العذوبة و الملوحة لا تجتمعان في شئ واحد فأن كان الماء بحسب الطُّبيعة عذباً فلا يكون ملحاً و أن كان ملحاً لا يكون عذباً فلامحالة أحد الوصفين ذاتّي له و الآخر عرضّي.

ان قلت لو كانت طبيعة الماء عارية عن الوصفين أو عن أحدهما في حَّد ذاتها كما هو كذلك فما وجه إختلاف المياه من حيث العذوبة و الملوحة أنّهما من المحسوسات التي لا يمكن إنكارها.

قلت يمكن أن يكون الوجه في إختلاف المياه على سطح الأرض من حيث الطُّعم ناشئاً عن الأرض فأنَّ الأجزاء الأرضيَّة مختلفة فمنها ما يكون متَّصفاً بالحلُّو منها ما يكون متَّصفاً بالمريَّة و منها ما يكون متَّصفاً بـالملوحة و هـذا محسوسٌ في نقاط الأرض و إذا كان كذلك فالماء المستخرج من تحت الأرض يتفاوت طعمه بتفاوت أرضه فلا يبعد أن تكون العذوبة و غيرها من الأوصاف من تبعات الأرض و على هذا فالأوصاف عارضة على المياه و قد أنكر ذلك بعض المحقَّقين زعماً منه أنّ طبيعة الأرض واحدة في الكُّل و الطّبيعة الواحدة

القرآن



لا تقتضى أوصافاً متغايرة، ولم يعلم أنّ الأرض واحدة من حيث كونها أرضاً و بعبارة أخرى من جهة إطلاق الأرض كما يقال طبيعة الإنسان واحدة فأنّ معناه أن طبيعة الإنسان واحدة من حيث أنَّ الإنسان حيوان ناطق أو من حيث أنَّ الإنسان مادّة خلقته التُّراب و هذا لا ينافى كون أفراد الإنسان متفاوتة من حيث اللّـون و الشُّكل و السّواد و البياض و غير ذلك فهكذا حقيقة الأرض واحدة من حيث إستقرار الموجودات عليها و أمّا أجزاء الأرض فلكّل واحد منها خصوصيّة ليست لغيرها ألا ترى أنّ بعض نقاط الأرض لا يستَّعد للزّراعة و يعبر عنه (بالكُوير) و بعض آخر صالح لها و هذا أمرٌ محسوس لا يحتاج الي إقامة البرهان و إذا كان كذلك فالماء الموجود جوف الأرض يتَّغير طعمه لا محالة و يـؤيّد هذان الماء كلَّه من السّماء وكيف يعقل أن يكون بعضه حلواً و بعضه مرّاً إذا عرفت هذا فلنرجع الى تفسير الآية و نقول قوله: وَ هُوَ ٱلَّذَى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْن معناه أجراهما و أرسلهما أي خلِّي بينهما يقالٍ مرجت الدَّابة إذا خلِّيتها ترعي قاله ثعلب هٰذا عَذْبٌ فُراتٌ وَ هٰذا مِلْحٌ أَجَاجٌ كلمة، هذا، إشارة الى الماء و المعنى أنَّ بعضه عذبٌّ فرات و بعضه ملحٌّ أجاج و قد ذكرنا وجهه و قلنا أنّ إختلاف الطُّعم سببه إختلاف الأرض وَ جَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخًا أي حاجزاً من قدرته و هو نفس الأرض فأنّها مانعة من إختلاط المياه **وَ حِجْرًا مَحْجُورًا** فهو في الحقيقة توضيح للبرزخ و قد فرَّق بعضهم بينهما بأنَّ البرزخ هو الحاجز و الحجر المانع و هذا يدلُّ على عظيم قدرته تعالى هذا ما أدَّى إليه فهمنا القاهر في تفسير آيته و الله أعلم بحقيقة كلامه فتأمَّل.

### وَ هُوَ ٱلَّذَى خَلَقَ مِنَ ٱلْمٰآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ سُبْاتًانَسَبًا وَ صِهْرًا وَ كَانَ رَبُّكَ قَديرًا

المراد من الماء هنا النّطفة و قيل المراد منه الماء الّذي خلق اللّه منه آدم بشراً أي إنساناً فجعل ذلك الإنسان نسباً و صهراً فالنّسب ما رجع الى ولادة قريبة و الصّهر خلطة تشبه القرابة و قيل الصّهر المتّزوج بنت الرّجل أو أخته و قال الفّراء

النَّسب الَّذي لا يحُّل نكاحه و الصِّهر النَّسب الَّذي يحُّل نكاحه كبنات العَّم و بنات الخال و نحوهما و قيل النَّسب سبعة أصناف ذكرهم اللَّه في قوله: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهٰاتُكُمْ الىٰ قوله: وَ بَناتُ ٱلأُخْتِ والصِّهر خمسة أصناف ذكرهم في قوله: أُمَّهاتُكُمُ ٱللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ الىٰ قوله: وَ حَلاَئِلُ أَبْنآ ئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلاٰبكُمْ (١) و قيل المراد بالنسَّب آدم و بالصِّهر حوّاء، و قيل البنون و الصِّهر البنات و قيل النَّسب و الصِّهر يعمّان كلّ قربي بين آدمّيين فالنَّسب أن يجتمع مع آخر في أب و أمِّ قرب ذلك أو بعد و الصُّهر هو نواشح المناكحة، و قيل النَّسب ما لا يحُّل نكاحه و الصُّهر قرابة الرّضاع قال إبن سيرين نزلت في النّبي اللَّهُ عَلَيْهُ و على الأنه جمعه معه نسبٌ و صهرٌ و قال الزّمخشري في الكشّاف قسم البشر قسمين، ذوي نسب أي ذكوراً ينسب إليهم فيقال فلان بن فلان و فلانة بنت فلانة، و ذوات صهر أي إناثاً يصاهر بهنّ و نحوه قوله تعالىٰ: فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَ ٱلْأَنْتُقَ ٢٠)، وكان ربّك قديراً، حيث خلق من النّطفة الواحدة بشراً نوعين ذكراً و أنثى إنتهى كلامه. هذا ما ذكروه في تفسير الأية.

أقول معنى الآية واضح لا خفاء فيه و ذلك لأنَّ المراد بالماء إمَّا النَّطفة التَّى خلق الله الإنسان منها كما أشار إليه بقوله: خُلِقَ مِنْ مَآءٍ دافِق، مِنْ مَآءٍ مَهين، و أمّا الماء الذِّي خلق منه أصول الحيوان كما قال تعالىٰ: وَ ٱللُّهُ خَلَقَ كُلُّ دَابَّةٍ مِنْ مَآءِ ۖ ۗ ۖ و قوله: وَ جَعَلْنا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلُّ شَعَيْءِ حَيِّ (٤) و علىٰ التَّقديرين لا شكّ أنّ البشر خلق من ماءٍ و أمّا قوله فجعله نسباً و صهراً، فقال الخليل الأصهار أهل بيت المرأة و ز على الأزهري الصّهر يشمل قرابات النّساء.

و قال الرّاغب في المفردات الصّهر الختن وأهل بيت المرأة يقال لهم الأصهار كما قال الخليل و قيل النَّسب و الصَّهر معنيان يعمَّان كلِّ قربي تكون بين أدَّميين و قال إبن العربي النَّسب عبارة عن خلق الماء بين الذَّكر و الأنثى على وجه الشّرع إنتهي.

٢- القيامة = ٣٩

۴- الانبياء = ۳۰

وكيف كان لا شكّ أنّ الوصفين قد يجتمعان في بشرٍ واحدٍ و قوله: وَ كُانَ رَبُّكَ قَديرًا، معناه أنّه قادرٌ على كلّ شئٍ.

إن قلت لم قال في الآية خلق من الماءً بشراً ولم يقل إنساناً.

قلت لا يبعد أن يكون المراد من البشر هو الجسد العنصري المادّي فأنّه مخلوق من الماء و أمّا الإنسان الّذي هو عبارة عن الرُّوح أو النَّفس النَّاطقة فهو غير مخلوق من الماء كما هو ظاهرٌ.

وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَ لَا يَضُرُّهُمْ وَ كَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا

لمّا ذكر اللّه تعالىٰ في الأيات السّابقة شطراً من نعمه التّي أنعم اللّه بها على عباده من قوله تعالىٰ: أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظّلِّ إلىٰ قوله: وَ هُو اللّه مِن الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ سُباتًا نَسَبًا وَ صِهْرًا أشار إلىٰ قوله: وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللّهِ و فيما ذكروه إيماء إلى أن كثيراً من النّاس لا يشكرون مع أنّ الشّكر على النّعمة واجب عقلاً و شرعاً بل يكفرون بربّهم و يعبدون من دون الله الأصنام و الأوثان التّي لا تنفعهم عبادتها و لا تضرهم ترك عبادتها و الإعراض عنها و كان الكافر على ربّه ظهيراً فأنّ الشّيطان يظاهره على معصية الله ففي هذه الآية إشارة إلى قبح كفران النّعمة و أنّ المخلوق ينبغي له أن يعرف خالقه و منعمه و ما أقبح بالرّجل الّذي يدّعي العقل و هو يعبد جماداً أو يعرف خالقه و منعمه و ما أقبح بالرّجل الّذي يدّعي العقل و هو يعبد جماداً أو نباتًا أو خلقاً أخر و لا يعلم أنّ الموجود الأشرف لا يخضع للأخس و الأدون أبداً.

# وَ مٰآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَ نَذيرًا

الخطاب للرّسول الله وصفين:

أحَدهما: كونه مبشراً و الثّاني كونه نذيراً و الحقّ أنّ هذين الوصفين ثابتان لجميع الأنبياء عليهم السّلام:

الفرقان في تفسير القرآن كرنجاً قال اللّه تعالىٰ: فَبَعَثَ اَللّٰهُ اَلنَّبِيّنَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ ( ` ). قال اللّه تعالىٰ: رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِثَلّٰا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اَللّٰهِ حُجَّةٌ ( ` ).

قال اللّه تعالىٰ: وَ مَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَ مُتْذِرِينَ (٣).

و غيرها من الأيات و من المعلوم أنّ التَّبشير للمؤمن المطيع و الإنذار للكافر و الفاسق العاصي ففي البشارة ترغيب و تحريص على صالح الأعمال وفي الإنذار تهديد و تخويفٌ على الكفر و العصيان.

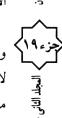
إن قلت قوله: وَ مَا آرُسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَ نَذَيرًا، يفيد الحصر لتقديم النفي على الإستثناء نحو قولك ما ضربت إلا زيداً، و لازم ذلك أن تكون الرسالة منحصرة في التَّبشير و الإنذار و هكذا في غيره من الأنبياء مثل قوله: وَ مَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ (۴).

قال الله تعالى: لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ أَيْاتِهِ وَ يُزَكِيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَ ٱلْحِكْمَةَ (٥).

قال اللّه تعالىٰ: قَدْ جْآءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثَيْرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُحْفُونَ مِنَ اَلْكِتَابِ<sup>(۶)</sup>.

و أمثالهما من الأيات التّي يعلم منها عدم حصر وظيفة الرّسول في التّبشير و الإنذار فقط.

قلت كلّ ما أمر به الرّسول من الأحكام الشّرعية و غيرها فهو داخلٌ في التَّبشير وكلّ ما نهى عنه من المحرّمات فهو داخل في الإنذار و جميع الأحكام بل الدّين لا يخلو منهما فأنّ كلّ ما يصدر من العبد أن كان موافقاً لما أمر به الرّسول فهو من مصاديق البشارة إلى الجنّة و كل ما يصدر منه مخالفاً لما أمر به الرّسول فهو من



۵- أل عمران = ۱۶۴

١ - البقرة = ٢١٣

۲- النّساء = ۱۶۵

۴- الأنعام = ۴۸

٣- الأنعام = ٤٨

۶- المائدة = ۱۵

مصاديق الإنذار و الوعيد إلى النّار و بعبارةٍ أخرى كلّ قولٍ أو عملٍ يصدر من المكلّف لا يخلو منهما و هو واضح.

قُلْ مَا أَسْتَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا أي قل يا محمد لهؤلاء الكفار أنّي لا أسألكم على ما أبشركم به أو أحذركم منه، أجراً تعطوني و المقصود هو أجر الرّسالة و الدّليل من العقل على ذلك هو أنّ أجر الرّسول ليس إلاّ على المرسل و هو اللّه تعالى فأنّ أجر المأمور على الآمر لا على غيره و الاّمر هو اللّه تعالى، و أمّا قوله: إللّا مَنْ شآء أَنْ يَتَّخِذَ إلى رَبِّهِ سَبِيلًا، فقيل هو إستثناء من غير الجنس و معناه أنّه جعل أجره على دعاءه إتّخاذ المدّعو سبيلاً إلى ربّه و طاعته إيّاه كقول الشّاعر:

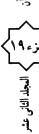
و بلدةٍ ليس لها أنـيسُ إلَّا اليعافير وإلَّا العيس

و جعلها أنيس ذلك المكان، و قيل معناه إلا من شاء أن يتّخذ إلى ربّه سبيلاً، بإنفاقه ماله في طاعة اللّه و إبتغاء مرضاته، ذكر الوجهين صاحب التّبيان و قال صاحب الكشّاف في قوله: إلا مَنْ شاء و استثناءه عن الأجر قول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال، ما أطلب منك ثواباً على ما سعيت إلا أن تحفظ هذا المال و لا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثّواب ولكن صوَّره هو بصورة الثّواب و سمّاه بإسمه فأفاد فائدتين.

أحدايهما: قلع شبهة الطَّمع في الثّواب من أصله كأنّه يقول لك أن كان حفظك لمالك ثواباً فأنّى أطلب الثّواب.

الثّانية: إظهار الشّفقة البالغة و أنّك إن حفظت مالك إعتَّد بحفظك ثواباً و رضى به كما يرضى المثاب بالثّواب و لعمري أنّ رسول اللّه عَلَّهُ وَعَلَيْ كان مع المبعوث إليهم بهذا الصَّدد و فوقه و مضى إتّخاذهم الى اللّه سبيلاً تقرّبهم إليه و طلبهم عنده الزُّلفي بالإيمان و الطّاعة و قيل المراد التّقرب بالصَّدقة و النّفقة في سبيل الله إنتهى كلامه.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



أقول الإنصاف أنّي بعد التَّأمل في كلام صاحب الكشّاف لم أستفد منه شيئاً و هو أعلم بما قال و هو أيضاً بعيد وقد نقل الرّازي في تفسيره ما نقلناه عن صاحب الكشّاف ولم يقل شيئاً فكأنّه أيضاً لم يفهم منه شيئاً.

و محصّل الكلام أنّا بعد الفحص في كلمات المفسّرين لم نر تفسيراً واضحاً للإستثناء و الّذي يختلج بالبال في حلّ الإشكال هو أنّ الأجر أجران:

أجرّ من المرسل إليه و هو العبد، أمّا الأوّل فهو ثابت قطعاً أطاع المكلّف عن الرّسول أم خالفه و عصاه فأنّ اللّه تعالى أرسل رسوله إلى خلقه و أمره بتبليغ رسالته و المفروض أنّ الرّسول قد بلّغ ما أمر به و ما على الرّسول إلاّ البلاغ و هو بذلك يستّحق الثّواب و الأجر من اللّه تعالى و لأجل هذه الدّقيقة لم يقل في الآية قل ما أسأله عليه من أجرٍ، بل قال قل ما أسألكم عليه من أجرٍ أي ممّن أرسل إليهم.

و أمّا الأجر الثّاني و هو الأجر من المرسل إليهم فهو الّذي نفاه في الآية و هذا ظاهرٌ.

و أمّا قوله: إِلّا مَنْ شَآءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهٖ سَبِيلًا فمعناه إلا من شاء و أمّا قوله: إِلله مَنْ شَآءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهٖ سَبِيلًا فمعناه إلاّ من شاء و أراد أن يؤمن بالله و رسوله و اليوم الأخر و عمل بمقتضاه و بعبارة أخرى لا أسألكم على رسالتي منكم أجراً إلاّ إيمانكم بالله و العمل بأحكامه فهذا أجري منكم.

و إن شئت قلت ما أريد منكم جزاء إلا خروجكم من الكفر و دخولكم في الإيمان هذا ما فهمناه من الآية و الله أعلم.

وَ تَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذي لا يَمُوتُ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَـفَى بِـهِ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبيرًا

أمر الله تعالى نبيّه بالتَّوكل عليه في جميع شئونه ثمّ وصف نفسه بالحياة التّي لا موت فيها و أمره ثانياً بالتّسبيح بحمده تعالى و قوله: و كَفْي بِهِ أي كفي اللّه

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

ر العجلد الئاني عثد ال

سياء الفرقان في تفسير القرآن 🏽 🔷

يِذُنُوبِ عِبادِم خَبيرًا، أي عالماً ففي الآية مسائل لا بأس بالإشارة إليها إجمالاً فنقول:

الأولى، التَّوكل مصدر من باب التَّفعل و الأمر منه، توَّكل، قـال الرّاغب فـي المفردات توّكلت عليه بمعنى إعتمدته و منه التَّوكيل و هو أن تعتمد على غيرك و تجعله نائباً عنك، قال بعض المحققين من علماء الأخلاق، التَّوكل إعتماد القلب في جميع الأمور على الله و بعبارةٍ أخرى حوالة العبد جميع أموره عليه تعالى و بعبارةٍ أخرى هو التَّبرئ من كلُّ حولٍ و قوّةٍ و الإعتماد علىٰ حول اللّه و قوّته و هو موقوفٌ على أن يعتقد إعتقاداً جازماً بأنّه لا فاعل إلاّ اللّه و أنّه لا حول و لا قوّة إلاّ به و إن له تمام العلم و القدرة على كفاية العباد ثمّ تـمام العـطف و العناية و الرَّحمة بجملة العباد و الأحاد و أنَّه ليس وراء منتهي قدرته قدرة و لا وراء منتهى علمه علم و لا وراء منتهى عنايته عناية فمن إعتقد ذلك إتَّكل قلبه لا محالة على الله وحده و لم يلتفت إلى غيره و لا إلى نفسه أصلاً و ساق الكلام إلى أن قال فالتَّوكل لايتِّم إلاَّ بقوّة اليقين و قوّة القلب جميعاً إذ بهما يحصل سكون القلب و طمأنينة إلى أن قال و إذا توَّقف التّوكل على اليقين و قوّة القلب و إرتفع بضعف أحدهما يظهر أنّ التّوكل من الفضائل المتعلّقة بقوّتي العاملة و الغضّبية معاً و ضدّه أعنى عدم التَّوكل من رذائل أحدهما أو كليهما إنتهي كلامه.

إذا عرفت معنى التَّوكل و حقيقته فإعلم أنّه منزلٌ من منازل السّالكين و مقام من مقامات الموّحدين بل هو أفضل درجات الموقنين ولذا ورد في مدحه و فضله و التّرغيب فيه ما ورد من الكتاب و السُّنة:

قال اللّه تعالىٰ: وَ عَلَى اَللّٰهِ فَتَوَكَّلُوۤا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ( ¹ ). قال اللّه تعالىٰ: وَ عَلَى اَللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ اَلْمُؤْمِنُونَ ( ˆ ' ). قال اللّه تعالىٰ: إِنَّ اَللّٰهَ يُحِبُّ اَلْمُتَوَكِّلِينَ ( ˆ ).

١- المائدة = ٢٣

٣- آل عِمران = ١٥٩

ضياء الفرقان في تفسير اا

لقرقان في تفسير القرآن ﴿ مَمْ } العبجا

قال الله تعالىٰ: وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ (١). قال الله تعالىٰ: وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزيزُ حَكيمُ (٢) و الآبات كثيرة.

و أمّا الأخبار الواردة في الباب من العّامة و الخّاصة فلا تعُد و لا تحصى و لا نحتاج الى ذكرها بعد تصريح الآيات بمدحه و فضله و مع ذلك نشير الى شطرٍ منها تيَّمناً و تَبْركاً به:

قال الصّادق النَّلِهِ: «من أعطى ثلاثاً لم يمنع ثلاثاً»من أعطى الدُّعاء أعطى الزِّيادة و من التُّعاء أعطى الزِّيادة و من أعطى الشُّكر أعطى الزِّيادة و من أعطى التَّوكل أعطى الكفاية ثمّ قال النَّلِهِ: أتلوت كتاب الله عزّ وجّل: وَ مَنْ يَتَوكُلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ و قال: لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَرْبِدَنَّكُمْ و قال: النَّه عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ و قال: لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَرْبِدَنَّكُمْ و قال: المَعْونَ السَّتَجِبْ لَكُمْ إنتهى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهُ اللهِ ال

و قال رسول الله وَ الله الله الله الله على الله كفاه الله كل مؤنة و رزقه من حيث لا يحتسب و من إنقطع الى الدنيا وكلَّه الله إليها.

و قال الله عند الله أن يكون أغنى النّاس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يده إنتهى.

أقول الأحاديث كثيرة و للتَّوكل درجات فمن الوقوف عليها فعليه بمراجعة جامع السّعادات في علم الأخلاق لمولى النّراقي تَثْنِرُ و ضاعف أجره.

المسئلة الثّالثة: أنّه تعالى وصف نفسه بالحّي الّذي لا يموت و أمر رسوله بالتَّوكل عليه ولم يقل في هذه الآية و توكَّل على الله و أن قاله في غيرها منها لنقطة و هي أنّ المعتمد أعنى به المتّوكل عليه على قسمين:

أحدهما: أن يكون قابلاً للفناء و الدُّثور.

ثانيهما: أن لا يكون كذلك وإنّما قلنا ذلك لأنّ المعتمد لابّد من أن يكون

موجوداً إذ لا يعقل الإعتماد على المعدوم و من المعلوم أنّ الموجود ينقسم على قسمين قابلٌ للعدم و غير قابلٍ له، فالأوّل أعني ما يقبل العدم فهو المخلوق الممكن كائناً ماكان.

الثّانى: و هو الّذي لا يقبل العدم فهو الخالق و يعبّر عنه بواجب الوجود و أنّما لا يقبل العدم لأنّ الوجود فيه عين ذاته لا عارضٌ عليه و هذا بخلاف الممكن فأنّ الوجود عارض على ماهيّته و قد ثبت أنّ كلّ عرّضي معلًل إذا عرفت هذا فنقول:

الموجود الّذي لا يقبل العدم منحصرٌ في الخارج بواجب الوجود و ما سواه يقبل العدم و هو الممكن و من المعلوم المسلّم عند جميع العقلاء أنّ التُّوكل و الإعتماد على الموجود الذِّي لا سبيل للبطلان إليه أولى من الإعتماد على الباطل الَّذي لا دوام و لا بقاء له بل نقول الإعتماد عليه خارج عن طور العقل إذ المتمد الفاني أعتمد على مثله و حكم الأمثال واحد و بعبارةٍ أخرى إعتمد على من لا يقدر على شئ لضعفه و فقره فهذا مثل إعتماد الفقير المحتاج إلى الدِّرهم و الدّينار على فقير أخر مثله و قد ثبت أنّ معطى الشَّئ لا يكون فاقداً له و إذا كان كذلك فينبغي أن يعتمد على الموجود الّذي لا فناء له و لا ضعف فيه و هو قادرٌ على كلُّ شيِّ باقٍ بعد فناء كلِّ شيِّ و هذا الموجود ليس إلاَّ اللَّه تعالى فأنَّه الحيّ الذي لا يموت و هذا ممّا يحكم به العقل السّليم فالتّوكل على غيره كائناً ما كان خارج عن طور العقل بل العقل حاكم ببطلانه قطعاً و هو المطلوب و السُّر في ذلك أنّ الحيّ الّذي لا يموت قدرته كاملة لا زوال فيها و لا نقص كما أنّ جميع صفاته كذلك لأنّ الصّفات في الموجود تتبع الوجود شـدّةً و ضعفاً و كـمالاً و نقصاً فكما أنّ وجوده لا زوال فيه كذلك قدرته و سائر صفاته فالإعتماد عليه في الحقيقة إعتمادٌ على كمال القدرة و لا نعني بالمعتمد إلا هذا.

المسألة الثّالثة: قوله وَ سَبِّحْ بِحَمْدِه، أمر اللّه نبيّه بعد الأمر بالتَّوكُل

، الفرقان في نفسير القرآن ﴿ حَمَّ ﴾ الدجلة ا

بالتَّسبيح و التقديس بحمده تعالى و التّسبيح تنزيه اللّه تعالى عن كلّ نقص و عيبٍ و الحمد الثّناء عليه بالفضيلة و هو أخصّ من المدح و أعمّ من الشّكر فالمعنى نزَّهه عن مشابهة المخلوقات و عمّا لا يليق بمقام ربوبيّته وهذا التّسبيح من أعظم المدح و الثّناء عليه و يحتمل أن يكون الباء في، بحمده، للسّبب أي أنّ الحمد سببٌ و علّة للتّسبيح و كيف كان لا شكّ أنّ تسبيح الحقّ وظيفة العبد العارف بربّه و هو عام في العبادات قولاً كان أو فعلاً أو نيّة و لذلك لا يكون إلاّ في فعل الخير و قول الخير و نيّة الخير:

قال الله تعالىٰ: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِم وَ لَكِنْ لَا تَـفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ (١).

قال اللّه تعالىٰ: وَ يُسَبِّحُ اَلرَّعْدُ بِحَمْدِهٖ وَ اَلْمَاٰلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهٖ ( ` ` ` . قال اللّه تعالىٰ: يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي اَلسَّمُواْتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ هُوَ اَلْـعَزِينُ لْحَكِيمُ ( ^ ) .

قال الله تعالىٰ: وَ ٱذْكُرْ رَبَّكَ كَثْبِرًا وَ سَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَ ٱلْإِبْكَالُ ٢٠). قال الله تعالىٰ: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ كُنْ مِنَ ٱلسَّاجِدِينَ (٥) والأيات

كثيرة.

و الحاصل أنّ الأشياء كلّها تسبّح له بعضها بالتّسخير و بعضها بالإختيار و قد مرّ الكلام فيه.

المسئلة الزابعة: قوله وَ كَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبيرًا أي كفى اللّه بذنوب عباده و المقصود أنّه تعالى عالم بأخبار أعمالكم و قيل أي عالم ببواطن أموركم و قيل خبير بمعنى مخبر كقوله: فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤)، و محصّل الكلام هو أنّ تعالى عالم بجميع الأشياء ظاهرها و باطنها و لا يخفى عليه شي و

ع العجلا الثاني

۲- الرّعد = ۱۳

۴- أل عمران = ۴۱

۶- المائدة = ۱۰۵

الدّليل على ذلك أنّ الخالق محيط بجميع شئون مخلوقه و المخلوق محاطّ له مضافاً إلى أنّ الجهل نقص و اللّه تعالى منّزة عن النّقائص و هذا ممّا لا خلاف فيه عند الموّحدين.

ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمُواٰتِ وَ ٱلْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا في سِتَّةِ أَيُّـامٍ ثُـمَّ ٱسْتَوٰى عَلَى ٱلْعَرْش ٱلرَّحْمٰنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِيرًا

إعلم أنّ الله سبحانه و تعالى لمّا أمر الرَّسول بالتَّوكل عليه وصف نفسه بأمور: أولها: بأنّه حيّ لا يموت و هو قوله و توّكل على الحيّ الّذي لا يموت.

ثانيها: أنّه عالم بجميع المعلومات و هو قوله: وَ كَفْى بِهِ بِذُنُوبِ عِبادِمٍ بيرًا

ثالثها: أنّه قادرٌ على كلّ الممكنات و هو المراد من قوله: ٱللّذي خَلَقَ السَّمُواٰتِ وَ ٱلْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُما فَثَبَت أنّه هو القادر على جميع وجوه المنافع و دفع المضّار و أنّ النَّعم كلّها من جهةٍ فحينئذٍ لا يجوز التَّوكل إلاّ عليه و هو المطلوب.

و أمّا قوله: ٱلَّذي خَلَقَ ٱلسَّمٰواٰتِ وَ ٱلْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمٰا في سِتَّةِ النَّامِ ثُمَّ ٱسْتَوٰى عَلَى ٱلْعَرْشِ فقد مرَّ الكلام فيه في سورة الأعراف حيث قال:

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ اَلَّذِي خَلَقَ السَّمُواتِ وَ اَلْأَرْضَ في سِتَّةِ أَيَّامٍ (١). و هكذا في سورة يونس حيث قال تعالىٰ:

إِنَّ رَبَّكُمُ اَللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمُواٰتِ وَ الْأَرْضَ في سِتَّةِ أَيَٰامٍ ثُمَّ اَسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اَللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاْ تَذَكَّرُونَ (٢).

و قال الله تعالى: الله الذي خَلَقَ السَّمُواتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا فَي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اَسْتَوْى عَلَى الْعُرْشِ (١). محواكل الشوء ما حدم هم اعلام قدرتهم أنّه على كُلَّ شوء قدر مود

و مرجع الكلّ إلى شئ واحدو هو إعلام قدرته و أنّه على كلّ شئ قدير و من كان كذلك فهو المعبود حقّاً لا غيره و صورة القياس، أنّ اللّه تعالى خلق السّموات و الأرض و ما بينهما من الموجودات، و كلّ من كان كذلك فهو المعبود حقّاً ينتج أنّ اللّه تعالى هو المعبود حقّاً و هو المطلوب.

و أمّا الصُّغرى فلا خلاف فيها عند العقلاء لأنّ كلّ حادثٍ لابدّ له من محدثٍ و المحدث إمّا قديم أو حادث لا سبيل إلى الثّاني لأنّه مستلزمٌ للتَّسلسل و هو باطل و هذا معنى قولهم كلّ ما وجد بالغير لابدّ من أن ينتهي إلى الموجود بالذّات دفعًا للدَّور والتَّسلسل فثبت أنّ الموجد لا يكون حادثاً فهو قديم و لا قديم سوى اللّه تعالى فهو الذي خلق السّموات و الأرض و ما بينهما و هو المطلوب.

و إذا ثبت كونه خالقاً ثبت أنّه المعبود لا غيره و أمّا قوله: في سِتّة أَيّٰهم فالمراد بالأيّام الأوقات و في الإحتجاج عن أميرالمؤمنين الميّلة أنّه قال ولو شاء أن يخلقها في أقّل من لمح البصر لخلق ولكنّه جعل الأناة و المداراة مثالاً و إيجاباً للحجّة على خلقه و في العيون عن الرّضا الميّلة و كان قادراً على أن يخلقها في طرفة عين و لكنّه عزّ وجلّ خلقها في ستّة أيّام ليظهر على الملائكة ما يخلقه منها شيئاً بعد شيّ فيستدّل بحدوث ما يحدث على الله تعالى مرّة بعد مرّة.

قال الفيض مَنْ في تفسيره لهذه الآية ما هذا لفظه:

إن قيل أنّ الأيّام تتَّقدر و تتَّميز بحركة الفلك فكيف خلقت السّموات في الأيّام المتمايزة قبل تمايزها.

قلنا مناط تمايز الأيّام و تقدرها أنّما هو حركة الفلك الأعلى دون السّموات السّبع و الأرض و ما السّبع و الأرض و ما



ضياء الفرقان في تفسير القرآن

رالقرآن کے کی المجلد الثانی عا

بينهما دون ما فوقهما و لا يلزم من ذلك خلاء لتَّقدم الماء الذي خلق منه الجميع على الجميع و ليعلم أنَّ هذه الآية و أمثال هذه الأخبار من المتشابهات التّي تأويلها عند الرّاسخين في العلم إنتهى كلامه.

و أمّا قوله: ثُمَّ آسْتَوْى عَلَى آلْعَرْشِ فعن أميرالمؤمنين التَّالِدِ: إستوىٰ تدبيره و عَلا أمّره. عن الكاظم التَّلِدِ: إستولىٰ علىٰ ما دَّق و جَل. عن الصّادق التَّلِدِ: إستولى على كلّ شيّ فليس شيّ أقرب إليه من شيّ إنتهى. و أمّا العرش في الآية فقد يراد به الجسم المحيط بجميع الأجسام و قد يراد

و أمّا العرش في الآية فقد يراد به الجسم المحيط بجميع الأجسام و قد يراد به ذلك الجسسم مع جميع ما فيه من الأجسام أعني العالم الجسماني بتمامه و قد يراد به ذلك المجموع مع جميع ما يتوسط بينه و بين الله سبحانه من الأرواح التي لا تتّقوم الأجسام إلا بها أعني العوالم كلها بملكها و ملكوتها و جبروتها و بالجملة ما سوى الله تعالى و قد يراد به علم الله سبحانه المتعلق بما سواه و قد يراد به علم الله الذي إطلع عليه أنبيائه و رسله و حججه و قد وقعت الإشارة إلى كلّ منها في كلامهم و ربّما يفسر العرش بالملك و الإستواء بالإحتواء إنتهى ما حقّقه بعض المفسرين.

و قوله: آلرَّحْمٰنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِيرًا فهو خبرُ للّذي إن جعلته مبتدأ فكأنّه سأل سائل عن الرّحمن فقال تعالى: ٱللّذي خَلَقَ ٱلسَّمُواْتِ وَ ٱلْأَرْضَ هو الرّحمن لا غيره فإسئل به خبيراً أي فإسئل عمّا ذكر من الخلق و الإستواء و غير ذلك أو عن أنّه هو الرّحمن خبيراً، و هو الله سبحانه أو جبرئيل أو من وجده في الكتب المتقدمة ليصَّدقك فيه و يحتمل أن يكون المراد به الرُّسل المتقدمة فيكون السّؤال في عالم الأرواح كقوله تعالى: سُنتَة مَنْ قَدْ أَرْسَلْنا قَبْلكَ مِنْ وُسُلِنا () والمعنى أن أنكروا إطلاقه على الله فإسئل عنه من يخبرك من أهل الكتاب لتعرفوا مجئ ما يرادفه في كتبه.

أَقُول قال الزّجاج المعنىٰ فإسئل عنه وقد حكىٰ هذا جماعة من أهل اللّغة أنّ الباء تكون بمعنى، عن، كما قال تعالى: سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَدَابٍ واقِعِ (١) و عليه قول الشّاعر:

خبيرٌ بأدواء النّساء طبيبٌ إن تسألوني بالنساء فإنني

أي عن النّساء، و أنكره على بن سليمان و قال أهل النّظر ينكرون أن تكون الباء بمعنى، عن، لأنَّ في هذا إفساد لمعانى قول العرب فالمعنى فإسئل بسؤالك إيّاه خبيراً، و به قال إبن جبير و الله أعلم.

### وَ إِذاْ قَيِلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا لِلرَّحْمٰنِ قَالُوا وَ مَا ٱلرَّحْمٰنُ أَنَسْجُدُ لِـمٰا تَأْمُرُنَا وَ زاٰدَهُمْ نُفُورًا

أي و إذا قيل لهؤلاء الكفّار إسجدوا للرّحمن، الّذي خلق السّموات و الأرض و ما بينهما، قالوا و ما الرّحمن، على جهة الإنكار و التُّعجب أي ما نعرف الرّحمن إلا رحمن اليمامة و هو مسيلمة الكذَّاب قاله القرطبي.

ثمّ نقل عن أبي بكر بن العربي أنّه قال أنّما جهلوا الصِّفة لا الموصوف و إستدلّ على ذلك بقوله: وَ مَا ٱلرَّحْمٰنُ، ولم يقولوا و من الرَّحمن.

أقول ما نقله من إبن العربي ليس بشئ و ذلك لأنّ السّؤال بما الإستفهاميّة سؤال عن حقيقة الشِّئ و ماهيّته بخلاف السّؤال، بمن، الإستفهاميّة فأنّه سؤال عن مشّخصات الموجود و عوارضه و صفاته فإذا قيل ما الإنسان يقال في -نزء 19 كل الجواب حيوان ناطق و لذلك يقال أنّه حدٌّ تامّ للإنسان أي يبيّنه و يعرّفه بماهيّته و حقيقته، و أمَّا إذا قيل من الإنسان أو قيل من هو، لا يقال في الجواب حيوان ناطق لأنّ السّائل لم يسأل عن ماهيّته و حقيقته بل سأل عن صفاته و عوارضه فيقال أنّه موجود مستقيم القامّة و له أوصاف كذا وكذا إذا عرفت الفرق بين المقامين فقد علمت أنَّ قول الكفَّار، و ما الرّحمٰن، معناه ما حقيقته و ذاته فإنَّا لا

نعرفه و يحتمل أن يكون اللام للعهد الذّكري الّذي تقدّم ذكره في قوله: ألّذي خَلَقَ ٱلسَّمُواٰتِ وَ ٱلْأَرْضَ الخ ٱلرَّحْمٰنُ فقال الكفّار و ما هو أي ما حقيقته و ذاته و لذلك قالوا، أنسجد لما تأمرنا بعبادته و سجوده و الحال إنّا لا نعرفه حتّى نسجد له و زادهم نفوراً، أي زاد الأمر بالسّجود نفوراً عن قبول قول النّبي و الرّجوع إلى طاعة الله و فيه إشارة إلى أنّ السّجود فرعٌ على المعرفة و هو كذلك فأنّ العبادة فرعٌ على المعرفة و حاصل الكلام أنّا لا نعبد ما لا نعرفه.

إن قلت فعلى هذا لا ذمِّ عليهم لأنّ العقل يحكم بذلك.

قلت نعم العقل يحكم به إلا أنّهم كذبوا في قولهم هذا فأنّهم عرفوه بقلوبهم و أنكروا بألسنتهم و لذلك إستّحقوا للذّم و أنّما قلنا أنّهم عرفوه لأنّ الحجّة قد تمّت عليهم بقوله تعالى: ٱللَّذي خَلَقَ ٱلسَّمُواتِ وَ ٱلْأَرْضَ الخ هُوَ ٱلرَّحْمٰنُ فلامعنى لقولهم: وَ مَا ٱلرَّحْمٰنُ، لأنّه يقال لهم هو ٱلَّذي خَلَقَ ٱلسَّمُواتِ وَ ٱلْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمٰا الخ و هذا القدر من المعرفة كاف في المدّعى و هذا واضح لا خفاء فيه.



تَبْارَكَ ٱلَّذَى جَعَلَ فِي ٱلسَّمْآءِ بُرُوجًا وَ جَعَلَ فيها سِراْجًا وَ قَمَرًا مُنيرًا (٤١) وَ هُــوَ ٱلَّــذي جَعَلَ ٱللَّيْلَ وَ ٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَاٰدَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَراٰدَ شُكُورًا (٤٢) وَ عِبادُ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلَّذينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَـوْنًا وَ إِذَا خُـاطَبَهُمُ ٱلْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا (٤٣) وَ ٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَ قِيامًا (٤٢) وَ ٱلَّذينَ يَـقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرفْ عَنَّا عَذاٰبَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذاٰبَهَا كَانَ غَرامًا (٤٥) إنَّها سُآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقَامًا (٤۶) وَ ٱلَّذينَ إِذٰآ أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَـقْتُرُوا وَ كَانَ بَيْنَ ذٰلِكَ قَواٰمًا (٤٧) وَ ٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلٰهًا اٰخَرَ وَ لَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّــتَـى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ لَا يَرْنُونَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٤٨) يُضاعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ وَ يَخْلُدْ فيهِ مُهَانًا (٤٩) إلَّا مَنْ تَابَ وَ اْمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّتًا تِهِمْ حَسَنًاتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَحيمًا (٧٠) وَ مَنْ تَابَ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَــتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَـــٰتَابًا (٧١) وَ ٱلَّــٰذِينَ لَا يَشْــهَدُونَ أَلزُّورَ وَ إِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراْمًـا (٧٢) وَ ٱلَّذينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِاٰيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَ عُمْيَانًا (٧٣) وَ ٱلَّذينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ

رقان فی نفسیر القرآن کے ہے العجلد الثانی عا

لَنَّا مِنْ أَزْواْجِنَّا وَ ذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُن وَ آجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُولِيَّكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُولِيَّكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَ يُلَقَّوْنَ فيها تَحِيَّةً وَ سَلامًا (٧٤) خُالِدينَ فيها حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقَامًا (٧٤) قُلْ مَا يَعْبَوُ اللَّهِ لِكُمْ رَبِّي لَوْلًا دُعْآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (٧٧)

#### ◄ اللّغة

تَبَارَكَ: أي علا و قيل تبارك أي تعظم و إنسعت رحمته و كثرت نعمته و هو تفاعل من البركة و هو فعل ماض و لا يجئ منه خاصة الفعل المضارع و قيل تبارك الله أي بارك الله مثل قابل و تقابل إلا فاعل يتعدي و تفاعل لا يتعدى و قيل تبارك، تقدّس و القدس الطّهارة و كيف ففيه تنبية على ما يفيض الله على عباده من نعمه بواسطة الأسباب من البروج و غيرها ففيه تنبية على اختصاصه تعالى بالخيرات مع ذكر تبارك.

بُرُوجًا: البروج القصور واحدها بُرج بضمّ الباء و به سمّي بروج النجوم لمنازلها المختّصة بها.

خِلْفَةً: بكسر الخاء و سكون اللآم و فتح الفاء الإختلاف أي هما مختلفان في السّواد و البّياض و قيل معناه يخلف كلّ واحدٍ منهما صاحبه.

هَوْنًا: الهون بفتح الهاء السّكينة و الوقار و قيل المراد به التّواضع.

سَلامًا: أي سداداً من القول هو من السِّلم أي يسلمون به من المعصية.

سُجَّدًا: جمع ساجد و السّجود في اللّغة الخضوع و في الشّرع وضع الجبهة على الأرض متّعبداً.

غَرَامًا: بفتح الغين أي لازماً و ملحاً دائماً و منه الغريم لملازمته و إلحاصه.

يُشْرِفُوا: الإسراف معناه واضح و قد يفسّر بالخروج عن العدل في الإنـفاق و قيل في جمع الأعمال.

وَ لَمْ يَقْتُرُوا: هو مأخوذٌ من القترة و هي الدّخان و هو التّضيق في الإنفاق فـهو ضدّ الإسراف.

قَواٰمًا: القوام بفتح القاف العدل و بكسرها السّداد.

أَثْامًا: الأثام العقاب و قيل هو إسم وادٍ في جهنّم.

مُهانًا: بضمّ الميم أي مشخصاً به.

#### ◄ الإعراب

سِراْجًا بكسر السّين على الإفراد و المراد به الشّمس و قد يقرأ بضمّين أي بضمّ السّين و الرّاء على الجمع و المراد الشّمس و الكواكب أي يكون كلّ جزء من الشّمس سراجاً خِلْفَةً بكسر الخاء مفعول ثانٍ أو حال و أفرد لأنّ المعنى يخلف أحدهما الأخر شُكُورًا بضمّ الشّين مصدر مثل الشّكر عِبادُ الرَّحْمٰنِ مبتدأ و في الخبر وجهانِ: أحدهما: ٱلَّذينَ يَمْشُونَ.

الثَّاني: أُولٰئِكَ يُجْزَوْنَ و الذِّين يمشون صفة.

فَالُوا سَلامًا سَلامًا هنا مصدر مُسْتَقَرًّا تمييز يَقْتُرُوا بِفتح الياء و في التّاء وجهان: الكسرة و الضّم و قد قُرئ بهما و الماضي ثلاثي يقال قتر يقتر، و يقرأ بضمّ الياء و كسر التّاء، و الماضي، أقتر، و هي لغة و عليها جاء و على المقتر قدره. قَوامًا الخبر و يجوز أن يكون، بين، الخبر و قواماً حالاً إِلاّ بِالْحَقِّ في موضع الحال يُضاعَف بالجزم على البدل من، يلق، و قرأ بالرّفع على الإستئناف مُهانًا حال و الأثام إسم للمصدر مثل السّلام و الكلام إِمَامًا فيه وجوه:

أحدها: أنّه مصدر مثل قيام و صيام فلم يجمع لذلك و التّقدير ذوي إمامٍ. الثّاني: أنّه جمع إمامة مثل قلادة و قلاد.

الثّالث: هو جمع أم يؤم مثل حال و حلال.

ليباء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 🕏 يُها

، الفرقان في تفسير القرآن 🔷 🕏 🖒 العبا

الزابع: أنّه واحد إكتفى به عن أئمّة كما قال تعالى نخرجكم طفلاً، لزاماً أي ذا لزام، أو ملازماً فأوقع المصدر موضع إسم الفاعل.

#### ◄ التّفسير

تَبْارَكَ ٱلَّذَي جَعَلَ فِي ٱلسَّمْآءِ بُرُوجًا وَ جَعَلَ فيها سِراْجًا وَ قَمَرًا مُنيرًا

قرأ حمزة و الكسائي سرجاً على الجمع و الباقون، سراجاً، على التوحيد فمن وحّد أراد الشّمس وحدها و من جمع أراد الكواكب المضيئة كلّها قيل في نزولها لمّا جعلت قريش سؤالها عن إسمه الّذي هو الرّحمٰن و هو سؤال عن مجهول نزلت هذه الآية مصّرحة بصفاته التّي تعرف به و توجب الإقرار بألوهيّته و مناسبتها لما قبلها أنّه تعالى لمّا ذكر أنّه خلق السّموات و الأرض و ما بينهما و وصف نفسه بالرّحمٰن و سألوهم فيه عمّا وضع في السّماء من النّيران و ما صرف من حال اللّيل و النّهار لبادروا بالسّجود و العبادة للرّحمٰن ثم نبّههم على مالهم به إعتناء تام من رصد الكواكب و أحوالها و وضع أسماء لها و الظّاهر أنّ المراد بالبروج المعروفة عند العرب و هي منازل الكواكب السّيارة و هي الحمل، والثّور و الجوزاء و السّرطان و الأسد و السُّنبلة و الميزان و العقرب و القوس و الجدي و الدّلو و الحوت سمّيت بذلك لشبهها بما شبّهت به و سمّيت بالبروج و هي القصور العالية لأنّها لهذه الكواكب كالمنازل لسكّانها و إشتقاق البرج من التّبرج لظهوره إنتهى.

أقول ما ذكره في نزول الآية لا دليل عليه و الّذي يقّوي في النّفس هو أنّ اللّه بصدد بيان نعمه التّي أنعم بها على عباده و لمّا ذكر في الأيات السّابقة أنّه خلق السّموات و الأرض و ما بينهما أشار في هذه الآية إلى ما بينهما من البركات و الخيرات الواصلة إلى الموجودات و أنّما قال، جعل في السّماء، ولم يقل، خلق،

ضياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ عَمْ

لأنّ السّماء وجدت كذلك من أوّل الخلق لا أنّها خلقت ثمّ جعل اللّه البروج فيها و بعبارةٍ أخرى جعل اللّه السّماء كذلك أي أوجدها كذلك فلو قال خلق في السّماء بروجاً كان المستفاد منه تقدَّم خلق السّماء على ما فيها و ليس كذلك و هكذا قوله: و جَعَلَ فيها سِراٰجًا و قَمَرًا مُنيرًا و أنّما قلنا ذلك لأنّ السّراج و القمر نفس السّماء و حاصل الكلام هو أنّ اللّه تعالى جعل فوق رؤوسنا سراجاً و قمراً منيراً و يعبّر عن جهة العلو بالسَّماء و أمّا تفصيل الكلام في هذا الباب فهو موكولٌ إلى محلّه.

## وَ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱللَّيْلَ وَ ٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَراٰدَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَراٰدَ شُكُورًا

أي جعل اللّيل و النّهار يخلف كلّ واحدٍ منهما صاحبه فيما يحتاج أن يعمل فيه فمن فاته عمل النّهار إستدركه باللّيل فيه فمن فاته عمل النّهار إستدركه باللّيل فيخلف أحدهما الأخر في العمل و قيل معناه أحدهما أسود و الأخر أبيض فهما مختلفتان و قال أبو زيد معناه أحدهما يذهب و يجئ الأخر.

و قال الرّاغب في المفردات الخلفة يقال في أن يخلف كلّ واحدٍ الأخر و قيل أمره خلفة أي يأتي بعضهم خلف بعض قال تعالىٰ: ٱلَّذَي جَعَلَ ٱللَّـيْلَ وَ النّهارَ خَلْفَةً إِنتهى.

و قوله: لِمَنْ أَراد أَن يَذَكَر أَوْ أَراد شُكُورًا أي جعلنا اللّيل و النّهار كذلك لمن أراد أن يتفكّر و يستدل بها على أنّ لها مدّبراً و مصرّفاً أو أراد شكوراً، كذلك لمن أراد أن يشكر الله على ما أنعم به عليه فأنّ الشّكر على النّعمة واجبٌ عقلاً ففي هذا الكلام إشارة إلى أنّ العبد العاقل ينبغي أن يتفكّر في خلق السّموات و الأرض و ما بينهما من عجائب الخلقة و قد حثّ اللّه تعالى على ذلك في كثيرٍ من الأيات ثمّ أنّ اللّه تعالى بعد ذلك أشار إلى أوصاف عباده الصّالحين فقال:

العبد يقال على أربعة أضرب:

الأول: عبد بحكم الشّرع و هو الإنسان الّذي يصّح بيعه و إبتياعه و منه:

قال الله تعالى: ٱلْعَبْدُ بِالْعَبْدِ.

قال الله تعالى: عَبْدًا مَمْلُوكًا لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ (١).

و منه قوله العلاظ: العبد و ما في يده كان لمولاه.

الثَّاني: عبدٌ بالإيجاد و ذلك ليس إلاَّ للَّه تعالى و إيَّاه قصد:

قال الله تعالى: إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمْواتِ وَ اَلْأَرْضِ إِلَّا اٰتِي اَلرَّحْمٰنِ عَبْدًا (٢٠).

الثَّالث: عبدٌ بالعبادة و الخدمة والنّاس فيه ضربان، عبدٌ للّـه مخلصاً و هـو المقصود:

قال الله تعالى: وَ ٱذْكُرْ عَبْدَنْآ أَيُّوبَ انَّه كان عَبداً شَكُوراً.

قال الله تعالى: فَزَّلَ ٱلفُوْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ (٣).

قال الله تعالى: إِنَّ عِبادي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ (٢).

قال الله تعالى: كُونُوا عِبَادًا لي.

قال الله تعالى: إلا عِبادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ (۵).

و أمثال ذلك من الأيات.

القسم الثّانى: عبدٌ للدّنيا و أعراضها و هو المعتكف على خدمتها و مراعاتها و إليه أشار النّبي بقوله: تَعس عبد الدِّرهم، تعس عبد الدِّينار، و قوله التَّلِّذِ: النّاس عَبيد الدِّينا والدِّين لَعقُ علىٰ ألسنتهم الخ و على هذا يصّح أن يقال ليس

۲- مريم = ۹۳

۴- الحجر = ۴۲

١ – النحل = ٧٥٣ – الفرقان = ١

۵- الحجر = ۴۰

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

كل إنسانٍ عبداً لله فأنّ العبد على هذا بمعنى العابد لكنّ العبد أبلغ من العابد و النّاس كلّهم عباد اللّه بل الأشياء كلّها كذلك لكن بعضها بالتّسخير و بعضها بالإختيار و جمع العبد الذي هو مسترق عبيد و قيل عبداً، و جمع العبد الذي هو العابد، عباد فالعبد إذا أضيف إلى اللّه أعمّ من العباد و لهذا قال تعالىٰ: وَ مَا أَنَا بِعَلَلْم لِلْعَبِيدِ (١) فَنّبَه علىٰ أنّه تعالىٰ لا يظلم من يختص بعبادته و من إنتسب إلى غيره من الذين تسمّوا بعبد الشّمس و عبد اللاّت و نحو ذلك و العبوديّة في الأصل إظهار التّذلل يقال عبّدت فلاناً إذا أذللته و إذا إتّخذته عبداً و منه قوله تعالى أن عبّدت بني إسرائيل إذا عرفت معنى العبد و أقسامه و موارد إستعمالاته فإعلم أنّ قوله: و عباد الذي يمشي على الأرض هوناً أي على سكينة و وقارٍ و عبد، بكسر العين و هو الذي يمشي على الأرض هوناً أي على سكينة و وقارٍ و هو الذي إذا خاطبه الجاهل يقول سلاماً فأثبت اللّه تعالى له وصفين:

أحدهما: المشى على الأرض مو قراً و هو كناية عن التّواضع.

ثانيهما: قول السَّديد في جواب الجاهل الذي خاطبه بما يكرهه و هو كناية عن حسن الخلق و مراعاة الأدب فأنّ العبوديّة الحقيقية تقتضي ذلك و الإنصاف أنّ هاتين الصِّفّتين من أحسن الصّفات و قد حَّث اللّه تعالى بالإتّصاف بهما جميع عباده و في رأسهم الأنبياء و الأوصياء قال اللّه تعالى مخاطباً لنبيّه وَاللّه اللّه تعالى مخاطباً لنبيّه وَاللّه الله تعالى مخاطباً لنبيّه وَاللّه الله على عباده و في رأسهم الأنبياء و الأوصياء قال الله تعالى مخاطباً لنبيّه والله الله تعالى مخاطباً لنبيّه والله في كتابه:

وَ لَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ ٱلْجِبْالَ طُولً<sup>(٢)</sup>.

و المرح شدّة الفرح و التَّوسع فيه و هو كناية عن التَّكبر الَّذي هو ضدّ التَّواضع و أمّا في المقام فقال: وَ عِبْادُ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلَّذينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنَا يعنى على سكينةٍ و وقار و هو كناية عن التَّواضع قيل الهون على وجهين:



أحدهما: تذّلل الإنسان في نفسه لما لا يلحق به غضاضةً فيمدح به و الى هذا المعنى أشار النبي بقوله المؤمن هيّنٌ ليّنٌ.

الثّاني: أن يكون من جهة متسلّط به فيذّم به و اليه الإشارة بقوله تعالى: الثّاني: أن يكون من جهة متسلّط به فيذّم به و اليه الإشارة بقوله تعالى:

و قال: فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٢).

و ما نحن فيه من قبيل الأوّل فالمعنى أنّ عباد الرّحمن الّذين يمشون على الأرض متذّللاً خاضعاً و لا نعني بالتّواضع إلاّ هذا و قد مرّ الكلام في التّواضع في سورة الإسراء عند قوله تعالى: وَ لا تَمْشِ فِي اللّرْضِ مَرَحًلاً و قد وَرد في الأخبار أنّ من تواضع للّه رفعه اللّه و من تكبّر وضعه اللّه و الأخبار في مدحه كثيرة قال رسول الله الله الله الله الله بهنّ إلا خيراً، التّواضع لا يزيد الله به إلا إرتفاعاً، و ذلّ النّفس لا يزيد الله به إلاّ عزاً و التّعفف لا يزيد الله به إلاّ غنى إنتهى.

و عن أبي جعفر الباقر عليّاً إلى: قال أتى رسول اللّه ملك ليس له بالأرض عهد على البراق و معه قطيفة من إستبرق فقال أنّ اللّه عزّ وجلّ يخيّرك بين أن يجعلك عبداً رسولاً أو ملكاً رسولاً قال عليّا إلى فنظر الى جبرئيل فأوماً اليه بيده أن يتواضع فقال عبداً رسولاً فقال الرّسول مع أنّه لا ينقصك ممّا عند ربّك شيئاً قال و معه مفاتيح خزائن الأرض إنتهى (۴).

و عن الصّادق الطُّلِلِ أنَّه قال لا عزّ إلاّ لمن تذَّلل للَّه و لا رفعة إلاّ لمن تواضع إنتهي. (۵)

و أمّا قوله: وَ إِذا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا فهو إشارة الى حسن الخلق و مداراة النّاس و مراعاة الأدب نقل القرّطبي عن النحاس أنّـه قال ليس

١- الأنعام = ٩٣

 $<sup>^{*}</sup>$  الاسراء =  $^{*}$  الاسراء =  $^{*}$  الاسراء =  $^{*}$ 

۵- ص ۲۲۶

سلاماً من التَّسليم أنَّما هو من التَّسلم تقول العرب، سلاماً، أي تسّلماً منك و قال مجاهد معنى، سلاماً، سداداً أي يقول في جواب الجاهل كلاماً يدفعه به برفقٍ و لين، و قالت فرقة ينبغي للمخاطب أن يقول للجاهل، سلاماً بهذا اللَّفظ، نقل إبن شهور أشوب في مناقبه و القرطبي في تفسيره أنّ إبراهيم بن المهدي العباسي كان شديد الإنحراف عن أميرالمؤمنين فحدُّث المأمون يوماً فقال رأيت عليّاً عليّاً عليّاً عليّاً عليّاً النُّوم فمشيت معه حتّى جئنا قنطرة فذهب يتقدّمني لعبورها فأمسكته و قلت له أنَّما أنت رجلٌ يدَّعي هذا الأمر بإمرأةٍ و نحن أحقَّ به منك فما رأيته بـليغاً في الجواب قال المأمون و أيُّ شيئ قال لك قال ما زادني على أن قال سلاماً سلاماً فقال المأمون قد و الله أجابك ً أبلغ جواب قال كيف، قال المأمون عرَّفك أنَّك جاهلٌ لا تجاب. قال الله تعالى: وَ إِذا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا.

أقول العقل أيضاً يحكم بذلك فأنّ الجاهل لا يعتني بكلامه و من إعتني بكلامه فهو مثله و لذلك قيل جواب الأحمق ليس إلاّ السُّكوت أو سداداً من الكلام.

## وَ ٱلَّذِينَ يَبيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَ قِيامًا

قال صاحب الكشّاف البيتوتة خلاف الظّلول و هو أن يدركك اللّيل نمت أو لم تنم و قال الفراء بات الرّجل يبيت إذا أدركه اللّيل نام أو لم ينم و منه قول زهير: فبتنا قياماً عند رأس جوادنا يزاولنا عن نفسه و نزاوله

و قوله: سُجَّدًا، جمع ساجد و هذه الآية عطف على ما سبق و هو قوله: وَ يز عِبَادُ ٱلرَّحْمٰنِ و المعنى أنَّ عباد الرّحمن من أوصافهم المشي على الأرض هوناً وإذاخاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً و يبيّتون لربّهم سجدًاً و قياماً و هو كناية عن عبادتهم باللّيل بدليل قوله: سُجَّدًا وَ قِيلامًا و أنّما أشار بالسّجود و القيام لأنّ البيتوتة أعمّ من أن تكون للعبادة أو للمعصية و بداع أخر فليس مجرد البيتوتة في اللّيل ممدوحاً و أنّما الممدوح منها ما كان بقصد العبادة من الصّلاة و الدُّعاء و تلاوة القرأن و غيرها من الإذكار و الأوراد الشرعيّة و قد ورد أناً من قرأ شيئاً من

القرأن في صلاته و أن قلَّ بات ساجداً و قائماً و قيل هما الرّكعتان بعد المغرب و الرّكعتان بعد العشاء ذكره الزّمخشري في الكشّاف.

و أنّما قال لرّبهم للإشارة إلى مقام الإخلاص في الذّكر و العمل وكيف كان لا شكّ أنّ القيام باللّيل للعبادة مرّغبٌ فيه شرعاً و عقلاً و الأيات و الأخبار الواردة فعه كثيرة:

قال الله تعالىٰ: يَتْلُونَ اياتِ ٱللهِ انْآءَ ٱللَّيْلِ وَ هُمْ يَسْجُدُونَ (١).

و قال تعالى مخاطباً نبيه: وَ مِنَ ٱللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسْمَ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودً(٢).

قال الله تعالىٰ: أَمَّنْ هُوَ قَانِتُ انْآءَ اَللَّيْلِ سَاجِدًا وَ قَآئِمًا يَحْذَرُ اللهِ تعالىٰ: أَمَّنْ هُو قَانِتُ انْآءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَ قَآئِمًا يَحْذَرُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ المُلهِ اللهِ اللهِلمِي اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِل

قال اللّه تعالىٰ: وَ مِنَ ٱللَّيْلِ فَسَيِّحْهُ وَ إِذْبَارَ ٱلنُّجُومُ (\*).

قال الله تعالى: وَ مِنَ ٱللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَ سَـبِّحْهُ لَـيْلًا طَوِيلًا ٥٠ و غيرها من الأيات.

و أمّا الأخبار الواردة في فضيلة صلاة اللّيل و تلاوة القرأن من العامّة و الخاصّة فهي كثيرة جدّاً و بعد نصّ الكتاب على المدّعي لا نحتاج إلى نقل الأخبار و لنعم ما قيل:

۲- الإسراء = ۷۹ ۴- الطّور = ۴۹ إمنع جفونك أن تذوق مناماً و إعلم بأنك ميت و محاسب للسه قوم أخلصوا في حبه قسوم إذا جن الظلام عليهم خمص اليطون من التعفف ضمراً

و أذر الدّموع على الخدود سجاعاً يامن على سخط الجليل أقاما فرضى بهم و أخصتهم خدّاماً باتوا هنالك سبّداً و قياماً لا يعرفون سوى الحلال طعاماً

۱- أل عمران = ۱۱۳

٣- الزّمر = ٩

٥- الإنسان = ٢۶

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 🕈

و عن نوف البكالي قال رأيت أميرالمؤمنين التَّالِا ذات ليلة و قد خرج عن فراشه فنظر في النّجوم فقال لي يا نوف أراقدٌ أنت أم رامقٌ فقلت بل رامقٌ فقال التَّالِدِ:

قال عليه الآخرة. أُولَئِك في الدّنيا الرّاغِبين في الآخرة. أُولَئِك قَوْمُ اتّخذوا الأَرْضِ بسَاطاً وتُرَابَها فِرَاشاً وَماءَها طَيّباً والْقُرانَ شِعَاراً والدُعاءَ دَثَاراً ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنيَا قَرْضاً على مِنْهاجِ المَسيِحِ يانَوْفُ إِنّ دَاوُدَعلي قَامَ في مِثْلِ هَذِهِ السَّاعَةِ منَ اللَّيْلِ فَقالَ إِنَّها سَاعَةُ لا يَدْعُو فِيها عَبْدُ إِلّا اسْتجِيبَ لَهُ مِثْلِ هَذِهِ السَّاعَةِ منَ اللَّيْلِ فَقالَ إِنَّها سَاعَةُ لا يَدْعُو فِيها عَبْدُ إِلّا اسْتجِيبَ لَهُ إِلّا أَنْ يَكُون عَشَّاراً أَوْ عَرِيفاً أَوْ شُرْطِياً أَوْ صاحِبَ عَرْطَبَةٍ وهِ يَ الطُّنْبُورُ أَوْ صاحِبَ كُوبَةٍ وهي الطُّنْبُورُ الْأَنْ صاحِبَ كُوبَةٍ الطَّنْلُ والكُوبَةُ الطُّنْبُورُ... وقال عَلَيْلاً في أوصاف المتقين:

أَمَّا اللَّيْلَ فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لاَّجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلاً يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ دَوَاءَ دَائِهِمْ فَإِذَا مَرُوا بِآيَةٍ فِيهَا تَسْوِيقٌ رَكَنُوا الِيْهَا طَمَعاً وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ الِيْهَا شَوْقاً وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعُيُنِهِمْ وَإِذَا مَرُوا بِآيَةٍ فِيهَا تَصْوِيفٌ أَصْغَوْا الِيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ تَحْوِيفٌ أَصْغَوْا اللَّهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ تَحْوِيفٌ أَصْغَوْا اللَّهِا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ الْذَيهِمْ فَهُمْ حَانُونَ عَلَىٰ أَوْسَاطِهِمْ مُ فَتَرَشُونَ لِحِبَاهِهِمْ وَأَكْفُهِمْ وَرُكَبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ وَأَمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ يَطْلُمُ النَّهُونَ اللَّهِ تَعَالَىٰ فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ، وَأَمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ يَطْلُمُ النَّعْورَ وَلَوْدَاحِ يَنْظُرُ الْيُهِمْ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ عُلْمَاءُ أَبْرَارُ أَتْقِيَاءُ قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْىَ الْقِدَاحِ يَنْظُرُ الْيُهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ عَرْضَىٰ وَمَا بِالْقُومِ مِنْ مَرَضٍ وَيَقُولُ لَقَدْ خُولِطُوا! قَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرُ عَظِيمُ لاَ يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ الْكَثِيرَ فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتُهْفِقُونَ إلى أخر الكلام (١٠).

و محصّل الكلام في تفسير الآية هو أنّ لكلّ شئ علامة و علامة العبوديّة الحقيقيّة هو القيام بوظائف المقررة في الشّرع و من أهمّها بعد الواجبات التّهجد

باللّيل و مناجات الرّب و غيرها من الأذكار الواردة في الأخبار و لتفصيل الكلام فيه مقام أخر.

#### وَ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَـهَا كُــانَ غَرَامًا

و هذا هو الوصف الرّابع من الأوصاف المذكورة في هذه الأيات أي من جملة عباد الرّحمن وَ ٱلَّذَيِنَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ و فيه إشارة إلى أنّهم مع طاعتهم و عبادتهم مشفقون خائفون وجلون من عذاب الله قال إبن عبّاس يقولون ذلك في سجودهم و قيامهم.

و قوله: إِنَّ عَذَاٰبَهٰا كَانَ غَرَاْمًا، أي لازماً دائماً غير مفارق و منه سمّي الغريم لملازمته و قال الزّجاج الغرام أشّد العذاب و قال إبن زيد الغرام الشّر.

و قال أبو عبيدة الهلاك و المعنى واحد و في هذه الآية إشارة إلى خوفهم من عذاب الله و الخوف من أعلى المقامات في طريق السلوك لأنّ الخائف يترك المحرّمات و يفعل الواجبات بقدر الإستطاعة فالخوف ممدوحٌ لأنّه مقدمة للطّاعة و الإنقياد و ترك العصيان ففي الحقيقة هو من قبيل ذكر الملزوم و إرادة اللاّزم و ستأتي الإشارة إلى جهنّم وكيفيّة العذاب فيها في موضعه.

قال الحسن كلّ غريم يفارق غريمه إلاّ غريم جهنّم و في قوله هذا إشارة إلى اللّزوم و منه قول الشّاعر:

كانا عذاباً وكانا غراماً

و يوم اليسار و يوم الجفار و قال الأعشىٰ:

و إن يعط جزيلاً فأنّه لا يبالي

إن يـــعاقب يكـــن غـــرامــاً

### إِنَّهَا سٰآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقَامًا

أي أنّ جهنّم كذلك و قوله سائت يحتمل أن يكون بمعنى بئست و المخصوص بالذّم محذوف و في سائت ضميرٌ مبهم و يتّعين أن يكون مستقراً و

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷

مقاماً بتمييز و التقدير سائت مستقراً و مقاماً هي و هذا المخصوص بالذّم هو رابط الجملة الواقعة خبراً، لأنّ، في قوله: إِنَّها، و يجوز أن يكون سائت بمعنى أحزنت فيكون المفعول محذوفاً أي سائتهم و الفاعل ضمير جهنّم و جاز في مستقراً و مقاماً، أن يكونا تمييزين و أن يكونا حالين قد عطف أحدهما على الأخر و يظهر من الكلام أنّ قوله: وَ مُقاماً، معطوفٌ على سبيل التّوكيد لأنّ الإستقرار و الإقامة كأنّهما مترادفان و قيل المستقر للعصاة من أهل الإيمان فأنّهم يستقرون فيها و لا يقيمون و الإقامة للكفّار و قرأت فرقة و مقاماً، بفتح الميم أي مكان قيام و الجمهور بالضّم أي مكان إقامة.

وَ ٱلّذَينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قُوامًا هذه الآية أيضاً معطوفة على قوله: وَ عِبادُ ٱلرَّحْمٰنِ أي و من جملة أوصافهم أنهم لم يسرفوا في أموالهم و لم يقتروا، لاشك أنّ الإسراف و الإقتار مذمومان عقلاً و شرعاً، أمّا عقلاً فلخروجهما عن حدّ الإعتدال و هو ظلم و الظلم محكوم عقلاً أمّا خروجهما عن الإعتدال فهو واضح و أمّا أنّه ظلم لأنّه من قبيل وضع الشّئ في غير محلّه و لا نعني بالظّلم إلاّ هذا سواء كان في الأموال أم كان في غيرها و لا شك أنّ قبح الظّلم من المستقلات العقليّة، و أمّا شرعاً فلدلالة الأيات و الأخبار على ذمهما.

قال اللّه تعالىٰ: وَ اتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهٖ وَ لا تُسْرِفُوۤ ﴿ ' ' . قال اللّه تعالىٰ: وَ كُلُوا وَ اَشْرَبُوا وَ لا تُسْرِفُوۤ ﴿ ' ' . قال اللّه تعالىٰ: وَ كَذٰلِكَ نَجْزَى مَنْ أَسْرَفَ وَ لَمْ يُؤْمِنْ بِإِياتِ رَبِّهٖ ( ' ' ). قال اللّه تعالىٰ: وَ لا تَأْكُلُوهَاۤ إِسْرافًا وَ بِداْزًا ﴿ ' ' .

١- الأنعام = ١٤١
 ١- الأنعام = ١٤١
 ١٢٠ طه = ١٢٧

قال الله تعالى: كذلك يُضِلُّ ٱلله مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (١) و غيرها من الأيات.

و لا نحتاج إلى نقل الأخبار مع وجود الأيات و تصريحها به و مع ذلك نشير إلى شطر منها تكميلاً للبحث قريباً في موضعه.

و أمّا الإقتار، قال الرّاغب في المفردات القتر تقليل النَّفقة و هو بأزاء الإسراف و كلاهما مذمومان يقال رجلٌ قتور و مقتر و يقال قترت الشِّئ و أقترته و قتَّرته أي قلَّلته و أصل ذلك من القتار و القتر و هو الدِّخان السَّاطع من الشُّواء و العود و نحوهما فكأنَّ المقتر و المقتر يتناول من الشِّئ قتاره إذا عرفت معناه في اللُّغة فتقول هو مذمومٌ عقلاً و شرعاً كالإسارف فما يدلُّ على قبح الإسراف عـقلاً و شرعاً يدلُّ على قبح الإقتار أيضاً من غير فرقِ بينهما من هذه الجهة و ذلك لأنَّ الإقتار مقابل الإسراف و كلاهما خارجان عن حدّ الإعتدال و حيث أنّ الملاك في ذمّ الإسراف هو خروجه عن حدّ الإعتدال و هذا الملاك بـعينه وجـود فـي الإقتار لأنَّه أيضاً خارج عن الإعتدال فهو أيضاً مذمومٌ لوحدة الملاك فيهما إلاَّ أنَّ الخروج عن حدّ الإعتدال في جانب الإسراف بالزّيادة عليه و في جانب الإقتار بسبب النَّقص عن حدّ الإعتدال و من المعلوم أنَّ الزِّيادة و النقص كالاهما مذمو مان.

و أمّا شرعاً فنقول إذا كان القتر معناها تقليل النَّفقة كما عرفت فهو يرجع إلى البخل و لا شكّ في قبحه فالأخبار الدّالة على ذمّ البخل دالَّة على ذمّ الإقتار أيضاً . ما رواه في البحار بأسناده عم محمّد بن عمرو بن سعيد عن بعض أصحابه قال سمعت العبّاسي يقول إستأذنت الرّضا الرَّكِ في النَّفقة على العيال فقال اللَّهِ : بين المكروهين قال قلت جعلت فداك لا والله ما أعرف المكروهين فقال النِّه للي يرحمك الله أما تعرف أنّ

الله عزّ وجلّ كره الإسراف وكره الإقتار فقال: وَ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَنْفَقُوا لَمْ يُشْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَواٰمًا إنتهىٰ.

و عن دعوات الرّاوندي قال الصّادق الله أربعة لا يستجاب لهم دعاء رجل جالسٌ في بيته يقول ياربّ أرزقني فيقول الله ألم أمرك بالطّلب، و رجلٌ كانت له إمرأة فدعا عليها فيقول ألم أجعل أمرها بيدك و رجلٌ كان له مال فأفسده فيقول يا ربّ أرزقني فيقول له ألم أمرك بالإقتصاد ألم أمرك بالإصلاح ثمّ قرأ: وَ ٱلَّذَينَ إِذَآ أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَواٰمًا و رجلٌ كان له مال فأدانه بغير بينةٍ فيقول ألم أمرك بالشّهادة إنتهى.

و بأسناده عن إبراهيم بن ميمون قال سمعت أبا عبد الله يقول: ضمنت لمن إقتصد أن لا يفتقر إنتهى.

و بأسناده عن داود الرّقي عن أبي عبد الله قال النِّهِ: أنّ القصد إمرقُ يحبّه الله عزّ و جلّ و أنّ السّرف يبغضه حتّى طرحك النّواة فأنّها تصلح لشئ و حتّى حبّك فضل شرابك إنتهى.

و بأسناده عن أيّوب بن الحرّ قال سمعت رجلاً يقول لأبي عبد الله عليه الله عليه الله عليه الله عليه الله عليه الله عليه لا بل هو الكسب كله و من الدّين التّدبير في المعيشة إنتهى (١).

و الأخبار في الباب كثيرة جدّاً و الأصل في المقام هو أنّ الإسلام دين العدل و الإقتصاد في جميع الشّئون فأنّ قوله تعالى و كان بين ذلك قواماً إشارة إلى ما ذكرناه و إلى هذا المعنى أشار الله تعالى بقوله: وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا

اء القرقان في تفسير القرآن كما العجلد الثائر

د كرن ه و إلى هذا المعلى الندار الله العالى بعول. و كوف و كوف الله و المناف والتُبذير والتَّقتير الجزء الثّاني من كتاب الإيمان والكُفر ومكارم الأخلاق ص ١٩٩ ط كمباني قديم ج ١٥

ضياء القرقان فى تقسير

نسير القرآن ﴿ مُ \* بُحُمُ السَّمِا

لِتَكُونُوا شُهُذَاءَ عَلَى النَّاسِ<sup>(١)</sup> و لا يختص الإقتصاد بالأموال فقط بل هو مطلوب في العبادات و حتى في الأكل و الشُّرب و بالجملة في جميع الشَّئون.

فقد روي في البحار عن الحلبي بأسناده قال أبو جعفر التليد لأبي عبد الله يابتي عليك بالحسنة بين السَّيئتين تمحوها قال و كيف ذلك ياأبه قال التليد: مثل قول الله و لا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَ لا تُخافِتْ بِهَا وَ اَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبيلًا (٢) و مثل قوله: وَ لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَعْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَ لا تَبْعُطُها كُلَّ الْبَسْطِ (٣) و مثل قوله: وَ ٱلَّذينَ إِذَا اَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَشْرُفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا فأسرفوا سيئة و أقتروا سيئة و كان بين ذلك قواماً حسنة فعليك بالحسنة بين السَّيئتين إنتهى (٢).

أقول و هذا الحديث يكفينا في المقام لأنّ الإمام عليّالِا جعل الإسراف سيّئة و الإقتار سيّئة وكان بين ذلك قواماً حسنة و لتفصيل الكلام فيه مقام أخر و فيما ذكرناه كفاية لمن كان له طلبّ.

وَ ٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللّٰهِ إِلٰهًا اٰخَرَ وَ لَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللّٰهُ إِلّٰا بِالْحَقّ وَ لَا يَزْنُونَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا

هذه الآية أيضاً معطوفة على ما سبق أي و من أوصافهم أنهم لا يدعون مع الله إلها أخر أي يوّحدونه ولا يشركون به شيئاً و هذا هو الأصل في مقام العبودية فأنّ المشرك لا يكون من عباد الرّحمن بل هو من عباد الأوثان و الأصنام و السّر في ذلك أنّ العبادة فرعٌ على المعرفة فمن لم يعرف الله بالوحدانيّة و أنّه لا شريك له في الملك كيف يعدّ من عباد الرّحمن.

و أمّا قوله: وَ لا يَقْتُلُونَ آلنَّفْسَ آلَتي حَرَّمَ آلله لِلله بِالْحَقِّ ففيه إشارة إلى أنّ قتل النفس بغير حقً ينافي العبوديّة و القاتل كذلك يعد من الفسّاق و أنّما

١- البقرة = ١١٣

٣- الاسراء = ٢٩

قال إلاّ بالحقّ لأنّ القتل كذلك أي بالحقّ، ممدوحٌ مرّغبٌ فيه لقوله: وَ لَكُمْ فِي الْقِطِعاصِ حَيْوةٌ (١) بل تركه ينافي الإيمان و العبوديّة و هذا أيضاً ممّا لاكلام فيه. و أمَّا قوله: وَ لَا يَسرُّنُونَ، فهو أيضاً ثابت في الشّريعة فأنَّ الزِّناء من المحرّمات التّي لا خلاف فيها و قوله: أثّامً، أي عذاباً فسمّاه إثاماً لما كان منه و قيل معنى يلق إثاماً أي يجعله ذلك على إرتكاب الآثام و ذلك لإستدعاء الأمور الصّغيرة إلى الكبيرة و المشهور عند أهل اللّغة أنّ الإثام العقاب قال الشّاعر:

جزى الله إبن عروة حيث أمسىٰ عقوقاً و العقوق له أثامٌ.

و قيل إثام وادٍ في جهنّم جعله اللّه عقاباً للكفرة و قال أبو مسلم الأثام الإثم و معناه يلق جزاء الأثام فأطلق إسم الشّع على جزاءه إنتهى.

أقول و في ذكر قتل النّفس و الزّناء بعد الشّرك باللّه إشارة إلى أنّهما بعد الشّرك بالله من أعظم الذُّنوب و هو كذلك ألا ترى إلى قوله تعالى حيث قال:

وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَقِّدًا فَجَزْآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فيها وَ غَضِبَ ٱللَّـهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ۚ ٢ ۗ).

و قال: مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسْادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَـتَلَ ٱلتَّاسَ جَميِعًا وَ مَنْ أَحْيَاهًا فَكَأَنَّمْاۤ أَحْيَا ٱلتَّاسَ جَميعًا ۖ ۖ ۖ .

و قد تكلَّمنا في قتل النَّفس و ما يتّرتب عليه من الأثار في الدُّنيا و الأخرة عند قوله تعالم:

وَ لَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ (\*).

و أمَّا الزَّناء فهو بعد الشَّرك والقتل بغير حقٍّ من أعظم الذُّنوب و معناه وطئ المرأة بغير عقدٍ شرّعى قال الله تعالى:

وَ لَا تَقْرُبُوا ٱلزِّنْيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَ سٰآءَ سَبِيلًا<sup>(٥)</sup>.

٢- النّساء = ٩٣

۱۵۱ = الأنعام = ۱۵۱

۵- الأسراء = ٣٢

١- القرة = ١٧٩ ٣- المائدة = ٣٢

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

سير القرآن ﴿ حَمْ } العجلة الثاني عشر

و قد مرَّ الكلام فيه بما لا مزيد عليه.

### يُضاعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيْمَةِ وَ يَخْلُدْ فيهِ مُهانًا

أي و من يفعل كلّ واحدٍ من الشَّرك و القتل و الزّناء يضاعف له العذاب يوم القيامة قيل في كثرة الأجزاء و قيل يضاعف عذابه على عذاب الدّنيا، لا أتّه يتضاعف إستحقاقه لأنّه تعالى لا يعاقب بأكثر من الإستحقاق لأنّ ذلك ظلم يتعالى الله عن ذلك، و يخلّد فيها مهاناً، أي يخلّد في العذاب مهاناً أي مستّخفاً به أعاذنا الله منه بمحمّد و أله.

## إِلَّا مَنْ تَابَ وَ اٰمَنَ وَ عَمِلَ عَـمَلًا صَـالِحًا فَأُولُـئِكَ يُـبَدِّلُ ٱللَّـهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَحيِمًا

لمّا حكم اللّه في الآية السّابقة بتضاعيف العذاب يوم القيامة و الخلود في النّار مع الإستخفاف لهؤلاء العصاة إستثنى من ذلك من تاب أي رجع عمّا فعل من الذّنب و أمن باللّه و عمل صالحاً بعد ذلك ثمّ فرّع عليه تبديل السّيئات بالحسنات.

فنقول إختلفوا في الإستثناء فقال بعضهم أنّه متصلٌ من الجنس لأنّ التّائبين هم العصاة و قيل أنّه منقطعٌ لأنّ المستثنى منه محكوم عليه بأنّه يضاعف له العذاب فيصير التّقدير إلاّ من تاب و أمن و عمل صالحاً فلا يضاعف له العذاب و لا يلزم من إنتفاء التّضعيف إنتفاء العذاب غير المضّعف و على هذا فالأولى أن يكون الإستثناء منقطعاً أي لكن من تاب و أمن و عمل صالحاً فأولئك يبدّل اللّه سيّئاتهم حسنات و إذا كان كذلك فلا يلقى عذباً ألبتة.

أقول التّحقيق أنّ الإستثناء متّصل و ذلك لأنّ المحكوم عليه جنس العذاب إلا أنّ العذاب له مراتب متفاوتة و شدّةً و ضعفاً فالعذاب من حيث هو واحد و إذا حكمنا برفع العذاب بدليل الإستثناء حكمنا برفعه بالكلّية و أن شئت قلت رفعنا

ياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 🎝 🥕

جنس العذاب و هو أعمّ من المضاعف و غيره أي لا عذاب للتّائب أصلاً هذا كلّه في معنى الإستثناء و أمّا التّوبة فهي الرّجوع عن الذّنب يقال تاب إذا رجع و قد حثّ اللّه تعالى عباده العاصين إلى التّوبة في كثير من الأيات:

قال اللّه تعالىٰ: أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوّءًا بِجَهٰالَةٍ ثُمَّ ثَابَ مِنْ بَعْدِمٍ وَ أَصْلَحَ فَأَنَّهُ عَفُورُ رَحِيمُ (١).

و قال رسول الله وَ الله وَ الله الله وَ الله والله وال

قال التّوب ترك الذّنب على أجمل الوجوه و هو أبـلغ وجـوه الإعـتذار فأنّ الإعتذار على ثلاثة أوجه:

إمّا أن يقول المعتذر لم أفعل أو يقول فعلت لأجل كذا أو فعلت و أسأت و قد أقلعت و لا رابع لذلك و هذا الأخير هو التّوبة.

و التوبة في الشّرع ترك الذّنب لقبحه و النَّدم على ما فرَّط منه و العزيمة على ترك المعاودة و تدارك ما أمكنه أن يتّدارك من الأعمال بالإعادة فمتى إجتمعت هذه الأربع فقد كمل شرائط التّوبة إنتهى.

و المراد بقبول التوبة إسقاط العقاب بها و هو ممّا أجمع عليه علماء الإسلام و أنّما الخلاف في أنّه هل يجب على اللّه القبول حتّى لو عاقب بها بعد التّوبة كان ظالماً، أو هو تفضّل منه و كرمّ لعباده و رحمة لهم، فالمعتزلة على الأوّل و الأشاعرة على الثّاني و إليه ذهب الشّيخ أبو جعفر الطّوسي وَفَيُّ في كتاب الإقتصاد و العلامة و أيّ في بعض كتبه الكلامية و توقف الطّوسي وَفَيُّ في التّجريد و هل يجوز التّوبة من بعض دون بعضٍ فالأكثر على الجواز، و التّاء في التّوبة قيل، لتأنيث المصدر و قبل للوحدة، كضربة ثمّ أنّ التّوبة قو يكون للّه تعالى و قد يكون بداع آخر كما إذا تاب شارب الخمر بداعي الصّحة كما إذا أمره الطّبيب

بتركه و ما إذا ترك السِّرقة و غيرها من المعاصي لأجل الخوف من السُّلطان أو لغيره من الأغراض فأنّ هذا لا يسمّى تائباً في الشّريعة و أنّما التّائب من تاب و رجع عمّا فعل قربة الى اللّه و بداعي أمره و لذلك يكون الإيمان باللّه مأخوذاً في مفهوم التّوبة بحسب الشّرع و لأجل هذه الدّقيقة ذكر الإيمان بعد التّوبة و قال: للّا مَنْ تَابَ وَ أَمَنَ مشعراً بأن المكلّف لو تاب بدون الإيمان لا فائدة في توبته و حيث أنّ الإيمان لا يتّحقق في الخارج إلاّ بصورة العمل الصّالح قال: وَ عَمِلَ صَالِحًا، إذ لو لم يعمل الصّالحات بعد التّوبة كان المستهزء باللّه فالتّائب الحقيقي من تاب و آمن و عمل صالحاً و هو المطلوب.

و أمّا قوله: فَأُولٰيَّكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّتُاتِهِمْ حَسَنُاتٍ فالفاء للتَضريع أي تبديل السيّئات بالحسنات موقوف على تحقّق التَّوبة و الإيمان و العمل الصّالح: قال اللّه تعالىٰ: وَ مَنْ ثَابَ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى ٱللّهِ مَثَابًا (١).
قال اللّه تعالىٰ: وَ مَنْ ثَابَ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى ٱللّهِ مَثَابًا (١).

قال الله تعالىٰ: فَأَمّٰا مَنْ تَابَ وَ اٰمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَعَسٰىَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُقْلِحِينَ (٢).

قال الله تعالىٰ: وَ إِنِّى لَغَفَّارُ لِمَنْ تَـٰابَ وَ أَمَـنَ وَ عَـمِلَ صَـالِحًا ثُـمَّ أَهُتَذِى (٣).

قال الله تعالى: إِلَّا مَنْ تَابَ وَ أَمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَأُولَـ ثَكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةُ (٢) و غيرها من الأيات.

و محصّل الكلام أنّ تبديل السيّئات بالحسنات يتّوقف على التّوبة و الإيمان والعمل الصّالح.

و قوله: وَ كَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَحيمًا إشارة الى أنّ اللّه تعالى هو الّذي يغفر الذّنوب جميعاً و هو واضح لا خفاء فيه و الى ما ذكرناه أشار اللّه تعالى بعد هذه

۲– القصص = ۶۷

۴- مَريم = ۶۰

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

الآية بقوله: وَ مَنْ تَابَ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَّابًا أي من تاب من معاصيه و أقلع عنها و ندم عليها و أضاف الى ذلك الأعمال الصّالحة فأنّه يتوب الى اللّه متاباً أي يرجع الى اللّه مرجعاً عظيماً جميلاً.

قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية ما هذا لفظه لا يقال من قام فأنه يقوم، فكيف قال من تاب فأنّه يتوب، فقال إبن عبّاس المعنى من آمن من أهل مكّة و هاجر و لم يكن قتل و زنى بل عمل صالحاً و أدّى الفرائض فَإِنّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابًا، أي فأنّي قدمّتهم و فضّلتهم على من قاتل النّبي و إستّحل المحارم. و قال القفال يحتمل أن تكون الآية الأولى فيمن تاب من المشركين ولهذا قال: إلّا مَنْ تأب و أمَنَ، ثمّ عطف عليه من تاب من المسلمين و أتبع توبته عملاً صالحاً فله حكم التائبين أيضاً، و قيل أي من تاب بلسانه ولم يحقّق ذلك بفعله فليست تلك التّوبة نافعة بل من تاب و عمل صالحاً فحقّق توبته بالأعمال الصّالحة فهو الذي تاب إلى اللّه متاباً أي تاب حقّ التّوبة و هي النصوح و لذا أكد بالمصدر فمتاباً، مصدر معناه التّأكيد كقوله: و كلّمَ اللّه مُوسَى تَكْلَهِمًا (١) أي فأنّه بالمصدر فمتاباً، مصدر معناه التّأكيد كقوله: و كلّمَ اللّه مُوسَى تَكْلَهِمًا (١) أي فأنّه يتوب إلى اللّه حقاً فيقبل اللّه توبته حقاً إنتهى كلامه.

أقول أمّا ما ذكره من أنّه لا يقال من قام فأنّه يقوم فكيف قال من تاب فأنّه يتوب.

ثمّ نقل عن إبن عبّاس المعنى من أمن من أهل مكّة إلى أخر ما نقله عنه، ففيه: أمّا أوّلاً: أنّ اللّه تعالى لم يقل من تاب فأنّه يتوب، بل قال: مَنْ تُابَ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى ٱللّهِ مَتَابًا، و الفرق واضح و هذا كما تقول من قام للّه تعالى للصّلاة و الجهاد مثلاً فأنّه يقوم حقّاً أي أنّ القيام إذا كان للّه تعالى فهو القيام حقّاً و هذا من أفصح الكلام و بعبارةٍ أخرى ليس كلّ قيام ممدوحاً بل الممدوح هو القيام للّه و في المقام أيضاً نقول معنى الكلام أنّ التّوبة مع قطه النّظر

١- النّساء = ١۶٤

عن العمل الصّالح لا خير فيها بل الخير كلّه في التّوبة مع العمل و أمّا ما نقله عن إبن عبّاس فهو بمعزلٍ عن الآية فأنّ الآية بصدد بيان التّوبة و كيفيتها في حقّ جميع النّاس فتخصيصها بما ذكر يحتاج إلى دليلٍ و حاصل الكلام أنّ اللّه تعالى قسّم التّوبة إلى قسمين:

صوّري، و حقيقّي، ففي هذه الآية أشار إلى الثّاني و أنّ القسم الأوّل لا خير فيه فلا ينفع صاحبه هذا ما فهمناه من الآية و اللّه أعلم.

# وَ ٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَ إِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراْمًا

ثمّ عاد تعالى إلى وصف المؤمنين من عباده فالواو للعطف و المعنى أنّ عباد الرّحمن لا يشهدون الزُّور و هو تمويه الباطل بما يوهم أنّه حقّ.

و قال مجاهد الزُّور هاهنا الكذب و قيل هو الشَّرك و قى هو الغناء وقيل هو أعياد أهل الذّمة و الشّهود الحضور و المعنى أنَّ عباد الرّحمن الّذين لا يحضرون الزّور.

قال في المفردات قيل للكذب زورٌ لكونه مائلاً عن جهته.

و قال في المجمع في قوله: وَ ٱلَّذَبِنَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ قيل يعني الشّرك و قيل أعياد اليهود و النّصاري.

و في قوله: وَ اَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ الزُّورِ الكذب و الباطل و الشّبهة و روي أنّه يدخل في الزُّور الغناء و سائر الأقوال الملهية لأنّ صدق القول من أعظم الحرمات إذا عرفت هذا فقوله تعالى: وَ اللَّذينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ معناه لا يحضرونه و لا يكون بحيث يذّركونه بشيّ من حواسّهم الخمس، البصر و السّمع و الأنف و الفم و البشرة و من لا يشهد الزُّور فهو الذي لا يشهد به ولا يحضره لأنّه لو شهده لكان قد حضره فهو أعمّ في الفائدة من أن لا يشهد به و الزُّور تمويه الباطل بما يوهم أنّه حقّ.

الغرقان في غسير القرآن ﴿ ﴿ ﴿ ﴾ العجلد الثانو

و أمّا قوله: وَ إِذَا مَرُّوا بِاللُّغُو مَرُّوا كِراْمًا قيل في معناه مرُّوا من جملة الكرماء الذِّين لا يرضون باللُّغو لأنَّهم يجلُّون عن الإختلاط بأهله و الدُّخول فيه فهذه صفة الكرام و قيل مرورهم كراماً كمرورهم بمن يسبّهم فيصفحون عنه و كمرروهم بمن يستعين بهم على حقّ فيعينونه، وقيل هم الَّذين إذا أرادوا ذكر الفرج كنُّوا عنه و اللُّغو الفعل الَّذي لا فائدة فيه و ليس معناه أنَّه قبيح لأنَّ فعل السّاهي لغوّ و هو ليس بحسنٍ و لا قبيح عند قوم ولهذا يقال الكلمة التّي لا تفيد لغو، هذا ما ذكره الشّيخ في التّبيان.

و قد ذكر المفسّرون هذه الأقوال في تفاسيرهم و الجامع بين الأقوال أن نقول كلّ المعاصي لغوّ و قوله: كِرامًا، معناه معرضين منكرين لا يرضونه و لا يمالئون عليه و لا يجالسون أهله أي مرُّوا مرَّ الكرام الَّذين لا يدخلون في الباطل يقال تكُّرم فلان عمّا يشينه أي تنَّزه و أكرم نفسه عنه.

و نقل القرطبي في تفسيره أنّ عبد اللّه بن مسعود سمع غناءً فأسرع و ذهب فبلغ رسول اللَّهُ مَا لَهُ عَلَيْكُ فَقَالَ لَقَدَ أُصبِح إبن أمَّ عبد كريماً، و قيل من المرور باللّغو كريماً أن يأمر بالمعروف و ينهي عن المنكر.

# وَ ٱلَّذينَ إِذاْ ذُكِّرُوا بِاٰيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَ عُمْيَانًا

أقول هذا وصفٌّ أخر لعباد الرّحمن و هو من أحسن الأوصاف و أنفعها يوم القيامة قال أكثر المفسّرين المراد بالأيات الأيات النّازلة في القرأن أي إذا قرئ عليهم القرأن نزيه الح ذكروا أخرتهم و معادهم ولم يتغافلوا حتّى يكونوا بمنزلة من لا يسمع قاله القرطبي.

و قال الزّمخشري معناه أنّهم إذا ذكّروا بها أكبُّوا عليها حرصاً على إستماعها و أقبلوا على المذّكر بها و هم في إكبابهم عليها سامعون بأذانٍ واعيةٍ مبصرون بعيون راعية لاكالَّذين يذَّكرون بها فتراهم مكبّين عليها مقبلين على من يذَّكر بها مظهرين الحرص الشَّديد على إستماعها و هم كالصِّم العميان حيث لا يعونها و لا يتَّبصرون ما فيها كالمنافقين و أشباههم إنتهي كلامه.

و قال القرطبي في قوله: لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمَّا وَ عُمْيَانًا ليس ثمّ خروا كما يقال قعد يبكي و أن كان غير قاعد، قاله الطّبري و إختاره و قال إبن عطيّة و هو أن يخرُّوا صمّاً و عمياناً هي صفة الكفّار و هي عبارة عن إعراضهم.

أقول الحقّ أنّ الأيات لا تنحصر بالأيات القرأنيّة بل هي أعمّ من التّكوينات و التّشريعيات و المعنى أنّهم إذا ذكّروا بأدلّة اللّه التّي نصبها لهم نظروا فيها و فكروا في مقتضاها و لم يكونوا كالكفّار في ترك التَّدبر لها حتّى كأنّهم صمّ و عميان عنها و أنّما قلنا ذلك لأنّ الآية هي العلامة فكلّ موجودٍ يستدّل به على خالقه يسمّى بها سواء كان من مظهر كامل لخالقه ذاتاً وصفةً.

و أمّا قوله: لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْها صُمَّا وَ عُمْيانًا فمعنى، خرَّ، سقط سقوطاً يسمّع منه خرير و الخرير يقال لصوت الماء و الرّيح و غير ذلك ممّا يسقط من علّو فإستعمال الخَر تنبية على إجتماع أمرين: السّقوط، و حصول الصّوت منهم بالتّسبيح:

قال اللّه تعالىٰ: فَلَمّٰا تَجَلّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعْلَهُ دَكًّا وَ خَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴿ ١ ).

قال اللّه تعالىٰ: وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَاءِ فَ تَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ (٢).

قال الله تعالىٰ: إِذا تُتُلْى عَلَيْهِمْ أَيَاتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَ بُكِيًّا ۚ ٣ ۗ و الأيات كثيرة.

إن قلت بالمراد بالسُّقوط في المقام.

قلت سقوط البشر عن الإنسانيّة إلى الحيوانيّة في عدم التَّعقل فأنّ الّذي يسمع الأيات و لا يتّدبر فيها سقط عن مقامه اللاّئق به فهو من مصاديق:

١- الأعراف = ١٤٣

٣- مريم = ۵۸

قال الله تعالى: لَهُمْ قُلُوبُ لا يَقْقَهُونَ بِهَا وَ لَهُمْ أَعْيُنُ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَ لَهُمْ اٰذَاٰنُ لَا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُولٰئِكَ كَالْأَنْعَامَ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ( ¹ ).

و محصّل الكلام في الآية أنّ من أوصاف المؤمنين المتّقين أنّـه إذا ذكّـروا بأيات الله لم يخرُّوا عليها أي لم يسقطوا صمّاً و عمياناً فأنّ الصّم و العمي أعني به عدم التَّنبه و التفكّر في أيات اللّه عين السُّقوط عن مقام الإنسانيّة.

وَ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْواْجِنَا وَ ذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَ أَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا

هذا وصفٌ أخر لهم و هو أنّهم يقولون في مقام الدُّعاء ربّنا هب لنا من أزواجنا و ذريّاتنا قرّة أعين بأن نراهم مطيعين للّه و إجعلنا للمتّقين ممَّن يقتدىٰ بأفعاله في الطّاعات و العبادات و الأقوال و في قراءة أهل البيت و إجعل لنا من المتّقين إماماً.

أقول البحث حول الآية في مقامين:

المقام الأوّل: في قوله رَبَّنْا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواْجِنا وَ ذُرِّيّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُن و الأمر فيه واضح فأنّه دعاءٌ للولد و قد أمرنا بذلك لأنّ الولد الصّالح مطلوبٌّ لكلّ عاقل فضلاٍ عن المؤمن و قد ورد في الأخبار أنّه إذا مات إبن أدم إنقطع عمله إِلَّا مِن ثلاث إلى أن قال اللِّيلَا أو ولدُّ صالح يدعو له و قوله قرَّة أعين فهو كناية عن السُّرور و الفرح و هو مأخوذٌ من القرّ و هو البرد يقال دمع السُّرور و دوع الحزن - منحنّ و يقال أقرَّ اللّه عينيك و أسخن اللّه عين العدّو إلى هذا المعنى أشار أبو الله عين العدّو إلى هذا المعنى أشار أبو تمام بقوله:

و أمّا عيون الشّاحتين فـقرّت فأمّا عبون العاشقين فأسخنت و قيل هو مأخوذٌ من القرار أي يقرّ النّظر به و لا ينظر إلىٰ غيره و قال أبو عمرو و قرّة العين النّوم أي أمناً لأنّ الأمن لا يأتي مع الخوف حكاه القفال و قرّة العين فيمن ذكروا رؤيتهم مطيعين لله قاله إبن عبّاس قيل كانوا في أوّل الإسلام يهتدي الأب و الإبن كافر و الزَّوج و الزّوجة كافرة و كانت قرّة عيونهم في إيمان أجنابهم و قيل قرّة عين الولد أن تراه يكتب الفقه، و الظّاهر أنّهم دعوا بذلك ليحابُّوا في الدّنيا فيّسروا بهم.

أقول و من الظّاهر أنّها لإبتداء الغاية و المعنى هب لنا من جهة الأولاد بل تقرّبه عيوننا من طاعة و صلاح و يجوز أن تكون، من، للبيان كأنّه قيل هب لنا قرّة أعين ثمّ بنيت القُّرة و فسّرت بقوله: مِنْ أَزُو الجِنّا وَ ذُرّ يُاتِنا، و هذا ليس بشئ لأنّ، من، التي لبيان، الجنس لابّد أن تكون بعد المبيّن ثمّ أتى، بمن، البيّانية و ليس كذلك في المقام لأنّ المبيّن تأخُر، عن المبيّن و محصّل الكلام أنهم أي عباد الرّحمن يدعون الله و يطلبون منه أولاداً كذلك و من المعلوم أنّ الولد الصّالح من أحسن المواهب.

المقام الثَّانى: في قوله وَ ٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقَينَ إِمَامًا.

و قال الطّبرسي مَنْ فَي المجمع، أي إجعلنا ممّن يقتدي بنا المتقون طلبوا العزّ بالتقوى لا بالدُّنيا، و قيل معناه إجعلنا نأتّم بمن قبلنا حتّى يأتّم أي يقتدي بنا من بعدنا عن مجاهد و على هذا فيجوز أن يكون اللاّم في اللّفظ في المتّقين و في المعنى في، نا، و التّقدير و إجعل المتّقين لنا إماماً و مثله قول الشّاعر:

كأنّنا رعن قف يرفع الألاء، أي يرفعه الأل إنتهي.

و قال الشّيخ في التّبيان أي يسألون اللّه تعالى أن يجعلهم ممّن يقتدى بأفعالهم الطّاعات و في قراءة أهل البيت، و إجعل لنا من المتّقين إماماً إنتهي.

و قال الزّمخشري في الكشّاف بعد أن حمل الآية على ظاهرها، ما هذا لفظه و عن بعضهم في الآية ما يدلّ على أنّ الرّئاسة في الدّين يجب أن تطلب و يرغب فيها و قيل نزلت هذه الآية في العشرة المبشّرين بالجنّة إنتهى كلامه.

و قال الطّبري في تفسيره لهذه الآية بأسناده عن إبن عبّاس أنّه قال: وَ ٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقينَ إِمامًا أئمّة التّقوي و لأهله يقتدي بنا. و قال أخرون بل معناه و إجعلنا للمتقين إماماً فأتَّم بهم و يأتَّم بنا من بعدنا و ساق الكلام إلى أن قال و أولى القولين في ذلك بالصّواب قول من قال معناه و إجعلنا للمتقين الذين يتقون معاصيك و يخافون عقابك إماماً يأتّمون بنا في الخيرات لأنّهم أنّما سألوا ربّهم أن يجعلهم للمتقين أثمّة و لم يسألوه أن يجعل المتقين لهم إماماً إنتهى.

أقول ما ذكروه في تفسير الكلام لا يستقيم و ذلك لأنّ الكلام في هذه الأيات في أوصاف المؤمنين المتقين الذين عبّر عنهم بعباد الرّحمن و على هذا فقوله: وَ آجْعَلْنًا لِلْمُتَّقِينَ إِمامًا، هو كلام هؤلاء الأخيار الذين وصفه الله تعالى في هذه الأيات من قوله: وَ عِبادُ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلأَرْضِ هَوْنًا إلى قوله: وَ عِبادُ ٱلرَّحْمٰنِ اللَّهُ تَقينَ إِمامًا، هو قول هَوْنًا إلى قوله: إِمامًا، فأن قلنا أنّ قوله: وَ آجْعَلْنًا لِلْمُتَّقِينَ إِمامًا، هو قول هؤلاء العباد يلزم منه كون المتقين إماماً لأمثالهم من المتقين و لازم ذلك هو إقتداء المتقين بالمتقين بالمتقين.

إبن عبّاس أنّه قال: و آجْعَلْنا لِلْمُتّقين إمامًا أنّمة التّقوى و لأهله يقتدي بنا و قال آخرون بل معناه و أجعلنا للمتّقين إماماً فأتّم بهم و يأتم بنا من بعدنا و ساق الكلام الى أن قال و أولى القولين في ذلك بالصّواب قول من قال معناه و أجعلنا للمتّقين الذين يتّقون معاصيك و يخافون عقابك إماماً يأتّمون بنا في الخيرات لأنّهم أنّما سألوا ربّهم أن يجعلهم للمتّقين أنّمة و لم يسألوه أن يجعل المتّقين لهم إماماً إنتهى.

أقول ما ذكروه في تفسير الكلام لا يستقيم و ذلك لأنّ الكلام في هذه الأيات في أوصاف المؤمنين المتقين الذين عبّر عنهم بعباد الرّحمن و على هذا فقوله: و آجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا، هو كلام هؤلاء الأخيار الذين وصفهم الله تعالى في هذه الأيات من قوله: و عباد الرَّحْمٰنِ اللَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا إلى قوله: إِمَامًا فأن قلنا أنّ قوله: و آجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا، هو قول هؤلاء العباد يلزم منه كون المتقين إماماً لأمثالهم من المتقين و لازم ذلك هو

لياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷

رآن ﴿ مَا \* بَعْفُ الْمُجلَدُ الْفَانِي عَشَر

إقتداء المتّقين بالمتّقين كما هو معنى الإمام و بعبارةٍ أخرى يلزم تساوي الإمام و المأموم في التّقوى و قد ثبت أنّ التّرجح بلا مرّجح غير معقول فكيف يكون أحدهما إماماً و الأخر مأموماً فقول الطّبري لا معنى له اللّهم إلاّ يـقول قـائل أنّ السّائلين لمقام الإمامة درجاتهم في التَّقوى أفضل و أعلى ممّن يأتّهم بهم فالإمام أفضل من المأموم و هذا الإحتمال و أن كان حقًّا إلاَّ أنَّ ظاهر الآية لا يساعده لأنَّ المفروض أنَّ السَّائلين هم عباد الرّحمن الموصوفين بالأوصاف المذكورة في غيرهم منهم هذا إذا قلنا أنّ السّائلين بعض عباد الرّحمن لا جميعهم و أنت ترى أنَّ الآية لا تدلُّ على ذلك بل تدلُّ على أنَّ عباد الرّحمن جميعاً سألوا ذلك و محصّل الإشكال أنّه كيف يعقّل أن يكون عباد الرّحمن إماماً لأنفسهم فكأنّه قيل و أجعلنا على أنفسنا إماماً، و أمّا ما حكاه الزّمخشري من أنّ الآية تدلّ على أنّ الرّئاسة في الدّين يجب أن تطلب أو أنّ الآية نزلت في العشرة المبشّرة فهو شططً من الكلام إذ لم يدلّ دليل من العقل و الشّرع على وجوب طلب الرّئاسة في الدّين كما لم يدلّ دليل على نزولها في العشرة المبشّرة بل الدّليل ثابتٌ على خلافه أمّا الأوّل فواضح و أمّا الثّاني و هو نزولها في العشرة المبشّرة فأوّل الكلام فيه أنَّ أصل الحديث مجعولٌ و ثانياً على فرض صحَّته كما هـو كـذلك عـلى مذهب الزّمخشري و أمثاله يلزم منه أن تكون الأيـات المـذكورة مـن قـوله: وَ عِبْلهُ ٱلرَّحْمٰنِ الىٰ قوله: إِمْامًا، كلَّها في العشرة المبشّرة و لا يقول بــه عــاقل فضلاً عن مسلم لأنَّ الأوصاف المذكورة في الأيات بل و لا واحد منها لم توجد في العشرة و هلّ يقول عاقل أنّ سعداً و طلحة و إبن عوف و الزّبير بل و عثمان من عباد الرّحمن الّذين يمشون على الأرض هوناً الى آخر الأوصاف إذا عرفت هذا و علمت أنَّ الإشكال باق بحاله و أنَّه لا يعقل أن يقول عباد الرَّحمن إماماً فلا بدّ لنا في حلّ الإشكال من أحد أمرين على سبيل منع الخلّو.

أحدهما: الأخذ بظاهر الآية من غير تصرّفٍ فيها و على هذا فنقول لا شكّ أنّ الأوصاف المذكورة في الأيات الى قوله: و ٱجْعَلْنا لِلْمُتّقينَ إِمامًا ثَبَتت لعباد

الرّحمن و مقام العبوديّة الكاملة فوق التّقوى و أن شئت قلت العبوديّة أعلى مراتب التّقوى فصَّح أن يقول العبد الكامل و أجعلنا للمتّقين إماماً كما كان الرّسول إماماً لغيره من المتّقين و على هذا فالآية نزلت مشعرةً بأنّ العبد الموصوف بما ذكر في الأيات إمامٌ لأهل التّقوى و الإيمان.

ثانيهما: أن نقول بأن قوله: و أَجْعَلْنا لِلْمُتَّقينَ إِمْامًا، من المقلوب، و الأصل في و أجعلنا للمتقين إماماً، و أجعل لنا إماماً و به قال مجاهد و يؤيده من أهل البيت عليهم السّلام.

ففي تفسير علّي بن إبراهيم قال و قرئ عند أبي عبد الله الذين يقولون ربّنا هب لنا الى قوله: إمامًا، فقال النيلا قد سألوا الله عظيماً أن يجعلهم للمتقين أنّمة فقيل له كيف هذا يا بن رسول الله قال النيلا: أنّما أنزل الله: وَ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزُولْجِنا وَ ذُرِّيًا إِمَامًا إنتهى.

وعن أبي بصير قال: وَ ٱجْعَلْنا لِلْمُتَّقينَ إِمامًا، فقال سألتَ ربّك عظيماً أنّما هي وأجعَل لنا من المُتّقين إماماً، إنتهي.

و في بعض الأخبار أنّ الآية خاصّة في أميرالمؤمنين النّيلا ففي المناقب عن سعيد بن جبير قال هذه الآية و اللّه خاصة في أميرالمؤمنين كان أكثر دعاءه يقول ربّنا هب لنا من أزواجنا يعني فاطمة و ذرياتنا يعني الحسن و الحسين قرّة أعين قال أميرالمؤمنين و الله ما سألت ربّي ولداً أحسن القامة و لكن سألت ربّي ولداً مطيعين لله خائفين وجلين منه حتّى إذا نظرت اليه و هو مطيع لله قرّت به عيني قال النّيلا و أجعلنا للمتّقين إماماً نقتدي بمن قبلنا من المتقين فيقتدي المتّقون بنا من بعدنا إنتهى.

و في تفسير نور الثّقاين عن أبان بن تغلب قال سألت أبا عبد الله عن قول الله عن وجلّ: وَ ٱلَّذِينَ يَـقُولُونَ رَبَّـنا هَبْ لَـنا مِـنْ

لفرقان في تفسير القرآن كرميكي العجلد الثاني ا

أَزْو أَجِنَا الى قوله: وَ ٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا قال الْتَكِلَاِ: نحنُ هُم أهل البيت إنتهى.

و روى غيره أنّ أزواجنا خديجة و ذرياتنا فاطمة و قرّة أعين الحسن و الحسين و أجعلنا للمتّقين إماماً علّي بن أبي طالب و الأئمة عليهم السّلام إنتهى.

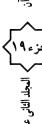
و في جوامع الجامع عن الصّادق التِّلاِ: في قوله: وَ ٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقينَ إِمَامًا، قال التِّلاِ: أيّانا عني إنتهيٰ.

أقول هذه الأحاديث كما ترى تنادي بأعلى صوتها أنّ اللّه تعالى أنزل الآية في أهل البيت إذا عرفت هذا فنقول قوله تعالى: وَ عِبْادُ ٱلرَّحْمٰنِ الى قوله: إمامًا و الأوصاف المذكورة في الأيات لا مصداق لها في العالم سوى أهل البيت عليهم السّلام و توضيح ذلك إجمالاً، أنّ قوله: وَ عِبْادُ ٱلرَّحْمٰنِ ٱللَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا هو المعصوم قطعاً لأنّ غير المعصوم لا يخلو من التكبر ولو قليلاً، و هكذا قوله: وَ إِذا خاطَبَهُمُ ٱلْجاهِلُونَ قالُوا سَلامًا فينحصر في المعصوم و قوله: وَ ٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَ قِيامًا على نحو الكمال لا يصدق إلاّ على المعصوم و هكذا باقي الأوصاف.

و محصّل الكلام هو أنّ عباد الرّحمن هم الموصوفون بتلك الصّفات المذكورة في الأيات و لا يوجد في عالم الوجود من كان متّصفاً بها غير المعصوم في أولاد آدم أوّلهم في الأسلام رسول الله و آخرهم الإمام المنتظر عليهم السّلام فحقٌ لهم أن يقول كلّ واحدٍ منهم و أجعلنا للمتّقين إماماً و لذلك يقال بعد رسول الله لأمير المؤمنين إمام المتّقين نصّ على ذلك رسول الله في خطبة الغدير وغيرها من الأخبار و على هذا فالآية على ظاهرها و لا نحتاج الى التّأويل و قد أعطاهم الله فاسألوا و طلبوا منه و جعلهم إماماً للمتّقين و هو المطلوب.

هذا ما إستفدناه من الآية من غير تصّرفٍ في ظاهرها و اللّه أعلم.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔹 ﴿



أُولٰٰتِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَ يُلَقُّوْنَ فيهَا تَحِيَّةً وَ سَلامًا

الغرفة في الجنّة المنازل العالية يعطيهم اللّه ثواباً على ما صبروا على طاعاتهم الّتي ذكرها في جنب الله و أنّهم يلّقون فيها تحيّةً و سلاماً، من الملائكة بشارةً لهم بعظيم الثَّواب قيل الغرفة بضمّ العين إسمّ معرّفٌ بأل فيعمّ أي الغرف كما جاء و هم في الغرفات آمنون، قال إبن عبّاس و هي بيوت من زبرجد و درّ و ياقوت، و قيل الغرفة من أسماء الجنّة و قيل، السَّماء السّابعة غرفة، وقيل هي أعلى منازل الجنّة و قيل المراد العلّو في الدّرجات، و الباء في بما صبروا، للسَّبب أي يعطون ذلك بسبب صبرِهم على مشّاق الدّنيا و صعوبة التّكليف و قيل للبدل أي بدل صبرهم، و قوله: يُلَقُّونَ بضمّ الياء و فتح اللام و القاف مشددةً و قد قري أ بفتح الياء و سكون اللآم و تخفيف القاف من باب لقى يلقى فعلى القول بتشديد القاف معناه يلقى اليهم التحيّة و السّلام من جانب الملائكة و على القول بالتّخفيف معناه أنّهم يلقون التَّحية و السّلام من عند أنفسهم ثـمّ وصفهم اللّه بالخلود فيها.

## خْالِدينَ فيها حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقْامًا

أي أنّهم خالدون في الغرفة لا يخرجون منها أبداً ثمّ قال: حَسُّنَتْ، أي الغرفة مستّقراً و مقاماً، فقوله: مُسْتَقَرًّا وَ مُقامًا، نصب على التّمييز أي حسنت الغرفة من حيث القرار و الإقامة فيها.

ز ١٩٠ كُم قُلْ مَا يَعْبَوُّا بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعْآوُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزاْمًا أي قل لهم يا محمد، ما يَعْبَوُّا بِكُمْ، أي ما يصنع بكم ربّى و أصله تهيئة الشَّى يقال عبأت الجيش بالتّخفيف و التّشديد إذ هيأته و العبأ الثقل و قال قوم ما لا يعبأ به أي لا يعتني به فوجوده و عدمه سواء و قوله: لَوْلا دُعْآؤُكُمْ، قيل معناه لولا دعاءه أيّاكم الى طاعته و لم يكن في فعلكم ما تطالبون به و هو مصدر، أضيف الى المفعول.

و قال الزّجاج معناه لولا توحيدكم و إيمانكم، و قال البلخي لولا كفركم و شركم ما يعبأ بكم بعذابكم و حذف العذاب و أقيم المضاف اليه مقامه.

قال صاحب الكشّاف لمّا وصف عبادة العباد و عدَّد صالحاتهم و حسناتهم و أثنى عليهم من أجلها و وعدهم الرّفع من درجاتهم في الجنّة إثّبع ذلك بيان أنّه أكثرت لأولئك و عباء بهم و أعلى ذكرهم و وعدهم فأوعدهم لأجل عبادتهم فأمر رسوله أن يصرّح للنّاس يجزم لهم القول بأنّ الإكتراث لهم عند ربّهم أنّما هو للعبادة وحدها لا لمعنى أخر و لولا عبادتهم لم يكترث لهم البتّة و لم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيئاً يبالي به و الدُّعاء العبادة و، ما، متضمنة لمعنى الإستفهام و هي في محل النّصب و هي عبارة عن المصدر كأنّه قيل و أيُّ عبأ يعبأ بكم لولا دعاؤكم يعني أنّكم لا تستأهلون شيئاً من العبئ بكم لولا عبادتكم إنتهى كلامه.

أقول الحقّ أنّ الآية من المشكلات لا من جهة صدرها و هو قوله: قُلْ مَا يَعْبَوُ الْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلا دُعَا وُكُمْ فأنَ ذلك واضح لا خفاء فيه فأنَ الإنسان إذا لم يعرف الله لا قيمة له عند الله و أنّما قدره و منزلته عنده بحسب معرفته و عبادته و هذا ممّا لا خفاء فيه و أنّما الكلام في قوله: فَقَدْ كَذَبْتُمْ فَسَوْفَ فَسَوْفَ لَيْكُونُ لِزامًا من حيث أنّ المخاطب بقوله كذّبتم، من هو، و المفروض أنّ الأيات من قوله: وَ عِبادُ ٱلرَّحْمٰنِ إلى أخر السُّورة في أوصاف الصَّلحاء و العبّاد فظاهر الآية أنّ الخطاب في، كذّبتم، متوّجة إليهم و قوله: فَسَوْفَ يَكُونُ لِزامًا معناه فسوف يكون تكذيبكم لزاماً، أي عذاباً و على قول من قرأ بفتح اللام، أي ثابتاً و يظهر من هذا الكلام أنّهم أي عباد الرّحمن كانوا قبل ذلك من المكذّبين و أنّهم يعذّبون يوم القيامة على تكذيبهم، و هذا كما ترى لا يستقيم المكذّبين و أنّهم يعذّبون يوم القيامة على تكذيبهم، و هذا كما ترى لا يستقيم يكون العقاب لازماً لهم يوم القيامة هذا وجه الإشكال فيها.

قال صاحب الكشّاف فأن قلت إلى من يتَّوجه هذا الخطاب.

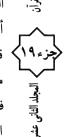
بياء الفرقان في تفسير القرآن مياء الغرقان في تفسير القرآن مياء الغرقان في تفسير القرآن قلت إلى النّاس على الإطلاق و منهم مؤمنون عابدون، و مكذّبون عاصون فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة و التّكذيب، و قرئ فقد كذّب الكافرون و قيل يكون العذاب لزاماً إنتهى.

و أنت ترى أنّ ما ذكره لا يرفع الإشكال و ذلك لأنّ قوله فقد كذّبتم فسوف يكون لزاماً، من تتَّمة الأيات التّي بيَّنت أوصاف عباد الرّحمن و الفاء في قوله: فَقَدْ كَذَّبْتُمْ للتّفريع فيكف يمكن الجمع بين الأوصاف المذكورة و التّكذيب و الّذي يختلج بالبال و اللّه أعلم بالصّواب إحتمالان:

أحدهما: أن نقول أنّ عباد الرّحمن قبل الوصول إلى مقام العبوديّة كانوا من المكذّبين ثمّ صاروا بعد ذلك من المصُّدقين ببركة الإسلام و الإيمان فقوله تعالى: فَقَدْ كَذَّ بُتُمْ إشارة إلى ما قبل قبولهم الإسلام و المعنى أنّكم كنتم كذلك ولولا دعاؤكم أي معرفتكم و عبادتكم بالله لكان التّكذيب لازماً لكم و كنتم من الخاسرين.

ثانيهما: ضمّ الكاف في كُذّبتم، على صيغة المجهول و المعنى أنّكم كذّبتم من جانب الكفّار في إيمانكم و صلاحكم فسوف يكون، تكذيبهم لكم، لزاماً، لهم يوم القيامة أي عذاباً و هذا الإحتمال أقوى عندي و أن كانت قراءة المشهور فتح الكاف بصيغة المعلوم و ذلك لأنّ ردّ القراءة ليس ردّ القرأن و لا سيّما عند إقتضاء المعنى ذلك نعم إحتمال الأوّل و هو فتح الكاف لا بأس به على تفسير القوم من أنّ عباد الرّحمن هم المؤمنون بعد مفرهن و تكذيبهم و أمّا على ما فسّرنا الآية و قلنا أنّ عباد الرّحمٰن مع الأوصاف المذكورة لا مصداق لهم إلاّ المعصوم على ما مرّ شرحه و بيانه فالإحتمال الثّاني هو المتّبع لأنّ الكفّار كذّبوهم و أنكروهم فالعذاب ثابت لهم يوم القيامة و أنت إذا أمعنت النّظر فيما قلنا في الأيات المذكورة لعلمت أنّه لا مخلص للإشكال إلا بقراءة المجهول في قوله، كذّبتم، و اللّه أعلم بكلامه.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷



## ورَةُ ٱلشُّعَرُ آءِ ﷺ

## بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحيمِ

طستم (١) تِلْكَ أَيَّاتُ ٱلْكِتَّابِ ٱلْمُبِينِ (٢) لَعَلَّكَ بْاخِعٌ نَفْسَكَ أَلًّا يَكُونُوا مُؤْمِنينَ (٣) إِنْ نَشَأَ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلسَّماآءِ أياةً فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَهَا خَاضِعينَ (۴) وَ مَا يَأْتيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِـنَ ٱلرَّحْمٰن مُحْدَثِ إلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضينَ (۵) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَؤُا مِا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٤) أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فيها مِنْ كُلِّ زَوْج كَريم (٧) إِنَّ في ذٰلِكَ لَاٰيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنيِّنَ (٨) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَـهُو الْعَزيزُ الرَّحيمُ (٩) وَ إِذْ نَـادٰي رَبُّكَ مُوسٰى آنِ أَثْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (١١) قَالَ رَبُّ إِنِّي أَخْافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (١٢) وَ يَضيقُ صَدْرى وَ لَا يَنْطَلِقُ لِسْانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هٰرُونَ (١٣) وَ لَهُمْ عَـلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (١٤) قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِاٰيٰاتِنٰآ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (١٥) فَأُتِيٰا فِرْعَوْنَ

ضياء القرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ العجلد الثاني عنا

فَقُولاً إنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَالَمينَ (١۶) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنا بَنيَ إِسْراآئيلَ (١٧) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فينا وَليدًا وَ لَبَثْتَ فينًا مِنْ عُمُركَ سِنينَ (١٨) وَ فَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَ أَنْتَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ (١٩) قَالَ فَعَلْتُهُا إِذًا وَ أَنَا مِنَ ٱلضَّالِّينَ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَـوَهَبَ لَى رَبِّى حُكْمًا وَ جَعَلَني مِنَ ٱلْمُرْسَلينَ (٢١) وَ تِلْكَ نِعْمَةُ تَمُنُّهُا عَلَى أَنْ عَبَّدْتَ بَنيَ إِسْراآئيلَ (٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ وَ مَا رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ ٱلسَّمٰواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ مَا بَـيْنَهُمٰآ إِنْ كُـنْتُمْ مُوقِنينَ (٢۴) قَالَ لِمَنْ حَـوْلَةٌ أَلَا تَسْتَمعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ الْإِلَّائِكُمُ ٱلْأُوَّلِينَ (٢۶) قْالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيِّ أَرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونُ (۲۷) قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَ ٱلْمَغْرِبِ وَ مَا بَيْنَهُمْ آ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلْهًا غَيْرِي لاَّجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ (٢٩) قَالَ أُولَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبينِ (٣٠)

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷



✔ اللّغة

بلخِعٌ: قال في المفردات البخع قتل النّفس غمّاً، و قال في المجمع هـو مـن قولهم بخع نفسه بخعاً أي قتلها غمّاً و وجداً و بخع بالحقّ بخوعاً كمنع أقرَّ به و خضع له إنتهى.

> المجلد الثاني عشر

ضياء الفرقان في تفسير القرآ

القرآن كم المجلد الثاني ع

فَظَلَّتْ: الظَّل ضدّ الضَّح و هو أعمّ من الفئ.

نَبَا: النَّبأ الخبر و منه النَّبي لأنَّه يخبر عن اللَّه تعالى.

يَضِيقُ: الضِّيق ضدّ السِّعة.

عَبَّدْتَ: بالباء مشدّدةً أي جعلتهم كالعبيد.

#### ◄ الإعراب

ألا يَكُونُوا مفعول له أي لئلا أو مخافة أن لا يكونوا فَظَلَتْ أي فتَظل، و موضعه جزم عطفاً على جواب الشّرط و يجوز أن يكون رفعاً على الإستئناف كم في موضع نصب و أنبتنا و مِن كُلِّ تمييز و يجوز أن يكون حالاً أن أنتِ أن مصدرية أو بمعنى، أي، ويَضبقُ صَدْري بالرّفع على الإستئناف و بالنّصب عطفاً على المنصوب قبله. مِنْ عُمُرِكَ في موضع الحال من، سنين، قبل ألف الإستفهام محذوف أي أو تلك تَمنها في موضع رفع صفة لنعمة و حرف الجرّ محذوف أي بها، أنْ عَبدنت بدل من نعمة أو على إضمار، هي.

#### ▶ التّفسير

#### طستم

قد مرَّ الكلام في الحروف المقطعة و لا سيّما في أوّل سورة البقرة و قلنا فيها أنّ معانيها لا يعلمها إلا الله، و قال بعضهم أنّها أسماء السُّور و قيل طُسَمَ، من أسماء القرأن و الأقوال كثيرة و لا فائدة في نقلها فأنّها رموز القرأن و علمها عند الله تعالىٰ.

## تِلْكَ أَيْاتُ ٱلْكِتَابِ ٱلْمُبينِ

تقديره تلك الأيات أيات الكتاب المبين و حيث أنّ، تلك، إنّما يشار بها إلى الحاضر و ما نحن فيه ليس بحاضر قالوا كلّ متّوقع في حكم الحاضر فهو

كالحاضر بحضور المعنى في النّفس و قيل أنّ، تلك، بمعنى هذا و معنى الكتاب القرأن و وصفه بأنّه المبين لأنّ به تبيّن الأحكام لأنّ البيان إظهار المعنى للنّفس بما يتَّميز به عن غيره و هو مأخوذ من البينونة و هي التَّفرقة بين الشَّيِّ و غيره فالمبين الذّي يبين الحقّ من الباطل و سمّي أيضاً فرقاناً لأنّه يفرق بينهماً.

## لَعَلَّكَ بِاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنينَ

قال البخع القتل و المعنى لعلُّك قاتل نفسك و قال إبن زيد مخرج نفسك عن جسدك قال ذو الرّمة:

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه لشئ نحته عن يديه المقادر و قال إبن عبّاس أن لا يكونوا مؤمنين، فيه أي في القرأن و كيف كان ففيه مبالغة على حرص النبي تَالَيْكُونَ لَا يمان الكفّار.

قال الزّمخشري، لعلّ، للإشفاق يعني أشفق على نفسك أن تقتلها حسرةً على ما فاتك من إسلام قومك و أنّما قال ذلك لأنّ النّبي وَلَلْهُ وَاللَّهِ عَلَى حريصاً عملى إيمان الكفّار ثمّ قال تعالى تسليةً له وَلَهُ وَاللَّهُ عَالَمُ السَّماء وَنَزَل عليهم من السّماء أية فظَّلت أعناقهم لها خاضعين» لمّا بيّن الله تعالى حرص النّبي على إيمانهم بحيث كان أن يقتل نفسه تأسّفاً على تركهم الإيمان أخبره بأنّه قادرٌ على أن ينزل عليهم أيةً و دلالةً من السّماء تظّل أعناقهم لها خاضعة بأن تلجأهم إلى الإيمان لكن ذلك نقيض الفرض بالتّكليف لأنّه تعالى لو فعل ذلك لما إستّحقوا ترباً و لا يز، ٩ الى مدحاً لأنّ الملجأ لا يستّحق النّواب و المدح على فعله لأنّه بحكم المفعول فيه قاله في التّبيان.

إن قلت كيف صحّ مجئ خاضعين خبراً عن الأعناق و الخضوع من خصائص العقلاء و قد كان أصل الكلام، فظَّلوا لها خاضعين، و بعبارةٍ أخرى حقِّ الكلام أن يقال أعناقهم خاضعة لا خاضعين.

قلت قد أجابوا عنه بوجوهٍ:

أحدها: أنّ المراد بالأعناق الرُّؤساء منهم.

ثانيها: أنّه على حذف المضاف أي فكلّ أصحاب الأعناق.

ثالثها: أنّ الأعناق جمع عنق من النّاس و هم الجماعة يقال جاءنا عنق من النّاس أي فوجّ منهم وليس المراد الجارحة المعلومة.

رابعها: إقحام الأعناق لبيان موضع الخضوع و ترك الكلام على أصله.

خامسها: أنَّ الأعناق لما أسندت إلى العقلاء عوملت معها معاملة العقلاء على طريق المجاز العقلي.

سادسها: لما أضاف الأعناق إلى المذّ كر وكانت متصلّة بهم في الخلقة و التّكوين أجرى عليها حكمهم.

قال صاحب الكشّاف ما هذا لفظه و عن إبن عبّاس نزلت هذه الآية فينا و في بني أميّة قال ستكون لنا عليهم الدولّة فتّذل لنا أعناقهم بعد صعوبة و يلحقهم هوان بعد عزّة إنتهى.

أقول الحقّ أنّ الأعناق لمّ أضيفت إلى ضمير، هم، أعني به العقلاء إكتسبت منهم التّذكير كما يكتسب التأنيث بسبب الإضافة ثمّ أنّ المراد بالآية هو أنّ مدار التكليف في الدّنيا على الإختيار لا على الجبر فلو أنزل اللّه تعالى ما أجبرهم على الإيمان و الطّاعة يلزم نقض الفرض من التّكليف فأنّ إيمان المجبور وعبادته لا قيمة لها و بعبارة أخرى لو شئنا لأجبرناهم على العبادة فأنّ اللّه الّذي خلق الخلق قادرٌ على سلب الإختيار منهم و إلى هذا المعنى أشار بقول:

قال اللّه تعالى: إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَ إِمَّا كَفُورًا ١٠٠.

قال الله تعالى: لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ (٢).

وَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضينَ

أخبر الله تعالى في هذه الآية من عناد الكفّار و لجاجهم أنّه ما يأتيهم من ذكر و هو القرأن إلاّ أنّهم كانوا معرضين عنه و لا ينظرون فيه و من كان كذلك لا ينبغي التّأسف على بقاءه في الكفر بل يقال ذرهم في خوضهم يلعبون، قال اللّه مخاطباً لنبيه: فَلْاتَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ (١).

## فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ

أنباء جمع نبأ و هو الخبر و منه النَّبي لأنِّه يخبر عن اللَّه تعالى و قوله: فَسَيّاً تيهِم، أي فيما بعد و هو يوم القيامة أي سيرون جزاء عنادهم و إستهزاؤهم يوم القيامة.

## اَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيم

أي أو لم يروا هؤلاء الكفّار المعاندين إلى الأرض كم أنبتنًا فيها مّن كلّ زوج كريم من أنواع النّباتات فيستدلّوا على توحيده و أنّه لا يقدر عليه غيره، وصفً الزُّوج و هو الصِّنف من النّباتات بالكرم، لأنّ الكريم صفة لكلّ ما يرضي و يحمد في بابه يقال وجه كريم إذا رضي في حسنه و جماله و بالجملة الكريم المرّضي فيما يتعلَّق به من المنافع و قيل يعني ممّا يأكل النّاس و الأنعام و في الآية إشارة أو دلالة على أنّ هؤلاء الكفّار كما لم يستضيئوا بنور العقل لم يستضيئوا بنور الحّس أيضاً و الى هذا المعنى أشار بقوله تعالى: أَوَ لَمْ يَرَوْا أَي أُو لَم ينظروا ز ع ١٩ كا الله الأرض و ما فيها من أنواع النّبات و أنّ اللّه هو الّذي أنبت فيها ما أنبت و لذلك قال:

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَاٰيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ، وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ألرَّحيمُ

أي أنّ في ذلك الإنبات لآية و دلالة على وجود الصّانع الحكيم و مع ذلك ما كان أكثرهم مؤمنين و أنّ ربّك لهو العزيز، أي الغّني القادر الّذي لا يعجز ولا يغلب، الرَّحيم، أي المنعم على عباده بأنواع النّعم الّتي لا يمكن إحصائها و حاصل الكلام أنّ المعاند في الحقيقة منكرٌ لعقله و حسّه و من كان كذلك فهو كالأنعام بل أضَّل منها و المقصود من هذه الآيات هو أنّ هؤلاء الكفّار في كلّ عصر و زمانٍ معرضون عن الحَّق فلا تنفعهم الموعظة و الإرشاد.

## وَ إِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ آئْتِ آلْقَوْمَ آلظَّالِمِينَ، قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ

موسى من أنبياء بني إسرائيل وهو من أولى العزم من الرُّسل و أبوه عمران بن يصهر بن فاهت بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم و كان بينه و بين إبراهيم خمس مائة سنة و كان أخوه هارون أكبر منه و توفّىٰ قبل موسى و عاش موسى في الدُّنيا مائتين و أربعين سنة و هو أوّل رسولٍ أرسل من بني إسرائيل و من تقُّدمه كانوا أنبياء غير رسل و آخر رسل بني إسرائيل عيسي بن مريم و بينهما ستّمائة نبَّى و كان في لسان موسى عقدة و ثقل و كان أخوه هارون أفصح مـنه لساناً وكان لهارون و لدان أحـدهما شبّير و الآخـر شبَّر، و أمّ مـوسى إسـمها بوخائيد أو ناحية أو نخيب على إختلاف الرّوايات و هي بنت إشموئيل من ولد إبراهيم و لم يكن لموسى ولد و إنّما الخلافة كانت لولد هارون كما أنّ رسول اللَّهُ وَلَهُ أَنْكُلُهُ لَم يكن له ولد و الخلافة كانت في ولد أخيه علَّي بن أبي طالب قال رسول اللّه اللَّهِ اللَّهُ اللَّالَّاللَّاللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ بعدي» و كان الوحي من الله ينزل على موسى لكونه أفضل من أخيه و هو يخبر أخاه بما يوحي إليه و إذا غاب موسى عن قومه كان هارون خليفته فيهم و هــو أخوه من أمّه و أبيه.

لقرآن

و أمّا فرعون فهو إسمُّ أعجّمي يقال تفرعن فلان إذا تعاطى فعل فرعون كما يقال أبلس و تبَّلس و منه قيل للطُّغاة الفراعنة و الأبالسة إذا عرفت هذا فنقول قال اللّه تعالى: وَ إِذْ نُادٰى رَبُّكَ الخطاب للنّبي و تقدير الكلام و أذكر يا محمّد إذ قال ربّك الّذي خلقك و ربّاك و قوله موسى معناه قال له يا موسى، أئت القوم الظَّالمين، على أنفسهم بإرتكاب المعاصى و إنكار الخالق ثمَّ بيِّن القوم الظَّالمين و قال، قوم فرعون و هو عطف بيان، ألا يتَّقون، أتى بالياء على سبيل الحكاية و تقديره فقل لهم ألا تتَّقون و مثله:

قوله تعالىٰ: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَـتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ اللَّيٰ جَـهَنَّمَ وَ بِئْسَ ٱلْمِهَادُ (١).

## قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ

يَتُقُونَ بِالياء و التّاء و ما نحن فيه أيضاً كذلك فلو قرئ بالتّاء كان جائزاً أمر اللّه موسى أن يقول لفرعون و قومه ألا تتَّقون و التَّقوى مجانبة القبائح بـفعل المحاسن و أصله حرف الأمر بحاجزٍ بين الصّارف و بينه.

## قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ

يُكَذِّبُونِ بكسر الباء و النُّون و الأصل ربّي و يكذّبوني فحذفت الياء في الأوّل لكونه منادى و الأصل قال ياربّي و في الثّاني، بأنّ و المعنى أنّ موسى قال في جواب ربّه أنّي أخاف أن يكذّبون، أي أخاف تكذيب فرعون رسالتي كما هـو عزء ١٩ كل دأب الكفّار في جميع الأزمان و في صورة التَّكذيب لا ينفع ظاهراً ثـمّ أضاف موسى الى الخوف ضيق الصّدر و عدم إنطلاق اللّسان كما حكى اللّه تعالى عنه بقوله:

## وَ يَضيقُ صَدْرِي وَ لَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هٰرُونَ

حكى الله تعالى عن موسى، قال و يضيق صدري الصّدر غُمَّ يمنع سلوك المعاني في النَّفس و ضدّه سعة الصَّدر فكما أنّ ضيق الطّريق يمنع من السّلوك فيه كذلك ضيق الصَّدر يمنع من سلوك المعاني في النَّفس و قوله: و لا يَنْطَلِقُ لِيسَاني معناه لا ينبعث الكلام و قد يتعذر ذلك لآفةٍ في اللّسان و قد يتعذّر لضيق الصَّدر و غروب المعاني الى تطلّب الكلام و لا يبعد أن يكون ضيق الصَّدر إنطلاق اللّسان لأجل الخوف.

و قوله: فَأَرْسِلُ إِلَى هُرُونَ معناه إجعله نبيًا كما جعلتني نبيًا لمعاونتي فليس في هذا الكلام إستعفاء لموسى عن مقامه و إحالته الى غيره بل طلب منه تعالى أن يجعل هارون نبيًا كما جعل موسى نبيًا و إنّما قال ذلك حرصاً على القيام بالطّاعة و من المعلوم أنّ موسى لم يسئل ذلك إلا بعد أن أذن الله تعالى له فأن الأنبياء لا يسألون الله إلا ما يؤذن لهم في مسألته و يؤيّده قوله تعالى حكايةً عن موسى قال:

قَالَ رَبِّ اَشْرَحْ لَى صَدْرى، وَ يَسِّرْ لَى أَمْرى، وَ اَحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانى، يَقْقَهُوا قَوْلى، وَ اَجْعَلْ لَى وَزَيْرًا مِنْ أَهْلَى، هٰرُونَ أَخِى، أُشْدُدْ بِهَ لَسْانى، يَقْقَهُوا قَوْلى، وَ اَجْعَلْ لَى وَزَيْرًا مِنْ أَهْلَى، هٰرُونَ أَخِى، أُشْدُدْ بِهَ أَزْرى، وَ أَشْرِكُهُ فَى أَمْرى، كَىٰ نُسَيِّحَكَ كَثِيرًا. و قال اللّه تعالىٰ في جوابه: قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى.

فهذه الأيات مفسرة لقوله تعالى حكاية عن موسى: فَأَرْسِلُ إِلَى هٰرُونَ و قوله: هناك وَ أَشْرِكُهُ فَيَ أَمْرِي، أي أشركه في رسالتي أي أجعله رسولاً كما جعلتني رسولاً فأن الإشتراك في الرّسالة لا معنى له إلاّ ذلك فلو كان أحدهما رسولاً دون الآخر لا يشتركان فيها و من المعلوم أنّ هارون كان نبيًا و لا خلاف فيه إلاّ أنّه مات قبل موسى.

وَ لَهُمْ عَلَىَّ ذَنْبُ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ

اء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 😽 📏

قال في المفردات ذنب الدّابة و غيرها معروف و يعّبر به عن المتّأخر و الرَّذل يقال هم أذناب القوم و عنه استعير مذانب التّلاع لمايل مياهها الى أن قال و الذّنب في الأصل الأخذ بذنب الشّئ و يستعمل في كلّ فعل يستوخم عقباه إعتباراً بذنب الشّئ و لهذا سمّي الذّنب تبعة إعتباراً لما يحصل من عاقبة إنتهى. قال موسى و لهم أي لفرعون و قومه علّي ذنبٌ فأخاف أن يقتلوني به، و الذّنب الذي صدر عن موسى و أشير به في الآية هو قتلة القبطي قيل أنّ فرعون ركب ذات يوم و خرج فخرج موسى بعده على أثره و سار وحده الى أن دخل المدينة:

قال اللّه تعالىٰ: وَ دَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَى حَيْنِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فَيِهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِهٰذَا مِنْ شَيِعَتِهِ وَ هٰذَا مِنْ عَدُوّهِ فَاسْتَغَاثَهُ ٱلَّذِي مِنْ شَيعَتِهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَدُوّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هٰذَا مِنْ عَمَلِ شَيعَتِهِ عَلَى اللّهُ عَدُوّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوً مُضِلًّ مُبِينٌ (١).

و لّما قتل القبطي و هو من أعوان فرعون و قيل من أقربائه و عشيرته خاف موسى على نفسه و أنتشر الخبر بقتله إيّاه فهاجت النّاس و أخبروا فرعون فأمرهم بطلب القاتل و هم لا يعرفونه و توارى موسى و دار الطّلاب له و سمع ذلك رجل إسمه حزقيل كان آمن سّراً و كان من خوّاص فرعون فوثب من ساعته يفتّش حتّى وجد موسى و أخبره بأمر الطّلب له و قصدهم قتله:

قال اللّه تعالىٰ: وَ جْآءَ رَجُلُ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِيثَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَٰىۤ إِنَّ ٱلْمَالَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ<sup>(٢)</sup>.

فخرج موسى من المدينة و هو خائف و سيأتي الكلام فيه.

فقوله: وَ لَهُمْ عَلَىَّ ذَنْبُ إشارة الى ما ذكرناه من قتله القبطي و أخاف أن يقتلوني، إشارة الى أنّهم لو ظفروا بي تقتلوني لا محالة ففي قوله: وَ يَـضيقُ

الفرقان في غسير القرآن - المجلد صَدْرى، و لا ينطلق لساني، و لهم علّي ذنبٌ، إشارة الى أعذار موسى و لا سيّما عذره الأخير في قوله: و لَهُمْ عَلَى ذَنْبُ، و لذلك قال فأرسل إلّي هارون، شريكاً في رسالتي كما مرّ.

## قَالَ كَلَّا فَاذْهَبًا بِالْيَاتِنَآ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ

أي قال الله تعالى في جواب موسى، كلاً، أي لا يقتلونك و معنى، كلاً، زجر أي لا يكون ذلك، فأذهبا، الخطاب لموسى و هارون على ما أقترحه موسى فأجيب إليه و جعل هارون شريكاً في رسالته فأمرهما الله بالذهاب الى فرعون بالآيات و المعجزات التي خصَّهما الله بها و قوله: إنَّا مَعَكُم مُسْتَمِعُونَ أي نحن نحفظكم و نحن سامعون ما يجري بينكم، و قوله: مُسْتَمِعُونَ، معناه سامعون فهو مستمع في موضع، سامع، و ذلك لأنّ الإستماع طلب السمع الإصغاء إليه و ذلك لا يجوز على الله تعالى و إنّما قال بهذا اللّفظ لأنّه أبلغ في الصَّفة و أشَّد في التَّعظيم هكذا قيل.

فَأْتِينا فِرْعَوْنَ فَقُولاً إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْمِعَالَمينَ

أمرهما بأن يأتيا فرعون و أن يقولا له، إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعالَمينَ، أرسلنا الله إليك لندعوك الى عبادته و ترك الإشراك به و المعنى أنَّ كلّ واحد منّا رسول ربّ العالمين ولهذا جاء الرَّسول على التّوحيد ولم يقل إنّا رسولا ربّ العالمين أو رسل ربّ العالمين وفي هذا دلالة على إشتراكهما في الرّسالة كما لا يخفى على المتأمل البصير.

و قال بعضهم أنّ الرَّسول مصدر بمعنى الرَّسالة فجاز أن يقع مفرداً خبراً لمفرد فما فوقه و قيل الوجه فيه إنّهما كانا ذوي شريعة واحدة فكأنّهما رسول واحد و كيف كان فالأمر سهل و في قوله (رسول ربّ العالمين) في الحقيقة ردَّ على فرعون و إشعارٌ بأنّه مربوبٌ لله تعالى كغيره و ذلك لأنّ فرعون كان يدَّعي الألوهية و لذلك أنكر عليها و قال و ما ربّ العالمين.

# الفرقان في تفسير القرآن 🗸 😽

## أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنيَ إِسْرَآئيلَ

أي أطلقهم من قيد العبوديّة، و كان موسى مبعوثاً الى فرعون في أمرين: أحدهما: إرسال بني إسرائيل ليزول عنهم العبوديّة.

ثانيهما: الإيمان برَّب العالمين، و المراد بإرسال بني إسرائيل هو إرسالهم معهماالي فلسطين و كانت مسكن موسى و هارون.

## قَالَ أَكُمْ نُرَبِّكَ فَيِنَا وَلَيِدًا وَ لَبِثْتَ فَيِنَا مِنْ عُمُرِكَ سِنينَ

قال في المفردات، الرَّب في الأصل التَّربية و هو إنشاء الشِّئ حالاً فحالاً الى حِّد التَّمام فالرَّب مصدر مستعار للفاعل و لا يقال الرَّب مطلقاً إلاَّ للَّه تعالى، المتَّكفل بمصلحة الموجودات و بالإضافة يقال له و لغيره نحو ربَّ الدَّار و رَّب الفرس و على هذا قوله، في قصّة يوسف، أَذْكُرْني عِنْدَ رَبِّكَ و الوليد الصّبي القريب عهده بالولادة و الوليدة الصَّبية و قوله: وَ لَبِثْتَ، فاللَّبِث و اللَّباث المكث و معنى الآية أنّ فرعون قال في جواب موسى ألم نرَّبك فينا وليداً، الهَمزة للإستفهام على سبيل الإنكار أي نرَّبك، وليداً، أي طفلاً، أشار بذلك ايل أخذه موسى من الماء و قول آسية: لا تَقْتُلُوهُ عَسْمَ أَنْ يَنْفَعَنْ ٓ أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا (١) قيل أنّ موسى بعد ما ألقته أمّه بإلهام من الله في الماء و هو في الصَّندوق بقي في البحر ثلاثة أيّام تضربه الأمواج حتّى إنتهت به إلى أشجار عند دار فرعون ثمّ سار في نهر جار إلى داخل الدّار و صادف أنّ فرعون جالس مع جاريته أسيّة على شفير النّهار و أقبلت إبنته في جواريها و كان في إبنته برصّ شديد عجز الأطّباء عـن معالجته فأخبرته السَّحرة أنَّها لا تبرأ من البرص إلاَّ من قبل النَّيل حيث يخرج منه شبه إنسانٍ فيؤخذ من ريقه و يلطخ به برصها فتبرأ فوراً و ذلك عند شروق الشّمس فنصبت أمة الله الصّالحة أسية قبّةً لها على شاطئ النّيل تتَّرقب العلاة

المنتظر و هم على تلك الحال إذا أقبلت االصّندوق تضربه الأمواج و لمحته أسية أوَّلاً فقالت لجواريها أما ترين ما أرى على الماء قلن بلي فلَّما دني الصَّندوق أسرعت بنفسها لتأخذه وكادت تغمرها الماء فلمًا أخرجته من الماء فتحته فإذا فيه غلام من أجمل النّاس و أحسنهم و هو يمصّ إيهامه فوضعته في حجرها و أحبَّه حبًّا شديداً و هي تقول هذا إبني و عمدت بنت فرعون إلى فمه و أخذت من ريقه و لطّخت به برصها فشفيت منه و حملت أسية موسى و أرته لفرعون و كان بعيداً عنهنّ و قد رأى ما جرى لهنّ فقال فرعون هذا إسرائيلًى و همَّ بقتله فتَّوسلت أسية به و هي تقول كما حكى اللّه عنها لا تَقْتُلُوهُ عَسْنَ أَنْ يَنْفَعَنْآ، و لكن فرعون لم يزل تستوهبه و هو يقول أخاف أن يكون هذا هو الّذي على يده هلاكنا و زوال ملكنا و هي تقول لا تخف أنَّما هو إبنك ينشأ في حجرك إلى أن قلِّبته عن رأيه و وهبه لها ثمَّ أنَّ فرعون أحبَّه حبًّا شديداً و تبَّناه و طلب له مرضعة تربيه فأقبلت المراضع إلاّ أنّه لم يقبل ثدى إمرأةٍ أبداً إلى أن عجزت أسية و حارت في أمره و بلغ الخبر أمّ موسى أيضاً فقالت لأخته إتّبعي أثره و أنظريه لعلُّه أخوك موسى لقد ردَّه اللَّه إلينا سالماً حيّاً فجائت أخته إلى دار فرعون فعرفته كما:

قال الله تعالىٰ: وَ قَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصَهِيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (١).

فتَّقدمت حينئذِ إليهم و هم في حيرةٍ شديدةٍ:

فرجعت إلى أمّها و بشّرتها بحياة أخيها موسى ثمّ أتت بها إليهم فلمّا وقع نظر الأم على إبنها كادت أن تصرخ فرحاً و سروراً فألقته ثديها فإلتقمه و أخذ يمّتصه و فرحت بذلك أسيه و فرعون و أكرموها و وعدوها بجزاء حسن، كما قال اللّه

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

تعالى في كتابه: فَرَدُدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَنْ تَقَوَّ عَيْنُهٰ (١) و نشأ موسىٰ علىٰ يَد عَدّوه فرعون و كتمت الخبر أمّه و أخته ولم يعلم بنو إسرائيل ولم يزالوا في طلبه و موعد ظهوره و ربّى موسى في حجر فرعون دون أن يعلم فرعون أنّ هلاكه سيكون على يده و قد عاش في قصر الملك كإبن له و لقى كثيراً من العزّ و الكرامة حتّى بلغ مبلغ الرّجال و كان يدعى موسى بن فرعون كما أنّه كان يركب مراكب فرعون و يلبس ملابسه و إلى ما ذكرناه أشار فرعون بقوله: أَ لَمْ نُورَيّكُ فينًا وَليدًا.

## وَ فَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَ أَنْتَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ

قوله: وَ فَعَلْتَ فَعُلْتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ، إشارة إلى القتل الذي وقع على يَد موسى من القبط و قوله: وَ أَنْتَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ، أي من الكافرين للنَّعمة أي كفرت بالنَّعم التّي أنعمنا بها عليك و قتلت القبطي و ليس هذا جزاء الإحسان.

و قال السّدي أراد كنت على دِيننا فكفرت به و قال الحسن أنت من الكافرين بأنّي إله لك أي أنكرت ألوهيّتي، و قيل من الكافرين حقّ تربيتي، فقال موسىٰ في الجواب:

## قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَ أَنَا مِنَ ٱلضَّآ لِّينَ

أي من الجاهلين بأنّها تبلغ القتل و قال الجبائي من الضالّين، عن العـلم بأنّ ذلك يؤدّي إلى قتله، و قيل أنا من الضالّين، عن طريق الصّواب لأنّي ما تعمّدته و جزء ١٩٠٤ أنّما وقع منّى خطأ.

و قال بعضهم معناه و أنا من الضالين، عن النَّبوة ولم يأتني عن الله فيه شئ فليس علَّى فيما فعلته في تلك الحالة توبيخٌ.

و قال الزّمخشري أي من الفاعلين فعل أولى الجهل و السَّفه و الأقوال كثيرة

و أردء الأقوال قول الزّمخشري الّذي نسب إلى موسى و هو من أولى العظم فعل الجهل والسّفاهة ولم يعلم أنّ الأنبياء مبّرؤن عنه و لا سيّما أولي العظم منهم.

أقول ما ذكروه في معنى الضّلال في الآية لا يناسب شأن النّبي فضلاً عن أولي العظم من الأنبياء وكيف يعقل أن ينسب إليهم الخطأ و الجهل و السَّهو و النّسيان و أمثال ذلك نعم هذا على مسلك العامّة الّذين يقولون بعدم عصمة الأنبياء مطلقاً أو قبل النّبوة لا بأس به.

و أمّا على مذهب أهل البيت الّذين طهّرهم اللّه تطهيراً، فلا يمكن القول به فإذاً لابدّ لنا من التكلّم في معنى الضّلال بحسب اللّغة أوّلاً ثمّ بيان ما هو الحقّ في المقام فنقول:

قال الرّاغب في المفردات الضّلال العدول عن الطّريق المستقيم و يضادّه الهداية و يقال الضّلال لكلّ عدولٍ عن المنهج عمداً كان أو سهواً يسيراً كان أو كثيراً فأنّ الطّريق المستقيم الّذي هو المرتضى صعبٌ جدًاً.

و قال بعض الحكماء كوننا مصيبين من وجه و كوننا ضالين من وجوه كثيرة فأنّ الإستقامة و الصّواب يجري مجرى المقرطين من المرمى و ما عداه من الجوانب كلّها ضلال و ساق الكلام إلى أن قال و إذا كان الضّلال ترك الطّريق المستقيم عمداً كان أو سهواً قليلاً كان أو كثيراً صحّ أن يستعمل لفظ الضّلال ممّن يكون منه خطأ و لذلك نسب الضّلال إلى الأنبياء و إلى الكفّار و أن كان بين الضّلالين بونٌ بعيد إنتهى موضع الحاجة منه.

و قال في النّهاية الضّالة هي الضّائعة من كلّ ما يقتني من الحيوان و غيره و هي في الأصل فاعلة، ثمّ إتَّسع منها فصارت من الصّفات الغالبة و تقع على الذّكر و الأنثى و الجمع و يجمع على ضّوال إنتهى.

إذا عرفت معنى الضّلال و أنّه العدول عن الطّريق المستقيم سواء كان عن طرق الأرض أم كان العدول عن طريق الدّين فقول موسى: فَعَلْتُهُمْ إِذًا وَ أَنَا مِنَ الْأَرْضِ الْمَالِينَ عن طريق الأرض لا عن طريق الدّين و ذلك

لما ورد أنّ فرعون ركب ذات يوم و خرج فخرج موسى بعده على أثره و سار وحده إلى أن دَخَلَ الْمُدينَة عَلى حينِ عَقْلَةٍ مِنْ أَهْلِها فَوَجَدَ فَيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِهٰذا مِنْ شَيه قَتِه وَ هٰذا مِنْ عَدُوّه ثمّ خاف على نفسه بسبب قتل القبطي و هذا الّذي ذكرناه يستفاد من الآية حيث قال على حين غفلة من أهلها، أي على حين غفلة من أنّ المدينة من مدائن فرعون و أهلها من شيعته فقوله فعلتها و أنا من الضالين، معناه من الضّالين عن الطّريق في سفري هذا لا عن طريق الدّين حتّى عدّ من العصيان الذي ينافي مقام النّبوة و أن كان هذا الفعل منه علينا قبل وصوله إلى مقام النّبوة و يؤيد هذا المعنى.

ما رواه في العيون في باب ذكر مجلس الرّضا اللَّهِ عند المأمون في عصمة الأنبياء عليهم السّلام بأسناده إلى علّى بن محمّد بن الجهم قال حضرت مجلس المأمون و عنده الرّضا المثل فقال له المأمون يابن رسول الله أليس من قولك أنّ الأنبياء معصومون قال التِّلْإِ: بلي، قال: فما معنى قول الله عزّ وجلّ إلى أن قال فما معنى قول موسى لفرعون لمّا أتاه و قال وَ فَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَ أَنْتَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ قال موسى فعلتها و أنا من الضالّين قال النِّيلِا قال موسى فعلتها وأنا من الضالين عن الطّريق لوقوعى الى مدينة ب من مدائنك ففررت لمّا خفتكم الآية و قد قال اللّه تعالى لنبيّه محمّد اللهُ اللهُ عَالَمُ اللَّهُ يَجِدُكَ يَتيمًا فَاوَىٰ أَي أَلَم يجدك وحيداً فأوى إليك النّاس، و وجدك ضّالاً، يعنى عند قومك، فهدى، أي فهداهم إلى معرفتك، و وجدك عائلاً فأغنى، يعنى أغناك بأن جعل دعاءك مستجاباً قال المأمون بارك الله فيك يابن رسول الله عَلَمُ اللَّهُ عَلَيْ إِنْ إِنتهى. أقول و هذا الحديث يكفي لنا في مقام الإستشهاد فأنّه يكشف القناع عن وجه اللَّفظ و يستفاد منه وجه أخر في حلِّ الإشكال و هو أنَّ الإمـام عَلَيُّلَّا فَسَّـر

قوله: و وجدك ضَالاً فهدى، أي وجدك عند قومك ضّالاً، فهداهم إلى معرفتك و على هذا فمعنى قوله: و أَنَّا مِنَ ٱلضَّآلِينَ أي من الضالين عندكم لا عند الله و لا شك أنّ موسى كان من الضّالين عند فرعون و قومه و على هذا فالضّلالة في الأية أمّا أن يحتمل على الضّلالة في الطّريق أو يحتمل على الضّلالة عند فرعون و قومه و على الإحتمال الثّاني فتقدير الآية و أنا من الضالين عندكم و الله أعلم.

فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمًّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لَى رَبِّى خُكْمًا وَ جَعَلَني مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ

أي ففررت منكم بعد قتل القبطي لمّا خفتكم أن تقتلوني بقتله فوهب، أي أعطى، لي ربّي حكماً و هو حكم النّبوة و لذلك فسَّره بقوله: وَ جَعَلَني مِنَ المُوسَلينَ فالبحث يقع في مقامين:

**أحدهما**: فرار موسى من المدينة.

ثانيهما: إعطاء النبوة له.

أمًا المقام الأوّل فهو إشارة إلى قوله تعالى:

فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّني مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ (١) و قال: فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَديِنَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ (٢).

روي أنّ موسى بعد خروجه من المدينة بإعلام حزقيل إيّاه كان يسير ليله و نهاره و هو لا يعرف الطَّريق و قد خرج بغير زادٍ فوَّجهه اللّه تعالى نحو مدين كما سيأتي تفصيل الكلام فيه في سورة القصص.

المقام الثّاني: بعثته و عودته إلى مصر، فقيل فيه أنّ موسى لمّا قضى الأجل و أكمل خدمته لشعيب النّبي عليمًا لإ و قد صار له غنماً كثيراً إشتاق إلى أمّه و أخوانه فقال له شعيب و أوضعت أغنامي في هذه السّنة من غنم بلق فهو لك فبقى موسى

، الفرقان في تفسير القرآن 🔷 😽

فلم تضع تلك الأغنام إلا حملاً بلقاناً فإستكملها موسى و هم بالرّجوع إلى مصر ليخرج منها أخاه هارون فزوَّده شعيب عصاً من بين عدّة عصى كانت عنده ثمّ خرج موسى و سار بأهله و كانت زوجته حبلى فجعل يسير في البراري فقاده السّير إلى جانب الطّور الأيمن في عشية معطرة فبينما هو حائر في أمره إذا أخذ إمرأته الطّلق فإزداد إضطراباً و ظهر له نور فجأة فحسبه ناراً:

فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓ الْبِنِّى اٰنَسْتُ نَارُالَعَلِّى اٰتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسِ أَوْ أَجِدُ عَلَى التّأْرِ هُدًى، فَلَمَٰآ أَتَيْهَا نُودِىَ يَا مُوسْىَ، إِنِّى أَنَا رَبُّكَ فَاخْلُعُ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْواْدِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى، وَ أَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١).

الأيات و سيأتي الكلام فيها في المستقبل إن شاء الله ثم أمره الله تعالى بالذّهاب إلى فرعون لدعوته إلى عبادة الله و توحيده فحار موسى في أمره و فكر في قتله القبطي ثمّ جاء الوحي مؤكّداً بإنفاذ أمر ربّه فعزم موسى على إطاعة أمر ربّه و المضّي إلى فرعون و لكنّه رجع إلى زوجته فوجدها قد ولدت إبناً و إنتظر إلى أن طلع النّهار و إذا برجلٍ من أهل مدين أميناً فأرجع زوجته إلى أهلها ليتّفرغ إلى أمر ربّه و تبليغ رسالته و هذا معنى قوله فوهب لي ربّي حكماً و جعلني من المرسلين.

## وَ تِلْكَ نِعْمَةً تَمُنُّهُا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَني إِسْرآئيلَ

إختلف المفسّرون في معنى هذا الكلام على أقوالٍ:

فقال السّدي و الطّبري و الفّراء هذا الكلام من موسى عُلْيَا على جهة الإقرار بالنّعمة كأنّه يقول نعم، و تربيتك نعمة علّي من حيث عبّدت غيري و تركتني و لكن لا يدفع ذلك رسالتي.

و قيل هذا الكلام من موسى التِّللِ على جهة الإنكار أي، أنَّمن علَّي بأن ربَّيتني

وليداً و أنت قد إستعبدت بني إسرائيل و قتلتهم أي ليست بنعمة لأنّ الواجب كان أن لا تقتلهم و لا تستعبدهم فأنّهم قومي فكيف تذكر إحسانك علّي على الخصوص قاله قتادة و غيره.

و قيل فيه تقدير إستفهام أي أو تلك نعمة، قاله الأخفش و الفراء، و فيه بحث و لذا أنكره النّحاس و قال ألف الإستفهام لا يحذف إلاّ أن يكون في الكلام، أم، و قال الفراء يجوز حذف ألف الإستفهام في أفعال الشكّ و هو الحقّ كما تقول تريد قتلى أي أتريد قتلى و للبحث فيه مقام أخر.

و قيل أنّ الكلام في الآية خرج مخرج التّكبيت و هو يكون بإستفهام و بغير إستفهام و المعنى لو لم تقتل بني إسرائيل لرّباني أبواي فأيّ نعمةٍ لك علّي، فأنت تمُّن علّى بما لا يجب أن تمُّن به.

و قيل معناه كيف تمنّ بالتّربية و قد أهنت قومي و من أهين قومه ذلّ، أقول الأقوال المذكورة لا بأس بها فأنّ لكلّ واحدٍ منها وجةٌ و الذي يختلج بالبال في معنى الكلام هو أنّ فرعون لمّا قال لموسى، ألم نربّك فينا وليداً و لبثت فينا من عمرك سنين، و مَّن بذلك على موسى، قال موسى له و تلك نعمة تمّنها علّي الآية أي أنّ تربيتك إيّاي التي تعدّها نعمة ليست بنعمة حقاً لأنّها كانت ناشئة من ظلمك على بني إسرائيل و إستعبادك إيّاهم إذ لولا ذلك لما ألقتني أمّي في البَحر فما تعدّه نعمة ليس بنعمة بل هو نقمة نشأت من ظلمك و إذا كان منشأ الإحسان الظلّم فلا إحسان في الحقيقة ألا ترى أنّك لو حبست شخصاً ظلماً ثمّ أحسنت الله أيّام حبسه فلا يعدّ هذا الإحسان نعمة بل هو نقمةٌ في صورة النّعمة و ما نحن فيه كذلك فأنّ فرعون صار باعثاً بسبب ظلمه أن يلقى موسى في البحر و يلتقطه في عرفه لم فرعون و يحسن إليه بزعم أنّه ولده فأيّ إحسانٍ هذا مضافاً إلى أنّه لو عرفه لم يحسن إليه قتله فهو في الحقيقة لم يحسن إلاّ بمن لم يعرفه و هو واضح.

ياء الفرقان في تنسير القرآن في العجلة الثاني عشر

## قَالَ فِرْعَوْنُ وَ مَا رَبُّ ٱلْعَالَمينَ، قَالَ رَبُّ ٱلسَّمُواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنينَ

لمّا سأل فرعون عن الرّب الّذي قال موسى: فَوَهَبَ لَي رَبّى حُكْمًا، و قال و ما ربّ العالمين قال في جوابه ربّ السّموات و الأرض و ما بينهما من الموجودات إن كنتم مؤمنين به، علّق الحكم على اليقين بالرّب و الإعتقاد به لأنّ من لم يعتقد به لا ينفعه الجواب و كان فرعون منكراً للّه و لذلك قال لمن حوّله من أصحابه و أعوانه ما حكاه الله عنه.

## قَالَ لِمَنْ حَوْلَةٌ أَلَا تَسْتَمِعُونَ

أي ألا تستمعون قول موسى حيث قال ربّ السّموات و الأرض الآية أنّما قال فرعون ذلك على معنى الإغراء و التَّعجب من سفه المقالة إذ كانت عقيدة القوم أنّ فرعون ربّهم و معبودهم و الفراعنة قبله كذلك فكيف قال موسى ما قال من أنّ ربّ العالمين هو ربّ السَّموات و الأرض فزاد موسى بقوله:

## قَالَ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ اٰبآائِكُمُ ٱلْأَوَّلٰبِنَ

من الفراعنة و غيرهم و أنّما قال ذلك لأنّهم كانوا عالمين بأنّه قد كان لهم آباء و أنّهم قد ماتوا و أنّه لا يدلّهم من مغيّرٍ و أنّهم كانوا بعد أن لم يكونوا و أنّهم لا بدّ لهم من مكوِّن فقال فرعون على جهة الإستخفاف.

## مِن ١٩ كُونَ اللَّهُ وَسُولَكُمُ ٱلَّذِيَّ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونُ

أي ليس يجيبني عمّا أسأل فأني قلت له و ما ربّ العالمين، أي أيُّ شي هو و ما حقيقته و ذاته و هو يجيبني بقوله: رَبُّ ٱلسَّمُواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ، رَبُّكُمْ وَ رَبُّ السَّمُواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ، رَبُّكُمْ وَ رَبُّ الْبَائِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ وهذا ليس بيان ماهيته و ذاته فالجواب لا ينطبق على السؤال و إذا كان كذلك فهو مجنون فأن العاقل يجيب عن السؤال و لتوضيح ذلك نقول، كلمة، (ما) في إصطلاح الفلاسفة و المنطّقيين على ضربين، حقيقية، و شارحة،

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

ن العجلا الناني عشد

أي تارةً يسأل بها عن حقيقة الشئ و ماهيته كما يقال، الإنسان ما هو، يقال حيوان ناطق، فحيوان ناطق ماهية الإنسان و قد يعبّر عنه بالحدّ التّام لأنّه تام في بيان حقيقة الإنسان و ماهيته و يمّى هذا بماء الحقيقة، و تارة يسأل بها لا كذلك بل السّؤال عن شرح اللّفظ كما إذا قال القائل الرّائي للشَّجر ماهذا، فتقول هذا شجر أو نبات فأنّ هذا لا يبيّن ماهية الشّجر و أنّما عرَّف لفظ بلفظ أخر و يعبّر عنه بالتّعريف اللّفظي إذا عرفت هذا فتقول قول فرعون و ما ربّ العالمين، سؤال عن ماهية ربّ العالمين و ذاته و حقيقته كأنّه أراد بسؤاله هذا معرفة الرّب بكنهه و ذاته، و قال موسى في جوابه بقوله: رَبُّ ٱلسَّمُواٰتِ و آلْأَرْضِ، لا ينطبق على سؤال لأنّه أجاب عن السؤال بأوصافه تعالى و هو أنّه ربّ السَّموات و الأرض الخ.

و بعبارة أخرى لم يقل فرعون، من ربّ العالمين، بل قال ما رَبُّ العالمين، بل قال ما رَبُّ الْعالَمين، و الفرق واضح فأنّ السؤال عن ذات الشّيّ و حقيقته غير السّؤال عن أوصافه و مشّخصاته.

أن قلت فعلى هذا يكون كلام فرعون أنّ رسولكم الّذي أرسل اليكم لمجنون، حقّ لأنّ موسى لم يجبه على سؤاله و من كان كذلك فليس بعاقل.

قلت كلاً لأن الله تعالى لا يعرف بكنهه و ذاته و أنّما يعرف بآثاره و أوصافه فالسّؤال عن كنه ذاته لا معنى له و على هذا فأن أراد فرعون بقوله: وَ ما رَبُّ أَلْعالَمهنَ، السؤال بما الحقيقة فهو يدلّ على جهله و سفاهته و حماقته و إن كان السّؤال، بما، ما الشّارحة فقد أتى موسى بالجواب و هو منطبق على السّؤال يدلّ، فالسّؤال يدلّ على عماقة السّائل و جنونه و الجواب يدلّ على عقل المجيب و فراسته حيث أجاب بالوصف فثبت و تحقّق أنّ المرسل و هو موسى كان عاقلاً فراسته حيث أجاب على طبق الموازين العقلية و هو شرح لفظ الرّب، بالأوصاف و أمّا المرسل اليه و هو فرعون كان مجنوناً حيث سأل عن ماهيّة الرّب و حقيقة ذاته و لم يعلم أنّ المخلوق عاجز عن معرفة الرّب بكنهه و لذلك أشار موسى في الجواب بوصف آخر للرّب تعالىٰ.

## قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَ ٱلْمَغْرِبِ وَ مَا بَيْنَهُمْآ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ

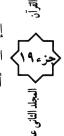
و المعنى أنّ ربّ العالمين هو ربّ المشرق و المغرب وليس هو إلاّ اللّه تعالى الّذي خلق السَّموات و الأرض و ما بينهما من الشّمس و القـمر و الكـواكب و غيرها و في قوله: إنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ إشارة الى أنّ فهم هذا المعنى و دركه موقوفٌ على العقل السّليم و التّجنب عن العناد كما هو مقتضى التّعليق عـلميٰ الشّرط و قد ثبت أنّ المشروط ينتفي بإنتفاء شرطه و لذلك أي لعدم وجود العقل السّليم في فرعون لم يقبل هذا ولم يعتقد و رجع الى الإستعلاء و التغلُّب فتّوعد موسى بالسُّجن كما حكى اللُّه تعالى عنه بقوله:

## قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلْهًا غَيْرِي لاَّجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونينَ

و من المعلوم أنَّ في توّعده بالسِّجن ضعفٌ و عجزٌ و أنَّه لم يقدر على إثبات دعواه من الرُّبوبية و لا على ردّ موسى على ما إدّعاه من ربوبيّة الله و لذلك قال لموسى لأن إتّخذت إلهاً غيري لأجعلنّك من المسجونين، و ليس هذا جواب من أتى بالدّلائل القاطعة و البراهين السّاطعة.

## قَالَ أُولَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبينِ

يعنى بمعجزة تدلُّ على صحّة ما إدعيّته ظاهراً محسوساً و في هذا الكلام إشارة الى أنّ ما أقمته من البراهين على صدق المدّعي حيث كان موقوفاً على زء ٩١٨ التّعقل و الإدراك الصّحيح و لست أنت من أهله ولذلك كان خفيّاً عليك فـالأن أجئ بشئ مبين أي ظاهر محسوس.



ضياء الفرقان في تفسير القرآن مياً المرقان في تفسير القرآن منياء الفرقان في تفسير القرآن من قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ ٱلصَّادِقينَ (٣١) فَأَلْقٰى عَصَاهُ فَإِذا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبينٌ (٣٢) وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذا هِيَ بَيْضاآءُ لِلنَّاظِرِينَ (٣٣) قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَةٌ إِنَّ هٰذَا لَسَاحِرٌ عَلَيمٌ (٣٢) يُسريدُ أَنْ يُخْرجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهٖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥) قَالُوٓا أَرْجِهْ وَ أَخَاهُ وَ ٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حٰاشِرينَ (٣۶) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَليمِ (٣٧) فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِميقَاتِ يَـوْم مَـعْلُوم (٣٨) وَ قيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (٣٩) لَعَلَّنا نَتَّبعُ ٱلسَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ ٱلْغَالِبِينَ (٤٠) فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لِأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَالِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَ إِنَّكُمْ إِذًا لَـمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ (٤٢) قَالَ لَهُمْ مُوسِي ٱلْقُوا مِلَ أَنْتُمْ مُلْقُونَ (٢٣) فَأَلْقَوْا حِبْالَهُمْ وَ عِصِيَّهُمْ وَ قَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَالِبُونَ (٢٢) فَأَلْـقْي مُوسٰى عَصاهُ فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٢٥) فَأَلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُاجِدينَ (٤٠) قَالُوٓا أَمَنَّا بِرَبِّ ٱلْعٰالَمينَ (٤٧) رَبّ مُوسٰى وَ هٰرُونَ (٤٨) قَالَ اْمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ اْذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطَّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (٤٩) قُالُوا لا ضَيْرَ إِنَّآ إِلْى رَبِّنا

## مُنْقَلِبُونَ (٥٠) إنَّا نَـطْمَعُ أَنْ يَـغْفِرَ لَـنَا رَبُّـنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٥١)

#### ◄ اللّغة

نُعْبَانٌ: بضمّ الثاء قيل الثُّعبان الحيّة الذّكر.

نزَعَ: النَّزع الخروج.

لِلْمَلَا: الملاء الجماعة.

أَرْجِهُ: الإرجاء التّأخير أي أخرّهما.

أَنْقُوا: الإلقاء الإطراح أي إطرحوا و الباقي واضح.

#### ◄ الإعراب

لِلْمَلَإِ حَوْلَةٌ حال من الملاء و قال الكّوفيون الموصوف محذوف و التّقدير، الَّذين حوله.

#### ▶ التّفسير

قَالَ فَأْتِ بِهَ إِنْ كُنْتَ مِنَ ٱلصَّادِقينَ

لمّا رأى موسى أنّ الوعظ لم يؤّثر في فرعون و أتباعه و أنّ الحجّة العقليّة لا تزء١٩٠> تنفع رأى أن يأتي بمعجزةٍ ظاهرة محسوسة و هي الشئ المبين في الآيــة لعـلُّ فرعون يرضخ لقوّة اللّه الخارقة الغالبة فقال فرعون فائت بـه أي بـما تـقول و تدّعى فَأَلْقَى عَصاهُ أي أطرحه على الأرض فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبينٌ أي صارن ثعباناً، و فتحت الحَّية فاها كغارِ عظيم يسع كلُّ ما بين سماطى فرعون واضعةً لحيها الأسفل على الأرض و رافعة لحيها الأعلى في جوّ الغرفة الكبرى و يخرج من جوفها لهيب نارٍ عظيمة ثمّ إتجُّهت نحو فرعون ففوجئ اللَّعين فرعون فإذا هو لم يتَّمكن أن

يقوم بشئ ممّا قام به موسى و تزعزع ذعراً و خوفاً و هو يصرخ و يستغيث بموسى قائلاً ناشدتك ربّك ياموسى و حرمة الرّضاع إلاّ ما كففت عنّي و إنَّني أؤمن بك و أرسل معك بني إسرائيل فمّد موسى يده و تناول الحيّة العظيمة فإذا هي عصا من خشب أصبحت في يد موسى و دهش القوم من ذلك و رأى موسى فرحته لزيادة الأثر بالمعجزة الثّانية فأدخل يده في جيبه ثمّ أخرجها فإذا هي بيضاء فوق بياض الثّلج كأنّها شمس تضئ و إلى ذلك أشار اللّه تعالى في كتابه حيث قال:

## وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّاظِرِينَ

ولمّا سأل فرعون عن ذلك أرجعها موسى إلى جيبه ثمّ أخرجها ثانية فإذا هي يده العادية نفسها فغلب على المكان صمت و سكوت وخيم على الغرفة جوً من التأمل و التفكّر و أو شك فرعون أن يعلن إيمانه بموسى و لكنّ الخبيث هامان وزيره منعه من ذلك و أفسد رأيه و كان يحاول إقناعه بأن ما أتى به موسى هو نوع من السّحر و كان هامان عزيزاً عنده في قصره فرأى أنّه إن أمن بموسى تسقط سطوته و هيبته التّي أحرزها بواسطة ربوبيّة فرعون فإستعمل جميع الحيل لردع فرعون من الإيمان بموسى إبقاءً لرئاسته.

## قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَةً إِنَّ هٰذَا لَسَاحِرٌ عَلَيمٌ

الظّاهر أنّ القائل هو فرعون و قيل القائل هامان و هو خلاف ظاهر الآية إذ ليس منه في الآية عينٌ و لا أثر و كيف كان لمّا رأى فرعون معجزة موسى ولم يقدر على إبطاله قال لحواريه إنّ هذا لساحرٌ عليمٌ، و هذا هو العجز الظّاهر.

## يُريدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذا تَأْمُرُونَ

و هذا كذبٌ ظاهر و لا غرو فيه فأنّ الغريق يتَّشبث بكلّ حشيش و ذلك لأنّ موسى التَّلِهِ لم يرد إخراجهم من أرضهم بل أراد إيمانهم و إعراضهم عن الشّرك و لمّا شاور فرعون معهم.

## قَالُوٓا أَرْجِهْ وَ أَخَاهُ وَ ٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدْآئِنِ خَاشِرِينَ

الإرجاء التّأخير أي أخرّهما و أنّما أشاروا بتّأخيره و لم يشيروا بقتله لأنّهم رأوا أنّ النّاس يفتنون به إن قتل و أنّ السَّحرة إذا قاومته زال ذلك الإفتنان و قوله و أبعث في المدائن حاشرين، أي أرسل حاشرين يحشرون النّاس من جميع البلدان فأنّ الحشر السَّوق من جهات مختلفة إلى مكانٍ واحد و إنحشر النّاس إلى مكان إجتمعوا إليه و لذلك سمّي يوم الحشر به و حاصل المعنى أنّهم قالوا لفرعون أخّرهما و أمر بحشر النّاس و إجتماعهم في مكانٍ معيّن.

## يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَليمٍ

أي يجيئوك بكلّ سُحّارٍ عليم و السَّحار مبالغة فيمن يعمل بالسّحر.

## فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ

أي لوقت يوم بعينه إختاروه و عيَّنوه.

وَ قَيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ، لَعَلَّنٰا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ ٱلْغَالِبِينَ

على موسى و الغلبة الإستعلاء بالقوّة و المراد هنا الغلبة بقوّة السِّحر و أنّما علَّق متابعة السَّحرة على الغلبة لأنّ متابعة المغلوب لا يساعدها العقل السّليم فالحقّ لمن غلب بالحجّة.

# عَنَ ١٩ كُ فَلَمًّا جُآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَالِبِينَ، ﴿ قَالَ نَعَمْ وَ إِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿ قَالَ نَعَمْ وَ إِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ

أي قال فرَّعون ٰنعِّم إنّكُم إذاً، أي في صورة الغلبة على موسى، لمن المقربين، عندنا و أيَّ أجر أحسن من التَّقرب إلى السّلطان و فيه ما تشتهيه الأنفس و تلذ الأعين في دار الدِّنيا و أن كان فيه العذاب في الأخرة فأنّ النّاس عبيد الدّنيا لا عبيد الأخرة و قليلٌ من عبادى الشّكور.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

الم • أمح

## قَالَ لَهُمْ مُوسِٰتَ أَلْقُوا مَاۤ أَنْتُمْ مُلْقُونَ

أي قال موسى للسّحرة إعملوا ما شئتم من السِّحر و الإلقاء الإطراح.

## فَأَلْقُوْا حِبْالَهُمْ وَ عِصِيَّهُمْ وَ قَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَالِبُونَ

حبال بكسر الحاء جمع حبل و هو الرَّسن و جمعه حبال كسهم و سهام، و عصّى واحدها عصا، و هو معروف و المعنى أنّهم أي السَّحرة ألقـوا حـبالهم و عصيّهم، و هو كناية عن الأسباب و الألات التّي كانوا يعملون بها السُّحر و السِّحر لطف الحيلة حتّى يتَّوهم الممّوه عليه أنّ حقيقة فلمّا ألقوا ما ألقوا قالوا بعزّة فرعون أنّا لنحن الغالبون، فالباء في قوله: بِعِزَّةٍ، للقسم و أنّما قالوا ذلك أي أقسموا بـه لأنّـهم كـانوا مـعتقدين بـربّوبيته و ألوهـيّته و قـولهم: إنَّــا لَــنَحْنُ **ٱلْغَالِبُونَ**، كان منهم من التّعجيل في الحكم فأنّ كلّ حزبِ بما لديهم فرحون، و لم يعلموا أنّهم مغلوبون لا غالبون.

## فَأَلْقَى مُوسٰى عَصَاهُ فَإِذاْ هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ

التَّلقف تناول الشِّي بالفم بسرعةٍ و الإفك الوهم و المعنى أنَّ موسى لمّا ألقي عصاه فهي أكلت ما يوهمون الإنقلاب زوراً و بهتاناً و قيل كان عدد السَّحرة أثني عشر ألفاً وكلُّهم أقَّر بالحقّ عند أية موسى و الله أعلم بعددهم.

## فَأُلْقِى ٱلسَّحَرَةُ ساجِدينَ

أنَّ السَّحرة لمَّا بهرهم ما أظهره موسى من قلب العصاحيَّة و تلُّقفها جميع ما أتعبوا نفوسهم فيه من السِّحر علموا أنَّ ذلك من فعل اللَّه و أنَّ البشر لا يقدر عليه فأمنوا عند ذلك و أذعنوا للحقّ و ذلك لأنّ أهل البيت أدرى بـما فـيه فـخُّروا ساجدين لله شكراً على ما أنعم الله به عليهم و وَّفقهم للإيمان و إنّهم قالوا عند ذلك أمنًا و صدَّقنا بربِّ العالمين الّذي خلق الخلق كلّهم و ربّاهم على ما تقتضي مصالحهم كما حكى الله عنهم بقوله:

## قَالُوٓا اٰمَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَالَمينَ، رَبِّ مُوسٰى وَ هٰرُونَ

و أنّما أضافوا ذلك بعد قولهم أمنًا بربّ العالمين و قالوا ربّ موسى و هارون للإشارة إلى أنّ مرادهم ربّ موسى و هارون، لا فرعون إذ كلمة الرَّب تطلق عليه أيضاً، كما قال أنا ربّكم الأعلى و بعبارةٍ أخرى أنّ الجهّار كانوا يعتقدون ربوبيّة فرعون و فى قوله: سٰاجِدينَ، قولان:

أحَدهما: أنّ الحقّ الّذي عرفوه ألقاهم ساجدين.

ثانيهما: أنّهم ألقوا نفوسهم ساجدين لما عرفوا من صحّة الدّعاء إلى الدّين و عند ذلك قال لهم فرعون مهدّداً.

## قَالَ اٰمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ اٰذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبيرُكُمُ ٱلَّذي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

أي قال فرعون للسَّحرة بعد إيمانهم بربّ موسى و هارون، أمنتم له أي صدَّقتم موسى فما يدعوكم إليه من الإيمان بالله و أنّما قال ذلك على سبيل الإنكار عليهم قبل أن أذن لكم، في تصديقكم إيّاه ثمّ قال لهم أنّه لكبيركم الّذي علَّمكم السَّحر، أي أستاذكم و عالمكم، فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ، فيما بعد ما أفعله بكم جزاءً على تصديقكم إيّاه قبل أن أذن لم ثمّ أشار بما سيفعله بهم و قال.

## لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ

و المراد بقطع أيديهم و أرجلهم من خلاف هو قطع اليد من جانب و الرِّجل من الجانب الأخر كقطع الرِّجل اليسرى و اليد اليمنى ثمّ أنّه لم يقنع بذلك فقال: وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أُجْمَعِينَ، على الجذوع و لا أترك واحداً منكم حيّاً.

## قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ

أي قال السَّحَرة في جواب فرعون لا ضير، أي لا ضرر علينا بما تفعله أنّا إلى ربّنا منقلبون، صائرون أي مصيرنا إلى ثواب اللّه قيل لم يصل فرعون إلى قتل

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🚽

رآن ﴿ ﴿ الْعَجِلَةِ الثَّانِي الْعَجِلَةِ الثَّانِي الْعَجَلِةِ الثَّانِي الْعَجَلِةِ الثَّانِي الْعَالِمُ الْ

أحدٍ منهم و قال قوم أوَّل من قطع الأيدي و الأرجل فرعون ثمَّ قال السَّحرة بعد قولهم لا ضير.

## إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَاۤ أَنْ كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنينَ

مرادهم بالخطايا هو ما فعلوا من السِّحر قبل إيمانهم و يحتمل أن يكون المراد إعتقادهم بألوهيّة فرعون و قولهم أن كنّا أوّل المؤمنين معناه لأنّا كنّا أوّل من صدَّق بموسى و أمن باللَّه و الخطايا جمع خطيئة و هي الزَّوال عن الإستقامة و طريق الحقّ.

وَ أُوْحَيْنٰآ إِلٰى مُوسٰىٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبْاديٓ إِنَّكُـمْ مُتَّبَعُونَ (٥٢) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدْآئِن حاشِرينَ (٥٣) إنَّ هَوُّ لاآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَليلُونَ (٥٤) وَ إِنَّاهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ (٥٥) وَ إِنَّا لَجَميعٌ حٰاذِرُونَ (۵۶) فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونِ (۵۷) وَ كُنُوزِ وَ مَـقَام كَـريم (۵۸) كِـذَٰلِكَ وَ أَوْرَثْ نَاهَا بَ نَى إِسْراآئيلَ (٥٩) فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقينَ (٤٠) فَلَمَّا تَراءا ٱلْجَمْعان قَالَ أَصْحَابُ مُوسْىَ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٤١) قَالَ كَالَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدين (٤٢) فَأُوْحَيْنآ إلَّى مُوسٰى ٓ أَنِ ٱضْرِبْ بِعَصٰاكَ ٱلْـبَحْرَ فَـانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقِ كَالطَّوْدِ ٱلْعَظيم (٤٣) وَ أَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْأُخَرِينَ (َءُ؟) وَ أَنْجَيْنَا مُوسَٰى وَ مَنْ مَعَةٌ أَجْمَعِينَ (٤٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْأَخْرِينَ (٤۶) إنَّ في ذٰلِكَ لَاٰيَةً وَ مَاكَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٤٧) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحيمُ (٤٨) وَ ٱتْلُ عَـلَيْهُمْ نَبَأُ إِبْراْهِيمَ (٤٩) إِذْ قُـالَ لِأَبِيهِ وَ قَـوْمِهِ مُـا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَـنَظَلُّ لَـهَا عٰاكِفينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَــلْ وَجَدْنٰآ أَبٰآءَنٰا كَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٢) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مٰاكُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَ اٰبٰآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ

الفرقان في تفسير الفرآن ﴿ حَمْمُ العجلد الثاني عا

(٧٧) فَإِنَّهُمْ عَدُوُّ لِيَ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ (٧٧) وَ ٱلَّذِي هُوَ الَّذِي هُوَ يَهْدِينِ (٨٧) وَ ٱلَّذِي هُوَ يَطْعِمُني وَ يَسْقينِ (٩٧) وَ إِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَهْدِينِ (٨٨) وَ الَّذِي يُمِيتُني ثُمَّ يُحْيينِ (٨٨) وَ ٱلَّذِي يُمِيتُني ثُمَّ يُحْيينِ (٨٨) وَ ٱلَّذِي يُمِيتُني ثُمَّ يُحْيينِ (٨٨) وَ ٱلَّذِي اللَّذِي اللَّهِ اللهِ خَطْبَتَتي يَوْمَ ٱلدِّينِ (٨٨) رَبِّ هَبْ لِي حُكْمَا وَ ٱلْسَحِقْني بِالصَّالِحِينَ (٨٨) وَ ٱجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي بِالصَّالِحِينَ (٨٨) وَ ٱجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي النَّانِينِ (٨٨) وَ ٱجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي النَّعْيمِ (٨٨) وَ ٱجْعَلْ لِي لِسَانَ مِنْ ٱلصَّالِينَ النَّالِينَ النَّالِينَ اللَّهُ كَانَ مِنَ ٱلصَّالِينَ (٨٨) وَ ٱجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَيَّةِ النَّعْيمِ (٨٨) وَ ٱخْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلصَّالِينَ (٨٨) وَ لَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ ٱتَى ٱللَّهَ يَنْفَعُ مَالٌ وَ لَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ يَتْفُعُ مَالٌ وَ لَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ يَقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)

#### ◄ اللّغة

خاشِربن: الحشر الجمع.

لَشِرْذِ مَةً: الشّر ذمة العصبة الباقية من عصب كثيرة و شرذمة كلّ شيٍّ بقيّة القليلة لغايظون: الغائظ فاعل من الغَيظ و هو الغضب.

خادِرُونَ: قد قرئ، حذرون، أيضاً قال أبو عبيدة هما بمعنى واحد أي متيقظون و قيل بينهما فرق، فالحذر المتيقظ، و الحاذر الخائف و عن المصباح حذرً حذراً من باب تعب و إحتذر و إحترز كلّها بمعنى و إستّعد و تأهب فهو حاذر و الإسم منه الحذر، و حذر الشّئ إذا خافه و الشّئ محذور أي مخوف.

فَانْفُلَقَ: الفلق الشَّق.

الطُّوْدِ الجبل.

أَزْلَهُنا: أي قرّبنا و اديننا و قيل معنى أزلفنا جمعنا و ليلة مزدلفة ليلة جمع و المعنى قرّبنا قوم فرعون الى البحر.

عاكِفينَ: أي مقيمين مداوبين على عبادتنا.

#### ◄ الإعراب

قَلِلُونَ جمع على المعنى لأنّ الشّر ذمة جماعة مُشْرِقِبنَ حال هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ أي يسمعون دعاءكم فحذف المضاف لدلالة تَدْعُونَ عليه إِلّا رَبَّ الْعَالَمِينَ هـو إستثناء من غير الجنس لأنّه لم يدخل تحت الأعداء و قيل من الجنس لأنّ آباءهم كان منهم فَهُوَ مبتدأ و يَهْدبنِ خبره و الجملة خبر، الّذي وَ آجْعَلْبي مِنْ وَرَثَةِ، من، متعلّقة بمحذوف أي وارثاً من ورثة يَوْمَ لا يَنْفُحُ، بدل من يـوم الأوّل إِلا مَنْ أتَى الله فيه وجهان:

أحدهما: هو إستثناء من غير الجنس أي لكن من أتى الله بسليم أو ينتفع. الثّاني: أنّه متصلّ، و في إعرابه وجهان:

أحدهما: هو في موضع نصب بدلاً من المحذوف أو إستثناء منه.

الثَّاني: هو في موضع رفع على البدل من فاعل ينفع.

#### ◄ التّفسير

## كُ وَ أَوْحَيْنَآ إِلَى مُوسٰىٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبْادَىٓ إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ

قيل، سرى و أسرى لغتان فمن قطع الهمزة قال هو من أسرى يسري و من وصلها فمن سرى يسري و العباد جمع عبد و قد مرّ الكلام فيه و المراد بهم هو عباد الله الذين آمنوا أوحى الله تبارك و تعالى الى موسى أن يسري بعباد الله ليخرجوا من بلد فرعون و أعلمهم أنّ فرعون و جنوده يتّبعونهم و يخرجون في طلبهم و تبع و إتبع لغتان.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

## فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدْآئِنِ خَاشِرِينَ

يحشرون النّاس اليه الّذين هم جنوده و أعوانه و بعبارةٍ أخرى أمر فـرعون بتجهيز العسكر.

## إِنَّ هَوُّ لاآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَليلُونَ

أي فلمًا حضروا عنده قال لهم أنّ هؤلاء يعني أصحاب موسى، لشر ذمةً قليلون و الشّر ذمة العصبة الباقية من عصبٍ كثيرة و شرذمة كلّ شيّ بقيّته القليلة و أنّما قال لهم ذلك تسليةً لهم و جهلاً منه بأنّه كم من فئةٍ قليلة غلبت فئةٍ كثيرة و أنّ اللّه تعالى على كلّ شيئ قدير.

و عن عبد الله بن مسعود أنّه قال الشّر ذمة الّذين قللّهم فرعون من بني إسرائيل كانوا ست مائة ألف و سبعين ألفاً الفاً و أنّما إستقلّهم لأنّه كان على مقدّمة سبعة آلاف ألف على ما قال بعض المفسّرين.

## وَ إِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ

هذا أيضاً كلام فرعون لأصحابه يقول أنّهم مع قلّتهم، **لَغْآئِظُونَ،** أي أنّهم يغيظوننا بمخالفتهم أيّانا.

## وَ إِنَّا لَجَميعٌ حَاذِرُونَ

هذا أيضاً من كلام فرعون فأنّه لمّا حكم بقلّة أصحاب موسى مدح أصحابه و قال: إِنّا لَجَميع حَاذِرُونَ، قرأ بعضهم حاذرون بألف و الباقون بغير ألف فمن قرأ بالألف قال هو مثل شرب فهو شارب و حذر فهو حاذر و قرأ عبد اللّه بن سائب، حادرون، با لذّال المهملة بمعنى نحن أقوياء غلاظ الأجسام يقال حادر أي سمين، و تميل الفرق بين الحادر و الحذر أنّ الحاذر الفاعل للحذر أن يناله مكروه و الحذر المطبوع على الحذر و قيل، حاذرون، مؤوّن في السّلاح أي ذوو أداةٍ من السّلاح المتعدون للحروب من عدّوٍ و الحذر إجتناب الشّئ خوفاً منه،

فمن قرأ، حذرون، أي إستعددنا لقتالهم ثمّ أشار الله تعالى إلى كيفيّة عذاب قوم فرعون و هلاكهم.

فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ، وَكُنُوزٍ وَ مَقَامٍ كَريمٍ

أي أخرجنا قوم فرعون من جنّات، و هي البساتين ألتّي تحَّتها الأشـجار، و عيون جارية فيها، وَ كَنُونِ، يعني أموالهم التّي دفنوها تحت الأرض، وَ مَقْام كَريم، أي الموضع الّذي كَانوا يقيمون فيه من القصور، و الحاصل أنّ فرعون وّ قومه كَانوا في عيشٍ و نعمةٍ و لكنّهم كفروا بربّهم الّذي خلقهم و أنعم عليهم ولم يشكروا على ما أتاهم الله فأخذهم الله بذنوبهم و أخرجهم عمّا كانوا فيه و أزال عنهم النِّعم و بدَّل عيشهم و رفاهيّتهم بالنّقمة و العذاب في الدّنيا و الأخرة و ذلك جزاء الّذين كفروا و عتوا عن أمر ربّهم فأنّ ربّك لبالمرصاد و حيث أشار الله تعالى في الآية بقوله: مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونِ الخ لا بأس بالإشارة إلى ماكتبه عمر بن العاص إلى عمر إبن الخطّاب في وصفٌ مصر:

قالوا لمّا إستّقر عمرو بن العاص على ولاية مصر كتب إليه عمر إبن الخطّاب أن صف لى مصر فكتب إليه إعلم أنّ مصر قرية غبراء و شجرة خضراء طولها شهر و عرضها عشر یکنفها جبل أغبر و رمل أعفر يخطر وسطها نيل مبارك الغدوات ميمون الرّوحات تجري فيه الزّيادة و النّقصان كجرى الشّمس و القمر له أو انَّ يدُّر حلابه و يكثر فيه ذبابه تمُّده عيون الأرض و ينابيعها حتّى إذا ما ز ١٩٠٠ أصلَّتخم عجّاجه و تغمُّطت أمواجه فاض على جانبيه فلم يمكن التَّخلص من القرى بعضها إلى بعض إلاّ في صغار المراكب و خفاف القوارب، و زوارق كأنّهن في المخايل و رقق الأصائل فإذا تكامل في زيادته نكص على عقبيه كأوّل ما بدأ في جريته وطما في درّته، فعند ذلك تخرج أهـل ملّةٍ محقورةٍ و ذمّةٍ محفورةٍ يحرثون الأرض و يبذرون بها الحبّ يرجون بذلك النّماء من الرَّب لغيرهم ما سعوا من كدُّهم فناله منهم بغير جدّهم فإذا أحدق الزّرع و أشرق سقاه

خياء الفرقان فى تفسير القرآن

النّدى و غذاه من تحته الثّرى فبينما مصر لؤلؤة بيضاء إذا هي عنبرة سوداء فإذا هي زمرّدة خضراء فإذا هي ديباجة رقشاء فتبارك اللّه الخالق لما يشاء إلى أخر تلك الرّسالة بطولها.

أقول و جاء في خطط المقريني ما يجلو غوامض هذه الرّسالة، و وصف بعضهم مصر فقال، ثلاثة أشهر لؤلؤوة بيضاء و ثلاثة أشهر مسكة سوداء، و ثلاثة أشهر زمّردة خضراء و ثلاثة أشهر سبيكة ذهب حمراء فأمّا اللّؤلؤة البيضاء فأنّ مصر في أشهر أبيب و مسري و توت يركبها الماء فترى الدّنيا بيضاء و ضياعها على روابي و قلال مثل الكواكب قد أحيطت بالمياه من كلّ وجه فلا سبيل إلى قرية من قراها إلاّ بالزّوارق، و أمّا المسكة السّوداء فأنّ في أشهر بابه، و هاتور، و كهيك، ينكسف الماء عن الأرض فتصير أرضاً سوداء و في هذه الأشهر تقع الزّراعات.

و أمّا الزمّردة الخضراء فأنّ في أشهر طوبة و أمشير و برمهات يكثر نبات الأرض و ربيعها فتصير خضراء كأنّها الزُّمردة، و أمّا السَّبيكة الحمراء فأنّ في أشهر برمودة و بشنس و بثوئة يتَّورد العشب و يبلغ الزَّرع الحصاد فيكون كالسَّبيكة التّي من الذّهب فنظراً و منفعةً إنتهى.

أقول و إلى ما ذكرناه من أوصاف مصر أشار الله تعالى بقوله: فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَ عَيُونٍ، وَ كُنُّوزٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ و أَنّما قال فأخرجناهم ولم يقل فخرجوا منها مثلاً فنسب الله تعالى إخراجهم عن مصر إلى نفسه لنقطة و هي أنّهم لم يخرجوا منها من عند أنفسهم على سبيل الإختيار و أنّما خرجوا منها لمحاربة موسى بزعمهم إلا أنّهم لم يرجعوا إليها أبداً فالباعث على خروجهم في ظاهر الأمر هو موسى عليم الواقع هو الله الذي أرسل موسى إليهم و لولا ذلك لما خرجوا منها و لذلك قال تعالى فأخرجناهم.

كَذٰلِكَ وَ أُوْرَثْنَاهَا بَنيَ إِسْرَآئيلَ

أي كذلك أخرجناهم عن بلادهم و أورثناها بني إسرائيل، أي جعلنا بـلاد مصر إرثاً لهم.

## فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقينَ

أي تبع فرعون و قومه أثر موسى مشرقين أي وقت إشراق الشّمس و ظهور ضوءها و صفاءه و قيل معناه مصبحين يقال أتبع فلان و تبعه إذا إقتضى أثره لغتان و معناه واحد.

## فَلَمُّا تَراٰءَا ٱلْجَمْعٰانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسْتَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ، قَالَ كَلاٌّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدين

تراء الجمعان أي لمّا رأى أحدهما الأخر و الجمعان عبارة عن جند فرعون، و قوم بني إسرائيل أي رأى أحد الفريقين الفريق الأخر و قيل معناه تقابلا الجمعان بحيث يرى كلّ فريق صاحبه و هو تفاعل من الرّؤية و هو فعل ماضٍ موّحد و ليس مثنى لأنّه فعلّ متّقدمٌ على الإسم ولو كان مثنى لقال تراءا قال أصحاب موسى إنّا لَمُدركُون بفتح الرّاء من أدرك إدراكاً و الفاعل منه مُدرك بكسر اللآم و المفعول بفتحها و أنّما قالوا ذلك لأنّ فرعون كان يتبعهم و يقتفي أثرهم فالمعنى أنّا لملحقون فالإدارك الإلحاق و أنّما جاز تثنية الجمه لأنّـه يـقع عـليه صفة التّوحيد فتقول هذا جمعٌ واحد و لا يجوز تثنية مسلمين لانّه لا يقع عليه يز، ٩ الى صفة التّوحيد لأنّه على خلاف صفة التّوحيد و لمّا قال قوم موسى إنّا لمدركون و هو دليل خوفهم من قوم فرعون قال موسى في جوابهم، كلاً، و هو حرف ردع أي ليس الأمر كما تظّنون، أي مَعِي رَبِّسي سَسيَهْدينِ و الأصل سيهديني فحذفت الياء لدلالة الكسرة على حذفها و المعنى أنّ ربّي بنصره إيّاي سيدُّلني على طريق النّجاة من فرعون و قومه فلا تخافوا و لا تحزنوا أنّ اللّه معنا و إلى هذا المعنى أشار الله بقوله:

فَأَوْحَيْنَاۤ إِلٰى مُوسٰىٓ أَنِ آضْرِبْ بِعَصٰاكَ ٱلْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُـلُّ فِرْقِ كَالطُّوْدِ ٱلْعَظيم

و المعنى فأوحينا إلى موسى أن أضرب بعصاك البحر، أمّا عصا موسى فهي التّي صارت ثعباناً في مجلس فرعون و أمّا البحر فقيل هو بحر قلزم فلمّا ضرب عصاه إنفلق البحر قيل أنَّه صار أثنا عشر طريقاً لكلِّ سبطٍ طريق فكان كلِّ فرق كالطُّود العظيم، و الطُّود الجبل و أنَّما شبِّه الماء بالجبل لتراكم الماء قيل لمَّا نظر قوم موسى إلى البحر أمامهم و نظروا إلى جيوش فرعون في طلبهم و قد قربوا منهم فغلب عليهم الجزع و الفزع و ثاروا بموسى يقولون له إنَّا لَمُدْرَكُونَ إنَّا لمدركون، و سيطر عليهم الخوف حتّى قال بعضهم لموسى فليتك تركتنا بمصر يستعبدنا أل فرعون فهداهم موسى قٰالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي و عند ذلك صار مأموراً بأن يضرب عصاه البحر ففعل موسى ما أمره الله به و تمّت لبني إسرائيل أثنتي عشرة طريقاً على عدد أسباطهم وكلّها جمافّة صلدة بـفضل اللّـه فـقالوا لموسى إذا دخلت قبيلة منّا سكّة من هذه السّكك فأنّها لا تدري ما يجري على سواها فشكى موسى أمرهم إلى ربّه جلّ جلاله فأوحى اللّه إليه أن أضرب تلك الجدران المرتفعة بين السَّكك كالأطواد بعصاك فضربها موسى فإذا الجدران تنقلب شفّافة كالشّبك يكشف كلّ منها على ما في جوانبه.

#### وَ أَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْأُخَرِينَ

أي جمعناهم أو قرَّبناهم.

قال إبن عبّاس معناه قرَّبنا إلى البحر فرعون و منه قوله تعالى: **وَ أَزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ** لِلْمُتَّقِينَ<sup>(١)</sup>.

و قال أبو عبيدة معنى أزلفنا جمعنا، وليلة مزدلفة ليلة جمع، و قيل معناه قرَّبناهم إلى المنيّة لمجئ وقت هلاكهم.

## وَ أَنْجَيْنَا مُوسَى وَ مَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ، ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْأَخَرِينَ

أشار اللّه تعالى إلى نجاة موسى و من معه و هلاك فرعون و من معه و كيفيّة الواقعة أنّ فرعون و جنده الّذين تخوَّفهم بنو إسرائيل لمّا بان سوادهم قد قربوا فبادر بنو إسرائيل يقتحمون سبلهم التّي فتحها اللّه لهم فساروا و الماء عملي جوانبهم كالجبال و هم ينظر بعضهم إلى بعض و يسمع بعضهم بعضاً و خرج بنو إسرائيل من البحر من الطّرف الأخر و لمّا إنتهي فرعون بـقومه إلى البـحر و شاهدوا إنفلاقه و قيام المياه جدراناً مانعة دون سائد و الأرض جافّة يابسة فقال فرعون لمن حوله أنظروا إلى البحر قد إنفلق لهيبتي حتّى أدرك أعدائي و عبيدي ألا ترون أنّي ربّكم الأعلى قد فرج إلى البحر ثمّ أمرهم بدخول السَّكك و ملاحقة بني إسرائيل فلم يجسر أحد منهم على ذلك و إمتنعت الخيل عن التَّقدم لهول الماء فتَّقدم فرعون بنفسه نحو الماء ليشجع أصحابه و يحثِّهم و لَّما هـمَّ بدخول الطّريق المفتوحة نهاه هامان و قال له أنّى قد أتيت هذا المـوضع مـراراً يافرعون، و مالي بهذا الطّريق هنا عهدٌ من قبل و أنّي لا أمن أن يكون هذا سحراً من موسى و يكون فيه هلاكنا فتظاهر فرعون بعدم المبالاة وكان فرعون يستبطئ حصاناً قوياً فلمّا بلغ الماء لامس أرض البحر تمّنع و أبى فنزل اللّه جبرئيل بصورة بشر على فرس هيفاء رشيقة و سار بها نحو الطّريق البحريّة المهولة و لمح الحصان تلك الفرس فطلبها سريعاً و لمّا رأى أتباع فرعون تقدّمه بز، ١٩ كم سالماً تشَّجعوا و تبعوه بأجمعهم و لمّا صار القوم كلُّهم في البحر و أمامهم فرعون فنظر فإذا الماء قد التحمت ولم يبق أمامهم طرق أبدأ فصاح بأصحابه و أخبرهم بأنّ الطّريق قد إنتهت فأرجعوا و أنّها الحيلة المهلكة فصاح بعضهم إلى بعض فنظروا إلى ورائهم فإذا الماء قد إلتحم و لم يبق ورائهم طريق أبداً فأيقن فرعون و هامان و أصحابهما أنّ الهلاك وقع لا خلاص منه أبدأ و جعل الماء يزم و يقرب التحامه منهم إلى أن التصق بمؤخّرهم و مقدّمتهم و هو مرتفعٌ كالجبال

الشاهقة فصاح فرعون بدون شعور و علم أنّ الّذي فعل بهم ذلك ربّ موسى و هارون و ربّ العالمين جميعاً كما حكى الله عنه:

حَتّٰىَ إِذْآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ امَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱلَّذِي اَمَنَتْ بِهِ بَنُقَ إِسْرَائِيلَ وَ أَنَا مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (١).

و أطبق البحر في ثوان على الطّغاة و أتباعهم ليصبحوا طعاماً لأسماك البحر و ما هي إلاّ لحظات حتى همد و أطبق البر و غرق الكفرة الفجرة و دوي على السّاحل صوت أشد من أصوات الرُّعود القاصفة فدهش بنو إسرائيل و إرتاعوا و سألوا موسى عن سِّر ذلك الصَّوت فأخبرهم بهلاك فرعون و جنوده أجمعين فما صدَّقوه بل قالوا أنّ فرعون لأنّه ليس كباقي الخلاق فأمر اللّه تعالى أمواج البحر أن تلقيه بجسده سالماً على الشّاطئ أمام بني إسرائيل اليتَّوس ليكون لهم و لغيرهم عبرة وعظة فألقته الأمواج على نجوةٍ من الأرض و عليه درعه و ثيابه التي كان يتَّفرد بها فنظر إليه بنو إسرائيل فعرفوه و أيقنوا بموته و إلى هذا أشار الله بقوله:

إِنَّ في ذَٰلِكَ لَاٰيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنينَ كما عرفت من بني إسرائيل.

#### وَ إِنَّ رَبُّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحيمُ

أي هو القادر الذي لا يمكن معارضته في أمره و هو مع ذلك رحيمٌ بخلقه و في ذلك غاية الحت على طلب الخير من جهة الموصوف بهما فهو تعالى أرحم الرّاحمين في موضع العفو و الرَّحمة و أشد المعاقبين في موضع النّكال و النَّقمة ليهلك من هلك عن بيّنة و يحيا من حيّ عنها.

### وَ ٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأً إِبْراهِيمَ

آن ﴿ وَ بُحُمُ العجلة الثاني عند

ضياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿

لمًا ذكر اللَّه تعالى قصَّة موسى و فرعون لتكون عظة للمتَّقين المعتبرين بها أشار إلى قصّة إبراهيم الخليل فقال: و َ أَتْلُ عَلَيْهِمْ يامحمّد نبأ إبراهيم النّبأ الخبر و إبراهيم بكسر الألف إسمّ أعجّمي قال الجوهري و فيه لغات، إبراهام و إبراهم بحذف الياء و في معانى الأخبار معنى إبراهيم أنّه همَّ و برَّ، و كان إبراهيم إبناً لتارخ و كان تارخ مؤمناً موحداً لله تعالى لم يسجد لصنم قط و يشهد بذلك قوله تعالىٰ: أَلَّذَى يَرِيْكَ حَيِنَ تَقُومُ، وَ تَقَلَّبَكَ فِي ٱلسَّاجِديِنَ ۖ وَ قَد ذَكروا فَي تفسيرها بأنّ روحه ونطفته لللهُ الله عنه الله عنه عنه الله عنه عنه الله عنه الله عنه الله عنه الله علم ساجد و أنّ جميع أباءه إلى أدم كانوا موّحدين ساجدين لله تعالى وحده دون غيره و منهم إبراهيم الخليل و أبوه تارخ و قد ورد عن النَّبِي ثَلَمَانِيْتُكُورْ أَنَّه قال لم أزل أنتقل من أصلاب الطّاهرين إلى أرحام الطّاهرات أنا و أخى علّى بـن أبـي طالب حتّى إفترقنا في أبي عبد الله و عمّي أبي طالب و لم يكن أحداً من أبائي مشركاً بخساً، و أمّا آزْر الّذي ذكره اللّه تعالى في كتابه و سمّاه أباً له فهو عمُّه و كان إبراهيم في كفالته و أنَّ إطلاق الأب على العمِّ شائع عند العرب و خاصة إذا كان العمّ قائماً بكفالة إبن أخيه و تربيّته ألا ترى أنّ إسماعيل بن إبراهيم كـان عـمّاً ليعقوب بن إسحاق و قد ذكر في أباءه في قوله تعالى:

أَمْ كُنْتُمْ شُهَداآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنْهِهِ مَا تَـعْبُدُونَ مِنْ بَعْدى قَالُوا نَعْبُدُ إِلْهَا مِنْ بَعْدى قَالُوا نَعْبُدُ إِلْهَاكَ وَ إِلْهَ أَبْآئِكَ إِبْراهِهِمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ إِلْهًا وَاحِدًا وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٢).

فعدُّ إسماعيل في أباء يعقوب و هو عمّه و هكذا في المقام:

إِذْ قَالَ لِأَبيهِ وَ قَوْمِهٖ مَا تَعْبُدُونَ

أي إذ قال لعمّه أزر و قومه ما تعبدون أي أيُّ شيئ تعبدون، و قيل الإستفهام و هو أيُّ للإنكار يعني أيُّ شيئ معبودكم على وجه الإنكار لأنّهم كانوا يعبدون الأصنام.

العجلة الثان ط \* بمح فسير القرآن أي قالوا في جواب إبراهيم نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين، يقال ظلَّ بفعل كذا من باب تعب إذا فعله نهاراً و بات بفعل كذا إذا فعله ليلاً و العاكف المقيم المداوم على الإقامة و المعنى نعبدها نهاراً مقيمين عاكفين مداومين على العبادة.

# قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ، أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ

أي قال لهم إبراهيم بعد إعترافهم و إقرارهم بعبادة الأصنام هل يسمعونكم هذه الأصنام التي تعبدونها إذا دعو تموها، أي هل يسمعون أصواتكم و دعاءكم إيّاها لأنّ أجسامهم لا تسمع أو ينفعونكم بشئ من المنافع، أو يضّرون بشئ من المضّار و أنّما قال إبراهيم لهم ذلك لأنّ من لا يملك النّفع و الضَّر فهو جماد لا تحسن عبادته لأنّ العبادة ضربٌ من الشّكر و لا يستّحق الشّكر إلاّ بالنّعم فمن لا يصحّ منه الإنعام يقبح شكره و من قبح شكره قبحت عبادته و أنتم تدعون العقل فكيف تعبدون ما يحكم العقل ببطلانه فلمّا لم يجدوا لهذا الكلام جواباً قالوا ما حكى اللّه عنهم.

#### قَالُوا بَلْ وَجَدْنَآ أَبْآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ

أحالوا الجواب على مجرد التَّقليد عن آبائهم و أن كانوا في ضلالٍ مبين و ليس هذا إلاّ لجهلهم و حماقتهم فأنّ العاقل لا يقَّلد في الأمور العقليّة و إنّما هو الفروع و هذا الحكم متَّفق عليه بين العقلاء فمن قال أو يقول بخلافه فقد كابر عقله و سقط عن مقام الإنسانيّة و دخل في زمرة الحيوانات بل الجمادات و مع الأسف هذه الرُّؤية الخبيثة الرَّديئة بقيت في أولاد آدم و تبقى الى يوم الوقت المعلوم فإنّا نرى في زماننا هذا كثيراً من النّاس يتَّبعون أسلافهم و آبائهم فيما كانوا معتقدين به و أن كان باطلاً عقلاً و لا تختَّص الأصنام بالأحجار و الأخشاب بل تطلق على كلّ معبود و متبوع لا يضّر و لا ينفع و أن كان من جنس البشر فمن بل تطلق على كلّ معبود و متبوع لا يضّر و لا ينفع و أن كان من جنس البشر فمن

إنّبع شخصاً بواسطة آبائه و أسلافه أو من عند نفسه من غير تأمُّل و تعَقل فيه فقد عبده من حيث لا يحتسب و قد يعبر عنهم بهمج الرّعاء إتّباع كلّ ناعق يميلون مع كلّ ريح و لا يستضيئون بنور الهدى و منه تقديم المفضول على الفاضل في الدّين و الدّنيا و للبحث فيه مقام آخر.

#### قَالَ أَفَرَأَ يُتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ، آنْتُمْ وَ اٰبآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ

لمّا أجابوا إبراهيم المُثِّلاِ بقولهم بل وجدنا آبائنا كذلك يفعلون.

قال لهم إبراهيم للتِّلْإِ أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم و آبائكم من عبادة الأصنام.

#### فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لَيَ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ

و ذلك لأنّ التَّقدم و الأوليّة، لا يكون برهاناً على الصِّحة و الباطل لا ينقلب حقًا بالقدم و ما عبادة هذه الأصنام إلاّ عبادة أعداء له لأنّ المعزى على عبادتها أعدى أعداء الإنسان و هو الشيطان قاله صاحب الكشّاف.

قال الرّازى، و هذا من أقوى الدّلائل على فساد التَّقليد و وجوب التَّمسك بالإستدلال و ساق الكلام الى أن قال أراد به أنّ الباطل لا يتَّغير بأن يكون قديماً أو حديثاً و لا بأن يكون في فاعليّه كثرةً أو قلَّةً إنتهى.

قال بعض المفسَّرينُ وصف الآباء بالأقدمين في عبادتهم الأصنام دلالةً على تقديم عبادة الأصنام فيهم إذ كانوا قد عبدوها و في زمان نوح الى زمان إبراهيم عزء ١٩ كالية السّلام.

إن قلت فأنهم عدُّو لي، ولم يقل فأنها و مرجع الضّمير هو الأصنام بالإتّفاق. قلت جمعها جمع العقلاء لما وصفها بالعداوة الّتي تكون من العقلاء فأنّ الصَّنم وكلّ ما لا يعقل لا يتَّصف بالعداوة و إنّما قال، عدُّو لي، ولم يقل عدُّو لكم قيل لأنّه تصَّور المسئلة في نفسه على معنى، أي فكرت في أمري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدُّو فأجتنبتها و آثرت عبادة من الخير كلّه منه و أراهم بذلك نصيحةً

، الفرقان في تفسير القرآن ﴿ حَمْمُ } المجلد ا

نصح بها نفسه و ما أراد لنا إلا ما أراد لروحه ليكون أوعى لهم الى القبول و البعث على الإستماع منه ولو قال فأنّه عدَّو لكم لم يكن بتلك المثابة و لأنّه دخل في باب من التَّعريض و قد يبلغ التَّعريض للمنصوح ما لا يبلغه التَّصريح لأنّه يتَأمل فيه فرَّبما قاده التَّأمل الى التَّقبل إنتهى، ما قاله صاحب الكشّاف.

و إنّما قال: عَدُوُّ لَيَ، ولم يقل أعداء لي، لأنّ عدّو، يكون للمفرد و الجمع، كما قال هم العدّو فأحذرهم، و قيل شبّه بالمصدر كالقبول و الولوع. و أمّا قوله: 
إِلّا رَبَّ ٱلْعَالَمينَ فقال صاحب الكشّاف أنّه منقطع كأنّه قال و لكّن قال ربّ العالمين.

ٱلَّذَى خَلَقَنَى فَهُوَ يَهْدين، وَ ٱلَّذَى هُوَ يُطْعِمُنَى وَ يَسْـقينِ، وَ إِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفينِ، وَ ٱلَّذَى يُميتُنَى ثُمَّ يُحْيينِ، وَ ٱلَّذَىٓ أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَى خَطَيَئَتَى يَوْمَ ٱلدِّينِ

ذكر إبراهيم في هذه الآيات أوصافاً لرَّب العالمين لا يتَّصف بها أحد غيره و في هذا الكِلام إشارة الى أنّ المعبود هو لا غيره.

قوله: ٱلَّذَى خَلَقَنى فَهُو يَهْدِينِ و الأصل يهدين و هكذا قوله يسقين و يشفين، و يحيين، أشار عليَّا في أوّل يشفين، و يحيين، أشار عليَّا في أوّل الأوصاف الى أمرين: الإيجاد و الهداية أي أنّه خلقني و أوجدني فهو يهديني الى الحقق و لا نقمة بعد نعمة الإيجاد أفضل من نعمة الهداية الى طريق الحق المعبر عنها بالدَّين أمّا أنّه الخالق لا غيره فلا يخاف فيه لأنّ كلّ ما سواه فهو مخلوق له و أمّا أنّه الحالي الى الحقق فهو أيضاً ممّا ذكره لا ينكره عاقل و قد أشار الله بذلك في كثير من الآيات.

قال الله تعالى: و كَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَ نَصبِرًا ١٠).

قال اللّه تعالىٰ: إنَّكَ لا تَهْدى مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَكِنَّ ٱللّهَ يَهْدى مَنْ يَشْآءُ (١). قال الله تعالى: إنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَ إِمَّا كَفُورًا ۗ ٢). قال الله تعالىٰ: قُل ٱللهُ يَهْدى لِلْحَقّ (٣).

قال الله تعالى: وَ ٱللَّهُ يَهْدى مَنْ يَشْآءُ إِلَى صِراطٍ مُسْتَقيم (۴).

و الآيات كثيرة و الموضوع لا يحتاج الى الإثبات لظهوره و أنَّ الهدايــة فــى الحقيقة منحصرة به تعالى و إذا كان كذلك فالعبادة أيضاً منحصرة له فلا معبود سواه و محصل الكلام هو إثبات التَّوحيد كما ترى و منها.

قوله: وَ ٱلَّذَى هُوَ يُطْعِمُني وَ يَسْقينِ هو معطوف على سابقه أي ربّ العالمين هو الّذي يطعمني و يسقين، فيه إشارة الى أنّه الرّازق لعباده و من كان كذلك فهو المعبود لا غيره:

قال الله تعالىٰ: فاطِرِ ٱلسَّمْواٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَ هُوَ يُطْعِمُ وَ لا يُطْعَمُ<sup>(٥)</sup>. قال الله تعالىٰ: أَلَّذَيَّ أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَ اٰمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ( ٤٠).

هذا في الطُّعام و أمَّا السَّقي فهو لا يحصل إلاَّ بسبب الماء و لا شكَّ أنَّ اللَّه هو خالق الماء.

قال اللّه تعالىٰ: هُوَ الَّذِيّ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرابٌ وَ مِنْهُ

قال الله تعالى: أَفَرَأَيْتُمُ ٱلْمَآءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (^^).

قال الله تعالى: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَآءٍ

<ul><li>٢- الإنسان = ٣</li></ul>	١ – القَصَص = ٥٤
۴- النُّور = ۴۶	٣- يُونس = ٣٥

۶- قُريش = ۴ ۵- الأنعام = ۱۴

٨- الو اقعة = ۶۸ ٧- النَّحل = ١٠

٩- المُلك = ٣٠

هذا في الدُّنيا و أمَّا في الآخرة:

قال الله تعالى: و سَقَيْهُمْ رَبُّهُمْ شَرابًا طَهُورًا (١).

قوله: وَ إِذا مَرِضْتُ فَهُو َ يَشْفينِ فيه إشارة الى أنّ الصِّحة و السُّقم بيده فلا يقدر على شفاء المريض إلا هو و هذا أيضاً ظاهر لاكلام فيه.

قوله: وَ ٱلَّذَى يُميتُنَى ثُمَّ يُحْيينِ فيه إشارة الى أنّ الموت و الحياة بيده فهو الذي خلق الإنسان و قدَّر له أجل فإذا جاء أجله فالموت له حتم ثمّ بعد الموت الحياة ثانياً في يوم البعث فقوله: ثُمَّ يُحْيينِ) إشارة الى يوم البعث و النشور و من المعلوم أنّ الذي قادرٌ على الإيجاد قادرٌ على الإماتة و الأحياء في جميع الأحوال و ذلك لأنّ عدم القدرة ضعف و هو العجز و الفقر و الواجب تعالى منّزه عن النّقائص.

قوله: وَ ٱلَّذَيَ أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَى خَطَيَئَتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ و هـو يـوم القيامة و هذا أيضاً لا خلاف فيه لأنّ الله تعالى هو غافر الخطيئات لا غيره:

قال الله تعالىٰ: وَ إِنِّى لَغَفَّارُ لِمَنْ تَابَ وَ اٰمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اللهُ تَعالىٰ: وَ إِنِّى لَغَفَّارُ لِمَنْ تَابَ وَ اٰمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ الْهُتَذِي (٢).

قال اللّه تعالىٰ: وَ أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّارِ<sup>(٣)</sup>. قال اللّه تعالىٰ: بَلْدَةٌ طَيَبَةٌ وَ رَبُّ غَفُورُ<sup>(۴)</sup>.

قال الله تعالى: إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحيمُ (٥).

و الأيات كثيرة و حاصل الكلام في جميع هذه الأيات أنّ الإنسان فقيرٌمحتاجً في ذاته و صفاته و أنّه لا يملك لنفسه ضّراً و لا نفعاً فكما أنّه في وجوده محتاج إلى خالقه يوجده كذلك في جميع أموره:

۲- طه = ۸۲

۴- سَا = ۱۵

١- الإنسان = ٢١

٣- غافِر = ٤٢

#### قال الله تعالىٰ: يٰا أَيُّهَا اَلنَّاسُ أَنْتُمُ اَلْفُقَرْ آءُ إِلَى اَللَّهِ وَ اَللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَميدُ (١).

و إذا ثبت الفقر ثبت الإحتياج بل الفقر هو الإحتياج بعينه و إذا ثبت الإحتياج إلى خالقه ثبت العبادة له لأن شكر المنعم واجب عقلاً و من أعظم الشّكر معرفة الخالق و عبادته إذا عرفت هذا فنقول:

العقل يحكم بأنّ المعبود الذي يجب أن يعبد هو الذي يقدر على رفع الحوائج و دفع المضّار و حيث أنّ المخلوق كائناً ما كان لا يقدر على شئ منهما فلا يكون معبوداً فأنّ حكم الأمثال واحد فلا محالة يكون المعبود هو القادر على كلّ شئ و هو منحصّر بالله تعالى و إن شئت قلت المعبود يجب أن يكون خالقاً، و هادياً و رازقاً شافياً و غافراً، و هذه الأوصاف لا توجد إلاّ في ربّ العالمين.

## رَبِّ هَبْ لَي خُكْمًا وَ أَلْحِقْنَى بِالصَّالِحِينَ

قيل المراد بالحكم هو بيان الشّئ على ما تقتضيه الحكمة فسأل ذلك إبراهيم من حيث كان طريقاً للعلم بالأمور و عن إبن عبّاس المراد به المعرفة بالله و بأحكامه.

و قال مقاتل فهماً و علماً و قال الكلبي نبّوةً و رسالةً إلى الخلق و قال صاحب الشكّاف الحكم الحكمة أو الحكم بين النّاس بالحقّ و المراد بالصّالحين الأنبياء الذين كانوا من قبل و هو في الأخرة ففي الحقيقة طلب الخليل عليماً من ربّه من ربّه معادة الدّارين و قد أجابه الله تعالى بقوله: و إِنّه فِي ٱلاْخِرَةِ لَمِنَ ٱلصّالِحِينَ (٢).

#### وَ ٱجْعَلْ لَى لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْأُخِرِينَ

قال إبن عبّاس هو إجتماع الأمم عليه و قيل هو الثّناء الحسن، و قيل معناه إجعل من ولدي من يقوم بالحقّ و يدعوا إلى الله و هو محمّد الله الله و المعناة المعرِّق المعرِّق

القرقان في تفسير القرآن ﴿ حَمَّ ﴾ المجلد ال

أقول ظاهر الآية أنّه عاليًا لله طلب من ربّه في مقام الدُّعاء أن يجعل لسانه صادقاً أي لا يقول إلا حقاً و أمنَّه من الكذب في دعوته و ذلك من شئون العصمة أي إجعلني معصوماً عن الخطأ في اللّسان فأنّ المعصوم معصوم من جميع الجهات.

وَ ٱجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعيم

أنّما قال الله المنافي من ورثة جنّة النّعيم و لم يقل و إجعلني من أهلها لنقطة خفية و هي أنّ الوارث يرث ما يرثه بالإستحقاق و لذلك يقال له هذا وارث فلان و أمّا غيره فلا إستحقاق له في حدّ نفسه، فلو مات شخصّ و أوصى من ماله لشخص أخر للموصّى له حقّ في مال الميّت لسبب الوَّصية فلولا الوصَّية لا حقّ له و هذا بخلاف الوارث فأنّه يأخذ المال بالإستحقاق و لا يحتاج إلى الوصَّية و المراد بالإستحقاق هو كونه ولده إذا عرفت هذا فنقول:

دخول الجنّة تارةً يكون بالإستحقاق و تارةً بغير الإستحقاق كما في صورة العفو عن المذنب فأنّ كثيراً من النّاس من المذنبين يوم القيامة يدخلون الجنة بغير إستحقاق منهم لها بل يدخلونها من أجل العفو و شمول الرّحمة لهم فهؤلاء لا يكونون من ورثة جنّة النّعيم و أن شئت قلت أنّهم من قبيل الأضياف و أمّا من دخلها بالعمل الصّالح في دار الدُّنيا فهو من ورثة جنّة النّعيم بالإستحقاق:

قال اللّه تعالَىٰ: تُلِكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبْادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا (١).

قال الله تعالىٰ: قَدْ أَقْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ، ٱلَّذِينَ هُمْ في صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَ ٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكُوةِ فَاعِلُونَ، وَ ٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ خَافِظُونَ، إِلَّا عَلَى أَزُواجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَانِتُهُمْ غَيْرُ مَلُومينَ، فَمَنِ ٱبْتَغَى وَرْآءَ ذَلِكَ قَأُولُ لَئِكَ هُمُ ٱلْعادُونَ، وَ ٱلَّذِينَ هُمْ مَلُواتِهِمْ يُخَافِظُونَ، أُولُئِكَ لَمُ مَلُواتِهِمْ يُخافِظُونَ، أُولُئِكَ هُمُ ٱلْوارْتُونَ (٢).



ترى في هذه الأيات أنّ اللّه تعالى علَّق التَّوريث على العمل في دار الدُّنيا فقوله علي الله على الله تعالى علَّق التَّوريث على العمل الذّي فقوله علي المعلى الذّي يكون سبب الوراثة فذكر المسُّبب و أراد السَّبب و أن شئت قلت معناه و إجعلني ممَّن يدخل الجنّة بالإستحقاق بسبب العمل في الدُّنيا و هذا دعاء حسن بل من أحسن الدُعوات.

## وَ ٱغْفِرْ لِأَبِيَ إِنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلضَّالِّينَ

قلنا سابقاً أنّ المراد بالأب في الآية هو العمّ لإطلاقه عليه في لسان العرب هذا على مذهبنا من أنّ أباء الأنبياء كانوا من الموّحدين و أمّا على مسلك العامّة فاللّفظ يحمل على معناه اللّغوي و أنّ أزر كان أباً له حقّاً و أن كان من الكافرين و كيف كان فقد طلب إبراهيم من ربّه المغفرة و أن كان ضّالاً و وصفه بأنّه ضّال يدلّ على أنّه كافر، كفر جهل لا كفر عناد، و قيل أنّه أنّما دعا لأبيه لموعدة وعده بها لا أنّه كان يطمعه سّراً في الإيمان فوعده بالإستغفار فلمّا تبيّن أنّه كان من نفاقٍ تبرأ منه قاله الشّيخ في التّبيان.

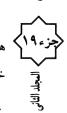
أقول و يحتمل أن يكون المعنى و إن كان من الضالين قبل دعائي و أنّه مات على الإيمان لا على الكفر نعم كان ضّالاً في أوّل الأمر ثمّ إهتدى و الله أعلم.

و قال الشّيخ في التّبيان و عند أصحابنا أنّ أباه الّذي إستغفر له كان جدّه لأمّه هذا كلّه مضافاً إلى أنّ الضّال أعمّ من الكافر فطلب المغفرة للضّال لا إشكال فيه خصوصاً إذا كان من المستضعفين.

#### وَ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ

الخزي الفضيحة و التَّعيير بالذَّنب بما يردع النَّفس و هذا الدَّعاء إنقطاعٌ منه الخزي الله لأنّ الأنبياء لا تقع القبائح منهم على حالٍ.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷



يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَ لَا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَليمٍ

و هو يوم القيامة و المراد أن يكون القلب سليماً عن الفساد و المعاصي و أنا أما خص القلب بالسلامة لأنه إذا يسلم القلب سلم سائر الجوارح من الفساد كما أنّ فساد الجوارح أيضاً بفساد القلب ثمّ أنّ صلاح القلب يحصل بسبب المعرفة و الإجتناب عن القبائح قولاً و فعلاً و تخلية القلب عن الجسد و الكبر و البخل و غيرها.

وَ أُزْلِــفَتِ ٱلْـجَنَّةُ لِـلْمُتَّقينَ (٩٠) وَ بُـرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١) وَ قيلَ لَهُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِنْ دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (٩٣) فَكُبْكِبُوا فيها هُمْ وَ ٱلْغَاوُونَ (٩٤) وَ جُنُودُ إِبْليسَ أَجْمَعُونَ (٩٥) قَالُوا وَ هُمْ فيها يَخْتَصِمُونَ (٩٤) تَاللُّهِ إِنْ كُنَّا لَفي ضَلالِ مُبين (٩٧) إذْ نُسَوّيكُمْ بِرَبّ ٱلْعٰالَمينَ (٩٨) وَ مْآ أُضَلَّنٰآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ (٩٩) فَـمَا لَـنَا مِـنْ شٰافِعينَ (١٠٠) وَ لَا صَديقٍ حَميم (١٠١) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْـمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢) إِنَّ فَـي ذٰلِكَ لَاٰيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٠٣) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (١٠٤)كُذَّبَتْ قَوْمُ نُوحِ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا َّتَتَّقُونَ (١٠٤) إنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَ أَطَيعُونِ (١٠٨) وَ مَاۤ أَسْـئَلُكُمْ عَـلَيْهِ مِنْ أَجْرِ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ (١٠٩) فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَ أَطَيعُونِ (١١٠) قَالُوٓا أَنُوْمِنُ لَكَ وَ ٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْدَلُّونَ (١١١) قَالَ وَ مَا عِلْمَى بِمَا كَانُوا يَـعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسْابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْـعُرُونَ (١١٣) وَ مْ آ أَنَا بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١١٢) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذيرٌ مُبينٌ (١١٥) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ

مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ (۱۱۶) قَالَ رَبِّ إِنَّ قَـوْمَي كَذَّبُونِ (۱۱۷) فَافْتَحْ بَيْني وَ بَـيْنَهُمْ فَتْحًا وَ كَذَّبُونِ (۱۱۷) فَافْتَحْ بَيْني وَ بَـيْنَهُمْ فَتْحًا وَ نَـجِني وَ مَـنْ مَعِى مِـنَ ٱلْـمُؤْمِنينَ (۱۱۸) فَأَنْجَيْنٰاهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِي ٱلْـفُلْكِ ٱلْـمَشْحُونِ فَأَنْجَيْنٰاهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِي ٱلْـفُلْكِ ٱلْـمَشْحُونِ (۱۲۹) ثُمَّ أَعْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْباقينَ (۱۲۰) إِنَّ في ذَلِكَ لَايَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُـوْمِنينَ (۱۲۱) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزيزُ ٱلرَّحيمُ(۱۲۲)

#### ▶ اللَّغة

أُزْلِفَتِ: أي قربت.

بُرِّزَتِ: من البروز و هو الظُّهور.

لِلْغَاوِينَ: الغاوي العامل بما يوجب الخيبة من الثُّواب.

فَكُبْكِبُوا؛ معناه كبوا إلا أنّه ضوعف و قيل معناه جمعوا بطرح بعضهم على بعض، و قيل معناه هووا و قال أبو عبيدة معناه طرحوا فيها بعضهم على بعض جماعة جماعة.

و قال المبّرد معناه، نكسوا من قولهم كبَّه اللّه على وجهه.

كَرَّةً أي رجعةً.

آلأَوْذَلُونَ: أي السَّفلة و أوضاع النّاس و الرَّذل الوضيع.

بِطْادِدِ: الطُّرد المنع.

فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ الفُلك: بضّم الفاء و سكون اللاّم السَّفن و المشحون المملؤ يقال شحنه شحناً فهو شاحن إذا ملأه بما يسد خلأه و الفلك يقع على الواحد و الجمع.

#### ◄ الإعراب

إِذْ نُسَوِّيكُمْ العامل فيه، مبين، أو فعل محذوف دلَّ عليه ضلال فَنكُونَ معطوفٌ على، كرَّة، و التقدير فأن نكون وَآتَبُعَكَ الواو للحال فقيل هو مبتدأ و ما بعده الخبر و الجملة حال، و قيل هو معطوف على ضمير الفاعل في، نؤمن. وآلأزُذلُونَ صفة أي أنستوي نحن و هم فَتْحًا مصدرٌ مؤكّدٌ، وقيل هو مفعول به و يكون الفتح بمعنى المفتوح.

#### ◄ التّفسير

## وَ أُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقَبِنَ، وَ بُرِّزَتِ ٱلْجَحيمُ لِلْغَاوِينَ

قيل معناه قربت و أدنيت الجنّة من أهلها بما فيها من النّعيم و منه المردلفة ليلة الإزدلاف أي الإجتماع و قوله تعالى: أَرْ لَقْنَا ثَمَّ ٱلْأَخَرِينَ أي قرَّبناهم من البحر حتّى أغرقناهم فيه و قوله: وَ زُلَقًا مِنَ ٱللّيلِ (١) أي ساعة بعد ساعة واحدتها زلفة كظلمة و ظلم و المعنى ساعات متقاربة من اللّيل و الزُّلفة و الزُّلفى القربى، و المنزلة و في حديث الباقر المائل من عيشك إلا لذّة تزدلف بها (يك) إلى حمامك أي تقرّبك إلى موتك، و قيل الإزدلاف التّقدم تقول إزدلف القوم إذا تقدّموا.

أقول و هذا أيضاً يرجع إلى الأوّل لأنّ التّقدم يوجب التَّقرب و كيف كان إتَّفق المفسّرون على أنّ المعنى في قوله: وَ أُرْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ قربت للمتّقين بسبب أعمالهم لأنّ التّقوى حفظ النّفس في الإتيان بالواجبات و ترك المحرّمات قربةً إلى اللّه تعالى و في الآية دلالة على أنّ التّقوى مقرّبٌ للجنَّة و قد ورد كثير من الأيات في الباب:

قال الله تعالىٰ: وَ اللَّذِينَ اٰمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِخاتِ أُولُئِكَ أَصْحَابُ الْحَدَّةُ (٢).

الفرقان في تفسير القرآن 🔷 🕏 🖒

لجنه ١

Æ.

فِى أَعْيُبُومْ فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمِنْ قَدْ رَاّمًا فَهُمْ فِيهَا مُنْعَمُونَ وَهُمْ وَالنّارُ كَمَنْ قَدْ رَاّمًا فَهُمْ فِيهَا مُعَدَّبُونَ قُلُوهُهُمْ مَحْرُونَةُ وَشُرُوهُمْ مَأْمُونَةُ وَأَجْسَارُمُمْ نَحِيفَةُ وَحَاجَاهُمْ خَفِيفَةٌ وَأَنْشُهُمْ عَفِيفَةٌ مَبَهِوا أَيَاماً قَحِيرَةً أَعْفَبُتُهُمْ الْحَالِةَ طَوِيلَةً وَحَاجَاهُمْ خَفِيفَةً وَأَنْشُهُمْ عَفِيقَةً أَرَادَبُهُمْ النَّانِي قَحِيرَةً أَعْفَبُتُهُمْ وَفَدَوا وَحَاجَاهُمْ فَعُرِيكُ لَيْ اللّهِ أَوْمَ أَرَادَتُهُمْ النَّئِي فَا النَّيْ فَعَرَاهُمْ وَفَدَوا وَحَاجَاهُمْ فَعَلَاهُمْ وَنَهَا أَمَّا اللّيْلَ فَصَافُونَ أَقْدَامُهُمْ تَالِينَ لاَ عُزَاءِ القُرَانِ يُرتَلُونَهَا تَرْبِيلًا إِنْ أَحْرَاءِ الخَطِية.

بطولها و الإنصاف أنّ هذه الخطبة في أوصاف المتقين ليس لها مثل و لا نظير في الإسلام ولم يعرّف المتّقين مثل ما عرّف فيها و قد شرحناها تضيلاً في شرحنا على نهج البلاغة و من أراد الوقوف على رموز كلماته عليّلاً فعليه بمراجعة هذا الكتاب و الحمد لله على كلّ حال.

و أمّا قوله تعالى: فَ يُرْتُونِ ٱلْجَحِيمُ لِلْعَلَى فِالْبِووَ الطَّهِورِ، والغوين والغوين في المروز الطُّهورِ، والغوين على في فالدوز الطُّهورِ في الدُّعاءِ، و أعود بك من كلّ نصّ عالى و في الدُّعاء، و أعود بك من كلّ عليه عليه و شعر و منه العاوين، و الغواية الصّلالة، قال الرّاغب في المفردات، المُّحي الله المراهب في المفردات، المُّحي في إعتقاد فلسلو و ذلك أنّ الجهل قد يكون من كون الإنسان غير معتقلا بعياداً لا حمالحاً ولا فاسداً، و قد يكون من إعتقاد شيّ فاسلو هذا النّحو النّادي يقال له، غي.

و قال في المجمع، فسروا بقوم وحفوا علالاً يعني حلالاً وحراماً بأستهم في المنافع ألى في المجمع، فسروا بقوم و المجامع بين الأقوال أن الغواية خلاف الرشد إذا عرفت هذا في خلاف اليافي غيره و الجامع بين الأقوال أن الغوايين خلاف الرشية، و المجمع المجمع المجلع في المجمع المعلم المنافع و المنافع في مهواة فهي جحيم، و الجاحم المكان الشديد الحرارة أعاذنا الله منها و عظيمة في مهواة بمديد بالبروز و هو الظهور إشارة إلى أن النار تنشأ و نظهر من نفس أغلن أن التعبير بالبروز و هو الظهور إشارة إلى أن النار تنشأ و نظهر من نفس المماها و المنافع المنافع

<u>ن</u> نعر

الواو للحال و المعنى قالوا و الحال أنّهم في النّار يختصمون و الضّمير في قالوا، عائد على الجميع أي العابد و المعبود و أنَّما أتى بالماضي في قوله فكبكبوا و قوله: قَالُوا لتَّحقق وقوع ذلك في المستقبل و قد إتَّفقوا على أنّ المستقبل المحقّق الوقوع في حكم الماضي و منه قوله: **إَقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَ ٱنْشَقّ**َ ٱلْقَمَرُ (١) و قوله: يَخْتَصِمُونَ الإختصام منازعة كلُّ واحدٍ منهم صاحبه بما فيه إنكارٌ عليه و إغلاظٌ له.

يقول بعضهم لبعضِ تالله أن كنّا لفي ضلالٍ مبين.

قال الزّجاج معناه ما كنّا إلاّ في ضلالٍ مبين، و قال غيره اللاّم لام الإبتداء الّتي تدخل في خبر، إن، و إن، هذه في الحقيقة هي الخفيفة من التَّقيلة و يلزمها اللآم في خبرها فرقاً بينها و بين، إن، الّتي للجحد.

إن قلت كيف يكون الإختصام و الأصنام جمادات.

قلت قال صاحب الكشَّاف يجوز أن ينطق اللَّه الأصنام حتَّى يصحَّ التَّقاول و التَّخاصم و يجوز أن يجري ذلك بين العصاة و الشّياطين إنتهي.

## إذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ ٱلْعالَمينَ

حكاية عنهم في وجه ضلالهم أي أنَّهم قالوا على وجه القسم إنَّا كنَّا في الدُّنيا، على طريق الضّلال إذ نسوّيكم، أي الأصنام برّب العالمين و عبدناها.

و قال بعض المفسّرين في قوله: قَالُوا وَ هُمْ فيها يَخْتَصِمُونَ يعني بزء ٩١٨ الإنس و الشّياطين و الغاوين و المعبودين إختصموا حينئذٍ و قالوا، تاللّه، حلفواً باللّه إِنْ كُنَّا لَفي ضَلالِ مُبينِ أي في خسارِ و تبارِ و حيرةٍ عن الحقّ إذا إتّخذنا مع الله آلهة فعبدناها كما يعبد الله و الى هذا أشاروا بقولهم، إذ نسوّيكم برّب العالمين، و أيُّ ضلالٍ أكبر منه حيث نسوّيكم برّب العالمين في العبادة و أنتم لا تستطيعون الآن نصرنا و لا نصر أنفسكم إنتهي.

أقول هذا كلّه على أن تكون، إن، في قوله: إِنْ كُنّا، هي المخفّفة من الثّقيلة كما هو مذهب النصّريين و أنّ اللآم في قوله: لَفي ضَلَالٍ، هي الدّاخلة للفرق بين، أن، النافيّة و أن، الّتي هي لتأكيد مضمون الجملة كما عليه أكثر المفسّرين في تفاسيرهم للأية الشّريفة و في المقام إحتمال آخر و هو أن تكون، إن، في قوله: إنْ كُنّا، نافية و اللاّم في قوله: لَفي، بمعنى إلاّ، و المعنى ماكنّا إلاّ، في ضلالٍ مبين إذ نسويّكم، أيّتها الأصنام برّب العالمين، في العبادة فعبدناكم كما يعبد ربّ العالمين، و هذا ممّا لا إشكال فيه و هو مذهب الكوّفيين و إختاره بعض المحقّقين و الحقّ أنّ المآل فيهما واحد و هو أنّهم بيّنوا في المقام وجه ضلالتهم و الأمر سهل بعد وضوح المعنى.

وَ مَا أَضَلَّنَا إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ، فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ، وَ لا صَديقِ حَميمِ لمّا بيّنوا في الآية السّابقة إنّ ضلالتهم كانت في أنّهم سوّوا بين الأصنام و ربّ العالمين في العبادة، بيّنوا في هذه الآية سبب الضّلال فقالوا: وَ مَا أَضَلَّنا إِلَّا المُجْرِمُونَ، أي الشّياطين أو من دعاهم الى عبادة الأصنام من شياطين الإنس. و الحقّ أنّ المراد بالمجرمين الذين أضلوهم رؤوساءهم و كبراءهم كما حكى اللّه عنهم في موضع آخر بقوله:

إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَ كُبَرْآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ١٠.

و قال: رَبَّنا هَؤُلآءِ أَضَلُونا فَاتِهِمْ عَذابًا ضِعْفًا مِنَ ٱلنَّارِ (٢).

و يحتمل أن يراد بالمجرمين معناه العاّم الشّامل لشياطين الإنس و الجنّ و منه: قال اللّه تعالىٰ: رَبَّنآ أَرِنَا اَلَّذَيْنِ أَضَلَانا مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ<sup>(٣)</sup>.

و كيف كان لا شكّ أنّ المجرمين دعوهم الى عبادة الأصنام إلاّ أنّ الإعتذار لا يقبل منهم يوم القيامة لأنّ الحجّة قد تمّت عليهم في الدُّنيا ظاهرة و باطنة كما قال

٣- فصّلت = ٢٩

موسى إبن جعفر على النّاس على النّاس حجّتين حجّة ظاهرة و حجّة باطنة أمّا الحجّة الظّاهرة فهي الأنبياء و الرُّسل و الأنّمة و أمّا الباطنة فهي العقل إنتهي.

و كذلك قالوا: قَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ و ذلك لأنّ الشَّفيع لا يشفع يوم القيامة الآبإذن الله تعالى و الكافر لا يكون شافعاً و لا مشفوعاً و قوله: و لا صديق حميم قيل الشّفيع من الملائكة و الصّديق من النّاس قاله إبن جريح و هو كما ترى فأنّ الشّفاعة لا تختص بالملائكة على ما ورد في الأيات و الأخبار أقول الصّديق من أبنية المبالغة و هو فعيل من صدق الوّد و الحميم، القريب المشفق و هو في أصل اللّغة الماء الشّديد الحرارة و منه:

قال الله تعالىٰ: وَ سُقُوا مْآءً حَميمًا (١).

قال الله تعالىٰ: وَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَراْبٌ مِنْ حَميمٍ (٢).

و أنّما أطلق على القريب لأنّه يحمي بغضب صاحبه و هذا مراد من فسّره بالحامي و الحاصل أنّهم ينفون يوم القيامة عن نفوسهم.

الشّافع و الصّديق الّذي يحمي عنهم و أنّما يقولون ذلك إذا رأؤوا جماعة من فسّاق أهل الملّة يشفع فيهم و يسقط عنهم العذاب و يخرجون من النّار، يتلهفون على مثل ذلك و يتّحسرون عليه و لا تنفع لهم النّدامة و الحسرة و لذلك يتّمنون الكرة كما حكى اللّه تعالى عنهم بقوله:

# رَءِ ١٩ كُلُو أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنينَ

الكرّة الرَّجعة و المعنى لو أنّ لنا الرّجوع الى الدُّنيا فنكون من المؤمنين قيل أنّهم بقولهم هذا يخبرون عن حزمهم لأنّ اللّه تعالى قد أخبر عنهم و لَو رُدُوا لَعُادُوا لِفا نُهُوا عَنْهُ (٣) و لا يجوز أن يكونوا مع رفع التّكليف و كمال عقولهم و

القرآن كرا م المجلداً

۲- يونوس = ۴

حصول المعارف الضروريّة أن يكذّبوا لأنّهم ملجؤن الى ترك القبيح بأن يخلق اللّه فيهم العلم الضّروري أنّهم لو راموا القبيح لمنعوا من ذلك.

الثَّاني: أن يكون ذلك القول منهم قبل دخولهم النَّار و قبل أن يصيروا ملجئين.

#### كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحِ ٱلْمُرْسَلينَ

أخبر الله تعالىً عن قوم نوح أنّهم كذّبوا رسل الله و أنّما كذّبوهم جميعهم لأنّهم كذّبوا كلّ من دعاهم الى توحيد اللّه و خلع عبادة الأصنام ممّن مضى من الرُّسل و غيرهم ممّن يأتى.

إعلم أنّ نوح أوّل نبّي بعد جدّه إدريس و كان إسمه عبد الغفّار و أنّما سمّي نوحاً لكثرة نواحه و بكاء هدة خمس مائة سنة خوفاً من الله تعالى ثمّ تحسّره على ضلال أمته و هو أوّل الأنبياء الخمسة أولي العزم المبعوثين الى الجنّ و الإنس كافّة و هم أفضل الأنبياء و الأربعة بعد نوح، إبراهيم، و موسى، و عيسى، و محمد و الله نوح جسيماً عظيم القدر و محمد الله نوح جسيماً عظيم القدر و المشهور أنّه عاش ( ٢٥٠٠ سننة) ألفين و خمس مائة، قيل بعث الى قومه و كان عمره ثمان مائة و خمسين سنة و أقام في قومه يدعوهم الى الله تعالى تسع مائة و خمسون سنة و أقام مشتغلاً بعمل له ( ٢٠٠ سنة ) و عاش بعد هلاك قومه بالطوفان خمس مائة سنة ( ٥٠٠ سنة ) ولم يسقط منه سنّ ولم يظهر عليه أثر شيّب و هو أوّل من أحدث المدن الكبيرة و أسكن فيها ولده و ذراريه بعد نزوله من السّفينة و لذا قيل له أبو البشر الثّاني و لمّا بعث نوح الى قومه أخذ يدعوهم الى الله تعالى ليله و نهاره و يعظمهم و يحذرهم العذاب سرّاً و جهاراً كما أخبر الله تعالى في كتابه حيث قال:

قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَـوْتُ قَـوْمى لَـيْلًا وَ نَـهَارً، افَـلَمْ يَـزِدْهُمْ دُعْآءَىٓ إِلَّا فِرازًا (١). ثمّ أنّ تكذيبهم لم يكن منحصراً بنوح بل كذّبوا الأنبياء قبله و بعده و الى هذا المعنى أشار الله بقوله: كَذّبَتْ قَوْمُ نُوحِ ٱلْمُرْسَلينَ، إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ أُلوحٌ أَلْمُرْسَلينَ، إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَقُونَ النّسب و ذكر ذلك لأنّهم به آنس و الى إجابته أقرب و قوله: أَلا تَتَقُونَ أنّما جاء الإستفهام على سبيل الإنكار لأنّهم لا جواب لهم عن ذلك و المعنى ألا تتقون الله بإجتناب معاصيه و في رأسها الشّرك به.

# إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمينٌ

أي إنّي رسول الله إليكم و أنّما قال أمين لأنّه كان مشهوراً في قومه بذلك أو لأنّه كان مؤتمناً على إداء رسالته و هذا هو الحقّ في جميع الأنبياء و المرسلين ثمّ قال لهم.

### فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَ أَطْيِعُونِ

أي فأتقوا الله بترك معاصيه و أطيعوني، فيما أقول لكم فأنّي لا أقول من عند نفسي بل أقول ما أقول من الله تعالى:

# وَ مٰآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى رَبِّ ٱلْعَالَمينَ

الضّمير في، عليه، عائد الى الدّعاء الى الله و الأمر بتقواه و قيل يعود على النّصح و قيل على التّبليغ و المعنى لا أسألكم عليه شيئاً من أموالكم و أنّما أجري على الله ربّ العالمين الذي أرسلني اليكم فكلمة، إن، نافية أي ليس أجري إلاّ على ربّ العالمين، و كلمة، ما، أيضاً نافية.

## فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَ أَطْيِعُونِ

قيل في وجه التّكرار في قوله فأتّقوا اللّه و أطيعون، إنّ التّقدير فأتّقوا اللّـه و أطيعوني لأنّي رسولٌ أمين فأتّقوا اللّه و أطيعوني، لأنّي لا أسألكم أجراً عليه. ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷

الظّاهر أنّ الإستفهام للإنكار أي لا نؤمن لك و الحال إتّبعك الأرذلون، من النّاس يعني السّفلة و أوضاع النّاس و الرّذل الوضيع فقوله و أتّبعك الأرذلون جملة حاليّة أي كيف نؤمن بك و قد أتّبعك أراذلنا فنتساوى معهم في أتّباعك و كذا فعلت قريش في شأن عمّار و صهيب و أمثالهما من الضّعفاء في أصحاب النّبي وَلَهُ وَلَم يعلموا أنّ أذهان الفقراء و الضّعفاء أكثر إستجابةً من الرّؤساء و الأشراف لأنّها ليست ملّوثة بزخارف الدّنيا من المال و الجاه و المقام فهم أي الضّعفاء أدرك للحّق و أقبل له من الرّؤساء ثمّ أنّ قراءة الجمهور، و أتّبعك، و عليها المصاحف و قرأ إبن عبّاس و الأعمش و الضّحاك و كثير من القّراء، و أتباعك، جمع تابع كصاحب و أصحاب.

#### قَالَ وَ مَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

ر جون د

و قال الكرمانى، معناه لا أطلب العلم بما عملوا إنّما علّى أن أدعوهم و قال صاحب الكشّاف معناه أيّ شيّ علمي و المراد إنتفاء علمه بإخلاص أعمالهم و أطّلاعه على سرائرهم و إنّما قال هذا لأنّهم قد طعنوا في إسترذالهم في إيمانهم و أنّهم لم يؤمنوا عن نظر و بصيرة و إنّما آمنوا هوى و بديهة من غير نظر و فكر. أقول الظّاهر أنّ المراد من قوله: و ما علمي بما كانُوا يَعْمَلُونَ إنّي مأمور

بالدَّعوة دون التَّفتيش على أسرار النّاس قال اللّه تعالى: وَ هَا عَـلَى ٱلرَّسُـولِ إِلَّا

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

المُبلاغُ دون التَّفتيش في العقائد هذا و لنا في المقام إحتمالٌ آخر لم ينبه عليه أحد من المفسّرين و هو أنّ نوح لم يقل و ما علمي بعملهم أو فعلهم أو عقيدتهم بل قال و ما علمي بما كانوا يعملون، يعني في الماضي قبل الإيمان و هذا المعنى مستفادٌ من، كانوا، و على هذا فمعنى الآية أنّهم و أن كانوا بزعمكم من السَّفلة و الأراذل في زمن الماضي قبل أن آمنوا إلاّ أنّهم، بعد الإيمان بالله صاروا من الصَّلحاء فالحكم عليهم بالرَّذالة بعد الإكمان بإعتبار ما مضى منهم قبله لا معنى له و بعبارة أخرى إنّما تحكمون عليهم بما تحكمون بإعتبار الماضي لا بإعتبار الحال و المناط في صحَّة الحكم هو حال التكلُّم لا الماضي و على هذا فقوله، و ما علمي، يدلّ على أنّ العالم بأفعال العباد و أسرارهم هو اللّه تعالى و هو خارجٌ عن وظيفة الرَّسول هذا ما خطر ببالي و اللّه أعلم.

## إِنْ حِسْابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ

إن نافية أي ليس حسابهم إلا على ربّي و قوله لا تشعرون يدلّ على جهل المنتقدين المستهزئين الّذين نسبوا الرّذالة الى المؤمنين بنوح النّبي و ذلك لأنّهم لم يعلموا أنّ حساب العباد على الله لا على الأنبياء و إنّما وظيفة النّبي الدّعوة فقط و أنّهم أي المؤمنين لو كان لهم شئ كما يزعمون فالله محاسبهم و مجازيهم و ما أنا إلاّ منذرٌ لا محاسب و لكّنكم تجهلون به.

# مُ وَ مَآ أَنَا بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنينَ الْمُؤْمِنينَ

الطَّرد المنع و هذا مشعرٌ بأنهم أي الكفّار طلبوا منه ذلك أي من نوح طردهم فأجابهم بذلك و قال: وَ مَلَ أَنَا بِطَارِدِ أي لا أفعل ذلك أبداً و ذلك كما طلب رؤوساء قريش من رسول الله وَ الله وَالله والله وَالله وَالله



إِنْ أَنَا إِلَّا نَذيرٌ مُبينٌ

َ أي لا أطردهم عني لإتباع شهواتكم و الطَّمع في إيمانكم، إِنْ أَنَا إِلَّا نَذيرٌ مُبينٌ أي لست إلا منذراً لا طارداً.

#### قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومينَ

أي لئن لم ترجع عمّا تقوله و تدعوا إليه من التَّوحيد و الإيمان بالله لتكُّونن من المرجومين، بالحجارة أو بالشَّتم و أصل الرَّجم الرَّمي بالحجارة و لا يقال للرَّمي بالقوس رجم، و سمَّي المشتوم مرجوماً لأنّه يرمى بما يذَّم به، و الإنتهاء بلوغ الحَّد من غير مجاوزة الى ما وقع عنه النَّهي و لَما قالوا ذلك على سبيل التَّهديد و آيس نوح من فلاحهم و إيمانهم فنادى كما حكى الله عنه.

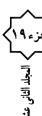
## قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمي كَذَّبُونِ

فدعائي ليس لأجل أنّهم أذوني ولكن لأجل دينك.

#### فَافْتَحْ بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ فَتْحًا وَ نَجِّنِي وَ مَنْ مَعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

قيل الفتح الحكم أي أحكم بيني و بينهم حكماً ثمّ دعا لنفسه و لمن أمن معه بالنّجاة و في ذلك إشعار بحلول العذاب بقومه هكذا قيل و الحقّ أنّ لا إشعار فيه بحلول العذاب بقولمه و أنّما دعا نوح لنفسه و لمن أمن معه بالنّجاة عن قومه من حيث أنّ معاشرة المؤمن مع الكافر أيضاً عذاب و أم شئت توضيحه فنقول العذاب تارةً يكون للجسم و تارةً للرّوح و الثّاني أشّد و أصعب من الأوّل بالنّسبة إلى الإنسان الكامل و من المعلوم أنّ المجالسة و المعاشرة مع السُّفهاء من أصعب العذاب للرُّوح و حيث أنّ الأنبياء في أعلى مراتب الإنسانية طلب نوح من ربّه النّجاة منهم أي من كونه معهم مجالساً و معاشراً و كيف كان أجاب الله دعوته و نجّاه و من معه من قومه بالموت و الهلاك بسبب الطّوفان كما قال:

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷



فَأَنْجَيْنَاهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُون، ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ

الفُلك بضّم الفاء و سكون اللاّم و الكاف السُّفُن يَقع علىٰ الواحد و الجمع و المشحون قيل المملِّق يقال شحنه شحناً فهو شاحن إذا ملأه بما يسُّد خلاه.

و قال إبن عبّاس المشحون الموفى و قال عطا المثّقل و معنى الآية فأنـجينا نوحاً و من معه في السَّفينة المملِّؤة من الموجودات ثمّ أغرقنا بعد نجاة نوح و المؤمنين المخالفين المستهزئين الذّين لم يؤمنوا به ولم يركبوا السّفينة على ما مرّ تفصيل الكلام فيه في سورة هود و العنكبوت و غيرهما.

# إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ، وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ

الآية العلامة و ذلك إشارة إلى ما ذكره في قصّة نوح من عدم إيمان قومه به و تكذيبهم إيّاه و هلاكهم بالطُّوفان على ما مرَّ شرحه وكيفيّته سابقاً و وجه كونه أية هو أنّه يدلّ على أنّ اللّه خالق كلّ شئ قادرٌ على كلّ شئ و أنّ ثمرة الإيمان السّعادة وِ الفلاح كما أنَ ثمرة التّكذيب خسّران الدّنيا و الأخرّة و قوله: وَ مُا كُانَ أُكْتُرُهُمْ مُتُوْمِنينَ، أي معتبرين أو مؤمنين بالأيات الإلهيّة قال أميرالمؤمنين التَّلِدِ ما أكثر العبر و أقلَّ الإعتبار، و أنَّ ربّك لهو العزيز، في الإنتقام من فرعون و قومه و الرّحيم في نجاة موسى و من معه من بني إسرائيل و أمّا في المقام فهو العزيز المنتقم في إهلاك قوم نوح بالغرق بسبب تكذيبهم، و الرّحيم ز ـ ١٩ ك في إنجائه نوحاً و من معه في الفلك و إعلم أنّه لا يوصف بالعزيز إلاّ اللّه تعالى بقولِ مطلق لأنَّ العزيز القادر الَّذي لا يمكن ممانعته لعظم مقدوراته فصفة (عزيز) و أن رجعت إلى معنى قادر إلاّ أنّ العزيز بقول مطلق هو اللّه لأنّه قادر أن يمنع كلّ قادر سواه و لا عكس ثمّ أنّه لمّا سكن نوح الأرض بمن معه من أهله و أولاده و من أمن معه و تفرّقوا في الأرض و تناسلوا و بنوا مدائن و بلاداً بمرور الأيّام و إنقضت مدّته وحان أجله هبط عليه جبرئيل و قال له يانوح قد إنقضت

القرقان في تنسير القرآن عبي العجا نبوّتك و إستكملت أيّامك فأنظر الإسم الأعظم الأكبر و ميراث العلم و أثـار النَّبوة التَّى معك فأدفعها إلى إبنك سام، روي أنَّ ملك الموت نــزل عــلى نــوح لقبض روحه و هو حينئذٍ جالس في الشّمس فسَّلم ملك الموت عليه فررَّد نوح عليه السّلام و سأله ما حاجتك بملك الموت قال جئت لقبض روحك فإستمهله نوح إلى أن يتَّحول إلى الظِّل فلمّا أمهله و تحُّول قال يا ملك الموت كان ما مرَّ بي من الدُّنيا مثل تحُّول من الشَّمس إلى الظُّل فأمض إلى أمر ربَّك فتَّقدم عزرائيل و قبض روحه الشّريفة و دفن في أرض نجف، في مقام أميرالمؤمنين عَلَيْكِ مع أدم أبو البشر سلام الله عليهم أجمعين فلمًا توَّفي نوح بقي قومه و ذريَّته المؤمنون دهراً طويلاً يتَّرقبون هود و ينتظرون ظهوره حتَّى طال عليهم الأمد و قست قلوب كثيرة منهم و إرتَّدوا عن الدِّين و أقبلوا على عبادة الأصنام و كان أشدُّهم بأساً و أكثرهم كفراً و طغياناً قوماً منهم سكنوا أرض اليمن و بنوا فيها الأبنية و مدنوا فيها المدن وكان يقال لهم قوم عاد إلى أن كثروا و صاروا ثلاث عشرة قبيلة يبلغ عددهم ما شاء الله و كلّهم يسنبون إلى عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح ثُمَّ انَّهم لمَّا طغوا على اللَّه و تجَّبروا و إزدادوا كفراً ولد فيهم نبَّى اللَّه هود وهـو إبن عبد اللّه بن رباح بن حلوث بن عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح و نشأ بينهم تقيّاً أميناً وكان من أوسطهم نسباً و أفضلهم حسباً وكان أشبه ولد أدم بأدم إذ لَم يوجد أحد في ذريّة أدم أشبه به منه و لمّا أتَّم له من العمر أربعون سنة أوحى اللّه إليه بالنّبوة و بعثه بالرّسالة إلى قومه و قال له أئت قومك و أدعهم إلى عبادتي و توحيدي فأن أجابوك زدتهم قوّةً و أموالاً و إلى هذا المعنى أشار الله تعالى في كتابه حيث قال: كَذَّبَتْ عاد المُرْسَلينَ كما سيأتأي الكلام فيه.

كَذَّبَتْ عْادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَـهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٢٢) إنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمينٌ (١٢۵) فَاتَّقُوا ٱللهَ وَ أَطيعُونِ (١٢٥) وَ مَا ٓ أَسْتَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرِ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى رَبِّ ٱلْعٰالَمينَ (١٢٧) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ ريع ءٰايَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَ تَتَّخِذُونَ مَـطانِعَ لَـعَلَّكُمْ تَـخْلُدُونَ (١٢٩) وَ إِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَ أُطيعُونِ (١٣١) وَ ٱتَّـقُوا ٱلَّـذيّ أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْـعام وَ بَنينَ (١٣٣) وَ جَنَّاتٍ وَ عُيُونِ (١٣٢) إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْم عَظيم (١٣٥) قَالُوا سَـوْآءٌ عَلَيْنَا ٓ أُوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنُّ مِنَ ٱلْـواعِـظينَ (١٣٤) إِنْ هٰذٰآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِيـنَ (١٣٧) وَ مُــا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (١٣٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ في ذٰلِكَ لَأَيَٰةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) وَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحيمُ (١٤٠) كَـٰذَّبَتْ ثَمُودٌ ٱلْمُرْسَلينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَـهُمْ أَخُوهُمْ صٰالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أُمينٌ (١٤٣) فَــاتَّقُوا ٱللُّـهَ وَ أَطْـيعُونَ (١٤٤) وَ مَا أَسْتَلْكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرِ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبّ ٱلْعَالَمِينَ (١٤٥) أَتُتْرَكُونَ في مَا هُهُنَآ أَمِنينَ (۱۴۶) في جَـنَّاتٍ وَ عُـيُونٍ (۱۴۷) وَ زُرُوعِ وَ

، الفرقان في تفسير القرآن كرم كم العجلد الثاني ع

ضياء الفرقان في تفسير القرآن حياء المرقان في تفسير القرآن خياء الفرقان في تفسير القرآن خياء الفرقان في تفسير القرآن خياء الفرقان في تفسير القرآن خياء المرفان في تفسير القرآن خياء الفرقان في تفسير القرآن خياء العرفان المنافع المنافع العرفان المنافع العرفان المنافع المنافع

نَخْل طَلْعُهٰا هَـضيمٌ (١٤٨) وَ تَـنْحِتُونَ مِـنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فْــارِهينَ (١٤٩) فَــاتَّقُوا ٱللُّــهَ وَ أَطيعُونِ (١٥٠) وَ لَا تُطيعُوا أَمْسِرَ ٱلْـمُسْرِفينَ (١٥١) ٱلَّــذينَ يُنفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَ لَا يُــصْلِحُونَ (١٥٢) قُـــالُوٓا إنَّـــمٰآ أَنْتَ مِـــنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ (١٥٣) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرُ مِثْلُنا فَأْتِ بأيةٍ إنْ كُنْتَ مِنَ ٱلصَّادِقينَ (١٥٢) قَالَ هَـذِهِ نْاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَ لَكُمْ شِرْبُ يَوْم مَعْلُوم (١٥٥) وَ لَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَـذَاٰبُ يَـوْم عَظيم (١٥٢) فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمينَ (١٥٧)ً فَأَخَذُّهُمُ ٱلْعَدَاٰبُ إِنَّ في ذٰلِكَ لَاٰيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنينَ (١٥٨) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُو َ ٱلْعَزيزُ ٱلرَّحيمُ (١٥٩) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوط ٱلْمُرْسَلينَ (١٤٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَـتَّقُونَ (١٤١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٢) فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَ أَطيعُونِ (١٤٣) وَ مَا أَسْتَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْر إِنْ أَجْسِرِيَ إِلَّا عَسِلَى رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ (١۶٢) أَتَأْتُونَ ٱلذَّكْرَاٰنَ مِنَ ٱلْعٰالَمينَ (١٤٥) وَ تَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْواْجِكُمْ بَـلُ أَنْـتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١۶۶) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ (١٤٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ ٱلْقَالِينَ (١٤٨) رَبِّ نَجِّنى وَ أَهْلَى مِمّا يَعْمَلُونَ (١٤٩) فَنَجَّيْنَاهُ وَ أَهْلَةٌ أَجْمَعِينَ (١٧١) إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَابِرِينَ (١٧١) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْأَخَرِينَ (١٧١) وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسْآءَ مَطَرُ ٱلْمُنْذَرِينَ (١٧٣) إِنَّ في ذَٰلِكَ لَايَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٢) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَـهُوَ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٢) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَـهُوَ الْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (١٧٥)

#### ✔ اللّغة

عاد؛ إسم قبيلة و هم مسنوبون إلى عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح. ربع: قال في المفردات الرَّبع المكان المرتفع الذي يبدوا من بعيد الواحدة ربعة و قال في المجمع الرِّبع بالكسر ما إرتفع من الأرض و الطّريق و قيل هو الجبل واحده، ربعة و الجمع رباع و الرّبع بالفتح أيضاً النّماء و الزّيادة.

مَصْانِعَ: هو جمع مصنع و يقال مصنعة لكلّ بناء و قال الزّجاج المصانع المباني بَطَشْت: البطش العسف قتلاً بالسَّيف و ضرباً بالسّوط.

أَمَدَّ كُمَّ. الإمداد أتباع الثَّاني ما قبله شيئًا بعد شيٍّ على إنتظامٍ.

بِأَنْعَامٍ: الأنعام من الإبل و البقر و الغنم.

نَمُودٌ: قوم صالح النّبي.

طَلْعُها هَضَيِمٌ. الهضيم اللّطيف في حسنه و منه هضيم الحشا أي لطيف الحشا و قال إبن عبّاس، هضيم، أي قد بلغ و أينع و قال عكرمة هو الرّطب اللّين.

فْرِهِينَ: قال إبن عبّاس معناه حاذقين و قال أيضاً، فرهين، أشرين بطرين و قيل معناه علّيين و قيل معناه علّيين و قيل معناه علّيين و قيل هو الفرح و المرح.

فَعَقَرُوهَا: العقر قطع الشّيّ من بدن الحيّ.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔹



#### ◄ الإعراب

اتَعْبُونَ هو حال من الضّمير في، تبنون تَخْدُونَ على تسمية الفاعل و التّخفيف التّخفيف و على ترك التّسمية و التشديد و التّخفيف أمّدً كُمْ بِأَنْعٰمٍ هذه الجملة مفسرة لما قبلها و لا موضع لها من الإعراب في جَنْتٍ هو بدل من قوله، فيما هاهنا، بإعادة الجارّ فارهبنَ هو حال و يقرأ، فارهبن، و هما لغتان من القالين، أي لقال من القالين، فمن صفة للخبر متعلّقة بمحدوث و اللام متعلّقة بالخبر المحذوف و بهذا تخلص من تقديم الصلّة على الموصول إذ لو جعلت من القائلين الخبر لأعمليّة في لعملكم.

#### ▶ التّفسير

#### كَذَّبَتْ عاد المُرْسَلينَ

أخبر الله تعالى في هذه الآية و ما بعدها عن قوم عاد و قيل هم قبيلة و التقدير كذّب قبيلة عاد المرسلين كما كذّبت قوم نوح، أي أنّهم كذّبوا الذّين أرسلهم اللّه إليهم بالنّبوة و أنّما كذّبوهم جميعهم لأنّهم كذّبوا كلّ من دعا إلى توحيد اللّه و خلع عبادة الأصنام ممّن مضى من الرّسل و يحتمل أن يكون المراد بتكذيب الجميع أنّ تكذيب واحد منهم في حكم تكذيب الجميع و هو ظاهر لا خلاف فيه بين علماء الأمّة.

### إِذْ قَالَ لَهُمْ أُخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ

الهَمَزة للتّوبيخ و التَّعيير و أنّما قال أخوهم، لأنّه التَّلِا كان من قبيلة عاد، و قد ذكرنا في أخر قصّة نوح تفصيل ذلك و قلنا هناك أنّه لمّا تمّ له من العمر أربعون سنة أوحى اللّه إليه بالنّبوة و بعثه بالرّسالة و قال له، أثت قومك و أدعهم إلى عبادتي و توحيدي فأن أجابوك زدتهم قوّةً و أموالاً فإنطلق هود التَّلِلا إلى

مجمعهم و بينما هم مجتمعون إذ دخل عليهم هود و أخذ يدعوهم إلى توحيد اللّه و رفض الأصنام و ترك عبادتها فغضبوا عليه و أعرضوا عنه و هم يقولون له يا هود لقد كنت عندنا تقيًّا أميناً، قال اللِّيلَا إنَّى رسول اللَّـه إليكـم دعـوا عـبادة الأصنام فلمّا سمعوا منه ذلك إزدادوا عليه غيظاً و غضباً و أقبلوا عليه يبطشون به و يشتمونه إلى أن نزل عليه جبرئيل يسليّه و يأمره بإعادة الدَّعوة و قال له أنّ اللّه يأمرك أن لا تفتر عن دعوتهم و قد وعدك أن يلقى في قلوبهم الرُّعب فلا يقدرون على ضربك بعد هذا فرجع هود إلى مجمع قومه ثانياً يعظهم و يبلّغهم رسالات ربّه و ينصح لهم و يهددهم و هو يقول لهم، قد تجَّبرتم في الأرض و أكثرتم الفساد، دعوا ذلك و أرجعوا إلى الله و توبوا إليه فإزدادوا عليه غضباً و همّوا أن ينقضوا عليه و قالوا يا هود أترك هذا القول فأنّا إن بطشنا بك الثّانية نسيت الأولى إلى أن إجتمعوا أو همّوا بقوتهم و عددهم فصاح هود صيحة كادت قلوبهم أن تتَّصدع منها حتّى سقطوا على وجوههم على الأرض صرعى كالأموات و ألقى اللّه في قـلوبهم رعـباً شـديداً مـن هـودعاليّا إلى أن قـاموا و أنصر فو اعنه.

إنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمينٌ

أي إنّي رسول من اللّه تعالى إليكم و أنا أمين في تبليغ رسالات ربّي.

## إِنَّ ١٩ كُم فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَ أَطيعُون

أى فإتَّقوا اللَّه بإجتناب معاصيه و أطيعوني فيما أدعوكم إليه من التَّـوحيد و ترك عبادة الأصنام.

قال بعض المفسّرين ليس هذا القول تكراراً من هود، لأنّه متعلّق بغير ما تعلِّق به الأوّل لأنّ الأوّل معناه فإتّقوا الله في تكذيب الرُّسل و أطيعوني فيما أدعوكم إليه من إخلاص عبادته.

الثّانى: فإتّقوا اللّه في ترك معاصيه في بطش الجبّارين و عـمل اللّاهـين و أطيعونى في ذلك الّذي دعوتكم إليه إنتهى.

# وَ مٰآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى رَبِّ ٱلْعٰالَمينَ

كلمة، إن، نافية أي ليس أجر رسالتي إلا على ربّ العالمين الّذي أرسلني الله على ربّ العالمين الّذي أرسلني الله م و هذا في الحقيقة صادق في حقّ جميع الأنبياء و كما عرفت في قصّة نوح و كما قال الله تعالى مخاطباً لنبيّنا الله و الله الله تعالى مخاطباً لنبيّنا الله و الله و الله و الله الله عليه الله و الله و

## أَتَبْنُونَ بِكُلِّ ربع أيَةً تَعْبَثُونَ

قال أبو عبيدة الرَّبع بكسر الراء و سكون الياء و العين هو الطّريق بين الجبلين في إرتفاع، و قيل هو الفج الواسع و قال قتادة معناه بكلّ أية طريق أي علامة و قيل فيه لغتان فتح الراء و كسرها و هو المكان المرتفع و هو الأشهر بين أهل اللّغة و قوله: تَعْبَثُونَ، معناه تلعبون و معنى الأية، أَتَبْنُونَ بِكُلِّ ربع و هو المكان المرتفع أية أي علامة تلعبون، أي أنّ عملكم هذا لهو و لعبّ، و الإستفهام للتوبيخ و التّقريع.

## وَ تَتَّخِذُونَ مَصانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ

الواو للعطف أي أتتَّخذون مصانع، قيل المراد بالمصانع الحصون المشيّدة، و قوله: لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ أي كأنّكم تخلدون بلغة قريش و قال الفّراء معناه كيما تخلدون.

أقول حمل الآية على ظاهرها ممّا لا بأس به أي تتّخذون المصانع برجاء الخلود فيها و المصانع جمع مصنع و يقال مصنعة لكلّ بناء و بعبارة أخرى



تفعلون ذلك لكي تبقوا فيها مؤبّدين، و في هذا الكلام إشارة إلى أنّ الدّنيا و ما فيها في معرض الدّثور و الزّوال كما قال الشّاعر:

له مـــلك يــنادي كــلّ يــوم لدوا للموت و أبنوا للخراب و إذا كان كذلك فالعاقل يقنع من الدّنيا بقدر الضّرورة في جميع شئونه.

#### وَ إِذا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ

البطش العسف قتلاً بالسَّيف و ضرباً بالسَّوط، و الجبّار العالي على غيره بعظم سلطانه و هو في صفة الله تعالى مدح، و في صفة غيره ذمّ، فإذا قيل للعبد جبّار فمعناه أنّه يتَّكلف الجبريّة و قال الرّاغب في المفردات، البطش تناول الشّئ بصولةٍ إنتهى.

قال صاحب الكشّاف في معنى الأية، و إذا بطشتم بسوطٍ أو سيفٍ كان ذلك ظلماً و علّواً، و قيل الجبّار الذي يقتل و يضرب على الغضب و عن الحسن يبادرون تعجيل العذاب.

#### فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَ أَطْيِعُونِ

أي فإتقوا الله بإجتناب معاصيه و أطيعوني فيما أمركم به من قبل ربّ العالمين.

وَ ٱتَّقُوا ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ، أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَ بَنيِنَ، وَ جَنَّاتٍ وَ جَنَّاتٍ وَ إِنَيْنَ، وَ جَنَّاتٍ وَ إِنَيْنَ، وَ جَنَّاتٍ وَ إِنَيْنَ، وَ جَنَّاتٍ وَ إِنِيْنَ، وَ جَنَّاتٍ وَ إِنِيْنَ عُلِيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظَيْمٍ

الأمداد أتباع الثّاني ما قبله شيئاً بعد شئ على إنتظّام فهؤلاء أي قوم عاد كانوا قد أمدًهم الله بالمال و البنين يعني الذّكور من الأولاد و بالأنعام من الإبل و الغَنم و البقر، و جَنّاتٍ و عُيُونٍ أي بالبساتين التّي فيها شجر تحتها عيون جارية فأتاهم رزقهم على ادرار و العيون ينابيع ماء تخرج من باطن الأرض ثمّ تجري على ظاهرها و حاصل الكلام هو أنّ الله تعالى أعطاهم النّعم من الأموال و

ضياء الفرقان في تفسير القرآن .



الأولاد و البساتين و غير ذلك إلا أنّهم لم يشكروا خالقهم مع أنّ شكر المنعم واجب عقلاً و شرعاً بل كفروا به و بها و عبدوا الأصنام و لم يقبلوا دعوة النّبي و من كان كذلك فقد حقّ عليه العذاب كما أشار بذلك هود عليّه عند عق عليه العذاب كما أشار بذلك هود عليه الله تعالى: وَ لَئِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذاب يَوْمٍ عَظَيمٍ بسبب كفران النّعمة قال الله تعالى: وَ لَئِنْ كَفُوتُمْ إِنَّ عَذابي لَشَديدٌ (١).

#### قَالُوا سَوآاءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ ٱلْواٰعِظينَ

أي أنّا لسنا نقبل منك ما تقوله سواءً علينا وعظك و إرتفاعه و معنى سواء، أي كلّ واحدٍ من الأمرين مثل الأخر حصول الوعظ و إرتفاعه و الوعظ تليين القلب للإنقياد إلى الحقّ، و الوعظ زجرٌ عمّا لا يجوز فعله.

# إِنْ هٰذٰآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلٰهِنَ، وَ مَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِهِنَ

إن، نافية بمعنى، ليس، و خلق، بضّم الخاء و اللاّم على المشهور بين القرّاء و عليه المصاحف قال في المجمع، الخلق، بضّمتين السَّجية و الجمع أخلاق يقال: خُلُقُ ٱلْأُوَّلِينَ أي إختلافهم و كذبهم، و منهم من قرأ بفتح الخاء و سكون اللاّم و هو مصدر من قولك خلق الله العباد خلقاً و الخلق المخلوق إذا عرفت هذا فعلى الأوّل يكون معنى الآية ليس هذا إلاّ عادة الأوّلين و سجيّتهم و على الثّاني ليس هذا إلاّ كذبهم و المراد بالأوّلين الأمم السّالفة أو الأنبياء قبل هود، و ما نحن بمعند بمعنى على خلاف ما تدعونا إليه على ما تدعية.

و قال بعض المفسّرين من قرأ بفتح الخاء فمعناه أنّ ما جئت به إختلاف الأوّلين و تخرّصهم ما قالوا أساطير الأوّلين، أو ما خلقنا هذا إلاّ خلق القرون الخالية نحيا كما حيّوا و نموت كما ماتوا و لا بعث و لا حساب، و من قرأ خلق بضّمتين و بواحدة فمعناه ما هذا الّذي نحن عليه من الدّين إلاّ خلق الأوّلين و

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

قرآن کے العجلدال ماء بم

عادتهم كانوا يدينونه و يعتقدونه و نحن بهم مقتدون، أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة و الموت إلا عادة لم يزل عليها النّاس في قديم الدّهر، أو ما هذا الذي جدت من الكذب إلا عادة الأوّلين كانوا يلفقون مثله و يسطرونه إنتهى كلامه. و الإحتمالات كثيرة و لكلّ منها وجةً.

فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنْاهُمْ إِنَّ في ذٰلِكَ لَاٰيَةً وَ مَاكَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنينَ، وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ

أي فكذّبوا هود النّبي فأهلكناهم بتكذيبهم إيّاه أنّ في ذلك التّكذيب و نزول العذاب بعده لأية و علامة لمن نظر إليها بعين الإعتبار و علم أنّ حكم الأمثال واحد و لم يكن هذا مختصاً بقوم نوح و هود و غيرهما بل تجري هذه السّيرة للجميع إلى يوم القيامة إلا أنّ أنواع العذاب مختلفة بحسب إختلاف الأزمنة و المصالح التي فيها.

روي أنّ هود النّبي لم يزل يأتي مجامع القوم و محلفلهم و لم يأل جهداً في تكذيبهم و وعظهم و مكث على ذلك سبع مائة و ستّين سنة و هم لا يزدادون إلا طغياناً و كفراً و إعراضاً منه إلى أن يأس هود من إيمانهم و قال لهم يا قوم قد تماديتم في الكفر كما تمادى قوم نوح و خليق أن أدعو عليكم كما دعا نوح على قومه قالوا يا هود أنّ ألهة قوم نوح كانت ضعفاء و أنّ ألهتنا أقوياء و قد رأيت شدة أجسامنا فإغنم هود غمّاً شديداً و أخيراً لجأ إلى الدُّعاء فقال ياربّ قد بلغت رسالاتك فلم يزدادوا إلا كفراً و عتواً فأوحى الله إليه أن أمسك عنهم المطر ثمّ أمر البراري و الصّحاري أن تجتمع فإجتمعت حتى صارت أعظم من الجبال و هي المسمّاة بالأحقاف:

قال اللّه تعالىٰ: وَ اَذْكُرْ أَخَا عَادِ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَ قَدْ خَلَتِ اللّهُ اللّهُ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِةِ أَلّا تَعْبُدُوۤا إِلَّا اللّهَ إِنِّىۤ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذاٰبَ النّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِةِ أَلّا تَعْبُدُوۤا إِلَّا اللّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذاٰبَ اللّهَ إِنِّى مَظْهِمٍ (١).

وسمع هود صوتاً يقول له يا هود قرّ عيناً فأنّ لعاد منا يوم سوء فرجع هود إلى قومه يكرّر عليهم الإتذار و يتّم عليهم الحجّة و قال لهم ألا ترون هذه الرّمال كيف تجّمعت إنّي أخاف أن تكون مأمورة بإلقاء العذاب عليكم و أنّ ربّي قد وعدني أن يهلككم فأخذوا يستهزؤن به و أقبلوا بجموعهم على نقل تلك الرّمال إلى البراري فلم يزد الرّمال إلا تجمعاً، ثمّ كفّ الله السّماء عنهم فلم تقطر عليهم سبع سنين حتّى أصابهم القحط الشّديد و ضجُّوا و أشرفوا على الهلاك و هو يناديهم بقوله سبحانه:

# وَ يَا قَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا إِلَيْهِ يُـرْسِلِ ٱلسَّـمَآءَ عَلَيْكُمْ دُرارًا (١٠).

وهم لا يعبأون و لا يتعظون بكلامه وال يبالون بتهديده لهم العذاب فلمًا إستكبروا على خالقهم و تمادوا في الغي و الضّلال و إشتّد بهم القحط و ضاق عليهم الأمر إجتمعوا يتشاورون و كانت عادتهم إذا نزلت بهم لجأوا إلى بيت الله الحرام بمكة فيصرف عنهم ما نزل بهم فإتَّفقت كلمتهم على بعث وفد إلى مكة يدعوا هناك للخصب فذهب الوفد فنزل على رجلٍ من خيار مكة من بني بكر و أقاموا عنده إلى أن دخلوا بيت الحرام و أخذوا في الدُّعاء إلى أن إرتفع فوق رؤوسهم ثلاث قطع من السّحاب بيضاء، حمراء، سوداء فإستبشروا زعماً منهم أن تسقيهم الأمطار فسمعوا قائلاً يقول يا قوم إختاروا واحدة من هذه السّحب فإختاروا السّحابة السّواداء و كان فيها العذاب و سيأتي الكلام في هذا الباب في سورة الأحقاف بوجه أبسط و سَيَعْلَمُ الّذينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ.

#### كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَليِنَ

ثمود قيل هو أعجّمي و قيل هو عرّبي و ترك صرفه لكونه إسم قبيلة و هو، فعول، من الثمّد و هو الماء القليل الّذي لا فائدة له و منه قيل فلان مثمود ثمدته النّساء أي قطعت مادّة ماءه لكثرة غشيانه لهنّ، و مثمود إذا كثر عليه السّؤال حتّى فقد مادّة ماله قاله الرّاغب في المفردات قيل كان بنو ثمود بوادي القرى بين المدينة و الشّام و قد أرسل اللّه تعالى إليهم صالحاً و هو إبن ستّة عشر سنة يدعوهم إلى التّوحيد و رفض الأصنام كما قال اللّه تعالى إِذْ قالَ لَهُمْ أُخُوهُمْ صالح الله تعالى إِذْ قالَ لَهُمْ أُخُوهُمْ صالح الله تعالى على التوحيد و رفض الأصنام كما قال اللّه تعالى الذه تمود كما مرّ في نوح و صالح ألا تَتَقُونَ و أنّما قال أخوهم لأنّه كان من قبيلة ثمود كما مرّ في نوح و هود و كان قوم ثمود في العدد كالذّر و الحصى و في الغنى و الثّروة و طول أعمارهم أكثر ما يكون، و كانوا يبنون في السّهول قصوراً عالية مزخرفة و ينحتون الجبال بيوتاً الأيّام شتائهم لأنّ السّقوف و الأبنية كانت قبل فناء أعمارهم.

# إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمينٌ

أي بعد أن حذَّرهم صالح و أمرهم بالتّقوى قال لهم إنّي لكم رسول أمين.

#### فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَ أَطْيِعُونِ

أي فأجتنبوا معاصيه و أتركوا عبادة الأصنام و أطيعوني فيما آمركم بـ م من التوّحيد و رفض الأصنام.

# وَ مٰآ أَسْتَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى رَبِّ ٱلْعَالَمينَ

و هذه الآيات قد مرَّ تفسيرها في قصّة نوح و هود، قالوا لقد قام صالح بين أظهرهم يدعوهم الى الله و ترك عبادة الأصنام و أظهر لهم بقدرة الله كرامات و آيات بيَّنات تستدلٌ على نبُّوته الى أن بلغ عمره مائة و عشرين سنة و هم لم يألوا جهداً في تكذيبه و طرده و إيذائه و نسبته الجّنون و السّحر إليه و كانوا يقولون كنّا نرجوا منك الخير و قد يئسنا منك ببدعتك ديناً جديداً فخابت منك ظنوننا و أنت تأكل و تشرب مثلنا فكيف صرت أولى منّا بالنّبوة.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔻 😽

قرآن كرا العجلا الثاني عشر

#### أَتُتْرَكُونَ في مَا هَهُنٰآ اٰمِنينَ

أي زعمتم أنّكم آمنون في هذه البيوت.

#### في جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ

و في هذه البساتين و العيون الجارية تحتها.

#### وَ زُرُوعٍ وَ نَخْلِ طَلْعُهَا هَضيمٌ

زروع جمع زرع و هو نبات من الحب الذي يبذر في الأرض، و نخل طلعها هضيم، فالهضيم اللَّطيف في جسمه و منه هضيم الحشا أي لطيف الحشا و منه هضم الطّعام إذا لطف و إستحال الى مشاكلة البدن قال إبن عبّاس معنى هضيم، أي قد بلغ و أينع و قال عكرمة هو الرّطب اللّين، و هو عطف على قوله: وَ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ

#### وَ تَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبْالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ

أي حاذقين و قيل معناه، عليين و قال إبن زيد، الفره القوّي و قيل (فرهين) أي أشرِّين بطرين و قيل غير ذلك و محصل الكلام في هذه الأيات هو أنّكم لا تبقون على هذه الحالة الّتي أنتم فيها من النَّعم و سترحلون منها الى القبور فأنّ الدُّنيا و ما فيها من النَّعم زائلة داثرة فلا تغتروا بها و لذّاتها الفانية.

#### فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَ أَطيعُونِ

أي فأجتنبوا معاصيه و أطيعوني فيما أمركم به فأنّ فيه سعادة الدّارين و حلاوة النشأّتين .

#### وَ لَا تُطبِعُوآ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفينَ

و هم اللذين تجاوزا الحد بسبب البعد عن الحقّ و قيل عني بالمسرفين تسعة رهطٍ من قوم ثمود كانوا يفسدون في الأرض و لا يصلحون فنهاهم الله على لسان صالح عن إتباعهم كما قال تعالى:

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

الم د زم

#### ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَ لَا يُصْلِحُونَ

أي يفسدون في الأرض بالمعاصى و لا يصلحون، أي لا يفعلون شيئاً من أفعال الحسنة فقالوا في جواب صالح كما حكى الله عنهم.

#### قَالُوا إِنَّمٰا أَنْتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرينَ

أي من المسحورين، و السِّحر حيلة توهم قلب الحقيقة و قيل معنى الكلام أنَّك ممّن له سحرٌ.

# مْ آ أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِالْيَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ

أي فأت بآيةٍ و علامةٍ تدلُّ على صحّة مدّعاك إن كنت من الصّادقين، في إدّعائك النبوّة.

#### قَالَ هٰذِهٖ نٰاقَةٌ لَهٰا شِرْبٌ وَ لَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ

أي قال لهم صالح هذه ناقة و هي الآية الّتي تطلّبون منّي ًو هي من أكبر الأيات لو كنتم تعلمون، قيل أصاب القوم قحط و إحتبس عليهم المطر فكانوا يقولون لصالح ما أصابنا هذا القحط و الجوع إلاّ من شؤمك و لمّا طالت المشاجرات و المخاصمات بينه و بينهم ولم يؤمن به أحد منهم إتفقّت كلمتهم على أن يهجموا عليه في داره بياتاً و يقتلوه ثمّ ينكروا ذلك فلمّا أن كان اللّيل قام جماعة منهم و دخلوا على صالح في ظلمة اللّيل ليقتلوه فأنزل اللّه عليه ملائكة من السّماء رموا نزء ٩١﴾ كلُّ واحدٍ من أولئك الكفرة بحجر فمات بساعة حتَّى قتلوهم عـلى آخـرهم و عند ذلك أقبل صالح الى مجمعهم و قال لهم يا قوم أنّى قد بعثت اليكم و أنا إبن ستة عشرة سنة و قد بلغت مائة و عشرين سنة و أنا أدعوكم الى الله و عبادته و رفض الأصنام و ترك عبادتها فلم تجيبوني و ها أنا اليوم أعرض عليكم أمرين أجيبوني الى واحدٍ منها، قالوا هاتها يا صالح قال إن شئتم فاسألوني ما تشاؤون حتّى أسأل إلهي فيجيبكم الى ما سألتمونيه فأن أجابكم آمنتم بـه، و إن شئتم

الفرقان في تفسير القرآن كمي العجلة ال سألت الهمتكم فأن أجمابتني بالذي أسألها خرجت عنكم فقد سأمتكم و سئمتموني فأجاب القوم الى ذلك و قالوا قد أنصفت يا صالح و تواعـدوا مـعه لذلك على يوم مخصوص يجتمعون فيه معه خارج البلد و لمّا كان اليوم الموعود خرجوًا بأجمعهم من البلد الى الميعاد بقرب جبل كان هناك و كانوا قد حملوا آلهتهم و أصنامهم على ظهورهم و ذلك بعد أن أقبلوا عـلى عـبادتها و السُّجود لها ثلاثة أيّام يجدّون في ذلك و يمسحون أبدانهم و يذبحون لها ذبائحهم و يتَّضرعون إليها في إجابتها لصالح للنِّلاِّ و لمَّا إنـتهيوا إلى المـوضع المعهود نصبوا الأصنام و جلسوا حولها ثمّ أخرجوا ماكان معهم من طعام و شرابٍ فأكلوا و شربوا و لمّا فرغوا من ذلك دعوا صالحاً و قالوا له سل أصنامناً ما شئت فتَّقدم صالح إلى كبير الأصنام و سأله عن إسمه و لمّا سمّوه ناداه صالح فلم تجبه الصَّنم فقال لهم ما به لا يجيب قالوا أدع غيره فأقبل على سائر الأصنام يدعوا كلاَّ منها بإسمه حتّى دعاها عن أخرها بأسمائها فلم تجبه فأقبل على القون و قال لهم ترون أنِّي دعوت أصنامكم كلُّها فلم يجبني أحد منها فهلَّموا الأن و إسئلوني ما شئتم حتّى أدعو إلهي فيجيبكم السّاعة فوراً فأقبل القوم عملى أصنامهم يعاتبونها و يقولون لها ما بالكم لا تجيبون صالحاً فلم تجيبهم الأصنام بشئ إلى أن قالوا تنَّح عنًا و دعنا و إيَّاها فجعلوا يتَّمرغون في التّراب بين أيدي الأصَّنام و يقولون لهم لئن لم تجيبوا اليوم صالحاً لنفتَّضحن ثمَّ قالوا يـا صـالح فإسألها فرجع صالح و أخذ ينادي بإسمه فلم يجيبه أحدمنها فقالوا لقد إفتضحنا فقال لهم صالح يا قوم هلمّوا إسئلوني شيئاً حتّى أدعو إلهي فيجيبكم فوراً فعند ذلك إنتدب له سبعون رجلاً من أكابرهم و قالوا ياصالح نحن نسألك قال صالح سلوني ما شئتم قالوا إنطلق بنا إلى هذا الجبل حتّى نسألك عـنده فـإنطلق بــهم صالح نحو الجبل و لمّا إنتهى الليلة قالوا ياصالح سل ربّك أن يخرج لنا السّاعة من هذا الجبل ناقة شقراء، عشراء قد أتى على حملها عشرة أشهر و يكون بين جنبيها ميل تضرب بمنكبيها طرفي الجبل فقال صالح يـاقوم سألتـمونى شـيئاً

عظيماً و لكن يعظم على المخلوقين و لا يعظم على الخالق القدير ثمّ توَّجه صالح إلى الله و سأله ذلك فلم يتم دعاءه حتّى إضطرب الجبل كما تضطرب المرأة عند المخاض و القوم ينظرون إليه و قد بهتوا عجباً و حيرةً ثمّ إنصدع الجبل صدعاً كادت تطير منه عقولهم و سمعوا صوتاً مهولاً عجيباً ثمّ ظهر رأس النَّاقة من صدع الجبل ثمّ خرجت رقبتها ثمّ سائر جسدها حتّى إستُّوت على الأرض قائمة على صفة ما سألوا في الطّول و العرض و هي حامل في شهرها العاشر فدهش القوم و قالوا ياصالح ما أسرع ما أجابك ربّك فإسأله أن يخرج لنا فصيلها فعاد صالح إلى الصّلاة و السّجود لربّه و الدَّعاء له و لم يرفع رأسه حتّى رمت النَّاقة فصيلها ودرَّ لبنها و قام الفصيل يدُّب حول أمَّه ما إزداد القوم بهتاً و حيرةً، فقالوا يا صالح قد علمنا أنّ ربّك أعزُّ و أقدر من ألهتنا التّي نعبدها، قال صالح ياقوم هل بقي شئ تريدون إظهاره لكم قالوا، إنطلق بنا إلى قومنا نخبرهم بما رأيناه و شاهدناه فإنطُّلق صالح بالسُّبعين وكانوا قد أمنوا بـه و صدَّقوه و لكنّهم لم ينتهوا إلى قومهم حتّى إرتَّد منهم أربع و ستّون رجلاً و كفروا به و قالوا أنَّ ذلك سحرٌ عظيم و أمَّا السَّتة الأخرون فثبتوا على الإيمان أنَّ ما رأيناه هو الحقِّ و لمّا إنتهوا إلى قولهم كثر الجدل بينهم و بن المكذّبين حتّى إرتَّد واحداً من السَّتة و لحق بقومه ولم يثبت منهم على الإيمان إلاَّ الخمسة ثمَّ أنَّهم لمَّا خرجت النَّاقة من الجبل أتوا بها و بفصيلها حتَّى رأتها الأقوام كلُّهم و كان لقريتهم ماءٌ يقال له الحجر و هو الذي يقال عنه في القرأن الكريم: و لَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ ٱلْحِجْرِ ز ع الله على الله تعالى إلى صالح أن قل لهم أنَّ اللَّه قد جعل لهذه النَّاقة شربٌ يوم و لكم شربٌ يوم فكانت النَّاقة يوم شربها تشرب الماء كلَّه ثمَّ يـدُّر لبنها حتّى ًيستسقي من لبنها جميعهم و إذا أصبحوا غدوا إلى ماءهم يشربون ولا تشرب منه النّاقة ذلك اليوم و إلى ما ذكرناه أشار اللّه تعالى بقوله: **'الَ هٰذِهِ نٰاقَةٌ** لَهَا شِرْبٌ وَ لَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ثُمَّ قال تعالىٰ:

#### وَ لَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْم عَظيم

أي قال صالح لقومه لا تمسوها أي لا تمسوا الناقة بسوء، أي بضر تشعر به فالسُّوء هو الضّرر الذي يشعر به صاحبه و أن شئت قلت معناه لا تؤذّوها و ذلك لأنّ المسّ إذا كان شفقة و ملاطفة لا إشكال فيه ثمّ قال تعالى فيأخذكم عذابً عظيم، الفاء للتّفريع أي أنّ العذاب متّفرع على المس بسوء.

فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ، فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَاٰبُ إِنَّ في ذَٰلِكَ لَاٰيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنينَ، وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُو َ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ

قال في المجمع عقره أي جرحه، فهو عقير، و عقرت البعير بالسَّيف فالعقر إذا ضربت به قوائمه إنتهي.

فقوله تعالىٰ: فَعَقَرُوها، أي ضربوا و قطعوا قوائم النّاقة و بالجملة قتلوها قتلاً فظيعاً فأصبحوا نادمين عن فعلهم القبيح بقتلهم النّاقة فأخذهم العذاب ولم يبق منهم عين و لا أثر، وكيفيّة القصّة على سبيل الإجمال أنّه لمّا طالت المدّة على القوم كذلك و هم في سعة ودعة عتوا على ربّهم و جاروا و إستكبروا على الله تعالى و قالوا لا نرضى أن تعاد لنا النّاقة بأن يكون لنا شرب يوم و لها شرب يوم فهمُّوا بقتلها فأخذوا يجتمعون و يتَشاورون فيما بينهم بعقر النّاقة و قتلها ليستريحوا منها إلى أن إتَّفقت كلمتهم على ذلك فأوحى الله تعالى إلى صالح و ليستريحوا منها إلى أن إتَّفقت كلمتهم على ذلك فأوحى الله تعالى إلى صالح و أعلمه بعزمهم على عقر النّاقة و لمّا أخذوا يخرصون النّاس على عقرها وافقهم القوم على ذلك إستشاروا فيمن يكون المباشر له و كان في المدينة إمرأتان تعاديان صالحاً تسمّى إحداهما صدوف و هي أشدَّهما عداوة له و كانت جميلة و غنيّة و كانت الأخرى تسمّى عنيزة فدعت صدوف أحد التسعة المفسدين الذين ذكرهم اللّه عزّ وجلّ بقوله: و كان في المدينة رهط الله عزّ وجلّ بقوله: و كان في المدينة و جعلت له

نفسها علىٰ أن يعقر النّاقة و دعت عنيزة الّذي ولد على فراش غير أبيه فأجابها إلى عقر النَّاقة ثمَّ إجتمع مع صاحبه و تذكرا في ذلك ثمَّ إستَّغويا السَّبعة الأخرين أصحابهما فوافقوهما على أن يباشر التسعة الأنفار بأجمعهم عقر الناقة فتواعدوا على ذلك عند صدور النَّاقة لشرب الماء و لمَّا كان اليوم الموعود خرج التِّسعة جميعاً و رصدوا النّاقة فكمن صاحب صدوف في أصل صخرة على طريقها و كمن صاحب عنيزة في أصل صخرة أخرى و لمّا رجعت النّاقة من شرب الماء مرَّت على، مصدع، صاحب صدوف فرماها بسهم أصاب عنقها ثمّ شهر السّيف و شدًّ به عليها حتّى ضرب به قوائمها و كشف عرقوبها فخّرت النّاقة و سقطت على الأرض على جنبيها كأنّها الجبل فبادر إليها، قدار، صاحب عنيزة و طعن لبانها و نحرها و أقبل السَّبعة الأخرون فجعلوا يضربونها بسيوفهم حتَّى قطعوها و كان فصيلها معها فلمّا رأى ما فعل بأمّه هرب حتّى صعد الجبل و رفع رأسه إلى السّماء ورغا ثلاث مرّات ثمّ خرج أهل القرية بأجمعهم فإقتسموا لحمها و أكلوه و كان ذلك ليلة أربعاء فأوحى اللّه تعالى إلى صالح أنّ قومك قد طغوا و بغوا و قتلوا النّاقة التّي جعلتها حجّة عليهم ولم يكن عليهم فيها ضرر بل كان لهم فيها أعظم النَّفع فقل لهم أنَّى ممهلهم ثلاثة أيَّام فأن تابوا و رجعوا قبلت توبتهم و أن لم يتوبوا و لم يرجعوا بعثت عليهم عذابي في اليوم الثَّالث، فأقبل صالح علىٰ و قومه مغضباً و قال ياقوم ما دعاكم إلى ما صنعتم أعصيتم ربّكم ثمّ قال لهم ياقوم أنّى رسول ربّكم إليكم و هو يقول لكم إن أنتم تبتم و رجعتم و إستغفرت غفرت لكم و ثبت عليكم و إلاّ بعثت عليكم عذابي في اليوم الثَّالث فلم يزدد القوم في جوابه إلاّ خبثاً و عقداً بل قالوا ياصالح أئتنا بما تعدنا الآية فقال صالح لهم أنّكم تصبحون غداً و وجوهكم مصّفرة و تصحبون في اليوم الثّاني و وجـوهكم محمّرة و تصبحون في اليوم الثّالث و وجوهكم مسّودة:

قال الله تعالىٰ: فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا في دارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدُ غَيْرُ مَكْذُوبِ(١).

فلمًا كان اليوم الأوّل أصبحوا و إذا وجوههم مصفّرة و لمّا كان اليوم التّاني أصبحوا و قد إحمّرت وجوههم و لمّا كان اليوم التّالث أصبحوا و وجوههم مسوّدة ثمّ لمّا كان موعد العذاب من اللّيلة الرّابعة و كان صالح قد خرج بمن معه من المؤمنين من بين أظهرهم نزل على القوم جبرئيل بأمر الملك الجليل و صرخ بهم صرخة خرقت أسماعهم و فلقت قلوبهم و صدعت أكبادهم و هلكوا بأجمعهم بأقل من طرفة عين و لم يبق منهم متّنفسٌ و أصبحوا في ديارهم موتى هالكين ثمّ أرسل اللّه تعالى عليهم بعد الهلاك ناراً من السّماء فأحرقتهم أجمعين و لم يترك لهم أثر:

قال الله تعالى: قَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا في دارِهِمْ جَاثِمِينَ (٢).

و لنعم ما قيل:

كأن لم يكـن بـين الحـبُون إلى الصّـفا

أنسيس ولسم يسمر بسمكة سامر

و هذا جزاء من كذُّب و كفر و ما ربُّك بظِّلام للعبيد.

#### كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلينَ

ضياء الفرقان في تفسير القر

لوط النَّبي هو إبن هاران أخو سارة زوجة إبراهيم الخليل لِمُنْكِلِّ و هـما إبـنا خالته كما إنّهما أوّل من آمن به و قد كان لوط رجلاً سخيّاً كريماً يقري الضّيوف إذا نزلوا به يحذَّرهم قومه لأنَّهم كانوا بخلاء يكرهون نزول الضّيف بهم و كانوا فى قريةٍ على طريق السّيارة من الشّام الى مصر و كان إبراهـيم للتِّلاِ أقـام لوطــاً عندهم يدعوهم الى الله تعالى و يعظهم و يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر و يحذّرهم عذاب اللّه و أمّا قومه فكانوا قوماً لا يتَّنظفون من الغائط و لا يتَّطهرون من الجنابة و كانت مجالسهم في أندية تشتمل على أنواع المنكرات كالشَّتم و السَّخف و القمار و ضرب المعازف و كشف المعورات كما قال تعالى في إنكار لوط عليهم: و تَأْتُونَ في ناديكُمُ ٱلمُنْكَرَ لبث لوط في قومه ثلاثين سنة يدعوهم الى الله و يحذّرهم عذابه و نقمته و تزُّوج منهم و صار قومه من أفضل الأقوام فحسدهم إبليس اللّعين و طلبهم طلباً شديداً و كان من عاداتهم أن يخرج الرّجال بأجمعهم الى العمل في ظاهر البلد و خارجها و لا يبقى إلاّ النّساء و كانت بلادهم عامرة كثيرة الشَّجر و النَّبات و الخير و كانت طريق القوافل الى اليمن و الشَّام و غيرهما عليها و كان فيها أربع مدن، هي: ـ سدوم، و صدام، و وانـد، و عميرا، أو عمورة و كان أعظمها سدوم الّتي يسكنها لوط و كانت تلك البلدان قريباً من مسكن إبراهيم في الأردن.

# إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ

ُ إِنَّمَا قَالَ أَخْوِهُم لَأَنَّ لُوطَ كَانَ مِنَ القَوْمِ كَمَا مِرَّ فِي نُوحٍ وَ هُودٍ وَ صَالَحٍ قُالَ لَهُمْ أَي لقومه أَلا تَتَّقُونَ أَي أَلاَ تَتَّقُونَ اللَّه بإجتناب المعاصي و فعل القبائح.

> إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمينُ في رسالتي من الله إليكم.

> > فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَ أَطْيِعُونِ

أي أطيعوني فيما آمركم به فأنّ فيه صلاحكم و سدادكم.

#### وَ مٰآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرِ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ

الّذي خلق الخلق و أرسلني إليكم بالدُّعوة الى التَّوحيد و الرّسالة و إرشادكم الله طريق الهدى و لا أطلب منكم الأجر و إنّما أجري على الله.

#### أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرانَ مِنَ ٱلْعالَمينَ

ذَّكران، بضّم الذّال جمع ذكر و جمعه الآخر، ذكوراً، و ذكارة، و الذّكر بفتح الذّال والكاف خلاف الأنثى و قيل ضًد الأنثى، و الهمزة للإستفهام التّوبيخي الإنكاري و قوله من العالمين أي من الخلائق و قوله: أَتَأْتُونَ، كناية عن عملهم القبيح، و معنى الآية واضح.

#### وَ تَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْواْجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ

أي أنكم تأتون الرّجال و تتركون ما خلق لكم ربّكم من أزواجكم، من النّساء بل أنتم قومٌ عادون أي خارجون عن الحّق و الإعتدال، و العادي و الظّالم و الجائر نظائر، و العادي من العدوان و قد يكون من العدُّو و هو الإسراع في السّعي، قيل في وجه ذلك أنّ القوافل كانت ثمرٌ ببلاد قوم لوط و تناول من زروعهم و ثمارهم فجزعوا من ذلك لبخلهم و ضاقت صدورهم فأتاهم إبليس في صورة شيخ و قال لهم هل أدَّلكم على ما فعلتموه لم يمُّر بكم أحد فقالوا نعم فقال إاذ مرَّ بكم أحد فقالوا نعم فقال إاذ مرَّ بكم أحد فأنكحوه في دبره و أسلبوا ثيابه ثمّ إنصرف و جاءهم ثانية بصورة شاب أمرد حسن الوجه و مكّنهم من نفسه حتّى و ثبوا عليه و فجروا به فطاب لهم ذلك و مارسُوه مع كلّ من كان يمُّر بأرضهم و لو من دون رغبة ليتّحذر فطاب لهم ذلك و مارسُوه مع كلّ من كان يمُّر بأرضهم و لو من دون رغبة ليتّحذر حتى صاروا يعرضون أن فسهم على الرّجال في البلاد و يسألونهم اللّه بداء الأبنة أدبارهم و يبذلون المال على ذلك و كانت زوجة لوط عليما كالم و باللّه وب

اء القرقان في تفسير القرآن کمیکم المجلد الثانی عا

زوجها مثل زوجة نوح النَّبي وكانت إذا نزل ضيفٌ بـزوجها لوط تـخبر القـوم بذلك حتّى يهجموا على الضّيف و ينكحوه وكانت علامة ذلك بينها و بين قومها أنَّها في النَّهار تدخن فيعرفون ذلك من رؤية الدُّخان و في اللَّيل توقد النَّار على السَّطح ولم يبق أحد منهم على الإيمان و زال عنهم بعد ثبوته و لمّا تمادى القوم في الكفر و الطُّغيان و طالت المدَّة بهم ضاق لوط بهم ذرعاً و غمّاً فعند ذلك دعا عليهم بالهلاك و نزول العذاب و أجابه اللّه تعالى الى ذلك.

> قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْت، يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ أي من بلادنا.

> > قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ ٱلْقَالِينَ

أي من المبغضين.

يقال قلاه يقليه إذا أبغضه.

رَبِّ نَجِّنى وَ أَهْلَى مِمًّا يَعْمَلُونَ، فَـنَجَّيْنَاهُ وَ أَهْـلَهُ أَجْـمَعينَ، إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغابرينَ

يِعني قال في مقام الدُّعاء ربّ نجّني و أهلي منهم فأجابه اللّه بقوله: فَنَجَّيْنُاهُ وَ أَهْلَةً و أَستثنى منهم عجوزاً، قيل أنَّها كانت إمرأة لوط و الَّتي كانت تدلُّ قومه على أضيافه و قوله في ألْغُابِرينَ يعني الباقين فيمن هلك من قوم لوط، قيل مزء ٩ اك نزل جبرئيل بأمر الله مع ثلاثة آخرين و ساروا حتّى إنتهوا الى قرية لوط و وقفوا عليه في زَّي غلمان بهيئةٍ حسنة و هو أي لوط حينئذٍ بقرب القرية يحرث زرعاً فسألهم لوط من أنتم قالوا نحن أبناء السبيل أضفنا اللّيلة قال يا قوم أنّ أهل هذه القرية قوم سوء لعنهم الله و أهلكهم ينكحون الرّجال و يسلبون الأموال فقالوا أضفنا اللّيلة فقال نعم و تقَّدمهم يمشي و هم خلفه و كان اللّـه تـعالى قـد أمـر جبرئيل أن لا يعَّذب القوم حتّى يشهد لوط عليهم ثلاث شهادات و لمّا كان لوط

في بعض الطّريق ندم على ضيافتهم خوفاً من سوء عمل قومه فأخذ يخاطبهم قائلاً لهم أين تريدون فما رأيت أجمل منكم قطّ قالوا أرسلنا سيَّدنا الي ربّ هذه البلدة قال لوط أو لم يبلغ سيّدكم ما يفعل هذه البلدة ثمّ جعل يحذّرهم و قال لِمُنْظِلاً يأخذون الرّجال فيفعلون بهم و أنّكم تأتون أشرار خلق اللَّـه فألتـفت جبرائيل الى أصحابه و قال هذه واحدة ثمّ توجّه إليهم لوط ثانياً بعد فترة و قال لهم أنَّكم تأتون شرار خلق اللَّه فقال جبرائيل هذه ثانية ثمَّ مشوا حتَّى إنتهوا اليّ باب المدينة و قال لهم أنَّكم تأتون شرار خلق اللَّه فقال جبرائيل هذه ثالثة ثمَّ قال لهم لوط أنَّ لي إليكم حاجة قالوا و ما هي قال تصبرون هاهنا حتّي يختلط الظُّلام فلا يراكم القوم فأجابوه الى ذلك و جلسوا على باب المدينة و بعث لوط بإبنه الى بيته ليأتي بخبز و ماء لعشاء ضيوفه و بعباءةٍ و غطاءٍ يتَّقون بهما البرد و المطر لأنَّ المطركان قد هطل فلَّما ذهب شطر من اللَّيل قال لضيوفه قوموا نمضي فقاموا و دخلوا المدينة و أخذ لوط يمشى بحذاء الحائط مستخفياً و أمرهم كذلك فقالوا أنّ سيَّدنا أمرنا أن نمُّر في وسط الطّريق و لمّا قربوا من بيته سبقهم لوط الى زوجته و قال لها قد أتاني أضياف في هذه اللِّيلة فأكتمي على ذلك حتّى أعفو عنك جميع ما كان منك فأجابته الملعونة ظاهراً و لكّنها أبطنت النَّفاق و لمّا دخل الرُّسل البيت قامت المرأة على سطح البيت و أوقدت النّار كعادتها لتعلم قومها فلّما رأوا النار أقبلوا الى بيت لوط من كلّ ناحية كما قال تعالى: و جَآءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ (١) فقام لوط في وجههم و وضع يده على باب الدّار يناشدهم اللّه أن يرجعوا عن ضيوفه و لكنّهم لم يزالوا يتهاجمون على دخول دار لوط و هو يدافعهم و أبي القوم إلاّ طغياناً و كفراً إلى أن تكاثروا و كسروا بـاب داره و دخلوها فوقف لوط جانباً متّحسراً على ضيوفه خجلاً منهم و هـو يـقول كـما حكى الله تعالى:

قْالَ لَوْ أَنَّ لَى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ اُويَ إِلَى رُكْنٍ شَديدٍ ( ^ ).

فتُّوجه جبرائيل إلى أصحابه من الملائكة و قال لو علم ما له من القوّة ثمّ قال يالوط دعهم يدخلوا و لمّا توَّسطوا الدّار و همُّوا بالتَّعرض للرُّسل هوى جبرئيل بإشارةٍ من إصبعه نحوهم فعميت أبصارهم و ذهبت عيونهم من وقتهم كما قال تعالى: وَ لَقَدْ رِاٰوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْناۤ أَعْيُنَهُمْ (١).

و لمّا رأى لوط ذلك دهش عجباً و توَّجه نحو الرُّسل و سألهم من أنتم: قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوۤ ۚ ۖ ۗ ۗ .

و قال جبرئيل أنا جبرئيل قال لوط بماذا أمرتم فال بهلاك القوم فوعده بإنزال العذاب و أمروه بالخروج ببناته من البلدة كما قال تعالى: فَأَسُو بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ **اللَّيْل**<sup>(٣)</sup> ثمّ أخذ جبرئيل كفاً منتراب و ضرب به وجوه أهل المدينة فعميت عيونهم كلُّهم و كانت اللَّيلة الأربعاء الأخيرة من الشُّهر فلمَّا إنتصف اللَّيل سـار لوط ببناته ولم يرهم أحد من لا قوم ولم يعلم بهم إلاّ إمرأته و لمّا خان الفجر نزل جبرئيل بأمر ربّه و ضرب بجناحه الأيمن ما حوى شرقيها و بجناحه الأيسر على ما حوى غربيها فإقتلعها من الأرض و عرج بها حاملاً لها بين جناحيه و رفعها في الجوِّ ثمَّ قلُّبها فجعل عاليها سافلها و أمطر الله عليهم من حجارةٍ سجّيل و هلك القوم عن أخرهم أجمعين كما قال تعالى:

ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْأَخْرِينَ، وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسٰآءَ مَطَرُ ٱلْمُنْذَرينَ، إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَأَيَةً ۚ وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ، وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزْيِزُ زء١٩> ٱلرَّحيْمُ

و إنتقل لوط ببناته إلى الشّام و أقام بها إلى أن رجع إلى ربّه و توّفى سـعيداً مشكوراً، إنتهي مختصراً و قد مرَّ الكلام فيه سابقاً أيضاً.

نياء الفرقان في تفسير القرآن للمستم المحجلا الثاني عشر نحياء كَذَّبَ أَصْحابُ لْتَيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٧٤) إذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمينُ (١٧٨) فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَ أَطيعُونِ (١٧٩) وَ مٰآ أَسْتَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرِ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبّ ٱلْعٰالَمينَ (١٨٠) أَوْفُوا َٱلْكَيْلَ وَ لَا تَكُونُوا مِنَ ٱلْــــــمُخْسِرينَ (١٨١) وَ زِنُـــوا بِــــالْقِسْطاس ٱلْمُسْتَقِيم (١٨٢) وَ لَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيآءَهُمْ وَ لَا تَـعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُـفْسِدينَ (١٨٣) وَ ٱتَّقُوا ٱلَّذي خَلَقَكُمْ وَ ٱلْجِبلَّةَ ٱلْأَوَّلينَ (١٨٢) قْالُورَا إِنَّمٰآ أَنْتَ مِنَ ٱلْـمُسَحَّرينَ (١٨٥) وَ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَ إِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَاذِبِينَ (١٨٤) فَأَسْقِطْ عَلَيْنا كِسَفًا مِنَ ٱلسَّمْآءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ (١٨٧) قَالَ رَبِّتِيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذابُ يَـوْم ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْم عَظيم (١٨٩) إِنَّ في ذٰلِكَ لَأَيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِّنينَ (١٩٠) وَ إِنَّ رَبُّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (١٩١) وَ إِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ ٱلْعَالَمينَ (١٩٢) نَــزَلَ بِــهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمْسِينُ (١٩٣) عَسلَى قَسلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنْذِرينَ (١٩۴) بِلِسٰانِ عَرَبِيِّ مُسبينِ (١٩٥) وَ إِنَّهُ لَفِي زُبُرِ ٱلْأُوَّلِينَ (١٩٤) أَوَ لَمْ يَكُنْ لَـهُمْ اٰيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَوُّا بَنيَ إِسْرآتيلَ (١٩٧) وَ لَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ ٱلْأَعْـجَمينَ (١٩٨) فَـقَرَأُهُ عَلَيْهِمْ مَا كُـانُوا بِـهِ مُـؤْمِنينَ (١٩٩) كَـذْلِكَ سَــلَكْنْاهُ فـــى قُـلُوبِ ٱلْـمُجْرِمينَ (٢٠٠) لا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا ٱلْعَذَاٰبَ ٱلْأَلِيمَ (٢٠١) فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٢٠٢) فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ (٢٠٣) أَفَبعَذاٰبِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (٢٠٤) أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَـتَّعْنَاهُمْ سِنينَ (٢٠٥) ثُـمَّ جْآءَهُمْ مَا كُــانُوا يُــوعَدُونَ (٢٠۶) مَآ أَغْــنٰى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (٢٠٧) وَ مَاۤ أَهْلَكُنَا مِنْ قَرْيَةِ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ (٢٠٨) ذِكْرَى وَ مَا كُــنَّا ظَالِمينَ (٢٠٩) وَ مَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَاطِينُ (٢١٠) وَ مَا يَنْبَغَى لَهُمْ وَ مَا يَسْتَطيعُونَ (٢١١) إنَّهُمْ عَن ٱلسَّمْعُ لَمَعْزُولُونَ (٢١٢) فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلٰهًا أَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ (٢١٣) وَ أَنْذِرْ عَشيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبينَ (٢١۴) وَ ٱخْفِضْ جَــنٰاحَكَ لِمَنُ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلُ ۚ إِنِّى بَرِيٓءٌ مِمًّا تَعْمَلُونَ (٢١۶) وَ تَوَكَّـلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحيم (٢١٧) ٱلَّذي يَريٰكَ حينَ تَقُومُ (٢١٨) وَ تَقَلَّبَكَ َ فِي ٱلسَّاجِدِينَ (٢١٩) إنَّهُ هُوَ ٱلسَّميعُ ٱلْعَليمُ (٢٢٠) هَلْ أَنَبِّتُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ ٱلشَّياطينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكِ أَثْيِم (٢٢٢) يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَ أَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ

لمرقان في تفسير القرآن كم هم العجلد الثاني عث

(۲۲۳) وَ ٱلشُّعَرٰآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُونَ (۲۲۴) أَ لَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فَي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (۲۲۵) وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (۲۲۶) إِلَّا ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا وَ عَمِلُوا ٱللَّهَ كَثَيرًا وَ عَمِلُوا ٱللَّهَ كَثِيرًا وَ أَنْتَصَرُوا ٱللَّهَ كَثِيرًا وَ أَنْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَ سَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا وَ سَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَى مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (۲۲۷)

#### ◄ اللّغة

الاَبْكَةِ: في اللّغة الشّجرة الكثيفة و جمعها، أيك قال في القاموس، أيك يأيك أيكاً من باب تعب و إستأيك الشّجر إلتَّف و صار أيكة، ، و الأيك الشَّجر الكثير الملتَّف، الواحدة أيكة، فتطلق الأيكة على الواحدة من الإيك و على فيضة شجر ملتّفة قرب، مدين، قالوا و كان شجرهم، الدّوم، و هي قرية شعيب سمّيت بإسم بانيها، مدين، بن إبراهيم بينها و بين مصر مسير ثمانية أيّام و سأتي الكلام في قراءتها.

شُعَيْتُ: بضّم الشّين و فتح عَين إسم نبّيٌ من الأنبياء.

بِالْقِسْطَاسِ: قيل هو العدل في التّقويم على المقدار و جمعه قساطيس و قال الحسن هو القبّان، و قيل هو الميزان و قال قومٌ هو العدل و السّواء ذكره أبو عبيدة.

وَ لَا تَبْخُسُوا: البخس النَّقص.

وَ لا تَعْثَوْا: قال أبو عبيدة، عثا يعثا عثواً و هو أشّد الفساد بالخراب و قيل هو من عاث يعيث عيثاً.

وَ ٱلْجِبَّلَةَ: بكسر الجيم و الباء و فتح اللَّام الشمّددة الخليقة التّي طبع عليها الشّي.

كِسَفًّا: هو جمع كسفة و مثله ثمرة و تمر و الكسفة القطعة على قول إبن عبّاس و غيره من علماء اللُّغة.

يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ: بضّم الظّاء المظلّة الضَّيقة و ما يستّظل به من الحرّ أو البرد و الجمه ظلل و ظلال و يوم الظّلة إشتهر بعذابهم فقد رنقت فوقهم سحابة أظّلتهم بعد حرّ شديد أصابهم.

زُبُر: بضّم الزّاء و الباء الكتب واحدها زبور.

ٱلْأُعْجَمِينَ: الاعجم الَّذي لا يفصح و في لسانه عجمة و إستعجام و الأعجمّي مثله إلا أنّ فيه زيادة ياء النّسبة و هي للتّأكيد.

سَلَكْنَاهُ: السّلوك الدّخول يقال أسلكته فيه أي أدخلته.

بَغْنَةُ: البغتة حصول الأمر العظيم الشَّأن من غير توَّقع بتقديم الأسباب، و قيل الىغتة الفجأة.

أَفَّاكِ: الإفك و الأفَّاك مبالغة فيه.

أَيْمٍ: الإثم الفاعل للقبيح يقال أثم إثماً إذا إرتكب القبيح.

#### ◄ الإعراب

أَصْحَابُ لَيْكَةِ يقرأ بكسر التّاء مع تحقيق الهَمَزة و قرئي ليكة، بياء بعد اللّام و فتح التّاء إنَّهُ الهاء ضمير القرأن بِلِسَانِ الباء تتعلَّق بالمنذرين (لو لم تكن) يقرأ بالتّاء مز، ۱۹ کی و فیه وجهان:

أحدهما: هي التّامة و الفاعل أيّةً و أَنْ يَعْلَمَهُ بدل أو خبر مبتدأ محذوف.

الثّاني: هي ناقصة و في إسمها وجهان:

أحدهما: ضمير القصّة و، أن يعلمه، مبتدأ و أية، خبر مقّدم و الجملة خبر كان.

الثّاني: إسمها أية و في الخبر أيضاً وجهان:

أحدهما: لَهُمْ و أن يعلمه بدل أو خبر مبتدأ محذوف.

الثّانى: أن يعلمه آلأغْجَبِنَ أي الأعجّميين فحذفت ياء النّسبة ما آغْنى عَنهُمْ يجوز أن يكون إستفهاماً فيكون، ما، في موضع نصب، و يجوز أن يكون نفياً أي ما أغنى عنهم شيئاً ذِكْرى مفعول له أو خبر مبتدأ محذوف أي الإنذار ذكرى يُلْقُونَ حال من الفاعل في تنزل أَيَّ مُنْقَلَبٍ هو صفة لمصدرٍ محذوف و العامل ينقلبون، أي ينقلبون إنقلاباً.

#### ◄ التّفسير

#### كَذَّبَ أَصْحابُ لْتَيْكَةِ ٱلْمُرْسَليِنَ

قالوا أصحاب الأيكة أي أصحاب قرية كثيرة الأشجار و كان لأهل مدين و هي قرية في طريق الشّام ملك جبّار لا يطيقه ملك من الملوك و كانوا في سعة من العيش فأمرهم ملكهم بإحتكار الطّعام و نقص المكيال و الميزان فأطاعوه و يبخس النّاس أشياءهم و أفسدوا في الأرض و عتوا على الله فأرسل الله إليهم شعيباً و كان ينسب إلى إبراهيم الخليل بعد أربعة أباء و كانت أمّه بنت لوط النّبي و كان في قومه منذ صغره موّعداً يخفي دينه عن قومه و هم مشركون و قد أرسله الله تعالى مرّتين مرّة إلى أصحاب الأيكة و مرّة إلى أهل مدين هكذا قيل و على هذا فأصحاب الأيكة غير أهل مدين و قال بعضهم هما واحد و الله أعلم.

#### إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ

و أنّما قال شعيب ولم يقل أخوهم كما قال في نوح و هود و صالح لأنّهم كانوا من القوم بخلاف شعيب فأنّه لم يكن من أصحاب الأيكة و أنّما كان رسولاً إليهم، و قال لهم أي لأصحاب الأيكة ألا تتَّقون اللّه.

إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ، فَاتَّقُوا ٱللهَ وَ أَطيعُونِ، وَ مَاۤ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى رَبِّ ٱلْعَالَمينَ



و قد مضى تفسير هذه الأيات.

#### أَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَ لَا تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُخْسِرينَ

قلنا أنّهم كانوا من المحتّكرين أمرهم بذلك أي بالإحتكار و نقص المكيال و الميزان ملكهم الجبّار، أقام شعيب بينهم مدّة يدعوهم إلى اللّه فلم يؤمن به إلا شرذمة قليلة و بلغ خبره إلى الملك فبعث ينهاه و يحذّره فأجابه شعيب أنّ اللّه أوصى إلّي أنّ الّذي يصنع ما تصنعه أيّها الملك فغضب الملك و أمر بإخراجه من القرية و أمّا أهل الأيكة فأنّهم فعلوا ما فعل أهل مدين فأرسل اللّه إليهم حرّاً شديداً أخذ بأنفاسهم و صارت فياههم حميماً لا يستطيعون شربها و خرجوا إلى البريّة فبعث اللّه سبحانه سحابة فإستَّظلوا تحتها بأجمعهم فأرسل اللّه تعالى عليهم ناراً فأحرقتهم عن أخرهم و هو معنى قوله تعالى: فَأَخَدَهُمْ عَدَابُ مِشْتُعلاً بالعبادة و البكاء فأوحى اللّه تعالى إليه أنّي موّفيك على حبّك لي و منتى و النحاك لي أن أخدمك كليمي موسى بن عمران فيكون ذلك دليلاً على كرامتك عندي و سأتي تفصيله.

# وَ زِنُوا بِالْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقَيْمِ

القسطاس الميزان و المعنى زنوًا الأشياء بالميزان العدل.

# وَ لَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَ لَا تَعْتَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدينَ

أي لا تنقصوا الأشياء و لا تعثوا في الأرض بالمعاصي، و قيل معناه لا تفسدوا فيها بعد إصلاحها و قال أبو عبيدة معناه أشدً الفساد بالخراب.

# وَ ٱتَّقُوا ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَ ٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلَيِنَ

و هو ليس إلا الله تعالى فأنه خلق الخلق و أوجدهم بعد العدم و هو الذي خلق الخليقة و الطّبائع و بالجملة كلّ الموجودات إذ لا خالق إلاّ هو.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

المعبلا الناني

أي من المسحورين و هذا جوابهم له بعد دعوتهم إلى التّوحيد و ترك المعاصي كما قالوا في جواب صالح النّبي.

#### وَ مَا ٓ أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَ إِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَاذِبينَ

إن، هي المخفّفة من الثّقيلة و لذلك دخل اللاّم في الخبر أي لست أنت يــا شعيب إلاّ بشرّ مثلنا تأكل و تشرب و مع ذلك تدّعي النّبوة.

#### فَأَسْقِطْ عَلَيْنا كِسَفًا مِنَ ٱلسَّمْآءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ ٱلصَّادِقينَ

في إدّعائك النّبوة و قوله: كِسَفًا، بكسر الكاف و فتح السّين معناه قطعاً، و قرئ، كسفة بسكون السّين و كلاهما جمع كسفة نحو قطع جمع قطعة و قال أبو عبيدة الكسف جمع كسفة مثل سدر و سدرة و قرأ حفص، كسفاً جمع كسفة و هي القطعة و هو الحقّ و المقصود أنّك تدّعي النّبوة فأن كنت صادقاً فيما تدَّعيه فإفعل ذلك.

#### قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ

أي قال شعيب لهم ربّي أعلم بما تعملون من الشّرك و المعاصي و النّقص في المكيال و الميزان فإذا شاء و أراد أن يعذّبكم لا راد له فأنّه على كلّ شيِّ قدير.

# فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذاب يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذابَ يَوْمِ عَظيمٍ

أي فكذَّبوا شعيباً فيما كان يدعوهم إليه فأخذهم عذاب يوم الظُّلة، و هو خروجهم إلى البرية و تجَّمعهم تحت السّحابة و إرسال الله عليهم ناراً كما مرً القول فيه.

إِنَّ فَى ذَٰلِكَ لَاٰيَةً وَ مَاكَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنينَ، وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزيِزُ ٱلرَّحيمُ

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



قد مضى تفسيرها فلانعيد الكلام فيها.

أعلم أنّ هذه القصص السبع التّي مرّت ذكرها قد كرّر في أوّل كلّ قصّة و في أخرها ما كرّر من الأيات و الوجه فيه، أنّ في التّكرير تقريراً للمعاني في الأنفُس و ترسيخاً لها في الصُّدور مع تعليق كلّ واحدة بعلّة و فن التّكرير فن دقيق المأخذ و ربّما إشتبه على أكثر النّاس بالإطناب مرّة و بالتَّطويل مرة أخرى و هو ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: التكرير في اللّفظ و المعنى كقولك لمن تستدعيه أسرع و معه قول أبى الطّيب:

ولم أر مثل جيراني و مثلي لمثلي عند مثلهم مقامً

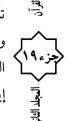
القسم الثّاني: من التَّكرير ما يوجد في المعنى دون اللّفظ كقولك أطعني و لا تعص أوامري فأنّ الأمر بالطّاعة نهيً عن المعصية و على كلّ حال ليس في القرآن مكرّرٌ لا فائدة في تكريره و أمّا إذا كان التَّكرير غير مفيد فهو العَّي الفاحش و للبحث فيه مقام آخر.

### وَ إِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ ٱلْعٰالَمينَ

الواو للإستئناف و الجملة مستأنفة مسوقة لتقرير حقيقة تلك القصص و تأكيد نبَّوة محمد عَلَيْ الله عن الأمم المتقدمة و هو الأمّي الذي لا يقرأ و لا يكتب ظاهراً لا يكون إلا عن طريق الوحي و الضّمير في، أنّه، يعود على القرآن لأنّ هذه القصص جزء منه و المعنى أنّ القرآن أنزله ربّ العالمين و فيه إيماء الى أنّه ليس كلام البشر و هو ظاهر".

# نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمينُ

و هو جبرئيل عليه السّلام(وبه) في موضع الحال أي متلّبساً به فالباء للمُلابسة قرأ أبو عمرو و حفص نزل مخّففاً و باقي السَّبعة بالتَّشديد. ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷



خُص القلب بالذَّكر لأنّه محّل الوحي، أو لأنّه بقلبه يحفظه فكأنّه المنزل عليه و المعنى (أنزل هذا القرآن على قلبك) لتُّخوف به النّاس و تنذرهم لأنّك منذرٌ و لكّل قوم هاد و من المعلوم أنّ الإنذار لا يتحَقق إلاّ بكلام الله تعالى لمن آمن به ثمّ عاد الى وصف القرآن بقوله:

#### وَ إِنَّهُ لَفِي زُبُرِ ٱلْأُوَّلِينَ

معناه أنَّ ذكر القرآن كان في كتب الأولين على وجه البشارة به لا من جهة أنّ الله أنزله على غير محمد، و واحد الزَّبور زبور و منه زبور داوود يقال زبرت الكتاب إذا كتبته و أصله الجمع و منه الزّبرة الكتبة لأنّها مجتمعة و قد مرَّ الكلام فيها عند شرح اللّغات.

# أَوَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ الْيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمْؤُا بَنيَ إِسْر آئيلَ

قرأ إبن عامر، أو لَم تكن بالتّاء، و رفع الآية و الباقون بالياء و النّصب فيها فعلى القراءة الأولى تكون (آية) إسم كان و أن يَعْلَمَهُ خبره لأنّ (أن) مع الفعل بمنزلة المصدر و تقديره أو لم تكن لهم آية معجزة و دلالة ظاهرة على بني إسرائيل بمحمّد في الكتب السّموية يعني كتب الأنبياء قبله أنّه نبّي و حيث أنّ الإستفهام إنكاري فالمعنى كانت لهم آية و لكّنهم أنكروها و أمّا على القراءة الثانية و هي قراءة الياء في يكنُ و نصب آية فية (أي) آية خبر كان و أن يعلمه معرفة وإذا إجتمعت معرفة و الأقوى في العربيّة لأنّ، آية، نكرة و، أن يعلمه، معرفة وإذا إجتمعت معرفة و نكرة، أختير أن تكون المعرفة إسم كان و النّكرة خبرها و على التّقديرين فالإستفهام إنكاري لا خلاف فيه و على هذا فمعنى الآية أنّه كان لهم ذلك إلاّ أنّهم أنكروه و قيل من علماء بني إسرائيل عبد اللّه بن سلام في قول إبن مسعود و إبن عبّاس و مجاهد.

ضباء البرقان في تنسير القرآن مبيكم العجلا الثاني عشر

#### وَ لَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ

قال الزّمخشري، الأعجم الّذي لا يفصح و في لسانه عجمة و الأعجمي مثله إلاَّ أنَّ فيه لزيادة ياء النَّسبة زيادة تأكيدٍ و هاهنا إشكال و هو أنَّـه كيف يجمع الأعجم جمع المذَّكر السَّالم و هو وصفٌّ على وزن، أفعل في المذَّكر و على وزن، فعلاء في المؤنّث و شرط الجمع بالياء و النُّون أو بالواو و النُّون أن لا يكون الوصف كذلك، و أجيبت عنه بأنّه جمع أعجمي بياء النَّسبة و حذفت للتَّخفيف كأشعرين في أشعري و الكوفيون يجيزون جمع أفعل فعلاء جمع المذّكر

و قال صاحب التّحرير قوله تعالى: عَلَى بَعْضِ ٱلْأَعْجَمينَ، جمع أعجمي و لو لا هذا التّقدير لم يخير أن يجمع جمع سلامة إنتهي.

و قال في القاموس العُجم بضّم العين و يا لتحريك خلاف العرب و رجـلٌ و قومٌ أعجم، من لا يفصح إنتهي و ممّا يعجبني في المقام ما قاله بعض المفسّرين من العامّة في معنى الآية قال ماهذا لفظه قيل و المعنى و لو نزَّلناه بـلغة العـجم على رجل أعجمي فقرأه على العرب لم يؤمنوا به حيث لم يفهموه و إستنكفوا من إتّباعه إنتهي.

أقول الآية لا تدَّل على ما ذكره أصالاً بل المعنى و لو نزَّلناه على بعض الأعجمين، أي على غير العرب لم يؤمنوا به لتَّعصبهم و عنادهم و إلى هذا إن المعنى أشار بقوله:

# فَقَرَأُهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنينَ

ففيه ذمٌّ للعرب و إشارة إلى تعَّصبهم و تكَّبرهم و في ذلك تسلية للنّبي حين لم يؤمنوا به و لم يقبلوا منه و قيل معناه و لو نـزل عـلى بـعض البـهائم فـقرأه محمّد اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِم لم تؤمن البهائم كذلك هؤلاء لأنّهم كالأنعام بل هم أضّل. لقرآن

و قال الرّازي أنّ اللّه تعالى بيّن في الآية أنّ هؤلاء الكفّار لا تنفعهم الدّلائل و لا البراهين فقال و لو نزّلناه على الأعجمين، يعني أنّا أنزلنا هذا القرأن على رجل عرّبي مبين فسمعوه و فهموه و عرفوا فصاحته و أنّه معجز لا يعارض بكلام مثله، و إنضَّم إلى ذلك يشارة كتب الله السّالفة فلم يؤمنوا به و جحدوه و سمّوه شعراً تارةً و سحراً تارةً أخرى، فلو نزّلناه على بعض الأعجمين الذي لا يحسن العربية لكفروا به أيضاً و لتمحلوا لجحودهم عذراً إنتهى كلامه.

أقول الظّاهر أنّ الآية تدُّل على فضيلة العجم و يدلّ على ذلك ما رواه علّي بن إبراهيم في تفسيره لهذه الآية عن الصّادق التَّلِا حيث قال، قال الصّادق لو نزّلنا القرأن على العجم ما أمنت به العرب و قد نزل على العرب فأمنت به العجم فهذه فضيلة العجم إنتهى.

و أنّما قال لِمُلْتِلِدٌ ذلك لأنّ في قوم العرب تعُصب الجاهليّة دون العجم و هذا ظاهر مشهود.

#### كَذْلِكَ سَلَكْنَاهُ في قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمينَ

الهاء كناية عن القرأن أي كذلك سلكنا القرأن في قلوب المجرمين، و معناه أقررناه في قلوبهم بإخطاره ببالهم لتقوم به الحجّة عليهم قال الرّازي تدّل الآية على أنّ الكلّ بقضاء الله و خلقه.

و قال صاحب الكشّاف أراد به أنّه صار ذلك التّكذيب متَّمكناً في قلوبهم أشدً التَّمكن فصار ذلك كالشّيُ الجبّلي و قد أجاب عنه الرّازي بما حاصله أنّ ما فعل الله بهم أما يقتضي رجحان التّكذيب على التَّصديق أو لا يقتضي فأن كان الأوّل فقد دلَّلنا الترجيح لا يتحقق ما لم ينته إلى حدّ الوجوب و حينئذ يحصل المقصود و أن لم يفعل فيهم ما يقتضي الترجيح البتّة إقتنع قوله: كَذْلِكَ المقصود في أنّ طيران الطّائر لمّا لم يكن له تعلّق بكفرهم إمتنع إستناد الكفر إلى ذلك الطّيران إنتهى كلامه.

أقول ما ذكره الرّازي في جوابه لا يصّح إلاّ على مذهبه و هو الجبر لأنّه من الأشاعرة القائلين به و أمّا على مذهب الزّمخشري الّذي هو من المعتّزلة فهو باطل و الحقّ مع صاحب الكشّاف كما مرَّ مراراً تحقيق ذلك و قول الرّازي أما أن فعل بهم ما يقتضى رجحان التّكذيب أو ما فعل ذلك، كلام عاطل لا محصّل له فأنّ اللّه تعالى لم يفعل بهم هذا و لا ذاك و أنّما إختاروا التّكذيب بسوء سريرتهم و خبث طينتهم بسبب العصيان الَّذي صدر منهم بإختيارهم و قد ثبت أنَّ الإقتناع بالإختيار لا ينافي الإختيار فالإنسان مختار في فعله فأن إختار الطَّاعة و الإنقياد يصير مؤمناً صالحاً و أن إختار التَّمرد و العصيان يصير شقيّاً خبيثاً ثمّ أنّ الشَّقاوة و خبث الباطن تمنعه عن قبول الحقّ إلاّ أنّه بإختياره أوجد المانع عن قبل له لا أنّ الله تعالى فعل فيه شيئاً كذا وكذا إذ لو كان الأمر كما ذكره الرّازي فالإنسان مجبورٌ في فعله من جانب الله تعالى و هو خلاف العقل و العدل.

#### لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا ٱلْعَذَابَ ٱلْأَليمَ

أي أنَّ هؤلاء الكفَّار لا يؤمنون بالقرأن و أنَّه منزَّل من عند اللَّه حتَّى يـروا العذاب الأليم و ذلك لعنادهم و لجاجهم.

# فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ

أي فيأتيهم العذاب فجأةً و غفلةً و هم لا يشعرون به أعاذنا الله منه.

#### فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ

أي مؤخّرون فأنّ الإنتظار الإمهال و هو التّأخير و منه قوله تعالى حكايةٌ عن إبليس حيث قال: قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنَيَ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنْظَرِينَ (١) أي إمهلني و أخّرني، و معنى الآية أنّهم أي كلّ أمّةٍ معذّبةٍ يقولون هـل نـحن

منظرون أي مؤخّرون و هذا على جهة التَّمني و الرَّغبة حيث لا تنفع الرَّغبة فهو نظير قوله تعالى: **رَبِّ ٱرْجِعُونِ، لَعَلِّى أَعْمَلُ صَالِحًا فَيِمَا تَرَكْتُ<sup>(١)</sup>.** 

ثمّ رجع لفظ الآية إلى توبيخ قريش على إستعجالهم عذاب الله في طلبهم سقوط السّماء كسفاً.

#### أَفَبِعَذاٰبِنَا يَسْتَعْجِلُونَ

تبكيتٌ لهم بإنكار و تهكم و معناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسأل فيه من جنس ما هو اليوم من النَظرة و الإمهال طرفة عين فلا يجاب إليها و وجة أخر متصل بما بعده و ذلك أنّ إستظارهم يومئذ و يستعجلون على هذا الوجه حكاية حالٍ ماضية و على هذا فهو حكاية توبيخ يوبخون به عند إستنظارهم يومئذ و في المقام وجة أخر و هو أنّ إستعجالهم بالعذاب أنّما كان لاعتقادهم أنّه غير كائن و لا لاحق بهم و أنّهم ممّتعون بأعمار طوال في سلامة و أمن فقال تعالى: أَفَيِعَذَا بِنَا يَسْتَعْجِلُونَ، أشراً و بطراً و إستهزاءً وإتّكالاً على الأمل الطّويل.

أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنينَ، ثُمَّ جَآءَهُمْ مَاكَانُوا يُوعَدُونَ، مَآ أَغْنَى عَنْهُمْ مَاكَانُوا يُمَتَّعُونَ

معنى الكلام، أفرأيت، يامحمد، إن متَّعناهم سنين ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُّونَ من العذاب ما أغنى عنهم ما كانوا يمتَّعون به في دار الدّنيا لإزديادهم من الأثام و إكتسابهم من الإجرام و بعبارةٍ أخرى، أيُّ شئ يغني عنهم ما يمتَّعون به من النَّعم في الدّنيا فأنّ كلّه فانٍ فلم يبق منه عينٌ و لا أثر، و الباقي ليس إلا العمل و المفروض أنّه قبيح.

وَ مَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ، ذِكْرَى وَ مَا كُنَّا ظَالِمِينَ

ياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 👣

ما، نافية، و التقدير من أهل قريةٍ فحذف المضاف و معنى الآية و ما أهلكنا من أهل قريةٍ ظالمين الآبعد ما ألزمناهم الحجّة بإسال المنذرين إليهم و المقصود أن العذاب بعد إتمام الحجّة لا قبله و هو مقتضى العدل و قوله: فركرى و ما كُنّا ظالمين، فهو متعلّق، بأهلكنا، و ذكرى، مفعول أي أهلكناهم ليكون إهلاكهم تذكرةً وعبرةً لغيرهم و على هذا فيكون الإنذار لأجل الموعظة و التذكرة ليهلك من هلك عن بيئة و يحيا من حيّ عنها و ما ربّك بظلام للعبيد قبل إتمام الحجّة عليهم.

#### وَ مَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَاطِينُ

الضّمير في، به، عائد على القرأن قيل أنّ الكفّار كانوا يقولون أنّ محمّداً وَاللّهُ عَلَى الشّياطين على محمّداً وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ هُو مَن جنس ما يتّنزل به الشّياطين على الكهنة فرّد الله عليهم بقوله:

# وَ مَا يَنْبَغَى لَهُمْ وَ مَا يَسْتَطَيِعُونَ، إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ

نفى أوّلا تنزيل الشّياطين به و حيث أنّ النّفي في الغالب يكون في الممكن و أن كان هنا لا يمكن من الشّياطين التَّنزل بالقرأن ثمّ نفى إبتغاء ذلك و الصلاحية أي ولو فرض الإمكان لم يكونوا أهلاً له ثمّ نفى قدرتهم على ذلك و أنّه مستحيل في حقّهم التَّنزل به فإرتقى من نفي الإمكان إلى نفي الصلاحيّة و منه إلى نفي القدرة و الإستطاعة و ذلك مبالغة متَّرتبة في نفي تنزيلهم به ثمّ علَّل إنتفاء ذلك بأنّهم عن إستماع كلام أهل السّماء مرجوحون بالشُّهب و حاصل الكلام أنّ ما قاله الكفّار في حقّ القرأن لا يساعده العقل و النّقل.

# فَلا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلٰهًا أُخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ

قيل الخطاب في الحقيقة للسّامع أي قل يامحمّد لمن كفر لا تدع مع الله إلها أخر فتكون من المعذّبين يوم القيامة و قيل نهى الله تعالى نبيّه عن الشّراك به و المراد به المكلّفين و نظائره في القرأن كثيرة و أنذر عشيرتك الأقربين.

قال بعض المفسّرين من العامّة نبَّه على العشيرة و أن كان مأموراً بأنذار النّاس كافّة كما قال أن أنذر النّاس لأنّ في إنذارهم و هم عشيرته عدم محاباة و لطف بهم و أنّهم و النّاس في ذلك شرعٌ واحد في التّخويف و الإنذار فإذا كانت الأقرباء قد خوّفوا و أنذروا مع ما يلحق الإنسان في حقّهم من الرّأفة كان غيرهم في ذلك أوكد و أدخل أو لأنّ البدأة تكون لمن يليه ثمّ من بعده و قال المليلا حين دخل مكة كلّ رباً في الجاهليّة موضوع تحت قلّمي هاتين إلى أخر ما قال إنتهى. و قال الرّازي قوله: و أنْذِرْ عَشير تك الاَّقْربين و ذلك لأنّه تعالى بَدأ بالرّسول فتّوعده إن دعا مع اللّه إلها أخر ثمّ أمره بدعوة الأقرب فالأقرب و ذلك لأنّه إذا تشّد على نفسه أوّلاً ثمّ الأقرب فالأقرب ثانياً لم يكن لأحد فيه طعن البيّة و كان قوله أنفع و كلامه أنجع و روي أنّه لمّا نزلت هذه الآية صعد الصّفا و نادى الأقرب فالأقرب و قال يا بني عبد المطّلب يابني هاشم يابني عبد مناف نادى الأقرب فالأقرب و قال يا بني عبد المطّلب يابني هاشم يابني عبد مناف ياعبّاس عمّ محمّد ياصفيّة عمّة محمّد أنّي لا أملك من الله شيئاً لكم سلوني من المال ما شئتم.

و روي أنّه جمع بني عبد المطّلب و هم يومئذ أربعون رجلاً على رجل شاة و قعبٍ من لبن و كان الرّجل منهم يأكل الجذعة و يشرب العسّ فأكلوا و شربوا ثمّ قال يابني عبد المطّلب لو أخبرتكم أن يسفح هذا الجبل خيلاً أكنتم مصدّقي قالوا نعم فقال أنّي نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد إنتهى ما ذكره الرّازي في تفسير الآية.

و قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية نظير ما ذكره الرّازي و الأصل في ذلك كلّه هو ما ذكره الطّبري في تفسيره وكلّهم أخذوا ما أخذوا منه كما هو دأبهم في تفاسيرهم.

قال الطّبري بأسناده عن عائشة قالت لمّا نزلت هذه الآية قال رسول اللّه ياصفيّة بنت عبد المطلب و يا فاطمة بنت محمّد يابني عبد المطلب أنّي لا أملك لكم من اللّه شيئاً سلوني من مالى ما شئتم إنتهى.

ثمَّ أنَّ الْطبري أطال الكلام في المقام بنقله الرَّوايات المختلفة عن أبي هريرة و غيره من المكذّبين بما لا فائدة في نقلها في المقام فأن شئت الوقوف عليها فعليك بكتابه و ليت شعري أين كانت عائشة يوم الدّار و هكذا أين كانت فاطمة بنت رسول اللّه عَلْمُوْتُكُمَةً و هي ولدت بعد يوم الدّار بسنتين أو أكثر و قد أجمع المورّخون و أرباب السير على أنّ يوم الدّار كان بعد مبعثه وَاللَّهُ وَاللَّهُ عِلَى اللَّهُ سنين. قال إبن الأثير في كامله و هو من أعيان العامّة و تاريخه من أشهر التّواريخ في الإسلام في تاريخه ماهذا لفظه ثمّ أنّ اللّه تعالى أمر النّبي اللَّه تعد مبعثه بثلاث سنين أن يصدع بما يؤمر و كان قبل ذلك فـى السّـنين الشّـلاث مسـتتراً بدعوته لا يظهرها إلاّ لمن يثق بـ فكان أصحابه إذا أرادوا الصّلاة ذهبوا إلى الشُّعابِ فإستخفوا، ثمَّ نقل ما نقله الطُّبري و غيره كما هو شأن المؤرّخ الأمين و ساق الكلام إلى أن قال ما هذا لفظه:

قال على بن أبي طالب عاليًا لإلمّا نزلت وَ أَنْذِرْ عَشيرَ تَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ دعاني النَّبِي اللَّهِ اللَّهِ عَلَى أَنَّ اللَّهِ أَنْ اللَّهِ أَنْ أَنْذَر عشيرتي الأقربين فضقت ذرعاً و علمت أنّى متى أبادرهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمت عليه حتّى جائني جبرئيل و قال يا محمّد أن لا تفعل ما تؤمر به يعذّبك ربّك فأصنع لنا صاعاً من طعام و أجعل عليه رجل شاة و إملاً لنا عسّاً من لبنِ و إجمع لي بني عبد المطّلب حتّىٰ أكلّمهم و أبلّغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثمّ دعوتهم و هم يومئذٍ أربعون يزء ٩ الى رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب و حمزة و العبّاس و أبو لهب فلمّا إجتمعوا إليه دعاني بالطّعام الّذي صنعته لهم فلمّا وضعته تناول رسول اللَّهُ كَالَةُ حَرَّةُ من اللَّحم فنتقها بأسنانه ثمَّ ألقاها في نـواحـي الصَّحفة ثمّ قال مُلْكُونِكُ اللَّهِ عَذُوا بإسم اللَّه فأكل القوم حتَّى مالهم بشيُّ من حاجة و ما أرى إلاَّ مواضع أيديهم و أيم الله الّذي نفس علّي بيده أن كان الرَّجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمت لجميعهم ثمّ قال وَ الله عليه الله الله العس فشربوا منه

حتّى رووا جميعاً و أيم الله أن كان الرّجل الواحد ليشرب مثله فلمّا أراد رسول الله والمُنْ الله الله الله الما الله الكلام فقال لعلمنا سحركم به صاحبكم فتفرق القوم و لم يكلّمهم رسول الله فلمّا كان الغد قال تَاللُّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى إنَّ هذا الرَّجل سبقني الى ما سمعت من القول فتَّفرقوا قبل أن أكلَّمهم فعدِّلنا من الطُّعام بمثل ما صنعت ثمَّ أجمعهم ففعل مثل ما فعل بالأمس فأكلوا و سقيَّتهم ذلك العسّ فشربوا حتّى روّوا جميعاً و شبعوا ثمّ تكلّم رسول اللّه تَلْمُونَكُّ فقال يا بني عبد المطلب أنَّى و اللَّه ما أعلم شأباً في العرب جاء قومه بأفضل ممَّا جئتكم به و قد جئتكم بخير الدُّنيا و الأخرة و قد أمرني اللَّه أن أدعوكم اليه فأيَّكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخى و وصيّى و خليفتي فيكم فأحجم القوم عنها جميعاً قلت و أنّى لأحدثهم سنّاً و أرقصهم عيناً و أعظمهم بطناً و أحمشهم ساقاً أنا يا نبّي اللّه أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي ثمّ قال أنّ هذا أخي و وصّيى و خليفتي فيكم فأسمعوا له و أطيعوه قال فقام القوم يضحكون فيقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لأبنك و تطيع رسول اللّه أن يصدع بما جاء من عند الله و أن يبادئ النّاس بأمره و يدعوهم الى اللّه فكان يدعوا في أوّل ما نَزَلت عليه النبوّة ثلاث سنين مستخفيّاً الى أن أمر بالظّهور الى آخر ما ذكره في تاريخه بطوله إنتهي موضع الحاجة منه.

و قال في المراجعات بعد نقله ما نقلناه الى قول علمي عليه أنا يا نبّي اللّه أكون وزيرك عليه كما نقلناه عن إبن الأثير، ما هذا لفظه و قيل أنّه وَاللّه على الله و ساق ثلاث مرّات و في كلّ مرّة لا يقوم إلاّ علي عليه و يقول أنا يا رسول الله و ساق الكلام الى أن قال، أخرجه بهذه الألفاظ كثيرٌ من حفظة الأثار النبويّة، كإبن السحاق، و الطّبري و إبن الأثير و أرسله إرسال المسلمان في جزءه الثّاني و أبو الفداء و أبو جعفر الإسكافي و غيرهم و حسبك ما أخرجه أحمد بن حنبل من الجزء الأول ص ٣٣١ من مسنده إنتهى كلامه رفع مقامه.

أقول، فهذه قصّة يوم الدّار بالنظّر الى أقوال المؤرّخين و أنباء السيّر و قال الحافظ الحسكاني و هو من كبار علماءهم في كتابه المسمّى بشواهد التنزيل في قوله تعالى: وَ أَنْذِرْ عَشيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبينَ بأسناده عن البراء قال لمّا نزلت الآية جمع رسول اللّه عَلَمْ اللّهِ عَلَمْ اللّهِ عَبْد المطّلب و هم يومئذٍ أربعون رجلاً، الرّجل منهم يأكل المسّنة و يشرب العسّ فأمر عليّاً برجلِ شاةٍ فآدمها ثمّ قال أدنوا بسم اللّه فدعا القوم فأكلوا حتّى صدروا ثمّ دعا بقعب من لبنِ فخرج منه جرعة ثمّ قال لهم إشربوا بأسم الله فشرب القوم حتى رووا فبدرهم أبو لهب فقال هذا ما أسحركم به الرّجل فسكت النّبي يومئذٍ فلم يتكلّم ثمّ دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطّعام و الشّراب ثمّ أنذرهم رسول الله فقال يا بني عبد المطّلب أنّى أنا النذّير اليكم من الله و البشير لما يجئ أحدكم جئتكم بالدُّنيا و الأخرة فأسلموا و أطيعوني تهتدوا و من يؤاخيني منكم و يوازرني و يكون وليّي و وصيّي بعدي و خليفتي في أهلي و يقضي ديني فسكت القوم و أعاد ذلك ثلاثاً كلّ ذلك يسكت القوم و يقول علَّى عَلَيْهِ أَنا فَقَالَ مُلَكِّنِكُم أَنت فقام القوم و هم يقومون لأبي طالب أطع إبنك فقد أمّره عليكم إنتهي (١).

أقول لولا مخافة الأطناب و خروجنا عن موضعهم الكتاب لأشبعنا الكلام فيه و لكن فيما ذكرناه كفاية لأولي الألباب و أمّا ما ذكره الرّازي من كلام رسول الله فهو ممّا قال به عَلَيْشُ عَلَيْ بعد فتح مكّة و لا ربط له بيوم الدّار إلاّ أنّ الرّازي أراد أن يخرج الآية عمّا نزلت الآية فيه و هو خلافة أميرالمؤمنين و وصايته و اللُّه زء ٨٦ أعلم و بعد اللَّتيا و الَّتي نقول في تفسير الآية أنَّها نزلت في إنذار النَّبي لقومه و عشيرته الأقربين من مخالفتهم لأمير المؤمنين بعد موت النّبي لَلْمُثِيَّا و إعلامه بأنَّ عليًّا عليًّا للسِّلاِ هو وصيّه و خليفته كما عرفته من كيّفية الدَّعوة إلاّ أنّ مخالفينا في هذه المسألة قالوا في تفاسيرهم بما شاؤوا و أرادوا و أسقطوا من قصّة يوم الدّار ما يثبت ذلك كما هو دأبهم في جميع الأيات النّازلة في فضائل أهل البيت.

#### وَ ٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَن ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنينَ

لمّا أمر اللّه تعالى نبيّه بالإنذار على ما مرَّ بيانه أمره ثانياً بخفض الجناح للمؤمنين و معناه، ألن جانبك و توضع لهم و حسِّن أخلاقك معهم ذكره إبن زيد قال الرّاغب في المفردات الخفض ضدّ الرّفع و الخفض الدَّعة و السيّر اللَّين فهو حبُّ على تليين الجانب إنتهى.

أقول فعلى هذا هو كناية عن التواضع الذي هو ضد التكبر و أنّما أمره اللّه تعالى به لأنّ التواضع من أحسن الطُّرق الى جذب النّاس كما أنّ التَّكبر بخلافه و أنّما خصّ الحكم فيمن تبعه من المؤمنين دون جميع النّاس و بعبارة أخرى لم يقل و أخفض جناحك للنّاس مثلاً لأنّ التواضع للمتكبر و الكافر و المعاند لا يحسن عقلاً و شرعاً و السِّر في هذا الحكم أنّ التواضع للمؤمن في الحقيقة يرجع الى التواضع للإيمان و هذا بخلاف التواضع لغير المؤمن من الكفّار، و الفسّاق و المتكبرين فأنّه يوجب حقارة المؤمن و ذلّة النّفس و هو مذموم عقلاً و شرعاً و أن شئت قلت التواضع للمؤمن هو التواضع لله و التواضع لغير المؤمن ليس كذلك، ثمّ أنّ التواضع و هو إنكسار النّفس يمنعها من أن يرى لذاتها مزيّة على الغير و المواظبة عليها أقوى معالجة لإزالة الكبر.

و قال عَلَيْنَ اللهُ عَلَيْ مالي لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا و ما حلاوة العبادة قال عَلَيْنَ اللهُ عَلَيْ التَّواضع إنتهى.

و قال عَلَيْ اللَّهُ عَلَى الله و السَّاله إلاّ من يحبّه الصّمت و هو أوّل العبادة، و التّوكل على الله، و التّواضع و الزُّهد في الدُّنيا إنتهى.

و قال مَّ اللَّهُ عَلَيْهُ : من تواضع لله رفعه الله، و من تكبَّر لله خفضه الله و من إقتصد في معيشةٍ رزقه الله و من بذّر حرمه الله و من أكثر ذكر الموت أحبُّه الله، و من أكثر ذكر الله أظلُّه الله في جنته إنتهي و الأخبار في مدحه كثيرة جدّاً.(١)

#### فَاِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ

لمّا أمر اللّه تعالىٰ نبّيه بخفض الجناح لمن إتَّبعه من المؤمنين، قال فأن عصوك في أوامرك و نواهيك فقل لهم، إنّي برئّ ممّا تعملون من الأعمال و الأقوال القبيحة و عبادتكم للأصنام هكذا قيل في تفسير الآية و البراءة المباعدة من النَّصرة عند الحاجة فإذا برئ من عملهم فقد تباعد من النصّرة لهم.

أقول معنى الآية لا خفاء فيه و لا يحتاج الى هذه التَّكلفات و ذلك لأنَّ اللَّـه تعالى أمر رسوله أن يخفض جناحه لمن تبعه من المؤمنين بالله و رسوله فعلَّق الحكم على المتابعة و أمّا في صورة عدم المتابعة فلا ينبغي له أن يتواضع لمن خالفه و هذا معنى قوله: فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ، لأنَّهم في صورة العصيان لا قيمة لهم عند الله و رسوله و لذلك قال تعالى:

وَ تَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحيمِ

أي أن عصوك فأعرض عنهم و توّكل في جميع أمورك على الله القادر الّذي لا يغالب و لا يعاذ، و هو الواسع النّعمة على خلقه، و في الآيـة دلالة عـلى أنّ يزء ٩ الح التَّوكل على اللَّه يكفي للعبد في الوصول الى مطلوبه في جميع الأحوال و حيث أنَّ التَّوكل من أحسن الصّفات للعبد ينبغي أن نتكلّم فيه إجمالاً.

فنقول قال في المفردات أن تعتمد على غيرك و تجعله نائباً عنك إنتهي.

هذ بحسب اللّغة و أمّا بحسب الإصطلاح عند علماء الأخلاق، هـو إعتماد القلب في جميع الأمور على الله و بعبارةٍ أخرى حوالة العبد جميع أموره على الله و قيل هو التَّبري من كلّ حولٍ و قوّةٍ و الإعتماد على حول الله و قوّته، و هو موقوفٌ على أن يعتقد الإنسان إعتقاداً جازماً بأنّه لا فاعل في الوجود إلاّ الله و لا حول و لا قوّة إلاّ به و أنّ له تمام العلم و القدرة على كفاية العباد و أنه ليس وراء منتهى قدرته و لا وراء منتهى علمه و لا وراء منتهى عنايته عناية فمن إعتقد ذلك إتكلّ قلبه لا محالة على الله وحده و لم يلتفت الى غيره و لا الى نفسه أصلاً فالتوكل لا يتمّ إلاّ بقُّوة اليقين و قوّة القلب جميعاً إذ بهما يحصل سكون القلب و طمأنينته فالسّكون في القلب شيٌ و اليقين شي آخر و إذ توقّف التّوكل على اليقين و قوّة القلب معاً و أرتفع بضعف أحدهما يظهر أنه من الفضائل المتعلّقة بقوتي العاقلة و الغبطية معاً إذا عرفت هذا فأعلم أنّه منزل من منازل السّالكين و مقام من مقامات الموحّدين بل هو أفضل درجات المؤمنين و لذا ورد في مدحه و فضله و التّرغيب فيه ما ورد من الكتاب و السّنة.

قال اللّه تعالىٰ: وَ عَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُوۤا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنيِنَ ( ' ). قال اللّه تعالىٰ: إنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُثَوَكِّلِينَ ( ٢ ).

قال الله تعالى: وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ (٣).

قال اللّه تعالىٰ: **وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَـزِيزٌ حَكـيمٌ<sup>(۴)</sup> و الآيات كثيرة.** 

و قال رسول الله وَ الله وَ الله عَلَمَ الله عَلَى الله كفاه الله كلّ مؤنة و رزقه من حيث لا يحتسب و من إنقطع الى الدّنيا و كلّه الله إليها إنتهى.

و قال الصّادق التَّلِا: من أعطى ثلاثاً لم يمنع ثلاثاً، من أعطى الدُّعاء أعطى الإجابة، ومن أعطى الشُّكر أعطى الزّيادة، ومن أعطى التَّوكل أعطى الكفاية إنتهى.

۲- آل عُمران = ۱۵۹

۱ – المائدة = ۲۳ ۳ – الطّلاق = ۳

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 🏲

و الأخبار في الباب أيضاً كثيرة فمن أراد الوقوف عليها فعليه بمراجعة الكتب الموضوعة لها، و الذي ينبغي أن يشار إليه في المقام هو أنّ التّوكل على الله لا ينافي التّمسك بالأسباب فمن ظّن أنّ التّوكل على الله بعد قطع الأسباب لا قبله فقد أخطأ و ذلك لأنّ الله تعالى هو مسّبب الأسباب و مع ذلك أبى أن يجري الأمور إلاّ بأسبابها فالمؤمن يتّوكل على الله في جميع أحواله و أطواره و يفّوض أمره إليه و مع ذلك يتّمسك بالأسباب أيضاً فالمريض مثلاً لابّك له من الرّجوع الى الطبيب و مع ذلك لا يعتمد عليه بل يعتمد على الله تعالى فأنّ الشّفاء بيده، و قد ظهر ممّا ذكرناه أنّ التّوكل من فروع المعرفة بالله و شمراتها فكلما كانت المعرفة أكثر و أشّد كان التّوكل أكثر و أشّد و بالعكس و حيث أنّ الأنبياء في أعلى درجات التّوكل أيضاً و ذلك لأنّ التّوكل على الله له ثلاث درجات:

الأولىٰ: أن يكون حال المتَّوكل في حقّ الله و الثِّقة بعنايته و كفالته كحاله في الثُّقة بالوكيل و هذه أضعف الدرجات.

الثّانية: أن تكون حاله مع اللّه كحال الطّفل مع أمّه فأنّه لا يعرف غيرها و لا يفزع إلاّ إليها و لا يعتمد إلاّ عليها.

الثّالثة: وهي أعلى الدَّرجات أن يكون بين يدي الله في حركاته و سكناته مثل المَّيت بين يدي الغاسل بأن يرى نفسه ميَّتاً، و تحَّركها القدرة الأزلّية كما يحَّرك الغاسل الميَّت وهو الذي قويت نفسه و نال الدَّرجة الثّالثة من التَّوحيد وهذا مقام الأنبياء و الأوصياء و أنت إذا تأملت في سيرة النَّبي عَلَّهُ وَ اللَّهُ العلمت أنْ مَنَّهُ وَ الله و الإعتماد عليه ولم يكن له والمَّهُ معين و لا ناضرٌ إلاّ الله تعالى فهو الله والم على ربّه في إنجاز دعوته كما أمره ربّه و من يتُوكل على الله فهو حسبه.

ٱلَّذي يَريٰكَ حينَ تَقُومُ

ضياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ حَامَّ \* بِهُ

الواو للعطف أي توكَّل على العزيز الرّحيم و الَّذي يراك، يا محمد حين تقوم للصّلوة وحدك.

#### وَ تَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّاجِدينَ

أي و حين تصلّي في جماعة، و قيل معناه تصَّرفك في المصَّلين بالرَّكوع و السُّجود و القيام و القعود، و قيل معناه أخرجك من نبّي الى نبّي حين أخرجك نبيًا، و قال قوم كم أصحابنا أنّه تعالى أراد تقَّلبه اللَّهُ وَاللَّهُ مَن آدم الى أبيه عبد اللّه في ظهور الموحَّدين لم يكن فيهم من يسجد لغير الله.

أقول هذا المعنى الأخير هو الحَّق الحقيق بالإتباع لأنَّ قوله: وَ تَقَلَّبُكَ فِي السَّاجِدِينَ معناه إنتقالك من صلب ساجدِ الى صلب ساجدِ آخر و هذا دليل على أنْ أباء النَّبي كانوا ساجدين موّحدين و يؤيّد هذا المعنى ما ورد في الزّيارة:

«اَشَهد اَنَّكَ كُنتَ نُوراً في الأَصْلابِ الشَّامِخَة وَ الأَرحْامِ المُطَهَّرَة لَم تُنَجِّسكَ الْجاهُليّة بِأَنْجاسِها وَ لَم تُلَبسِك مِن مُدلِهَمات ثيابها».

قال الرّازي و فيه وجوة:

أحدها: المراد ما كان الله المجتهدين ليطّلع على أسرارهم كما يحكى أنّه حين نسخ في تصَّفح أحوال المجتهدين ليطّلع على أسرارهم كما يحكى أنّه حين نسخ فرض قيام اللّيل طاف تلك اللّيلة بيوت أصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه على ما يوجد منهم من الطّاعات فوجدها كبيوت الزنابير لما يسمع منها من دندنتهم بذكر اللّه و المراد بالسّاجدين المصلّون.

ثانيها: المعنى حين تقوم للصّلاة بالنّاس جماعة و تقلّبه في السّاجدين من تصَّرفه فيما بينهم بقيامه و ركوعه و سجوده و قعوده إذ كان إماماً لهم.

ث**الثها**: أنّه لا يخفى عليه حالك فكلّما قمت و تقَّلبت مع السّاجدين في كفاية أمور الدّين.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 😽 💍

رابعها: المراد تقلّب بصره فيمن يصلّي خلفه من قوله وَ اللهُ عَلَيْ أَتُمُوا الرّكوع و السّجود فواللّه أنّي أراكم من خلفي ثمّ قال أنّه هو السّميع العليم ثمّ قال و إعلم أنّ الرّافضة ذهبوا إلى أنّ أباء النّبي كانوا مؤمنين و تمسكوا في ذلك بهذه الآية و بالخبر.

أمّا هذه الآية فقالوا قوله: وَ تَقَلَّبُكَ فِي ٱلسَّاجِدِينَ يحتمل الوجوه الذّي فكرتم و يحتمل أن يكون المراد أنّ اللّه تعالى نقل روحه من ساجد إلى ساجد كما نقوله نحنُ و إذا إحتمل كلّ هذه الوجوه وجب حمل الآية على الكلّ ضرورة أنّه لا منافاة و لا رجحان، و أمّا الخبر فقوله اللَّهُ الله أزل أنقل من أصلاب الطّاهرين إلى أرحام الطّاهرات وكلّ من كان كافراً فهو نجس لقوله أنّما المشركون نجس و ساق الكلام إلى أن قال و أمّا حمل قوله و تقلّبك في السّاجدين على جميع الوجوه فغير جائز لما بيّنا أنّ حمل المشترك على كلّ معانيه غير جائز و أمّا الخبر فهو خبرٌ واحد فلا يعارض القرأن إنتهى كلامه.

و نحن نقول أمّا الوجوه التّي ذكرها في معنى الآية فهي من مخترعات نفسه و لا يدلّ اللّفظ عبها أصلاً فأنّ تقلب بصره وَ اللّه وَ اللّه عليه مع أنّ المراد بالسّاجدين المصلّون و أمثال ذلك ممّا ذكره لا تدلّ الآية عليه مع أنّه ينافي حضور القلب في الصّلاة وكيف يقلّب بصره فيمن خلفه و هو وَ اللّه وَ اللّه على مراتب القرب و أمّا ما نسبه إلى الرّافضة من أنّهم قالوا أنّ الآية يحتمل ما ذكرتم إلى أخر ما قال فهو إفتراء محضٌ و لم يقل بصّحة الموهومات أحد.

و أمّا قوله أنّ حمل المشترك على كلّ معانيه غير جائز، فيقال في جوابه ليس في المقام لفظ مشترك بين المعاني، فأنّ اللّفظ واحد و المعنى أيضاً واحد و الّذي ذكره ليس من معاني اللّفظ أصلاً بل هو من مستخرجات و همه لا ربط له بمعنى الآية و أمّا قوله أنّ الخبر واحد فلا يعارض القرأن فالجواب عنه أنّ الرّازي لَم يعلم معنى التّعارض ولو علم معناه لم يتّفوه بهذا الكلام نعم الخبر معارض لما ذكره و فهمه من الآية فالآية لا تدلّ على أنّ أباء النّبي كانوا كافرين مشركين حتّى

الفرقان في نفسير القرآن \* الموقان في نفسير الموقان ال ثبت التعارض بينهما و بين الخبر و العجب من هذا الرّجل و أمثاله كيف يفسرون كلام الله بما شاؤا و أرادوا بل يتّصرفون في معنى الألفاظ من عند أنفسهم و حاصل الكلام أنّ قوله: و تَقَلَّبَكَ فِي ٱلسّاجِدينَ، لا ربط له بما ذكره الرّازي و للأية نفسير أخر على رغم أنف الرّازي و أمثاله و هو أنّها تدُّل على أم بن:

أحدهما: طهارة أباء النّبي.

ثانيهما: عصمة النّبي الله الله على أخر عمره في جميع شئونه سواء فيها الأحكام و غيرها.

أمّا المقام الأوّل: وهو طهارة أبائه فقد دلَّت عليه الآية و الخبر، أمّا الآية فلأنّ التَّقلب مأخوذ من القلب و قلب الشّئ تصريفه و صرفه عن وجه إلى وجه كقلب الثّوب و قلَّب الإنسان أي صرفه عن طريقته و سمّي القلب قلباً لكثرة تقلّبه و تقليب الشّئ تغييره من حالٍ إلى حالٍ، و التَّقلب التَّصرف قاله الرّاغب في المفردات.

إذا عرفت هذا فنقول، قوله: وَ تَقَلَّبُكَ، أَي تصَّرفك و تغَيرك من حالِ إلى حالٍ أي من صلبٍ إلى صلبٍ و الإنتقال يدلّ على الحدوث أوّلاً و عدم قراره في صلب واحدٍ ثانياً ثمّ أنّ هذا التَّقلب في الأصلاب يقتضي أن يكون الصُّلب ظاهراً عن الأرجاس و الأخباث بدليل قوله: فِي ٱلسُّاجِدين، فقد شهد الله بأنّ الأصلاب كانت للسّاجدين لله تعالى و صلب السّاجد لا يكون نجساً فأباء النّبي كانوا طاهرين و هو المطلوب.

أمّا المقام الثّاني: و هو أنّه تَالَّاتُكُاتُ معصوم فقد ظهر وجهه ممّا ذكرناه إذ لا نعنى بالطّهارة إلا العصمة.

و أمّا الخبر فهو ليس بواحدٍ كما زعمه الرّازي بل الأخبار الواردة في البـاب كثيرة متظافرة لو لم تكن متواترة إلاّ أنّ الرّازي لم يطّلع إلاّ على خبرٍ واحدٍ فنّظن أنّ الخبر منحصرٌ به و قد وردت به أخبار كثيرة من العامّة و الخاصّة و ليس كتابنا

ساء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 👣 🔊 ال

موضوعاً لنقل الأخبار الواردة في الباب و حسبك في ذلك ما ذكره الشّيخ سليمان الحنفي في كتابه ينابيع الموّدة فأناً ه ذكر هناك أخبارٌ كثيرة من طرق العامّة و هو من أعيان العامّة و فضلاتهم و لم ينكر عليه أحد فيما ذكره بل تلّقوه بالقبول و نحن نشير إلى شطر منها تيّمناً و تبركاً و إتماماً للحجّة و من أراد الوقوف على تفصيلها فعليه بمراجعة كتابه.

و عن الشّفا للقاضي عياض عن علّي النَّلِا في قوله تعالى: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُ مِنْ أَنْفُسِكُمْ (٢) قال نسباً و صهراً و حسباً ليس في أبائي من لدن أدم، سفاح كلّنا بنكاحٍ قال الكلبي كتبت للنّبي اللَّانِيُّ خمس مائة أمّ فما وجدت فيهنّ سفاحاً و لا شيئاً ممّا كان عليه أهل الجاهليّة.

و عن إبن عبّاس في قوله: وَ تَقَلَّبَكَ فِي ٱلسَّاجِدينَ قال: عن نبّي إلىٰ نبّي حتّى أخرجتك نبيّاً إنتهى.

و في مجمع الفوائد رفعه، خرجت من نكاحٍ ولم أخرج من سفاح من لدن أدم إلى أن ولدنّي أبي و أمّي (١). و قال أميرالمؤمنين عليّاً إلى:

فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِى اَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ، وَ أَقَرُهُمْ فِى خَيْرِ مُسْتَقَرً، تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الأَصْلاَبِ الِى مُطَهَّرَاتِ الأَرْحَامِ، كُلِّمَا مَضَىٰ مِنْهُمْ سَلَفُ قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ كَرَائِمُ الأَصْلاَبِ الِى مُطَهِّرَاتِ الأَرْحَامِ، كُلِّمَا مَضَىٰ مِنْهُمْ سَلَفُ قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ اللهِ خَلَفُ. حَتَّىٰ أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ الِىٰ مُحَمَّدٍ اللَّيُّكُونَكُ أَوْ فَأَخْرَجَهُ مِنْ اللهِ خَلَفُ. حَتَّىٰ اَفْضَادِنِ مَنْبِتاً، وَأَعَزُ الأَرُومَاتِ مَغْرِساً، مِنَ الشَّجَرَةِ الْتِي صَدَعَ مِنْهَا أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً، وَأَعَزَّ الأَرُومَاتِ مَغْرِساً، مِنَ الشَّجَرَةِ الْتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ، عِتْرَتُهُ خَيْرُ الْعِتَرِ، وَأَسْرَتُهُ خَيْرُ الأَسْرِ، وَشَجَرَتُهُ أَنْبِيَاءَهُ، وَانْتَجَبَ مِنْهَا أُمْنَاءَهُ، عِتْرَتُهُ خَيْرُ الْعِتَرِ، وَأَسْرَتُهُ خَيْرُ الْأَسْرِ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتَتْ فِي حَرَمِ، وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ، إلىٰ أخر كلامه (٢٠).

و مع ذلك يقول الرّازي هو خبرٌ واحد و ليس هذا أوّل قارورةٍ كسرت في الإسلام و لولا مخافة الإطناب و خروج البحث عن موضوع الكتاب لأشبعنا الكلام فيه و الحمد للّه على كلّ حالٍ.

## إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّميعُ ٱلْعَليمُ

أي أنَّ اللَّه تعالى يسمع و يعلم ما يقولون و لا يخفي عليه شئ و هو ظاهر.

هَلْ أُنَتِئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ ٱلشَّيَاطِينُ، تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَشيمٍ، يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَ أَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ

لمّا أخبر اللّه تعالى أنّ القرأن ليس ممّا تنّزل به الشّياطين فيما مضى من الأيات (٢١٠) نبّه في هذه الآية على من تنّزل الشّياطين عليه بقوله: هَلْ أُنبِيُّكُمْ أي هل أخبركم على مَنْ تَنَزّلُ ٱلشَّياطينُ، تنّزل على كُلِّ أَفّاكٍ أَثبِم، أي كذّابٍ عاصٍ يُلْقُونَ ٱلسَّمْع، أي يلقون ما يسمعون بإستراق السَّمع إلى كلّ

ضياء الفرقان في تفسير القرآز مجلد الثاني

أفاكٍ أثيم و المقصود أنّ القرأن وحيّ من الله و ليس ممّا نزلت به الشّياطين فأنّ ما نزلت به الشِّياطين كذب و إفتراء و القرأن حقّ و صدق و أعلم أنّ الإستفهام في قوله: هَلْ أَنَيِّئُكُمْ للتّوقيف و التّقرير لأنّ الإستفهام إذا علق عنه العامل لا يبقى ۗ على حقيقته أعنى الإستعلام بل يرجع معناه إلى الخبر ألا ترى أنك إذا قلت، علمت أزيدٌ في الدّار أم عمروٌ كان المعنى علمت أحدهما في الدّار فليس المعنى أنّـه صدر عنه العلم ثمّ إستعلم المخاطب عن يقين من في الدّار من زيدٍ و عمروٍ و على هذا فالمعنى هل أعلمكم من تنَّزل الشّياطين لا أنّه أستعلم المحاطب عن الشُّخص الَّذي تنزل الشّياطين عليه و لمّا كان المعنى هـذا جـاء الأخـبار بـعده بقوله: تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثيمٍ و هو كثير الإفك و الكذب كما أنَّ الأثيم كثير الإثم فهما صيغتا مبالغة و المرادِّ بهما الكهنة و الضّمير في، يلقون، إلى الشّياطين أي ينصتون و يصغون بأسماعهم ليسترّقوا شيئاً ممّا يتكلّم به الملائكة حتّى ينزلوا بها إلى الكهنة أو يلقون السَّمع أي المسموع إلى من يتَّنزلون عليه.

#### وَ ٱلشُّعَرٰآءُ يَتَّبعُهُمُ ٱلْغَاوُونَ

قيل المراد بالشُّعراء في الآية أميّة و أبي الصّلت و أبي عزّة و مسانع و جبيرة بن أبي وهب و أبي سفيان بن الحرث و إبن الزّبعري و أمثالهم و الحقّ أنّ الآية عامّ و لا دليل على التَّخصيص و المعنى أنّ الشُّعراء لا يتَّبعهم على كذبهم و باطلهم و فضول كلامهم و ما هم عليه من الهجاء و تمزيق الأعراض و مدح من عزء ١٩ كل يستّحق المدح إلاّ الغاون من السّفهاء فهذا هو المعيار في عدم متابعتهم و أمّا من كان من الشُّعراء بخلافه فهو ممدوح و لا إشكال في متابعته عقلاً و شرعاً بل نقول كلّ شارع أن كان شعره باطلاً فلا يتَّبع و أن قال حقّاً فيتَّبع.

و حاصل الَّكلام هو أنَّ الحقّ يتَّبع و الباطل لا يتّبع فأنَّ كلِّ شاعرٍ قد يقول حقًّا و قد يقول باطلاً قال الرّاغب في المفردات سمّى الشّاعر شـاعراً لفطنته و دقـة معرفته فالشُّعر في الأصل إسمَّ للعلم الدَّقيق في قولهم ليت شعري، ثمَّ صار في

التّعارف إسماً للموزون و المقّفى من الكلام، و الشّاعر للمختّص بصناعته و قوله تعالى حكايةً عن الكفّار، بل إفتراء بل هو شاعر، و قوله شارعٌ مجنون، شاعرٌ نتَّربص به، حمله المفسّرون على أنّهم رموه أي النّبي بكونه أتيا بشع منظوم مقّفى حتّى تأولوا ما جاء في القرأن من كلّ لفظ يشبّه الموزون من نحو، و جفان، كالجواب و قدور راسيات و قوله: تَبَّتْ يَدْآ أَبِي لَهَبٍ، إنتهى كلام الرّاغب.

و أمّا **الْغَاوُونَ**، فقال إبن عبّاس المراد بهم الرُّواة لأشعارهم و قال أيضاً هم المستحسنون لأشعارهم المصاحبون لهم و قال عكرمة هم الرُّعاء اللّذين يتَّبعون الشّاعر، و قال مجاهد و قتادة الشّياطين، و قال عطيّة هم السُّفهاء من المشركين و غيرهم و لمّاكان في المقام فطنة سؤال و هو أنّه كيف ذمَّ متابعتهم وعدَّ من إتَّبعهم من الغاوين فأجاب الله تعالى عنه بقوله:

# أَ لَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فَي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ

و المعنى ألم تر أنهم، أي الشُّعراء في كلّ واد يهيمون، هذا تمثيلٌ لذهابهم كلّ شعب من القول و إعتسافهم و قلّة مبالاتهم بالغلّو في المنطق و مجاوزة الحدّ و قال إبن عبّاس هو تقبيحهم الحسن و تحسينهم القبيح و أنّهم يقولون ما لا يفعلون، و ذلك لغلّوهم في أفانين الكلام و تكلّمهم بالفصاحة و المعاني اللّطيفة و قد يسنبون لأنفسهم ما لا يقع منهم أصلاً.

قال الوطواط و هو يمدح الأمير:

ما نوال الغمام فصل ربيع كنوال الأمير يوم سخاء فنوال الأمير يوم سخاء فنوال الأمير يوم سخاء فنوال الأمير الأمير بدرة عين و نوال الغمام قطرة ماء أنظر إلى مبالغته في المدح و قال الشّاعر و هو يمدح الرّشيد العبّاسي و يهنّئه بالخلافة:

ألم تر أنّ الشّمس كانت مريضةُ تــلبست الدّنـيا جــمالاً بـملكه

فلمّا أتى هارون أشرق نورها فهارون و اليها و يحيى وزيرها و أنـــدى العــالمين بــطون راح

و قال الأخر في مدح عبد الملك:

ألستم خير من ركب المطايا و قال الأخر في مدح الخمر:

إذا مت فأدفنّني إلى جنب كرمةٍ

ترّوي عظامي بعد موتي عـروقها و لا تــدفنني فــي الفــلاة فأنّـني أخاف إذا مـا مت أن لا أذوقها

و أمثال ذلك من الأباطيل كثيرة وليس هذا إلاّ أنّهم في كلّ وادّ يهيمون و يقولون ما

لا يفعلون، بل يقولون ما لا يعلمون فمتابعتهم في أقاويلهم و أشعارهم توجب خسران الدُّنيا و الأخرة و هو ظاهر و على ما ذكرناه فالحكم بغواية متابعيهم في الآية الشّريفة إمّا المراد بهم شعراء الجاهليّة أمثال أميّة إبن أبي الصّلت و هبيرة إبن أبي

وهب و أبي سفيان بن الحرث و إبن الزّبعري كما هو قول كثيرٍ من المفسّرين.

و إمّا المراد أكثرهم و أغلبهم و الحكم ناظرٌ بإعتبار الأغلب و هو الأقوى في النَّظر إذ ليس كلِّ شعرِ مذموم و لا كلِّ شاعرِ مطرود كما هو كذلك في كلِّ صنفٌ من الأصناف و كلّ قولٍ من الأقوال و أنّما قلنا ذلك لأنّ من الأشعار التّي قيل أو يقال حقيقٌ بأن يكتب بالذُّهب و ليس هذا إلاّ أنّ قائله ممدوح إعتقاداً و إيماناً ألا ترى أنّ لبيد الشّاعر قال في محضر النّبي ظُلْهُ وَاللَّهِ عَلَهُ عَالَمُ وَاللَّهِ عَلَمُ اللَّهِ عَلَمُ اللَّهِ

ألاكلُّ شئ ما خـلا اللَّـه بـاطلُ ﴿ وكـــلَّ نــعيم لا مــحالة زائــلُ فقال رسولً الله هذا أصدق شعرٌ قالته العرب و من هذا القبيل قول الشّاعر:

تفكّر في نبات الأرض و أنظر إلى أثـار مـا صنع المليك ففي رأس الزّبــرجــد شــاهـداتُ بأنّاللّـــــــــه ليس له شـــــريكُ و قول الأخر:

> لعهمرك ما الأيام إلا معارةً و قال الأخر:

> > وما ثمَّ إلا الله في كلَّ حالةٍ وكم حالة تأتي و يكرهها الفـتى

فما إستطعت من معروفها فتزود

فلا تَتَّكل يوماً علىٰ غير لطفه و خيرته فيها على رغم أنفه

لقرآن



فما خاب حقًا من عليه توَّكلا

فقد أيسـرت فـى الزّمـن الطّـويل

فأنّ اللّــــه أولى بـــالجميل

و قول الله أصدة كل قيل

لكان المال عند ذوي العقول

و قال الأخر:

توَّكل على الرَّحمن في الأمركله و لبعضهم:

ولا تــــجزع إذا عســرت يـــوماً ولا تـــظنن بـربّك ظـنّ سـوء و أنّ العســـر بـــتبعه بســــارُ فلوأنّ العقول تسوق رزقاً

و الأشعار من هذا القبيل كثيرة بـالعربيّة و الفـارسيّة و غـيرهما مـن اللّـغات فليس لكَ شعرِ مذمومٌ و هذا ظاهرٌ و لا سيّما الأشعار التّي في التّوحيد و النّبوة و كتب الأخلاق و الفضائل النّفسانية و بيان فضائل المعصومين عليهم السّلام كـقصيدة الفرزدق في مدح زين العابدين عليَّا في وهي من أحسن القصائد في الباب مطلعها:

هذا ألذى تعرف البطحاء وطأته و البيت يعرفه و الحّل و الحرم الى أنّ قال:

هذا إبن خير عباد الله كلهم هذا التَّقي النَّقي الطَّاهر العلم ما قال لا قطُّ إلاّ في تشَّهده لو لا التشهد كانت لاقه نعم الى آخر القصيدة، و هكذا غيرها من القصائد و الأشعار الّتي ينبغي أن تكتب بماء الذِّهب على الأحداق لا بالحبر على الأوراق و لو مخافة الأطناب و الخروج

عن موضوع الكتاب نقلنا منها ما قرَّت به العيون و أطمأنّت به القلوب و لعَّله الى هذا أشار الله تعالى بعد هذه الآية بقوله:

إِلَّا ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا وَ عَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَ ذَكَرُوا ٱللَّهَ كَثيرًا وَ ٱنْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَ سَيَعْلَمُ ٱلَّذيِنَ ظَلَمُوٓا أَيَّ مُنْقَلَب يَنْقَلِبُونَ

إستثنىٰ من جملة الشُّعراء الَّذين آمنوا منهم و عملوا الصَّالحات و ذكروا اللَّه كثيراً في أشعارهم و أجتنبوا معاصيه و أنتصروا لنفوسهم في الدّين من الّـذين



ظلموهم، قيل ـ أراد الشّعراء الّذين ردّوا على المشركين هجائهم للمؤمنين فأنتصروا بذلك للنبي و المؤمنين ثمّ هدُّوا اللّه الظّالمين فقال: و سَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَى مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ، أي أيّ منصرف ينصرفون إليه لأنّ منصرفهم الى النّار و قيل أراد الّذين ظلموا نفوسهم بقول الشّعر الباطل من هجو النبي و المؤمنين و من يكذب في شعره، قيل لمّا نزلت و الشّعراء يُتبَعِهُمُ الله وأون جاء حسّان بن ثابت وكعب إبن مالك و إبن رواحة يبكون الى النّبي سَلَّهُ وَفَلُوا يا نبي الله أنزل الله تعالى هذه الآية و هو تعالى يعلم إنّا شعراء فقال الرَّسول سَلَّهُ وَلَوا ما بعدها إلَّا الَّذينَ المَنُوا و عَمِلُوا السَّالِحاتِ أنتم، و أنتصروا من بعد ما ظلموا، أنتم، أي بالرَّد على المشركين قال النّبي سَلَّهُ انتصروا و لا تقولوا إلاّ حقّاً و لا تذكروا الآباء و الأمّهات فقال حسّان لأبي سفيان:

و عـند اللّـه فـي ذاك الجـزاء لعـرض مـحّمدٍ مـنكم وفـاءُ فشـركما لغـيركما الفـداء و يـجرى لاتكّـدره الدّلاء

فقال كعب، يا رسول الله، أنّ الله أنزل في الشّعر ما قد علمت فكيف ترى فيه فقال النّبي أنّ المؤمن يجاهد بنفسه و سيفه و لسانه و الّذي نفسي بيده لكان ما ترونهم به نقع النّبل و محّصل الكلام أنّ الملاك في جميع الأفعال و الأقوال هو الإيمان لا غيره فكّل فعلٍ أو قولٍ صدر من فاعله على أساس الإيمان فهو ممدوح و ألاّ فهو مذموم سواء فيه الشّعر و هذا هو الملاك و الله أعلم.

سياء الفرقان في تفسير القرآن

/ | ما | العجلد الثاني عثا ما : بُهُ

#### الله يُ سُورَةُ ٱلنَّمْلِ ﷺ

# بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحيمِ

طْسَ، تِلْكَ أَيْاتُ ٱلْقُرْأَنِ وَكِيتَابٍ مُسِينِ (١) هُدًى وَ بُشْرى لِلْمُؤْمِنينَ (٣) أَلَّذَينَ يُقيمُونَ ٱلصَّلْوةَ وَ يُؤْتُونَ ٱلزَّكُوةَ وَ هُمْ بِالْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٣) إِنَّ ٱلَّذينَ لَا يُـؤْمِنُونَ بِالْأَخِرَةِ زَيَّتًا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (۴) أُولٰـئِّكَ ٱلَّذينَ لَهُمْ سُوَّءُ ٱلْعَذاٰبِ وَ هُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ (۵) وَ إِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْاٰنَ مِنْ لَدُنْ حَكيم عَليم (۶) إِذْ قَالَ مُـوسٰى لِأَهْـلِمَ إِنَّــىٓ انَسْتُ نارًا سَاتيكُمْ مِنْها بِخَبَرِ أَوْ السيكُمْ بشِهاب قَبَس لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٧) فَلَمَّا جُآءَهٰا ّنُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي ٱلنَّارِ وَ مَـنْ حَوْلَهَا وَ سُبْحَانَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْسَعَالَمينَ (٨) يُسا مُوسٰي إِنَّهُ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٩) وَ أَلْق عَصَاكَ فَلَمًّا رَأَهًا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَىٰ مُدْبِرًا وَ لَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ (١٠) إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُـمَّ بَـدَّلَ

ضياء الفرقان في تفسير القرآن مياء الفرقان في تفسير القرآن مياء الفرقان في تفسير القرآن م حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَ إِنِّى غَ فُورٌ رَحيمٌ (١١) وَ أَدْخِلْ يَدَكَ فَي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ شُوّءٍ فَي تِسْعِ أَيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهٖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقينَ (١٢) فَلَمَّا جَآءَتُهُمْ أَيَاتُنَا كَانُوا قَوْمًا فَاسِقينَ (١٢) فَلَمَّا جَآءَتُهُمْ أَيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٣) وَ جَحَدُوا بِهَا وَ آسْتَيْقَنَتُهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَ عُلُوًّا فَانْظُرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةً آلْمُفْسِدينَ (١٢)

#### ▶ اللّغة

طنس: قد بينا معنى الحروف المقطّعة في أوائل السُّور فيما تقدّم و قلنا أنّها رموزٌ و إشارات لا يعلم معناها إلاّ الله و المشهور أنّها أسماء للسُّور و قال قومٌ، طس، إسم للقرأن.

يَعْمَهُونَ: يقال، عمه إذا تحيَّر.

لَتُلقَّى: هو من الإلقاء و أهو الإعطاء و المعنى أنّك لتعطى لأنّ الملك يلقيه إليه من قبل اللّه تعالى.

أنَسْتُ: الإيناس الإحساس بالشّي من جهة ما يونس.

شِهَابٍ: نور كالعمود و جمعه شهب و قيل للكوكب الذي يمتَّد و ينقص الدي يمتَّد و ينقص

قَبَسٍ: بفتح القاف و الباء القطعة من النّار و منه قيل إقتبس النّار إقتباساً أي أخذ منها شعلة.

تَصْطَلُونَ: الإصطلاء التَّدفي بالنَّار و أصله اللَّزوم.

جَآنٌ: يتشديد النُّون الحيّة الصّغيرة مشتّق من الإجتنان و هو الإستتار. جَحَدُوا: الجحد الإنكار و الباقي واضح. ضياء الفرقان في تفسير القرآن



# ضياء الفرقان فى تفسير القرآن

#### ◄ الإعراب

كِتَابِ بالجر عطف على المجرور و بالرَّفع عطفاً على الأيات فأن قيل ما وجه الرِّفع على، أيات.

قلت فيه وجوه:

أحدها: أنَّ الكتاب مجموع أيات، فكأنَّ التّأنيث على المعنى.

الثَّاني: أنَّ التَّقدير، و أيات كتاب، فأقيم المضاف إليه مقام المضاف.

الثّالث: أنّه حسن لما صحّت الإشارة إلى أيات.

هُدًى وَ بُشْرَى هما في موضع الحال من، أيات و من كتاب، إذا رفعت و يجوز أن يكون حالاً من الضّمير في، مبين، و يجوز أن يكون في موضع رفع خبر بعد خبر أو على حذف مبتدأ بِشِهٰ إِ قَبَى الإضافة من باب، ثوب خزّ، لأنّ الشّهاب من القبس تَصْطَلُونَ الطّاء بدل من تاء، أفتعل من أجل الصّاد نُودِيَ في ضمير الفاعل وحه ه:

أحدها: هو ضمير موسى التَّالِا فعلى هذا في، أن، ثلاثة أوجه، هي بمعنى أي، لأنّ في النّداء معنى القول أو هي مصدريّة و الفعل صلة لها.

الثّاني: هي مخفّفة من الثّقيلة.

الوجه الثّاني: في الضّمير أنّه لا ضمير في نودي و المرفوع بـه أن بـورك و التّقدير نودي بأن بورك.

التّالث: المصدر مضمر أي نودى النّداء.

إِنَّةُ أَنَا آللَهُ الهاء ضمير الشّأن و، أنا اللّه مبتدأ و خبر تَهْتُرُّ حال من الهاء في رأها كأَنَّهٰ اجْآنُّ حال من الضّمير في تهتَّر إلا مَنْ ظَلَمَ هو إستثناء منقطع في موضع نصب و يجوز أن يكون في موضع رفع بدلاً من الفاعل يَيْضَاءَ حال مِنْ غَيْر سُوّم حال أخرى و في تِسْع حال ثالثة و التّقدير أية في تسع أيات مُبْصِرَةً حال و ظُلْمًا حال من الضّمير في، جحدوا و يجوز أن يكون مفعولاً من أجله كَيْفَبر كان و عٰ إِقِبَةُ إسمها.

# ضياء الفرقان في تفسير لقرآن

#### ▶ التّفسير

## تِلْكَ أَيْاتُ ٱلْقُرْانِ وَكِتَابٍ مُبينِ

قيل أنَّ، تلك، إشارة إلى ما وعدوا بمُجيئه من القرأن و قيل أنَّ، تلك، بمعنىٰ هذا و أيات القرأن هي القرأن و قيل تلك، بمعنى هذه أي، هذه السُّورة أيات القرأن و أيات كتاب مبين و الكتاب هو القرأن فجمع له بين الصّفتين بأنّه قرأن و أنّه كتاب هحذا قيل و الحقّ أنّ الفرق بين القرأن و الكتاب أنّما هو بالإعتبار و توضيحه أنّ القرأن إسمّ لكتاب اللَّه خاصَّة لا يسمَّى به غيره و أنَّما سمَّى قرأناً لأنَّه يجمع السُّور و يضَّمها و قيل لأنَّـه جمع القصص و الأمر و النّهي و الوعد و الوعيد و الأيات و السُّور بعضها إلى بعضٍ و هو مصدر كالغفران و الكفران و في الحديث القرأن جملة الكتاب و الفرقان المحكم الواجب العمل به إذا عرفت هذا فنقول، مابين الدُّفتين، يقال له، قرأن، بإعتبار جمعه للسُّور و الأيات، و كتابٌ بإعتبار ضمّ الحروف بعضها إلى بعضِ بالخطُّ فـالأصل فـي الكتابة النَّظم بالخطُّ فأنَّ الكتب في الأصل ضمَّ أديم إلى أديم بالخياطة و أنَّما وصف الكتاب بقوله: مُبين، لأنّ الإبانة الظّهور و من المعلوم أنّ ظهور المعانى بسبب الكتابة فالمعنى أنَّه كتاب مظَّهرٌ لما فيه من المعاني و يظهر هذا بالقراءة ثمَّ وصف القرأن بقوله:

#### هُدًى وَ بُشْرٰى لِلْمُؤْمِنينَ

أي أنّ أيات الكتاب هادية و مبّشرة لمن أمن باللّه و رسوله فقوله: هُــدّى إشارة إلى أنّه يهدي إلى الحقّ و قوله، بشرى، إشارة إلى أنّه يبشّر المؤمنين إلى الثُّواب الجزيل و دخول الجنَّة و أنَّما خصَّت البشارة و الهدايـة بـالمؤمنين لأنَّ تأثير العلَّة في المعلول مشروطٌ بوجود المقتضى في المعلول و عدم المانع و المقتضى موجود في المؤمن لإيمانه و أمّا غيره فلالعدم إيمانه و إعتقاده.

و أمّا المانع فهو أيضاً مفقودٌ بالنّسبة إلى المؤمن و موجود بالنّسبة إلى غيره و المانع هو الكفر و عدم الإعتقاد ثمّ أنّه تعالى أشار إلى أوصاف المؤمنين الّـذين يكون القرأن عادياً و مبشراً لهم فقال:

مجلد الثاني

آلّذبن يُقيمُونَ آلصّلُوةَ وَ يُؤْتُونَ آلزّكُوةَ وَ هُمْ بِالْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ الأَوصاف المذكورة في الآية ثلاثة، إقامة الصّلاة، إيتاء الزّكوة، اليقين بالأخرة وقد مضى الكلام في هذه الأوصاف في أوّل البقرة لما لا مزيد عليه و قلنا هناك أنّ إقامة الصّلاة عبارة عن الإتيان بها بجميع شرائطها و ليس المراد مجرد فعلها كيف إتّفق و المراد باليقين بالنّسبة إلى الأخرة هو اليقين بالبعث و النشور و الحساب و الكتاب و الثّواب و العقاب و غير ذلك ممّا هو مربوط بها و ليس المراد اليقين بالموت فقط لأنّ كلّ إنسانٍ يعلم بأنّه يموت وليس هذا من أوصاف المؤمن فقط فأنّ اليقين بالموت شيّ و اليقين بتبعاته شيئ أخر لأنّ الأوّل لا يتوف على الإيمان بخلاف الثّاني و هو ظاهر.

# إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْأَخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ

أنّما خصّ الأخرة بالذّكر دون الصّلاة و الزّكاة لأنّ من لا يـؤمن بـالأخرة لا يصلّي و لا يزّكي و لا يصوم و لا غيرها من الأحكام فالإيمان بالأخرة و الإعتقاد بها هو الأصل في العمل بالأحكام في دار الدّنيا.

و أمّا قوله: زَيَّنُا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ، فقيل معناه زيَّنا أعمالهم السّيئة في أعينهم حتّى رأوها حسنة، و قيل زيَّنا لهم أعمالهم الحسنة فلم يعملوها، و قيل جعلنا جزاءهم على كفرهم أن زيَّنا لهم ما هم فيه، فَهُمْ يَعْمَهُونَ، أي يتَّرددون و يتَّحيرون في أعمالهم الخبيثة و في صلاتهم قاله إبن عبّاس، و قيل يعمهون، أي يتمادون، و قيل يلعبون:

قال الله تعالىٰ: كَذٰلِكَ زَيَّنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلْى رَبِّ هِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١).

و قال في موضع أخر: زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلْحَيْوةُ ٱلدُّنْيا وَ يَسْخَرُونَ

ضياء الفرقان في تفسير القر

ا<u>نج</u> (۹- نه) آه

مِنَ ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا وَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيْمَةِ وَ ٱللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشْآءُ بِغَيْرِ حِسَابِ (١).

قَالَ اللّه تَعَالَىٰ: زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ اَلشَّهُواْتِ مِنَ اَلنِّسْآءِ وَ اَلْبَنينَ (٢). قَالَ اللّه تعالَىٰ: كَذْلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣).

قال الله تعالىٰ: أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَـهُ سُــــَّةُ عُمَلِهِ (٢٠) و غيرها من الأيات.

و المقصود أنّ الكافر يغتّر بعمله و لا يتّوجه إلى قبحه لأنّه يرى عمله حسناً بخلاف المؤمن فأنّه لا يغتّر به لعدم علمه بقبول عمله عند اللّه و بعبارة الكافر يرى صورة العمل و المؤمن يرى قبول العمل و كيف كان فقد أوعد الله الكافر بالعذاب فقال:

# أُولٰتِكَ ٱلَّذَبِنَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَاٰبِ وَ هُمْ فِي ٱلْاٰخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ

يعني أولئك الّذين زيّنا أعمالهم في الحياة الدُّنيا لهم سوء العذاب يوم القيامة فلا جرم هم الأحسرون في الأخرة من غيرهم.

إن قلت كيف أسند الله تزيّن أعمالهم في الآية إلى ذاته، أو أسند إلى الشّيطان في قوله:

زَيَّنَلَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ (۵).

قال الله تعالىٰ: وَ إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَ قَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ<sup>(6)</sup>.

قال الله تعالى: قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٧) و غيرها من الأيات.

۲- أل عمران = ۱۴

۴ - محمّد = ۱۴

۴۸ = الأنفال = ۴۸

١- البَقَرة =٢١٣

٣- الأنعام = ١٢٢

٥- النَّمل = ٢٢

٧- الأنعام = ٤٣

قُلت بين الإسنادين فرقٌ و ذلك أنّ إسناده إلى الشّيطان حقيقة و إسناده إلى الله تعالى مجاز و له طريقان في علم البيان:

أحدهما: أن يكون من المجاز الذِّي يسمّى الإستعارة.

الثانى: أن يكون من المجاز المحكي فالطّريق الأوّل أنّه لمّا متَّعهم اللّه بطول العمر و سعة الرّزق و جعلوا أنعام اللّه عليهم بذلك و إحسانه إليهم ذريعة و وسيلة إلى إتّباع شهواتهم و بطرهم و إيثارهم التَّرفه و نفارهم عمّا يلزمهم فيه التّكاليف الصَّعبة و المشّاق المتعبة فكأنّه زيَّن لهم بذلك أعمالهم و إليه إشارة الملائكة بقولهم: وَ لٰكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَ أَبْآءَهُمْ حَتّىٰ نَسُوا ٱلذِّكْرَ وَ كَانُوا قَوْمًا بُورًا (١).

و الطّريق الثّانى: أنّ إمهاله الشّيطان و تخليته حتّى يزّين لهم ملابسته ظاهرة للتّزين فأسند إليه لأنّه المختار المحكي ببعض الملابسات هكذا قرَّره صاحب الكشّاف و هو من المعتزلة.

و أمّا الأشاعرة فأنّهم حملوا الآية على ظاهرها و أسندوا التّزيين إلى اللّه حقيقة و به قال الرّازي و هو من الأشاعرة قال في تفسيره فأمّا أصحابنا فقد أجروا الآية على ظاهرها و ذلك لأنّ الإنسان لا يفعل البتّة إلاّ إذا دعى الدّاعي إلى الفعل و المعقول من الدّاعي هو العلم و الإعتقاد و الظنّ بكون الفعل مشتملاً على منفعة و هذا الدّاعي لابد و أن يكون من فعل اللّه ثمّ أطال الكلام في تقرير مسلكه إلى أن قال فثبت أنّ اللّه هو الّذي زيَّن لكلّ عاملٍ عمله و المراد من التّزيين هو أنّه يخلق في قلبه بما فيه من المنافع و اللّذات ولا يخلق في قلبه العلم بما فيه من المضار و الأفات فقد ثبت بهذه الدّلائل القاطعة العقليّة وجوب إجراء هذه الآية على ظاهرها إنتهى.

أقول مذهب الأشاعرة في أفعال العباد هو أنّ الفعل مسبوق بالدّاعي و الدّاعي ممّا خلقه الله في قلب العبد فكلّ ما يفعله العبد من خيرٍ و شّرٍ أنّما هو لأجل الدّاعي إليه و حيث أنّ الدّاعي من أفعال اللّه فالفعل يسند إليه حقيقةً.

سياء الغرقان في تفسير القرآن 🔷 🔫 🏅

و أنت ترى أنّ هذا المرام بالسَّفسطة أشبه إذ لو كان الدَّاعي إلى الفعل من فعل الله فالعبد مجبورٌ في فعله فكيف يعاقب عليه و بعبارة أخرى العقل يحكم بأنّ الوزر و الوبال على من إضطَّر العبد على فعله و هو الله و العقل لا يقول به لأنّه من أفحش الظُّلم و أقبحه و للبحث فيه مقام أخر فما قاله صاحب الكشّاف أقرب إلى العقل و النَّقل فأنّ ربّك ليس بظّلام للعبيد.

وَ إِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْاٰنَ مِنْ لَدُنْ حَكيم عَليم

و المعنى أنّ الملك يلّقي القرأن إليك من قبل الله تعالى و هذا ظاهر و فيه إشارة إلى أنّ الملك واسطة بين المرسل و المرسل:

قال الله تعالىٰ: قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ لِهُ اللهِ تعالىٰ: قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ لَهُ (١).

قال اللّه تعالىٰ: قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ (٢).

و حيث أنّ الملك واسطة في إنزال القرأن و هو لا يقول إلاّ من اللّه تعالىٰ فصّح إسناد الإنزال إلى الملك و إلى اللّه إلاّ أنّ الأوّل مجاز و الثّاني حقيقة و إلى هذا المعنى أشار بقوله: مِنْ لَدُنْ حَكيمٍ عَليمٍ.

إِذْ قَالَ مُوسٰى لِأَهْلِهَ إِنِّي أَنَسْتُ نَارًا سَاٰتيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ اٰتيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ

قد مرً الكلام في موسى سابقاً غير مرّةٍ و قلنا أنّ أباه عمران فهو موسى بن عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوي بن عقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السّلام و كان بينه و بين إبراهيم خمس مائة سنة و أربعين سنة و قد مرّت قصّته مع فرعون من حين ولادته إلى خروجه من مصر و دخوله مدين و تزوجه صفوراء (صفراء) بنت شعيب و المراد بأهله في الآية هو زوجته صفوراء.

فنقول لمّا قضى موسى الأجل و أكمل خدمته لشعيب و قد صار له غنماً كثيراً إشتاق إلى أمّه و أخواله فخرج موسى من مدين، و سار بأهله و كانت زوجته حبلى فجعل يسير في البراري فقاده السّير إلى جانب الطُّور الأيمن في عشية ممطرة فبينما هو حائر في أمره إذ أخذ إمرأته الطلق فإزداد إضطراباً و فجاة ظهر له نور فحسبه ناراً فقال لأهله أمكثي إنّي أنست ناراً أي أحسست بها فأنّ الإيناس الإحساس، لعلي أتيك منها، أي من النّار بخبر أي بمن يدُّلنا على الطريق و يهدينا إليه أو أتيكم بشهاب قبل لأنّهم كانوا قد أصابهم البرد و كان فصل الشّتاء فلذلك طلب ناراً، و الشّهاب نور كالعمود من النّار و جمعه شهب و قيل للكوكب الذي يمتد و ينقص شهاب و القبس القطعة من النّار و قوله لعلّكم تصطلون أي لكي تصطلوا و تدفئوا و الإصطلاء التَّدفي بالنّار و الحق ما رأه موسى و تخيل أنّه نار لم يكن بنار بل كان نوراً لا يعلم حقيقتها و الدّليل عليه:

قال اللّه تعالى: فَلَمَّا أَتَيْهَا نُودِىَ يَا مُوسَى، إِنِّى أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعُ (١). قال اللّه تعالى: فَلَمَّا أَتَيْهَا نُودِىَ مِنْ شَاطِئَ ٱلْوادِى ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلمُبْارَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّى أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمينَ (٢). و أمّا حقيقة النُّور فاللّه أعلم بها و إلى ما ذكرناه أشار اللّه تعالى بقوله:

فَلَمُّا جُآءَهَا نُودِىَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِى ٱلنَّارِ وَ مَنْ حَوْلَهَا وَ شُبْخانَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعٰالَمينَ

أي فلمّا جاء موسى النّار نودي موسى أن بورك من في النّار و من حولها، أي بورك نور الله الّذي في النّار و حسن ذلك لأنّه ظهر لموسى بأياته و كلامه في النّار، و قيل المراد بالملائكة الّذين وكلَّهم الله بها على ما يقتضيه، و من حولها و لا خلاف أنّ الّذين حولها هم الملائكة الّذين وكلوات بها قيل و قوله: أنْ بُورِك

يحتمل أن يكون نصباً على نودي موسى بأن بورك و يحتمل الرّفع علىٰ نودي بالبركة و هي ثبوت الخير النّامي باشّي.

قال الفّراء العرب تقول بارك اللّه و بورك فيك، و قوله و أنا اللّه العزيز الحكيم معناه أنّ اللّه قال لموسى أنّ الّذي يكَّلمك هو الله العزيز القادر الّذي لا يغالب الحكيم في أفعاله المنّزه من القبائح و الهاء في أنَّه، عمليٰ قول الفّراء عماد و يسمّيها البصرّيون إضمار الشّأن و القصّة.

#### وَ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمًّا رَاهًا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَىٰ مُدْبِرًا وَ لَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسٰى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ

روي أنّه لمّا همَّ موسى بالرّجوع من مدين إلى مصر ليخرج منها أخاه هارون فزَّوده شعيب التِّيلاِ عصا من بين عدّة عصّى كانت عنده فلمّا أمره اللّه تعالى بإلقائها و ألقاها من يده صارت حيَّة تهتَّز كأنَّها جانٌ و الإهتزاز سرعة الحركة أي كأنَّها تتَّحرك بسرعة كأنّها جانً، و هي الحيَّة الصَّغيرة مشتّق من الإجتنان و هو الإستتار و قيل هي حيَّة بين الصَّغيرة و الكبيرة و قال الكلبي لا صغيرة و لا كبيرة و قيل أنَّها قلبت له أوّلاً حيَّة صغيرة فلمّا أنس منها قلبت حيَّة كبيرة و قيل إنـقلبت مـرَّةً صغيرة و مرَّةً حيّة تسعى و هي الأنثى و مرّةً ثعباناً و هو الذّكر الكبير من الحيّات. قال وهب بن منبّه ظنّ موسى أنّ اللّه أمره أن يرفضها، و قيل أنّما قال له ذلك ليعلم موسى أنّ المتكلّم له هو الله و أنّ موسى رسوله وكلّ نبّي لابدّ له من أيةٍ في نز ۱۹ کا نفسه يعلم بها نبّوته و قوله تعالى: وَلَّىٰ مُدْبِرًا، أي تَوَّلَى موسَّى خائفاً علىٰ عادة البشر، ولم يعقب أي لم يرجع و قيل لم يلتفت و قوله: يا مُوسٰى لا تَخَفُّ نداءٌ من اللَّه تعالى لموسى و تسكينٌ منه و نهيٌّ له عن الخوف (لا تخف) من الحيّة و ضررها فأنّك مرسلٌ و لا يخاف لدّي المرسلون، لأنّهم لا يفعلون قبيحاً و لا يخلُّون بواجب بل هم منّزهون من جميع ذلك و هاهنا تمّ الكلام ثمّ إستثنى استثناءً منقطعاً فقال:

نقر

## إلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَانِّى غَفُورٌ رَحيمٌ

قيل أنَّه إستثناءً من محذوف و التَّقدير أنَّى لا يخاف لدَّي المرسلون و أنَّـما يخاف غيرهم ممّن ظلم ثمّ بدُّل حسناً بعد سوء فأنّه لا يخاف قاله الفّراء و أنكره النُّحاسي و قال أنَّ الإستثناء من محذوف محال، و قيل، إلاَّ، بمعنى الواو أي و لا من ظلم كما قال الشّاعر:

وكــــلّ أخ مــفارقة أخــوة لعــمر أبــيك إلا الفــرقدان أقول و هذا أَيضاً لا وجه له لأنّ معنى، إلاّ خلاف الواو فأنّك إذا قلت جاءني إخوتك إلاّ زيداً أخرجت زيداً ممّا دخل فيه الأخوة بالإستثناء فلا نسبة بينهما و لا تقارب، هذا و في الآية قولٌ أخر و هو أن يكون الإستثناء متَّصلاً و المعنى إلاَّ من ظلم من المرسلين بإتيان الصّغائر التّي لا يسلم منها أحد سوى ما روى عن يحيى بن زكرًيا و ما ذكره اللّه في نبيّنا في قوله ليغفر لك اللّه ما تقدُّم من ذنبك و ما تأخّر.

و قال صاحب الكشَّاف، إلاَّ، بمعنى، لكن، لأنَّه لمَّا أطلق نفي الخوف عن الرُّسل كان ذلك مظَّنة لطّرد الشّبهة فإستدرك ذلك و المعنى و لكن من ظلم منهم أي فرطت عنه صغيرة ممّا يجوز على الأنبياء كالّذي فرط من أدم و يونس و داود و سلیمان و إخوة یوسف و من موسی بوکزة القبطی و یـوشك أن يـقصد بـها التّعريض بما وجد من موسى و هو من التّعريضات التّي يلطف مأخذها و سمّاه ظلماً كما قال موسى ربّ إنّى ظلمت نفسى فإغفر لى و الحسن و السُّوء حسن التُّوبة و قبح الذُّنب و قرئ إلاّ من ظلم، بحرف التَّنبيه إنتهي كلامه.

و قال النَّعلبي و القشيري و الماوردي و غيرهم فالإستثناء على هذا صحيحٌ أي إلاّ من ظلم نفسه من النَّبيين و المرسلين فيما فعل من صغيرةٍ قبل لانَّبوة و كان موسى خاف من قتل القبطي و تاب منه و قد قيل أنّهم معصومون من الصّغائر و الكبائر بعد النّبوة هذا ما قالوه في تفسير الآية.

و قال بعض المعاصرين في تفسيره لهذه الآية ما هذا لفظه:

قوله تعالىٰ: إلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَابِّى غَفُورٌ رَحيمٌ الَّذي ينبغي أن يقال و الله أعلم أنَّ الآية السَّابقة لمَّا أخبرت عن أنَّ المرسلين أمنون لا يخافون فهم منه أنّ غيرهم من أهل الظّلم غير أمنين لهم أن يخافوا إستدرك في هذه الآية حال أهل التّوبة من جملة أهل الظُّلم فبَّين أنّهم لتوبتهم و تبديلهم ظلمهم و هو النّبوة حسناً بعد سوء مغفورٌ لهم مرحومون فلا يخافون أيضاً فالإستثناء من المرسلين و هـو إستثناء منقطع و المراد بـالظُّلم مطلق المعصية و بالحسن بعد السُّوء التّوبة بعد المعصية أو العمل الصّالح بعد السّئ و المعنى لكن من ظلم بإقتراف المعصية ثمّ بدُّل ذلك حسناً بعد سوء و توبة بعد معصية أو عملاً صالحاً بعد سئ فأنّى غفورٌ رحيمٌ أغفر ظلمه و أرحمه فلا يخافنٌ بعد ذلك شيئاً إنتهى كلامه مَلْأِنَّ.

أقول ما ذكره مَنْ أَنَّ من أنَّ الإستثناء منقطعٌ فهو خلاف ظاهر الآية إذ لازم ذلك حمل قوله: إلا مَنْ ظَلَمَ، على غير الأنبياء من أحاد النّاس و أنّهم لو ظلموا ثمّ بدَّلوا حسناً بعد سوء فأنَّ اللَّه يغفر ذنوبهم، و هذا ممَّا لاكلام فيه بصريح الأيات و الأخبار إلاَّ أنَّ بيان الحكم في المقام غير مناسب لأنَّ البحث في الأنبياء لا في غيرهم من العصاة ألا ترى أنَّ اللَّه يقول: إنِّي لا يَخْافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ فالقول بأنّ اللّه يقول إنّى لا يخاف لدِّي المرسلون إلاّ من ظلم مُن غيرهم من النّاس فأنّى بعد توبتهم أغفر لهم، بعيدٌ عن سياق الكلام و الّذي ز على على قوله في تفسير الإستثناء على الإنقطاع متّفرعٌ على قوله في تفسير الآية أنَّ المرسلين أمنون لا يخافون و أمَّا غيرهم فلا فأنَّهم غير أمنين فلهم أن يخافوا، و لم يعلم أنَّ هذا أوّل الكلام إذ لم يدلّ دليل من العقل و لا نّقل على أنّ الخوف على الظُّلم مختّصٌ بغير الأنبياء و أنّ الأمن من الخوف مختّصٌ بهم و ذلك لأنّ الحكم أعني به الخوف من الظُّلم كلّي في حقّ العباد من الأنبياء و غيرهم بل نقول أنّه من الأحكام العقليّة إذ العقل يحكم بأنّ الظَّلم له تبعات في

لقرآن

الدّنيا و الأخرة فينبغي أن يخاف منها كائناً من كان و قد ثبت أنّ الأحكام العقليّة غير قابل للتّخصيص.

و حاصل الكلام أنّ الظّالم يخاف من ظلمه نبيّاً كان أو غيره إلاّ أنّ النّبي مكان عصمته مطلقاً على ما نقول به أو بعد البعثة على قول العامّة لا يعصي اللّه و لا يظلم فعدم خوفه لعدم ظلمه بسبب العصمة لا ينافي خوفه بقول مطلق لولا العصمة و الآية بصدد بيان أصل الحكم بمقتضى الفطرة البشريّة و إذا كان الأمر على هذا المنوال فلا وجه لعمل الإستثناء على الإنقطاع إذا عرفت هذا فقول:

الإستثناء متصل و الأنبياء أيضاً داخل في عموم الحكم لأنهم من البشر إلا أنهم لمكان عصمتهم خرجوا من العموم ولم يخافوا لعدم وجود السبب و هو الظُّلم من جهة العصمة بخلاف غيرهم هذا كلّه إذا قلنا بأنّ المراد بالظّلم في قوله: إلا مَنْ ظَلَمَ، هو الظَّلم على الغير كما هو عليه المفسّرون ظاهراً.

و لنا في المقام تحقيق أخر غير ما ذكرناه و هو أنّ المراد بالظُّلم في الآية هو الظُّلم على النَّفس فأنّه أحد أقسام الظُّلم و هو عامٌ يشمل جميع البشر إلا أنّه في غير الأنبياء لأجل التَّقصير و فيهم لأةل القصور و توضيحه إجمالاً:

هو أنّ العبوديّة الكاملة متّوقفة على المعرفة الكاملة و معرفة العبد ربّه كما هو حقّه لا يتّيسر له أصلاً قال رسول اللّه اللّه والمُحالِق عير متناه ذاتاً و صفة و كمال أنّ المخلوق متناه الذّات و الصّفات و الخالق غير متناه ذاتاً و صفة و كمال المعرفة لا يحصل للعبد المخلوق إلا بعد إحاطته بذات الخالق و صفاته و إحاطة المتناهي بغير المتناهي محال عقلاً للزومه خروج المتناهي عن تناهيه و خروج غير المتناهي عن عدم تناهيه و هذا خلاف الفرض مضافاً إلى أنّه يلزم منه أن يكون الموجود متناهياً و غير متناه و هو محال لاستحالة إجتماع النَّقيضين و إذا كان كذلك فالمخلوق لا يعرف خالقه كما هو حقه فمعرفته به ناقصة و إذا كانت المعرفة ناقصة فالعبادة ناقصة لأنّها فرعٌ عليها و نقص الأصل مستلزم لنقص الفرع و العبوديّة النَّاقصة ذنبٌ من المخلوق في جنب خالقه كما قال عليًا إلى المناهية عنه عليها و العبوديّة النَّاقصة ذنبٌ من المخلوق في جنب خالقه كما قال عليًا إلى الفرع و العبوديّة النَّاقصة ذنبٌ من المخلوق في جنب خالقه كما قال عليًا إلى الفرع و العبوديّة النَّاقصة ذنبٌ من المخلوق في جنب خالقه كما قال عليها و العبوديّة النَّاقصة ذبيّة من المخلوق في جنب خالقه كما قال عليها و العبوديّة النَّاقية و العبوديّة النَّاقية كما هو حقه في جنب خالقه كما قال عليه المغلوق في جنب خالقه كما قال عليه المغلوق في جنب خالقه كما قال عليه المنتوب المنتوب عليه المؤلوق في جنب خالقه كما قال عليه المؤلوق في المؤلوق ف

قان في تفسير القرآن ﴿ \* \* كُعُمُ الله

عبدناك حقّ عبادتك إلاّ أنّ هذا الذّنب قصورٌ لا تقصير و إن شئت قلت أنّه من شئون المخلوق و لوازم الإمكان و ليس منشأه التَّقصير في العبوديَّة و هذا الذُّنب مختِّص بالأنبياء و الأوصياء و كلِّ ذنبٍ فهو ظلم على نفس المذنب لا على غيره و الظُّلم على النَّفس بهذا المعنى ثابت في حقّ الأنبياء أيضاً و منه: قوله تعالىٰ: حكايةً عن أدم و حوّاء حيث قال: قالا رَبَّنا ظَلَمْنآ أَنْفُسَنا وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَ تَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ (١).

و قوله تعالىٰ حكايةً عن موسى النَّالْاِ: قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَـفْسي فَاغْفِرْ لَى فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ( ^ ).

و قوله تعالىٰ في أدم وحوّاء: وَ لا تَقْرُبُا هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ اَلظّالِمينَ<sup>(٣)</sup>.

و قوله تعالىٰ في يونس: فَعْادى فِي ٱلظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ (4).

و قال رسول اللَّه وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ أَنَّى لأستغفر اللَّه في كلِّ مرَّةٍ سبعين مرّة و من المعلوم أنّه لم يعص اللّه طرفة عينِ و الإستغفار لا يكون إلاّ مـن الذُّنب و هـو الذُّنب الإمكاني الّذي لا محيص عنه فهذه الأيات كما ترى تنادي بوجود الذُّنب في الأنبياء و إقرارهم بالظُّلم و حيث أنَّهم ما كانوا معصومين فنقول فيهم بالذُّنب الإمكاني و هو الظُّلم على النَّفس عن قصور لا عن تقصير و هو لا ينافي العصمة يزء ٩ الى فأنّ حسنات الأبرار سيّئات المقربين إذا عرفت هذا فقوله تعالى: إِلَّا مَنْ ظُلَمَ علىٰ نفسه بترك الأولى على المشهور أو ترك العبوديّة الكاملة على ما ذكرناه، ثمّ بدُّل حسناً بعد سوء بالإقرار بالذُّنب و الإستغفار فأنَّى غفورٌ رحيم هذا ما خطر ببالي في تفسير الآية و الله أعلم.

۲- القصص = ۱۶

۴- الأنبياء = ۸۷

لمًا أخبر الله تعالى في الآية السّابقة بأنّه أمر موسى بإلقائه عصاه و صارت حيَّة على ما مرّ بيانه و كانت عصاه من معجزاته أشار في هذه الآية إلى معجزة أخرى تسمّى باليد البيضاء فقال تعالى لموسى: وَ أَدْخِلْ يَدَكَ في جَيْبِكَ، أمره أن يدخل يده في جيبه، أي في كمّه و قيل في ثيابه، تَخْرُجُ بَيْضآءَ مِنْ غَيْرِ سُوتِي، أي من غير برصٍ، في تسع أياتٍ إلى فرعون، كأنَّ هاتين مع سقية الأيات تسع أيات فالتّقدير أدخل يدك في جيبك فأنّ ذلك مع إلقائك للعصا و ما بعد ذلك من الأيات تسع أيات و قوله: **إلٰي فِرْعَوْنَ** تَقديره مرسلاً إلى فرعون و قومه في تسع أيات ثمّ أخبر عن فرعون و قومه أنّهم كانوا قوماً فاسقين، و الأيات التسّع التّي كانت لموسى، قلب العصاحيّة، و اليد البيضاء و الجراد و القمّل و الضَّفادع و الدُّم و البحر و إنفلاقه و رفع الطُّور فوق رؤوسهم و إنفجار الحجر أثنتا عشرة عيناً و قيل بدل البحر و الجبل، الطُّوفان، و الطُّمس.

#### فَلَمًّا جُآءَتْهُمْ أَيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هٰذا سِحْرٌ مُبينٌ

ثُمَّ أخبر اللَّه تعالى عن فرعون و قومه أنَّه لمّا جائتهم أيات اللَّه و دلائله مبصرة للحقّ من الباطل و قيل أنّها تبصر الصّواب عن الخطأ قالوا، أي فرعون و قومه، هذا سحرٌ مبين، أي ظاهر.

#### وَ جَحِدُوا بِهَا وَ ٱسْتَيْقَنَتُهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَ عُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عاقِبَةُ ٱلْمُفْسِدينَ

الجحد الإنكار باللَّفظ، أخبر اللَّه تعالى عـن فـرعون و قـومه أنَّـهم لمَّـا رأوا الأيات لم يؤمنوا بها بل حملوها على السِّحر و هذا الإنكار منهم كان باللَّفظ لا بالقلب بل إستيقنتها أنفسهم أي أنّهم أيقنوا بها في قلوبهم و علموا بحقّانيتها و



أنَّما أنكروها ظلماً و علُّواً فأنظر كيف كان عاقبة المفسدين و بعبارةٍ أخرى أنَّهم تيَّقنوا أنَّها من عند اللَّه و أنَّها ليست سحراً و لكنَّهم كفروا بها و تكَّبروا أن يؤمنوا بموسى و هذا يدلّ على أنّهم كانوا معاندين فقوله: ظُلْمًا وَ عُلُوًّا، منصوبان على نعت مصدرِ محذوف أي و جحدوا بها جحوداً ظلماً و علّواً و الباء زائدة أي و جحدوها.

أقول ليس هذا أوّل قارورةٍ كسرت في الإسلام فأنّ كثيراً من النّاس في كلّ عهدٍ و زمانٍ لولا أكثرهم حتّى في زماننا هذا ينكرون الحقائق التّي لا شكّ فيها لأجل الوصول إلى مقاصدهم في الدّنيا ألا ترى أنّ أميرالمؤمنين التَّالِّذِ يقول في الخطبة الشّقشقيّة أما و اللّه لقد تقمُّصها إبن أبي قحافة (فلان) و أنّـه ليـعلم أنّ محلّى منها محلّ القطب من الرَّحى ينحدر عنّى السّيل و لا يرقى إلّى الطّير الخ. و كما قال المُثْلِّةِ مخاطباً لزبير بن العوام و هو إبن عمّته، في حرب الجمل عرفتني بالحجاز و أنكرتني بالعراق الخ و أمثال ذلك كثيرة في صدر الإسلام و بعده إلى يومنا هذا و هكذا بالنّسبة إلى سائر الأئمّة عليهم السّلام و هل يظُّن عاقل أنَّ الغاصبين لحقوق أهل البيت لم يعرفوهم واقعاً كلاٌّ عرفوهم بقلوبهم و أنكروهم بألسنتهم كما قال تعالى حكايةً عن المنافقين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ولكن شأن المعائد أنّه يقول بلسانه ما تيَّقن به قلبه فهو أخبث من المنافق لأنّ المنافق يقول بلسانه ما ليس في قلبه و المعاند يقول بلسانه على ضدّ يزء ١٩ كم ما في قلبه و حاصل الكلام أنّ إنكار الحقّ بعد معرفته بالقلب من أقبح الأمور.



ضباء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ عَمْمُ العَجِلا الثَانِي عَشَرُ

وَ لَقَدْ اٰتَيْنَا داٰوُودَ وَ سُـلَيْمَانَ عِـلْمًا وَ قُـالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذَى فَضَّلَنَا عَلَى كَثيرٍ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنينَ (١۵) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاْوُودَ وَ قَالَ يٰآ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ ٱلطَّيْرِ وَ أُوتِـينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هٰذا لَهُو َ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ (١٤) وَ حُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ ٱلْجِنَّ وَ ٱلْإِنْس وَ ٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَــتُّتَى إِذَآ أَتَــوْا عَلَى وَاٰدِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يٰۤا أَيُّسُهَا ٱلنَّـمْلُ آدْخُلُوا مَسْاكِنَكُمْ لَا يَـحْطِمَنَّكُمْ سُـلَيْمَانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَ قُـالَ رَبِّ أَوْزِعْـنتِي أَنْ أَشْكُـرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَ عَلَى وَالِـدَيُّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضينهُ وَ أَدْخِلْني برَحْمَتِكَ في عِبَادِكَ ٱلصَّالِحِينَ (١٩) وَ تَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا آرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ (٢٠) لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَديدًا أَوْ لَأَاذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانِ مُبينِ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحَطُّ بِهِ وَ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإ بِنَبَإٍ يَقَينِ (٢٢) إِنِّى وَجَدْتُ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَ لَهَا عَرْشٌ عَظيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَ قَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِـلشَّمْسِ مِـنْ دُونِ ٱللَّهِ وَ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبيل فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢۴) أَلَّا يَسْجُدُوا لِـلَّهِ ٱلَّـذَى يُـخْرِجُ ٱلْـخَبْءَ فِـى ٱلسَّمٰواٰت وَ ٱلْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ (٢٥) ٱللَّهُ لآ إِلٰهَ إلاَّ هُوَ رَبُّ ٱلْـعَرْش ٱلْعَظيم (٢۶) قٰالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ (٢٧) ٱِذْهَبْ بِكِتَابِي هٰذاْ فَٱلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلُّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يْآ أَيُّهَا ٱلْمَلَوُّا إِنِّيٓ ٱلْقِيَ إِلَىَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ أَلرَّحيم (٣٠) أَلَّا تَعْلُوا عَلَىَّ وَ أَتُونى مُسْلِمينَ (٣١) قَالَتْ يا آيُّهَا ٱلْمَلَوُّا أَفْتُوني في أَمْري مَا كُنْتُ قَاطَعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَ أُولُوا بَأْسِ شَديدٍ وَ ٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مُاذاً تَأْمُّرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَـدُوهَا وَ جَـعَلُوٓا أُعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٣۴) وَ إِنِّي مُـرْسِلَةٌ إلَـيْهمْ بِهَدِيَّةٍ فَـنْاظِرَةٌ بِـمَ يَـرْجِعُ \_مُرْسَلُونَ (٣٥) فَـلَمًّا جُآءَ سُلَيْمَانَ قَـالَ أتُمِدُّونَن بِمَال فَمَآ أُتينِيَ ٱللَّـهُ خَيْرٌ مِـمُّآ اْتِيٰكُمْ بَلْ أَنْتُمُ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣۶) ٱِرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَـهُمْ بِهَا وَ لَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا ٓ أَذِلَّةً وَ هُـمْ صٰـاغِرُونَ (٣٧)

فرقان في تفسير القرآن كم هم المجلد الثاني عثا

ضياء الفرقان في تفسير القرآن مجمع المجلد الثاني عشر قَالَ يا ٓ أَيُّهَا ٱلْمَلَوُّا أَيُّكُمْ يَأْتبنى بِعَرْشِها قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ ٱلْجِنِّ أَنَا أَتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَ إِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ ٱلَّذِي عِـنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ ٱلْكِتَابِ أَنَا أَتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَـرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمًّا رَأَهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هٰذا مِنْ فَضْل رَبِّي لِيَبْلُوَنِّي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَ مَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِوَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبّى غَنيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) قَالَ نَكَّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُ أَتَهْتَدىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذينَ لا يَهْتَدُونَ (٢١) فَلَمًّا جُآءَتْ قيلَ أَهْكَذا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّـهُ هُوَ وَ أُوتينَا ٱلْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْـلِمينَ (٤٢) وَ صَدَّها مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْم كَافِرِينَ (٢٣) قيلَ لَهَا أَدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمًّا رَأَتْـهُ حَسِبَنْهُ لُـجَّةً وَ كَشَفَتْ عَنْ سٰاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قِواْرِيرَ قَـالَتْ رَبِّ إِنِّـى ظَـلَمْتُ نَـفْسي وَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ (٢٢)

#### ◄ اللّغة

يُوزَعُونَ: الإيزاع المنع من الذّهاب.

لا يَحْطِمَنَّكُمْ: الحطم كسر الشِّئ ثمّ أستعمل لكلّ كسرِ متناهِ.

أَوْزِعْنِيٓ. قلنا الإيزاع المنع أي ألهمني ما يمنع من ذهاب الشّكر.

سَيٍَّ: بفتح السّين حيِّ من أحياء اليمن و قيل هو إسم أمّهم و قال الزّجاج، سبأ، مدينة تعرف بمأرب من اليمن و بينها و بين صنعاء مسيرة ثلاثة أيّام.

آلْخَبْء: بفتح الخاء و سكون الباء و الهَمَزة السّاكنة هو المخبوء و هو ما أحاط به غيره حتّى منع من إدراكه وضع المصدر موضع الصّفة فخبأ السّماء الإمطار و الرّياح و خبأ الأرض الأشجار و النّبات.

#### ◄ الإعراب

مِنَ ٱلْجِنِّ حال من جنوده نَمْلَةٌ بسكون الهيم و ضمّها لغتان ولا يَحْطِمَنَّكُمْ نَهيٌ مستأنف ضاحِكًا حال مؤكّدة و سَبٍا بالتَّنوين على أنّه إسم رجل أو بلد و بغير تنوين على أنّها بقعة أو قبيلة وَ أُوتيَتْ يجوز أن يكون حالاً و قد مقدّرة و أن يكون معطوفاً أَلَا يَسْجُدُوا في، لا، وجهان:

أحدهما: أنّها ليست زائدة و موضع الكلام نصب بدلاً من أعمالهم أو رفع على تقدير هي ألاّ يسجدوا.

الثّانى: أنّها زائدة و موضعه نصب بيهتدون أي لا يهتدون لأنّ يسجدوا، و يجوز أن يكون بدلاً من السّبيل أي و صدَّهم عن أن يسجدوا أو جرّ على إرادة الجارّ إِنَّهُ مِنْ شُيَمْانَ بالكسر على الإستئناف و بالفتح بدلاً من كتاب أو مرفوع بكريم أللا تَعْلُوا عَلَى موضعه رفع بدلاً من كتاب.

#### ◄ التّفسير

وَ لَقَدْ اٰتَیْنَا داٰوُودَ وَ سُلَیْمَانَ عِلْمًا وَ قَالَا ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلٰی کَثیرِ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنینَ

أناً نبّي الله داوود من ولد لاوي بن يعقوب التَّالِي و هـو مـن الأنبياء الله يا الله بالسَّيف كما أنّ منهم موسى بـن عـمران و نبينا محمّد

ضياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿



کم المجلد الثانی عشر

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔻 🕏

صلوات الله عليهم أجمعين و سليمان عليه إبنه و هو الذي أفاء الله عليه بنعم الدّنيا و الأخرة معاً و جعل له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فقد أكرمه الله سبحانه بالنّبوة و جمع له معها الملك و زاده عليها بالحكمة حتّى لقب بالحكيم ثمّ جعل ملكه شاملاً للبشر و الجنّ و الشّياطين و الحيوانات و الطّيور و الحشرات فكان يفهم لغتها جميعاً و كان كلّها يأتمر بأمره و زاده سطلةً على الرّياح و السّحاب و مع هذا كلّه فأنّه لم يخرج عن تواضعه و لم يغادر خوف الله قلبه و لم يتعالى على المساكين و كان يعمل بيده لقوت نفسه إذا عرفت هذا فنقول:

قوله تعالىٰ: وَ لَقَدْ أَتَيْنُا دَأُوُودَ وَ سُلَيْمُانَ عِلْمًا قيل معناه فهماً و قيل هو علم الأحكام و قيل هو بمنطق الطّير وكلام البهائم و قوله: عِلْمًا، يفيد النّوعية أي نوعاً أو أنواعاً من العلم الّذي كان مختصاً بهما في زمانهما.

روي أنّ داود لما أراد أن يستخلف سليمان بأمر اللّه تعالى و يجعل الخلافة له من بعده و كان عمر سليمان ثلاث عشرة سنة أنكر ذلك بنو إسرائيل عليه و قالوا أنّ داود يستخلف فينا حدثاً لأنّه إبنه و فينا من هو أولى منه و أقدر على إدارة الحكم، فدعا داود أكابرهم و أسباطهم و قال لهم قد بلغني ما قلتم من أنّ سليمان وسبّي لا يليق للخلافة و لكن هذا أمر اللّه و إن شئتم أن تختبروا مقدرة سليمان و جدارته فوَّجهوا إليه ما يقتضي به الإمتحان من الأسئلة ثمّ دعاه داود و أراد إمتحانه بحضرتهم ليبين لهم فضله و حكمته فوَّجه إليه أسئلة كثيرة و قد أجاب سليمان علي المناه المناه المناه الله على عبده تلك الأسئلة أنّه قال لسليمان يابني أيُّ شي أبرد فقال سليمان عفو اللّه على عبده و عفو النّاس بعضهم عن بعض، فقال داود أيُّ شي أعلى فقال سليمان المحبّة من اللّه في عباده فقال بعض كبار بني إسرائيل له، ما الشّي الذي إذا صلح صلح مَعه كلّ شي في الإنسان و إذا فسد فسد كلّ شي فيه فقال سليمان ذلك هو القلب و ممّا نقل عن الثّعلبي أن كتاباً نزل من السّماء على داود عليه لاث عشرة ممّا نقل عن الثّعلي أن كتاباً نزل من السّماء على داود عليه وفيه ثلاث عشرة ممّا نقل عن الثّعلي أن كتاباً نزل من السّماء على داود عليه في داود عليه لاث عشرة عشرة على عن النّعلي أن كتاباً نزل من السّماء على داود عليه في داود عليه فيه ثلاث عشرة على ما نقل عن الثّعلي أن كتاباً نزل من السّماء على داود عليه في داود علية كل عن النّعام عن النّعام عن داود عليه في داود عليه في داود عليه في داود عليه في داود عليه على داود عليه في داود عليه على داود عليه في داود عليه على عبده على داود عليه على داود على داود عليه على داود ع

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 🏲

مسئلة أمر الله تعالى داود أن يسأل عنها إبنه سليمان فتكون له برهاناً على تعيينه خليفة من الله تعالى فدعا داود سبعين قسّاً و سبعين حبراً منهم و أجلس سليمان بينهم ثمّ وجّه إليه الأسئلة فقال داود يابنّي أخبرنى ما أقرب الأشياء و ما أبعد الأشياء و ما أنس الأشياء و ما أوحشها و ما أحسن الأشياء و ما أقبحها، و ما أقلَّ الأشياء و ما أكثرها، و ما القائمان و ما المختلفان و المتباغضان، و ما الأمر الّذي إذا ركبه الرّجل حمد أخره و ما الأمر الّذي إذا ركبه ذمّ أخره فقال سليمان عليُّه إمّا أقرب الأشياء فالأخرة و أبعد الأشياء ما فاتك من الدُّنيا، و أمَّا أنس الأشياء فجسدٌ فيه روحٌ ناطق و أوحشها جسدٌ بال روحٌ، و أمّا أحسن الأشياء فالإيمان بعد الكفر و أقبحها الكفر بعد الإيمان، و أمّا أقلَّ الأشياء فـاليقين و أكثرها الشكُّ و أمّـا القائمان فالسّماء و الأرض و المختلفان فاللّيل و النّهار و أمّا المتباغضان فالموت و الحياة، و أمّا الّذي إذا ركبه الرّجل حمد أخره فالحلم عند الغضب و أمّا الّذي إذا ركبه ذمّ أخره فالحدّة عند الغضب و لمّا أجاب سليمان عن جميع تلك الأسئلة فك داود خاتم الكتاب بحضرة القوم فإذاً المسائل مكتوبة فيه مع أجوبتها كما ذكرها سليمان فسلم بنو إسرائيل لسليمان بالحكمة و الخلافة و ظهر له أهليّته لها و أنّ ما خصَّه اللّه تعالى به هو الحقّ، و من جملة دلائل حكمة سليمان و إستحقاقه للخلافة بعد أبيه مسئلة الغنم التّي أكلت الكرم على ما مرّ تفصيله في سورة الأنبياء عند قوله: وَ داؤُودَ وَ سُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمُانِ فِي ٱلْحَرْثِ(١).

و هذا معنى قوله تعالى: و لَقَدْ أَتَيْنا دَاوُودَ وَ سُلَيْمَانَ عِلْمًا و يستفاد من ذلك أنّ سليمان بن داود إستّحق الخلافة لأبيه داود ببركة العلم الذي أعطاه الله تعالى و في هذا الكلام إشارة بل دلالة على أنّ خليفة النّبي ينبغي أن يكون أعلم النّاس بعده و ذلك لأنّ الله تعالى جعل في الآية ملاك خلافة سليمان لأبيه داود علمه الذي أعطاه الله و السّر في ذلك هو أنّ الخليفة لو لم يكن أعلم النّاس بالأحكام لزم تقديم المفضول على الفاضل و هو قبيح عقلاً و الله تعالى منزة عن بالأحكام لزم تقديم المفضول على الفاضل و هو قبيح عقلاً و الله تعالى منزة عن

وَ وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاٰوُودَ وَ قَالَ يَاۤ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ ٱلطَّيْرِ وَ أُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ

في الآية بحثان:

البحث الأوّل: في تفسير قوله: وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاْوُودَ.

الثَّاني: في قوله: يَا آيُّهَا آلتَّاسُ عَلِّمْنَا مَنْطِقَ ٱلطَّيْرِ إلىٰ أخر الآية.

أمّا البحث الأوّل: فإعلم أنّ الوراثة و الإرث على ما قاله الرّاغب في المفردات، إنتقال قنية إليك عن غيرك من غير عقدٍ و لا ما يجري مجرى العقد فيقال للقنية الموروثة ميراث و إرث إنتهى موضع الحاجة من كلامه.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

قال بعض المفسرين الموروث الملك و النّبوة بمعنى صار ذلك إليه بعد موت أبيه فسمّي ميراثاً تجّوزاً كما قيل العلماء ورثة الأنبياء و حقيقة الميراث في المال.

أقول و يؤيده قول الرّاغب حيث قال في معنى الإرث هو إنتقال قنية إليك عن غيرك و القنية المال لأنّ الصّفة غير قابلة للإنتقال حقيقة إلاّ على سبيل التّجوز قيل كان لداود تسعة عشر ولداً ذكراً فنبَّئ سليمان من بيهم و ملك و قيل وّلاه على بني إسرائيل في حياته من بين سائر أولاده فكانت الولاية في معنى الوراثة و قال الحسن ورث المال لأنّ النّبوة عطية مبتدأة لا تورث و قيل الملك و السّياسة و قيل النّبوة فقط و قيل غير ذلك من الأقوال و الحقّ أنّ المراد بالإرث في الآية هو المال حقيقة لأنّه قالبل للإنتقال من شخص إلى شخص أخر بالموت و أمّا إطلاق الإرث على النّبوة و الملك فليس على سبيل الحقيقة و أنّما هو بطريق المجاز عرفاً ألا ترى أنّه يقال فلان وارث علم أبيه أو وارث فصاحته و شجاعته و جوده إلى غير ذلك من الأوصاف و من المعلوم أنّ العلم أغير قابل للإنتقال كغيره من الصّفات و هذا بخلاف الأموال فأنّها تنتقل إلى الغير بالموت و للبيع و الهبة و أمثال ذلك من الأعيان الخارجية وكيف كان فالآية دالّة على ثبوت الإرث في بنى أدم نبياً كان أو غير نبّى و الأصل في ذلك:

قال الله تعالى: يُوصيكُمُ ٱللهُ فَيَ أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ اللهُ فَيَ أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ (١).

قال اللّه تعالىٰ: أُولُوا ٱلْأَرْخامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ في كِتَابِ ٱللّٰهِ إِنَّ ٱللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ (٢٠).

و قال تعالى في خصوص الأنبياء حكايةً عن زكريًا: وَ إِنِّي خِفْتُ الْمُوالِيَ مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا، يَرِثُني وَ الْمُوالِيَ مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا، يَرِثُني وَ يَرِثُ مِنْ اللهِ مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا، يَرِثُني وَ يَرِثُ مِنْ اللهِ يَعْقُوبَ وَ آجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٣).



و الذي ظهر لنا من الأيات و الأخبار هو أنّ الإرث كان ثابتاً في أولاد أدم و منهم الأنبياء عليهم السّلام بنصّ الكتاب و على هذا فخروج شخصٍ أو صنفٍ منهم عن القاعدة الكلّية الثّابتة في جميع الشّرائع و الأديان بل في الكفّار و المشركين يحتاج إلى دليل قاطع إذا عرفت هذا فالرّواية التّي رواها أبو بكر و نسبها إلى رسول الله و هي قوله نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً و لا فضّة و لا داراً و لا عقاراً و أنّما نورث الكتاب و الحكمة و العلم و لا نبوة و ما لنا طعمة فلوّلى الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه.

و من المعلوم المسلّم عند المؤرّخين و نقله الأثار أنّ أبا بكر كان متّفرداً في نقلها ولم يسمع أحدٌ من الرّسول ذلك فهو خبر واحد مخالف لنّص الكتاب و قد ثبت في الأصول أنّ الخبر إذا خالف الكتاب يضرب على الجدار و لا سيّما الخبر الواحد الّذي تشهد ألفاظه بكذبه و نحن نشير إلى وجوه بطلانه عقلاً و شرعاً.

أمّا شرعاً فلأنّه مخالف لنّص الكتاب و أية الإرث محكمة لا متشابهة و ما خالف الكتاب فهو مردودٌ مطرودٌ فالخبر مردودٌ و هو المطلوب هذا أوّلاً.

ثانياً: أنّ فاطمة الزّهراء سلام الله عليها حكمت ببطلانه في خطبتها التّي خطبتها في المسجد و قد ثبتت عصمة الزّهراء بأية التّطهير فلا سبيل إلى تكذيبها قالت فيها مخاطبةً لأبي بكر و أعوانه ما هذا لفظه:

وَ أَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَلاّ إِرْثَ لَنا، (أَفَحُكُمْ الْجاهِلِيَّةِ تَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكُماً لِقَومٍ يُوقِنُونَ) \ أَفَلا تَعْلَمُونَ؟ بَلَىٰ قَدْ تَجَلّیٰ لَکُمْ كَالشَّمْسِ الضّاحِيَةِ أَنِّی اِنْنَهُ.

أَيُهَا المُسْلِمُونَ أَأُغْلَبُ عَلَى إِرْثِى، ياابْنَ اَبَى قُحافَةَ! أَفِى كِتابِ اللهِ أَنْ تَرِثَ أَبِكَ وَلاأَرِثَ أَبِى؟ (لَقْد جِئتَ شَيئاً قَرِيّاً) \ أَفَعَلَى عَمْدً تَرَكْتُمْ كِتابَ اللهِ، وَ

نَبَذْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُوركُمْ، إِذْ يَقُولُ: (وَ وَرِثَ سُلَيِمانُ داؤد) ١، وَ قالَ فِيما اقْتَصَّ مِنَ خَبْر يَحْيَى بْن زَكَرِيّا إِذْ قَالَ رَبِّ (هَبْلِي مِنْ لَدُنكَ وَلِيّاً يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنَ آلِ يَعْقُوبَ) ١١ وَ قَالَ: (وَ اوُلُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُم أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابٍ اللهِ) ١١١ وَ قَالَ: (يُوصِيْكُمُ اللَّهُ فِي أُولادِكُمْ لِلذِّكر مِثْلُ حَظِّ الْأَنْثَمِينِ) ١١١١ وَ قَالَ: (إِنْ تَرَكَ خَيراً الْـوَصِيَّةُ لِـلُوالِـدَين وَ الأَقْرَبِينَ بِـالْمَعرُوفِ حَقّاً عَلَى المُتَّقِينَ) (١) وَ زَعَمْتُمْ أَلاّ حِظْوَةَ لِي، وَلاارْثَ مِنْ أَبِي لارَحِمَ (٢) بَيْنَنا! أَفَخَصَّكُمُ اللَّهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ مِنْها أَبِي؟ أَمْ هَلْ تَقُولُونَ أَهْلُ مِلْتَين لايَتَوارَثان، وَلَسْتُ أَنَا وَ أَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ واحِدَةٍ؟! أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ القُرآن وَ عُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَ أَبْنِ عَمِّى؟ الى أخر كلامها $^{(7)}$ .

و هذا الكلام منها ردًا على أبي بكر و من تبعه أدَّل دليلٌ على كذب أبي بكر فيما رواه في المقام و أن شئت قلت لا خلاف في أنّ أبا بكر روى الخبر عن رسول اللّه و لا شكّ أنّ الزّهراء عَلِيَّهَا اللَّهُ أَنكرتها و ردّت على أبي بكر في نقله كما عرفت و حينئذٍ فنقول الشّقوق المحتملة أربعة.

الأوّل: كذبهما معاً.

الثّاني: صدقهما كذلك.

الثَّالث: أن يكون أبو بكر صادقاً فقط

الرّابع: عكسه و هو أنّ الزّهراء صادقه دون أبي بكر.

أمًا الإحتمال الأوّل فلا سبيل إليه للزومه إرتفاع النَّقيضين و هو محال.

و هكذا الثَّاني للزومه إجتماع النَّقيضين و هو أيضاً محال.

٢- في بلاغات، وَلارَحْم.

۱- بقره = ۱۸۰

٣- فدک

۱۱- مريم = ۵ و ۶ 19 = 1 - 1١١١١ - نساء = ١١. ۱۱۱ - انفال = ۷۵

و الإحتمال النَّالث أيضاً باطل إذ يلزم منه تكذيب الزّهراء و هو مناف لأيــة التّطهير بقي في المقام أن تكون الزّهراء صادقة و أبو بكر كاذباً و هو المطلوب. هذا كلُّه بحسب الشَّرع و أمَّا الدَّليل من العقل على بطلان الخبر فلوجوهِ:

أحدها: أنّ العقل يحكم بأنّ الرّسول لا يحكم بخلاف القرأن و إلا يلزم من رسالته عدمها و ذلك لأنّ الرّسول مأمور بتبليغ الأحكام لقوله تعالى: وَ هَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلاغُ و ما على الرّسول إلاّ البلاغ، فلو فـرضنا أنّ الرّسـول خـالف الكتاب فهو ليس برسولٍ من عند الله و لا مأمور بتبليغ أحكامه تعالى و هو كما ترى.

ثانيها: أنَّ الرَّسول لا يجوز له أن يحكم بشئ عند شخصٍ أو أشخاص معدودين لأنَّ اللَّه تعالى أرسله إلى جميع النَّاس فَّإذا فرضنا أنَّه كان مأموراً من عند الله بتبليغ حكم من الأحكام و لا سيّما إذا كان الحكم مخالفاً لظاهر الكتاب فالعقل يحكم بإعلامه إلى جميع الأمة بدليل الإشتراك في التَّكليف وحيث أَنَّهُ تَالْمُهِ اللَّهِ عَلَى مُعلِّ ذلك فنكتشف منه أنَّ الخبر مجعولٌ و هو المطلوب.

ثالثها: أنَّهُ تُلَّهُ وَيُكُلُّؤُ قال بزعم الجاهل، نحن معاشر الأنبياء لا نـورث بـصيغة الجمع و هو يشمل جميع الأنبياء من أدم إلى خاتم الرُّسل فأن كان الحكم على عمومه فهو مخالف للكتاب كما عرفت و أن كان الحكم مخصوصاً به من بين الأنبياء فحقّ العبارة أن يقال، أنا من الأنبياء لا أورث، لا نحن، و حيث لم يقل ذلك فهو كذت.

رابعها: و هو العمدة في الباب عقلاً، و هو أنّه لا شكّ أنّ اللّه تعالى عادلٌ لقوله تعالى: و مَا رَبُّكَ بِطَلَّام لِلْعَبِيدِ و غيره من الأدَّلة العقليَّة و النَّقلية و إذا تُبَت عَدله فنقول ما ذنب أولاد الأنبياء في حرمانهم من الإرث عن أبائهم أليس هذا من الظُّلم على أولاد الأنبياء و أيّ ظلم أقبح و أفحش من منعهم عن ميراثهم من غير سببِ و أن قال قائل أنّ الحكم لا يتشمل جميع أولاد الأنبياء بل هو مختصّ بأولاد الرّسول الخاتم فقط، فهو مع أنّه خلاف ظاهر الحديث الشّامل للجميع، قبحه أشنع و أفظع إذ كيف يعقل ثبوت الإرث لأولاد الأنبياء جميعاً سوى فـاطمة

الزّهراء و ما ذنب الزّهراء من بين أولاد الأنبياء حتّى تمنع من إرثه إلاّ أنّها بنت الرّسول الخاتم و لا أظنّ أن يحكم بذلك إلاّ الشّيطان اللّعين.

قال الألوسي في تفسيره المسمّى بروح المعاني في هذه الآية ما هـذا لفظه وَوَرِثَ سُلَيْمُانُ دَاْوُودَ أي قام مقامه في النبوّة و الملك و صار نبيّاً ملكاً بعد موت أبيه داوود التِّيلاِ فوراثته أيّاه مجازٌ عن قيامه مقامه فيما ذكر بعد موته و قيل المراد وراثة النبوّة فقط و قيل وراثة الملك فقط و عن الحسن ونسبه الطّبرسي الى أنِّمة أهل البيت أنَّها وراثة المال و تَّعقب بأنَّه قد صحّ (نحن معاشر الأنبياء لا نورث) و قد ذكره الصّديق و الفاروق بحضرة جمع من الصّحابة و هم الّذين لا يخافون في اللّه لومة لائم ولم ينكره أحد منهم عيلهما إنتهي موضع الحاجة منه.

أقول ما نسبه الى الطّبرُسي بقوله أنّها وراثة المال كما هو مذهب أهل البيت لا كلام فيه و أمّا قوله و تَّعقب بأنّه قد صحّ (نحن معاشر الأنبياء لا نورث) كذب محض و إفتراء على الطّبرسي فأنّه مَنَّاتًا لم يقل ذلك أصلاً و نحن ننقل عين عبارته عن تفسيره مجمع البيان لتعلُّم صدق ما قلناه قال أَيْرُكُّ: وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ داوُودَ في هذا دلالة على أنَّ الأنبياء يورثون المال كتوريث غيرهم و هو قول الحسن و قيل معناه أنّه ورثه علمه و نبوّته و ملكه دون سائر أولاده و معنى الميراث هنا أنّه قام مقامه في ذلك فأطلق عليه إسم الإرث كما أطلق على الجنّة إسم الإرث.

عن الجبائي و هو خلاف الظّاهر و الصحيح عند أهل البيت هو الأوّل إنتهي كلامه.

فأين تعقّب بأنّه قد صحّ (نحن معاشر الأنبياء لا نورث) ألا لعنة اللّه على الكافرين.

و أمّا قوله ذكره فلان و فلان و لم ينكره أحد عليهما، فنقول في جوابه أن كان مراده بالصّحابة عبد الرّحمن بن عوف و عثمان و مغيرة، و قنفذ و أمثالهم ممّن بايعوا أبا بكر و بعده عمر و بعده عثمان فالحقّ مع القائل فأنّهم لم ينكروا عليهما و أن كان مراده من الصّحابة أميرالمؤمنين و سلمان و أباذر و مقداد و عمّار و بنت



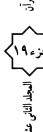
النبي فاطمة الزّهراء فأنّهم أنكروا عليها حقّ الإنكار و الخطبة الّتي أوردتها الزّهراء في المسجد كافية لإثبات المدّعى و هذا الإنكار من أهل البيت صار سبباً لإحراقهم بيت فاطمة و ضربها و تعذيبها حتّى صار الأمر الى أنّها سلام الله عليها أوصت بغسلها و كفنها و دفنهاليلاً لئّلا يحضروا جنازتها و لا يعلموا موضع دفنها كلّ ذلك لإنكارها و إنكارهم عليهما و سَيَعْلَمُ ٱلّذينَ ظَلَمُوا.

البحث الثانى: في قوله تعالى يا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمنا مَنْطِق الطَّيْرِ وَ أُوتينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هٰذا لَهُو الْفَضْلُ الْمُبِينُ أي قال سليمان عليها أيها النّاس علمنا منطق الطّير، و المعلّم هو الله تعالى أي علّمنا الله منطق الطّير، قيل المراد بمنطق الطّير صوت يتفاهم به معانيها على صيغة واحدة بخلاف منطق النّاس إذ هو صوت يتفاهمون به معانيهم على صيغ مختلفة لذلك لم نفهم عنها معانيهم على مقصورة على تلك الأمور المخصوصة و لمّا جعل سليمان يفهم عنها كان قد علم منطقها إنتهى.

و قيل منطق الطّير إستعارة لما يسمع منها من الأصوات و هي حقيقة في بني آدم لما كان سليمان يفهم منه ما يفهم من كلام بني آدم كما يفهم بعضهم الطّير من بعض أطلق عليه منطق، و قيل كانت الطّير تكلّمه معجزة له كقصة الهدهد و الظّاهر أنّه علم منطق الطّير و عموم الطّير، وقيل علم منطق الحيوان و النبات حتى كان يمرّ على الشّجرة فتذكر له منافعها و مضّارها و أنّما نصّ على الطير لأنّه كان جنداً من جنوده يحتاج اليه في التّظليل من الشّمس و في البعث في الأمور وقد أورد المفسّرون في تفاسيرهم أنّ سليمان عليماً أخبر عن كثيرٍ من الطّير بأنواع من الكلام و اللّه أعلم بحقائق الأمور.

و أُمّا قوله: و َ أُوتينا مِنْ كُلِّ شَيْء فظاهره العموم و المراد الخصوص أي من كلّ شيْ يصلح لنا و أريد به كثرة ما أوتي فكأنّه مستغرق جميع الأشياء كما تقول فلان يقصده كلّ أحدٍ و قوله النّيلاً: و أنّه لهو الفضل المبين فيه إقرارٌ بالنّعمة و شكرٌ لها و محمدة و قد بالغ المفسّرون في المقام فقالوا أنّ معسكره كان مائة

ئىياء الفرقان فى تفسير القرآن 🔷 🏲



فرسخ في خمس و عشرون للجن و مثلها للإنس و مثلها للطّير و مثلها للوحش و ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاث مائة منكوحة و سبع مائة سرية و قد نسجت له الجنّ بساطاً من ذهب و إبريسم فرسخاً في فرسخ و منبره في وسطه من ذهب فيصعد عليه و حوله ست مائة ألف كرسيّ من ذهب و فضّة تقعد الأنبياء على كراسي الفضّة و حولهم النّاس و حول النّاس الجنّ و الشّياطين و تظلّه الطّير بأجنحتها حتّى لا تقع عليه الشّمس و ترفع ريح الصّبا البساط فتسير به مسيرة شهر إلى غير ذلك ممّا ذكروه و أنت ترى أنّ ما ذكروه لا دليل على صحتّه من النّقل و العقل و أنّما هو من مستخرجات ظنّونهم و أوهامهم نعم لا شكّ انّ ملكه عظيماً جداً و إنقاد له الجنّ و الإنس و الطّير و الوحش و محصّل الكلام أنّ ما أثبته القرأن و الأخبار الصّحيحة قبلناه و أمّا غير ذلك فلا إعتبار به.

قيل أنّه ملك الأرض بأسرها أربعة، أثنان منها مؤمنان و هـما سـليمان و ذو القرنين، و أثنان كافران و هما بخت نصر و نمرود و اللّه أعلم.

وَ حُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ ٱلْجِنِّ وَ ٱلْإِنْسِ وَ ٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ الحشر الجمع و قوله: يُوزَعُونَ، أي يمنع أولَهم على أخرهم و قال إبن زيد معناه، يساقون، و قال الحسن، يتقدمون قيل قول إبن عبّاس أقوى لأنّه من قولهم وزعه من الظّلم إذا منعه منه و كفّه و منه قولهم لابد للسّلطان من وازعةٍ أي يمنع النّاس عنه و معنى الآية جمع لسليمان من كلّ جهةٍ جنوده من الجنّ و الإنس و الطّير، فَهُمْ يُوزَعُونَ أي يمنع أوّلهم على أخرهم ليتلاحقوا و لا يتقرقوا و بعبارةٍ أخرى أنّما منع أوّل الجنود عن السّير ليتلاحق الأخر بالأوّل كما فعل ذلك رسول الله عَلَيْ اللّه عَلَيْ الْحَدِير خم.

حَتَّى إِذَآ أَتَوْا عَلَى وَاٰدِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَاۤ أَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُـلُوا مَسْاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ الغرقان في تفسير القرآن 🔷 🌎



النَّمل بفتح النَّون و سكون الميم و اللَّام معروف و الواحدة النَّملة.

قال الرّاغب في المفردات النَّملة قرحة تخرج بالجنب تشبيهاً بالنَّمل في الهيئة و شقٌّ في الحافر و منه فرسٌ نمل القوائم خفيفها إنتهي.

و المعنى إذًا أتوا أي سليمان و جنوده، على واد النّمل قيل هو الشّام و قيل بأقصى اليمن و هو معروف عند العرب مذكورٌ في أشعارها.

روي أنّ سليمان كان على ساحل البحر ينتظر بعض جنوده فرأى نملة تحمل حبَّة حنطة و هي تسعى نحو الماء فتَّعجب سليمان من قصدها الماء مع أنَّها تهرب منه إن وقعت فيه قهراً فلمّا وصلت إلى شاطئ البحر خرجت ضفدع فدنت من النَّملة ثمَّ فتحت فاها فدخلت النَّملة في فيها بإختيارها فأطبقت الضَّفدع فيها عليها و غاصت في البحر فما لبثت إلاَّ برهة يسيرة حتَّى رجعت الضَّفدع فقفزت إلى البّر ثمّ فتحت فاها فخرجت النَّملة من فيها و ليس معها حبَّة الحنطة فلمًا نظر سليمان النّملة تقدّم إليها و سألها عن شأنها مع الضَّفدع و أين ذهبت معها وكيف أرجعتها و أين وضعت حبّة الحنطة فقالت له النَّملة أعملم يانبّي اللّه أنّه يوجد في قعر هذا البحر صخرة مجّوفة في وسطها دودة عمياء لا تستطيع الخروج منها لطلب معاشها و قد وكَّلني اللَّه تعالى برزقها و سخَّرني مع هذا الضَّفدع لتأمين معاشها فأنا أحمل طعامها من البَّر و هذا الحيوان ينقلني في فيه إليها فإذا وصل بي إلى الصَّخرة وضع فمه على ثقبها ثمّ قذفت بي إلى داخلها فأوصل الحبَّة إلى الدّودة فأضعها في فمها ثمّ أعود إلى هذا الحيوان فيحملني إلى البُّر ثانية و هذه قصّتي يانبّي اللّه فدهش نبّي اللّه سليمان من تلك القصّة فزاد في تمجيد الله سبحانه ثمّ سألها هل سمعت لها تسبيحاً فقالت نعم سمعتها ترَّدد هذا الدُّعاء يامن لا ينساني في جوف هذه الصَّخرة تحت هذه اللُّجة من رزقه لا تنسى عبادك المؤمنين من رحمتك الواسعة إنتهى.

أقول لا يظهر من الآية أنّ النّملة التّي قالت: يَا ٓ أَيُّهَا ٱلنَّـمْلُ ٱدْخُـلُوا مَسٰاكِنَكُمْ، هي تلك النّملة التّي رأها سليمان بشاطئ البحر بل كانت نملةً

، الفرقان في تفسير القرآ،

أخرى و الدّليل عليه قوله: قَالَتْ نَمْلَةٌ، منكرة وكيف كان أمرت النَّمل أن يدخلوا مساكنهم و أنّما جاء الخطاب كخطاب من يعقل في قوله: أَدْخُلُوا و ما بعده لأنّها أمرت النَّمل كأمر من يعقل و صدر من النّمل الإمتثال لأمرها و قوله: لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَ جُنُودُهُ، أي لا يكسّرنكم بأن يطأكم عسكره وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ أي لا يعلمون بوطئكم فلمّا سمع سليمان ذلك من النَّملة تعجُّب و تبَّسم ضاحكاً من قولها كما حكى الله تعالى عنه حيث قال:

فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيَ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَ عَلَى وَالِدَيُّ وَ أَنْ أَعْمَلُ صَالِحًا تَــرْضَيْهُ وَ أَدْخِلْني بِرَحْمَتِكَ في عِبادِكَ ٱلصَّالِحينَ

و المعنى فتَّبسم سليمان حال كونه ضاحكاً مستبشّراً من قول النَّملة وَ قَالَ رَبِّ أُوْزِعْنيَ أي أجعلني أشكر و قال إبن زيد حرضًني، و قال الزّجاج أمنعني عن الكفران أن أشكر نعمتك التّي أنعمت علّي من النّبوة و الملك و على والدَّي و أن أعمل صالحاً ترضاه و أدخلني برحمتك في عبادك الصّالحين دعا سليمان لنفسه أوّلاً و لوالديه اللّذين ربيّاه ثانياً فأنّ الوالدين ينتفعان بدعاء الولد ثمّ بـعد ذلك سأل ربّه أن يدخله برحمته الواسعة في عباده الصّالحين و هذا من أحسن الدُّعاء كما قال يوسف المُشِلِّا: تَوَفَّني مُسْلِمًا وَ أَلْحِقْني بِالصَّالِحِينَ و قال تعالى عن إبراهيم النَّالِا وَ إِنَّهُ فِي ٱلْأَخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ (١) لأنّ كمال الصّلاح أن لا يعصى زء ١٩> العبد ربّه بل و لا يّهم بمعصيةٍ و هذه درجة عالية لا درجة فوقها.

وَ تَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبينَ

الفقد عدم الشِّئ بعد وجوده فهو أخصّ من العدم لأنّ العدم يقال فيه و فيما لم يوجد بعد، و التَّفقد تعرَّف فقدان الشِّئ كما أنّ التَّعهد تعَّرف العهد المتَّقدم

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

آن ﴿ مَمْ ﴾ الدجلا الخاني عا

ظاهر الكلام أنّ سليمان للتِّلِا تقَّقد جميع الطّير لا الهدهد فقط و لذلك قال: تَفَقَّدُ **ٱلطُّيْرَ** أي جنسه ولم يقل و تفَّقد الهدهد، روي أنّ نبّي الله سليمان سافر إلىٰ بلاد اليمن في بعض رحلاته و كانت الطّير تظلّله من حرارة الشّمس فلمًا حان وقت الصّلاة نزل عن بساطه و إنصرفت الطّيور لسبيلها في تلك البرهة و كان من جملتها الهدهد فتَّوغل في طيرانه فصادف هدهداً مثله فتقارنا و جعل كلِّ منهما يسأل رفيقه عن حاله و حال بلاده فأخبره هدهد سليمان عن عظمة سليمان و كثرة جنوده و بطشه و ما أتاه الله من الملك و النّبوة و تسخير الجنّ و الإنس والوحش و الطّير له في كلّ ما أراد و جعل هدهد بلاد سبأ يشرح لرفيقه عظمة ملكة سبأ و كثرة جنودها و سعة بلادها و دعاه للذَّهاب معه ليشاهد ذلك بعينه فرغب هدهد سليمان بذلك و أحبُّ أن ينقل أخبار ذلك لسليمان خصوصاً حينما سمع من رفيقه أنَّ ملكة سبأ، و قومها يعبدون الشَّمس دون الخالق القهَّار و طالت غيبة الهدهد و إنتهي سليمان من صلاته و جلس على بساطه فظللته الطُّير و بقى مكان الهدهد فارغاً فسأل سليمان عنه و تهَّده إن لم يأت بسبب صحيح يدلُّ على تغيُّبه ثمَّ أرسل العقاب وراءه فصادفه راجعاً فأتى بــه إلى سليمان التَّلِيرِ فسأله سليمان عن غيابه بدون إذنه فشرح له قصّة ملكة سبأ، و عظمة ملكها و أنَّها وقومها يعبدون الشُّمس و يسجدون لها دون الخالق القهَّار فأراد سليمان أن يتّحقق صحّة كلام الهدهد فكتب كتاباً و أرسله معه إلى ملكة سبأ، و أمره أن يعرفه بحالها بعد قراءتها الكتاب فأخذ الهدهد الكتاب و دخل على بلقيس و هي في قصرها من كوّةٍ كانت في أعلى القصر فما شعرت و الكتاب قد سقط على صدرها و هي مستلقاة فدهشت من ذلك و قد شاهدت الهدهد حينما دخل من الكوّة وكيف ألقاه و خرج من حيث أتى فأخذت بلقيس الكتاب و إذا فيه.

إذا عرفت هذا فقوله التَّلِا: لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَا أَوْ لَأَاذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَا الْعَانِ مُبينِ

فمكث غير بعيدٍ، أي مكث سليمان مدّة قليلة إذ جاء هدهد على ما مرّ تفصيله فقال، أي فقال هدهد لسليمان، أَحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِه، أي علمت ما لم تعلم و علم الإحاطة هو أن يعلمه من جميع جهاته التي يمكن أن يعلم عليها، تشبيها بالسُّور المحيط بما فيه ثمّ قال: وَ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقينِ أي قال هدهد لسليمان جئتك يانبّي الله من سبأ أي من قوم سبأ و هو قوم بلقس بنبأ أي بخبر يقين، لا شكّ فيه و هو قوله تعالى:

إِنَّى وَجَدْتُ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَ لَهَا عَـرْشٌ عَظِيمٌ، وَجَدْتُهَا وَ قَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِـلشَّمْسِ مِـنْ دُونِ ٱللَّـهِ وَ وَيَنَلَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ وَيَنَلَهُمُ ٱلشَّيْطِانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ

و المعنى وجدت بلقيس و قومها يسجدون للشّمس من دون الله و زيَّن لهم الشّيطان أعمالهم فصَّدهم عن السَّبيل، أي منعهم عن متابعة الحقّ فهم لا يهتدون، إلى عبادة الله و توحيده و كان سليمان التَّلِيلِ له بساط قد صنع له و كان عظيماً جدّاً ولذلك لم يتأثر سليمان من قول هدهد حيث قال، و لها عرشٌ عظيم لأنّه أمرٌ دنّياوي لا عبرة به عند الأنبياء و الأوصياء و الصُّلحاء و لذلك أشار هدهد إلى أمرٍ أخر و هو الإيمان بالله الذي هو قرّة عين النّبي فقال هدهد: وَجَدْتُها وَ قَوْمَها يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ و هذا هو الذي صار سبباً لقبول عذره في غيبته.

أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمْواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ سباء الفرقان في تفسير القرآن 🗸 🕏 بيًا

قيل هذا ما قاله هدهد بعد قوله أنّهم يسجدون للشّمس فقال على وجه التّوبيخ و التَّقبيح لفعلهم، ألاّ يسجدوا للّه الذي يخرج الخبّ في السّموات و الأرض و الخبأ هو المخبوء و هو ما أحاط به غيره حتّى منع من إدراكه وضع المصدر موضع الصّفة فكلّ ما يوجده الله و يخرجه من العدم إلى الوجود فهو بهذه المنزلة و على هذا فخبأ كلّ شيّ بحسبه فخب السّماء الأمطار و الرّياح و خبّ الأرض الأشجار و النّبات و الغرض من هذا الكلام أنّ المعبود الّذي يستّحق أن يعبد ينبغي أن يون عالماً قادراً حكيماً و ما سوى الله كائناً ما كان فقير محتاج إلى خالقه و لا علم له إلاّ ما علّمه الله و حيث أنّ الشّمس لا علم لها و لا قدرة فكيف تكون معبوداً و بعبارةٍ أخرى العالم بكلّ شيّ و القادر على كلّ شي قدرة فكيف تكون معبوداً و بعبارةٍ أخرى العالم بكلّ شيّ و القادر على كلّ شي أشار الله الذي لا إله إلاّ هو فهو المتسّحق للمعبوديّة لاّ غيره و إلى هذا المعنى أشار الله تعالى بقوله:

## ٱللَّهُ لآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظيم

نقل الشّيخ مَنْ في التّبيان عن الجبائي أنّه قال لم يكن الهدهد عارفاً باللّه و أنّما أخبر بذلك كما يخبر مراهقوا صبياننا لأنّه لا تكليف عليه و أنّما التّكليف على الملائكة و الجنّ و الإنس إنتهي.

قال الشّيخ و هذا الّذي ذكره خلاف الظّاهر لأنّ الإحتجاج الّذي حكاه الله عن الهدهد إحتجاج عارفٌ بالله و بما يجوز عليه و ما لا يجوز لأنّه قال وجدتها و قومها يسجدون للشّمس من دون الله و لا يجوز أن يفرق بين الحقّ في السّجود لله و بين الباطل الّذي هو السّجود للشّمس و أنّ أحدهما حسن و الأخر قبيح إلاّ من كان عارفاً بالله و بما يجوز عليه و ما لا يجوز و ذلك ينافي حال الصّبيان إنتهى كلامه. أقول ما ذكره مُنْتُمُ في الجواب متينٌ جداً و نحن نجيب عنه بطريق أخر و هو أنّ الطّيور و الحيوانات بل جميع الأشياء قد ثبت لهم عقلاً و نقلاً التّقديس و التسبيح لله تعالى كما:

قال الله تعالى: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا تَـقْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ (١).

قال اللّه تعالى: وَ سَخَّرْنا مَعَ داُوُودَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَ ٱلطَّيْرُ (٢). قال اللّه تعالى: إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَ ٱلْإِشْراٰقِ(٣) و غيرها من الأيات.

و إذا كان التَّسبيح و التقديس ثابتاً لها شرعاً فلا محالة تكون المعرفة أيضاً ثابتة لأنّ التّسبيح منها نوع من العبادة و هي فرعٌ على المعرفة فكيف لا يكون الهدهد و غيره من الطّيور و الحيوانات عارفاً باللّه بل نقول أنّ معرفة الحيوانات بل الجمادات و النباتات و غيرها أكثر من معرفة كثير من بني أدم لولا أكثرهم و هذا ممّا لا خفاء فيه عند التّأمل و التّدبر.

و أمّا قوله: رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظّهِمِ، فقد تكلّمنا في معنى العرش فيما مضى مفصّلاً.

## قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ ٱلْكَاذِبينَ

لمّا قال الهدهد لسليمان ما قال، قال سليمان التَّلِهِ سننظر فيما قلت أصدقت فيما أخبرتنا به من قصّة بلقيس أم كنت من الكاذبين.

آذْهَبْ بِكِتَابِي هٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مٰاذَا يَرْجِعُونَ أمر سليمان الهدهد بأن يذهب بكتابه الذي كتبه له و أشار إليه بقوله: هٰذَا أي هذا الذي كتبته ثمّ توَّل أي أعرض عنهم فأنظر ماذا يرجعون، قال بعضهم في الكلام تقديم و تأخير و تقديره فألقه إليهم فأنظر ماذا يرجعون ثمّ توَّل عنهم و الإنصاف أنّ الكلام لا يحتاج إلى التقدير بل الكلام صحيحٌ على ما هو عليه من

الترتيب فالمعنى فألقه إليهم ثمّ توَّل عنهم قريباً منهم فأنظر ماذا يرجعون و التَّولي الإعراض و قيل المراد به الإستتار و المعنى فألق الكتاب إليهم ثمّ إستتر عنهم فلمّا مضى الهدهد بالكتاب و ألقاه إليهم إستتر عنهم فلمّا رأته بلقيس.

قَالَتْ يٰآ أَيُّهَا ٱلْمَلَوُّا إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَابُ كَرِيمٌ، إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمُنِ ٱلرَّحْيمِ، أَلَّا تَعْلُوا عَلَىَّ وَ أَتُونِي مُسْلِمينَ

أي قالُت بلقيس بعد قراءة الكتاب يا أيها الملاء و هم أشراف قومها و أصحابها أنّي ألقي إلَّي كتابٌ كريم، و أنّما قالت ألقي بصيغة المجهول لعدم علمها بالملقي و وصف الكتاب بالكرامة إشعاراً بأنّه حقيقٌ بأن يوصل الخبر العظيم من جهته أو أنّها فهمت من مطاوي الكتاب أنّه صدر من شخص كريم و ذلك لأنّ الكتاب كان من سليمان و أنّه بسم اللّه الرّحمن الرّحيم، ألا تعلوا علّي، العُلو على الشّئ طلب القهر له بما يكون به بحسب سلطانه أي لا تطلبوا تلك الحال فأنّكم لا تنالونها منّي هكذا قيل في معنى الكلام.

قال في المفردات العلو الإرتفاع و منه قوله تعالىٰ: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي المفردات العلو الإرتفاع و منه قوله تعالىٰ: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الأَرْضِ (١) و الذي يفهم من الكلام هو أنّ سليمان التَّلِا نهاهم عن العلو و أمرهم بالتسليم في قوله: و أُتُوني مُسْلِمينَ و قرأ بعضهم، ألا تغلوا، بالغين المعجمة من غلا يغلو إذا تجاوز و تكبر و هي راجعة إلى قراءة الجماعة و معنى قوله: و أتُوني مُسْلِمينَ، أي منقادين طائعين مؤمنين فأنّي لا أدعوا إلا إلى الحقّ.

قَالَتْ يَا آَيُّهَا ٱلْمَلَوُّا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَىٰ تَشْهَدُون

أي لمّا وصل الكتاب إلى بلقيس قالت مخاطبةً لأشراف قومها و زعماء أصحابها أفتوني في أمري هذا، أخذت في حسن الأدب مع قومها و مشاورتهم في أمرها و أعلمتهم أنّ ذلك أي المشاورة معهم مطرّدٌ عندها في كلّ أمرٍ يعرض بقولها: ما كُنْتُ قاطِعَةً أَمْرًا حَتّىٰ تَشْهَدُونِ فكيف في هذه النّازلة الكبرى فأجابها الملاء بما يقُّر عينها من إعلامهم أيّاها بالقوّة و البأس.

# قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَ أُولُوا بَأْسٍ شَديدٍ وَ ٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرينَ

و من محاسن هذه المحاورة أنّهم بعد إعلامهم إيّاها بالقوّة و البأس سلّموا الأمر إلى نظرها و قالوا فأنظري ماذا تأمرين أي نحن قلنا ذلك و لكنّ الأمر إليك و أمرك متّبعٌ قيل أنّ الملاء الّذين شاورتهم في الأمر كانوا ثلاث مائة و ثلاثة عشر رجلاً و كلّ رجلٍ منهم على عشرة ألاف.

## قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَ جَعَلُوٓا أَعِزَّةَ أَهْلِهَاۤ أَذِلَةً وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ

لمّا أرجعوا الأمر إليها بقولهم فأنظري ماذا تأمرين، قالت بلقيس أنّ الملوك إذا دخلوا قريةً الأية.

و حاصل المعنى أنّ دخول الملوك في القرى إذا كان بالقهر و الغلبة على أهلها فلازم ذلك ليس إلاّ الفساد بسبب القتل و الغارة و جعل أعزة أهلها أذلّة بإهانتهم شرفائها و عظمائها ليستقيم لهم الأمور.

و أمّا قوله: كَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ، فقيل أنّه من قول اللّه تعالى تصديقاً لقولها قال إبن الأنبارى وَ جَعَلُوٓا أَعِزَّةَ أَهْلِهاۤ أَذِلَّةً هذا وقفٌ تام فقال اللّه عزّ وجلّ تحقيقاً لقولها: وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ، و قال إبن شجرة هو قول بلقيس فالوقف وكذلك يفعل سليمان إذا دخل بلادنا.

أقول ما قاله إبن شجرة من أنّه قول بلقيس هو الحقّ فأنّ قوله: وَكَـذُلِكَ يَفْعَلُونَ من تتَّمة كلام بلقيس و الدّليل على هذا أنّ الإفساد في القرى من شأن

الملوك الجبابرة أمثال فرعون و نمرود و بخت نصّر و غيرهم و أمّا سليمان بن داود عليه المحان نبّوته فهو بمعزل عن الإفساد و القتل و الغارة أمثال ذلك و إذا كان الأمر على هذا المنوال فكيف يصدّقها الله في قوله: و كذلك يَفْعَلُونَ هذا مضافاً إلى أنّ قوله: و كذلك يَفْعَلُونَ، وقع بين قولها أنّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها و قولها: إنّى مُرْسِلَة إلَيْهِمْ بِهَدِيّة، وكيف يعقل أن يكون كلام الله. و محصّل الكلام أنّ سياق الكلام يقتضي أن يكون من كلام بلقيس و الله أعلم.

## وَ إِنِّي مُرْسِلَةً إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةً بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ

قيل هذا من حسن أدبها و تدبيرها أي و إنّي أجّرب هذا الرّجل بهديّة و أعطيه فيها نفائس من الأموال و أغرب عليه بأمور المملكة فأن كان ملكاً دنياويًا أرضاه المال و عملنا معه بحسب ذلك و أن كان نبَّياً لم يرضه المال و لازمناً في أمر الدّين فينبغي لنا أم نؤمن به و نتّبعه على دينه فبعث إليه بهَّدية عظيمة أكثر النّاس في تفصيلها و لا فائدة في نقلها لعدم وجود دليل على صحّته مضافاً الى أنّ العقل أيضاً لا يساعد عليه فقد نقلوا عن سعيد بن جبير عن إبن عبّاس أنّها أرسلت الي سليمان بلبنةٍ من ذهب فرأت الرّسل الحيطان من ذهب فصغر عندهم ما جاءوا به و قال مجاهد أرسلت إليه بمائتي غلام و مائتي جارية و روي عن إبن عبّاس أرسلت بإثنتي عشرة و صيفة مذّ كرين قد ألبستهم زيّ الغلمان و إثني عشر غلاماً مؤنَّثين قد ألبستهم زيّ النّساء و على يد الوصائف أطباق مسكٍ و عنبر و بإثنتي عشرة نجيته تحمل لبن الذَّهب و هكذا و من المعلوم أنَّ ما ذكروه غير معقولٍ و غير منقولٍ و لا يهّمنا البحث فيه فأنّ القدر المسلّم من الآية أنّها أرسلت إليه بهدية و لا شك أنّ هديّة الملوك عظيمة و أمّا كيفّيتها وكميّتها فلم يصرح بها الكتاب و قد قيل لنا إسكتوا ممّا سكت الله عنه ثمّ أنّ الرّسول على ما قيل كان واحداً و لكنّ كان في صحبته أتباع و خدم و قيل أرسلت رجلاً من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو و ضَّمت إليه رجالاً ذوي رأي و عقلٍ و قالت للغلمان إذا كلَّمكم سليمان فكَّلموه بكلام فيه تأنيث يشبه كلام النساء و قالت للجواري كلمّنه بكلام فيه غلظ يشبه كلام الرّجال فيقال أنّ الهدهد جاء و أخبر سليمان بذلك كلّه و قيل أنّ الله أخبر سليمان به و قد أطالوا الكلام في هذا المقام أيضاً بما لا دليل على صحته و لا فائدة في نقله و من أراد الوقوف على ما ذكروه فعليه بتفسير القرطبي.

فَلَمُّا جُآءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ اٰتَيْنِيَ ٱللَّهُ خَـيْرٌ مِـمَّآ اٰتِيْنِيَ ٱللّٰهُ خَـيْرٌ مِـمَّآ اٰتِيكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ اللَّهِ عَلْمَ اللّٰهِ عَلْمَ عَلْمَ عَلْمَ عَلْمَ اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهُ اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَى الللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهِ عَلَى الللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهُ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَى اللّٰهُ عَلَى الللّٰهِ عَلَى اللّٰهِ عَلَ

أي فلّما جاء الرَّسُولَ سليمان بالهديّة قال سليمان التَّلِاِ: أَتُمِدُّونَنِ بِمَال، قرأ حمزة و يعقوب و الأعمش بنونٍ واحدة مشّددة و ياء ثابتة بعدها، و الباقون بنونين و هو إختيار أبي عبيد لأنّها في كلّ المصاحف بنونين.

و قد روى إسحاق عن نافع أنّه كان يقرأ، أتَمَدُون، بِنُونٍ واحدة مخفّفة بعدها ياء في اللّفظ و قيل في تفسيرها أي، أتزيدونني مالاً إلى ما تشاهدونه من أموالي، و قيل الإمداد إلحاق الثّاني بالأوّل و الثّالث بالثّاني إلى حيث ينتهي و المعنى لست أرغب في المال الّذي تمدونني به و أنّما أرغب في الإيمان الّذي دعوتكم إليه و الإذعان بالطّاعة للّه و رسوله ثمّ قال سليمان الثيلا فما أتاني الله من أنواع النّعم خير ممّا أتاكم الله بالتّمكين من المال الّذي لي أضعافه و أضعاف أضاعفه إلى ما شئت منه ثمّ قال عليمًا أنتم بهديّتكم تفرحون، أي بهديّتكم التّي أهديتموها إلى تفرحون و الهديّة العطيّة على جهة الملاطفة.

ٱِرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَ لَـنُخْرِجَنَّهُمْ مِـنْهَآ أَذِلَّةً وَ هُمْ صٰاغِرُونَ

أي قال سليمان للرَّسول أرجع إليهم بهديّتهم، فنأتيَّنهم بجنودٍ لا قبل لهم بها، لا طاقة لهم بها و لا يقدرون على مقابلتهم ومقاومتهم، و لنخرجّنهم منها أي من نياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷

العجلد الثاني عشر الحاء بمنا

الأقوال و العلم عند الله.

أرضهم أو من بلادهم و قيل من قرية سبأ، أذلَة و هم صاغرون، و ذلك لأنّ عزّة السّلطان و من تابعه في بقاء الملك فإذا سلب الملك فلا عزّة له و قوله: صاغِرُونَ أي مهانون أذلاء من الصّغر.

قَالَ يٰآ أَيُّهَا ٱلْمَلَوُّا أَيُّكُمْ يَأْتِيني بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُوني مُسْلِمينَ لمّا لم يقبل سليمان هديّتهم و أمر الرّسول بالرّجوع و هدُّدهم بزوال ملكهم و صيرورتهم أذلَّة خاطب أصحابه من الأعيان و الأشراف و قال لهم أيَّكم يأتيني بعرشها ملكة سبأ قبل أنْ يَأْتُوني مُسْلِمينَ أي مطيعين منقادين، قيل كانت بلقيس على فرسخ من سليمان لمّا قال التَّالَّا هذا الكلام و كانت خلفت عرشها بسبأ و و كلت به حفظة.

قال إبن عبّاس كان أمره بالإتيان بالعرش قبل أن يكتب الكتاب إليها ولم يكتب إليها حتّى جاء العرش و قال بعض المفسّرين ظاهر الأيات أنّ هذه المقالة من سليمان بعد مجئ هديّتها و ردُّه إيّاها و بعثه الهدهد بالكتاب، و إختلفوا في فائدة إستدعاء عرشها فقال قتادة ذكر له بعظم وجودة، فأراد أخذه قبل أن يعصمها و قومها الإسلام و يحمى أموالهم و الإسلام في قوله: مُسْلِمينَ، على هذا الدّين. و قال إبن زيد إستدعاه ليريها القدرة التّي هي من عند اللّه و يجعل نيلاً على نبوّته لأخذه من بيوتها دون جيش و لا حرب و مسلمين على هذا التّأويل بمعنى مستسلمين و هو قول إبن عبّاس و قيل أراد أن يختبر عقلها و قيل غير ذلك من

### قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ ٱلْجِنِّ أَنَا أَتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَ إِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمينُ

عِفريت بكسر العَين أي رئيس و هو من الشّياطين القوي المارد، قال وهب بن منّبه إسم هذا العفريت، كردن، و قيل، ذكوان، و قيل دعوان، و عن إبن عبّاس أنّه صخر الجنّي و من هذا الإسم قول ذي الرَّمة:

كأنَّــه كوكبُ في أثر عفريتٍ مصّوبُ في سواد اللّيل منقضبُ و أنشد الكسائي:

إذ قال شيطانهم العفريت ليس لكم ملك و لا تثبيتُ و قوله: قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ أي عن مجلسه الّذي كان يحكم فيه و قوله: وَ إِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ، أي قوّيٌ على حمله أمينٌ على ما فيه و قال إبن عبّاس أمينٌ على فرج المرأة.

قَالَ ٱلَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ ٱلْكِتَابِ أَنَا التيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمُّا رَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هٰذا مِنْ فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِّي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَ مَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي

إتَّفق المفسّرون على أنّ القائل بهذا الكلام الّذي كان عنده علمٌ من الكتاب هو أصف بن برحينا، قيل أنّه إبن خالة سليمان و وصيّه و كان عنده إسم اللّه الأعظم من أسماء الله و قال مجاهد إسمه إسطوع.

و قال قتادة مليخا، و قيل هو الخضر و المشهور عندهم هو القول الأوّل و قوله: أنَا أتيك بِه، أي بالعرش، قبل أن يرتَّد إليك طرفك، أي قبل أن يرجع إليك ما يراه طرفك، و قيل قبل أن يرجع طرفك خاسئاً إذا فتحتها و أدمت فتحها، و قيل قبل أن تفتحها و تطبقها، فلمّا رأه سليمان مستّقراً، ثابتاً عنده قال هذا من ز ۽ ١٩ 🖒 فضل ربّي ليبلوني أي يختبرني و يمتحنني ءأشكر أم أكفر، أي ءأشكر على نعمه أم أجحدها، ومن شكر، علىٰ نعمه فأنّما يشكر لنفسه، لأنّ ثواب الشّكر يعود عليه و من كفر به أي جحد نعم اللّه فأنّما يضّر نفسه لأنّ عقاب ذلك يحلّ به فأنّ الله تعالى غنّيٌ عن كلّ شيّ كريمٌ في أنعامه على خلقه و في الآية لطائف و نقاط. الأُولىٰ: في قوله هٰذا مِنْ فَضْلِ رَبِّى و فيه إشارة الى أنّ ما أعطاه اللّه من النَّصر و التّمكين و الملك و النبوّة و غير ذلك من النِّعم أنّما هو من فضل الرَّب

على العبد و إلا فالعبد لا يستحقّ ذلك بحسب نفسه و توضيح ذلك إجمالاً هو أنّ العبد مخلوق له تعالى أخرجه الله من العدم الى الوجود و أعطاه من النّعم الظّاهرة و الباطنة ما لا يقدر على إحصاءها غيره قال اللّه تعالى: وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللّهِ لا تُحْصُوها (١) و قد ثبت عقلاً أنّ شكر المنعم واجب على المنعم عليه فكل ما يأتي به العبد في مقام العبوديّة من فعل الواجبات و ترك المحرّمات فهو من باب الشّكر عملاً و أن شئت قلت هو العمل لوظائفه المقهّرة له من باب الشّكر العملي فلا يستحقّ به شيئاً فكلّ ما يعطيه اللّه تعالى في الدُّنيا و الأخرة أنّما هو من رشحات فضله وجوده و لمّا أعطى اللّه تعالى سليمان الملك و النبوّة الّتي ليس فوقها مقام فحقّ له أن يقول: هذا إشارة ليس فوقها مقام فحقّ له أن يقول: هذا إمن هو من فضل اللّه و كرمه و لطفه و عنايته.

الثانية: قوله لِيَبْلُوَبَى ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ، قال الأخفش أي لينظرني، وليس بشي لأنّ الأصل في الإبتلاء الإختبار و الامتحان و المعنى ليختبرني و في هذا الكلام إشارة الى أنّ العبد دائماً في معرض الإختبار في الدِّنيا قال الله تعالى: المة، أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُعْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا أَمَنّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) و غاية الإختبار هي ما ذكره بقوله: ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكُفُرُ أي أنّ الله إختبرنى لذلك.

أن قلت أنّ اللّه تعالى لا يخفى عليه شيٍّ من ظاهر العبد و باطنه فـما وجـه إختباره و إمتحانه.

قلت نعم أنّ الله تعالى عالم بالسِّر و الخفيّات و لا يخفى عليه شيّ أصلاً فنفع الإختبار لا يرجع اليه تعالى بل يرجع الى العبد نفسه فهو في غير الأنبياء معرفة النّاس أيّاهم و هذه الفائدة لا تحصل إلاّ به. الثّالثة: قوله وَ مَنْ شَكَرَ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِتَفْسِهِ الىٰ آخر الآية وفي هذا

الكلام إشارة الى أصلين أصيلين:

أحدهما: أنّ فائدة الشّكر ترجع الى الشّاكر لا الى غيره و هو معنى قوله: وَ مَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِمِهِ و هو واضح لا خفاء فيه و إذا كان كذلك فينبغي للعبد أن يشكر لينتفع به فأنّ جلب المنفعة واجب عقلاً كما أنّ دفع المضّرة أيضاً كذلك.

ثانيهما: أنّ اللّه تعالى غنّيّ مطلقاً لا يحتاج الى عبادة العبد و شكره على النّعم لأنّ الإحتياج ينشأ من الفقر و الفقر مساوق للإمكان و هو تعالى واحب الوجود بيان ذلك أنّ اللّه تعالى لو كان محتاجاً الى غيره فهو ناقص في حدّ ذاته لأنّ الإحتياج عيم النّقص وكلّ ناقص فهو ممكن الوجود و المفروض أنّه واجب الوجود فيلزم من إحتياجه إمكانه و هو كما ترى:

قال الله تعالىٰ: يا آيُهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرْآءُ إِلَى اللَّهِ وَ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ حَمِيدُ (١).

و الى هذه الدّقيقة أشار بقوله: فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَريمٌ.

و أمّا قوله: كُربِمُ فهو إشارة الى أنّ اللّه تعالى يعطي العبد على أساس جوده و كرمه لا على أساس الإستحقاق فهو يعطي الشّاكر و الكافر إلاّ أنّ الشّاكر على نعمه يزداد في حقّه بسبب شكره بخلاف الكافر بالنّعم:

كما قال تعالىٰ: لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَرْبِدَنَّكُمْ وَ لَـئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَـذَابِي مَدِيدٌ (٢).

و قد مضى الكلام في الشُّكر و آثاره المتّرتب عليه في الدُّنيا و الأخرة سابقاً الله فلانعيد الكلام بذكره ثانياً. المراء 19

قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَـنْظُرْ أَتَـهْتَدَى ٓ أَمْ تَكُـونُ مِـنَ ٱلَّـذَبِنَ لَا يَهْتَدُونَ

أي قال سليمان النَّالِا نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا، أي غيَّروه قيل جعل أعلاه أسفله

سياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ حَمْمُ ﴾ الع

و أسفله أعلاه، و قيل غيّر بـزيادةٍ أو نـقصان و قـال بـعض المـفسّرين أمـر سليمان للتِّللِا أن ينكّروا لها عرشها و هو أن يغيّروه الى حالٍ.

تنكره إذا رأته قيل أراد بذلك إختبارها من جِهة عقلها فأنّ التّنكير تغيير الشئ الى حالٍ ينكرها صاحبها رآها و قوله: نَنْظُرْ أَتَهْتَدَى، أي أتهتدي بلقيس الى طريق الرُشد أم تكون من الّذين لا يهتدون، لقلّة عقولهم.

فَلَمًّا جٰآءَتْ قَبِلَ أَهٰكَذا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَ أُوتينَا ٱلْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهٰا وَكُنَّا مُسْلِمينَ

أي فلمًا جاءت بلغيس، قيل لها، أي قال لها سليمان، أَهْكَذْ أَعَرْشُكِ فقالت بلقيس في الجواب كَأَنَّهُ هُوَ ولم نقطع عليه لمّا رأت من تغيَّر أحواله فقال سليمان النَّلِا وَ أُوتيهَا ٱلْعِلْمَ مِنْ قَبْلِها وقيل هو من قول بلقيس أي أوتينا العلم بصحّة نبوّة سليمان من قبل هذه الآية في العرش، وكنّا مسلمين، أي منقادين لأمره.

و قال الجبائي هو من كلام سليمان و اللّه أعلم بحقيقة الأمر و الظّاهر أنّه من كلام سليمان.

وَ صَدَّها ما كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ إِنَّها كَانَتْ مِنْ قَوْمِ كَافِرِينَ

الصدّ المنع و المعنى منعها سليمان أي منع بلقيس عمّا كانت تُعبد من دون الله من الشّمس و القمر و أن شئت قلت حال سليمان بينها و بين عبادتها للشّمس و قيل صدَّها الله عن عبادتها، أنّها، أي بلقيس كانت من قومٍ كافرين، بنعم الله عليهم عابدين مع الله غيره.

قَيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدُ مِنْ قَوارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسى وَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ

إختلفوا في معنى الصّرح على أقوالٍ:



أحدها: أنَّ الصَّرح كان صحناً من زجاج تحته ماء و فيه الحيتان، عمله سليمان ليريها ملكاً أعظم من ملكها قال مجاهد.

الثَّاني: منها قول قتادة قال كان الصَّرح من قوارير خلفه ماء.

ثالثها: قول أبي عبيدة و هو أنّ الصُّرح القفر.

رابعها: قول بعضهم أنّ الصَّرح الصَّحن كما يقال هذه صرّحة الدّار و قاعتها.

خامسها: أنَّ الصَّرح كلُّ بناءِ عالِ مرتفع من الأرض نقل هذه الأقوال القرطّبي في تفسيره و قال الشّيخ في التّبيان، الصَّرح هو الموضع المنبسط المنكشف من غير سقفٍ و منه قولهم صرّح بالأمر إذا أفصح به ولم يكِّن فيه و التَّصريح خلاف التّعريض، و فلان يكذب صراحاً من هذا.

أمًا قوله: فَلَمُّنا رَأْتُهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً يعنى أنَّ بلقيس لمَّا رأت الصَّرح ظنته لجّة و اللَّجة فقطم الماء و منه لجج البحر خلاف السّاحل و منه لجّ في الأمر إذا بالغ بالدُّخول فيه.

و قوله: وَ كَشَفَتْ عَنْ سٰاقَيْهَا أَى كشفت المرأة عن ساقيها ظنّاً منها أنّها تريد أن تخوض الماء و قيل أنّ سليمان أجرى الماء تحت الصَّرح الَّذي هو كهيئة السَّطح، و قيل أنَّها لمّا كشفت عن ساقيها، فإذا هي أحسن النَّاس ساقاً سليمةً ممّا قالت الجنّ و ذلك لأنّ الجنّ قالت أنّها أي بلقيس من طائفة الجنّ و رجلها رجل حمار، قيل لمّا رأت اللُّجة فزعت و ظنَّت أنّه قصد بها الغرق و تعجّبت من كون كرسيّه على الماء و رأت ما هالها و لم يكن لها بدٌّ من إمتثال الأمر: قُــالَ إنَّــهُ نزء ١٩ ﴾ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَواْريرَ و القائل سليمان و ذلك لأنّها لمّاكشفت عن ساقيها كانت كثيرة الشُّعر فلمًا بلغت هذا الحدّ قال لها سليمان بعد أن صرف بصره عنها، أنّه صرحٌ ممَّردٌ من قوارير، الممَّرد الممَّلس و منه الأمرد، و شجرة مرداء، ملساء لا ورق عليها و المارد الخارج عن الحقّ الممّلس منه قيل لمّا رأى سليمان قدميها قال لبعض الشّياطين كيف لي أن أقلع هذا الشُّعر من غير مضرّةٍ بالجسد فدُّله على عمل النورة فكانت النورة و الحمَّامات من يومئذٍ و يروي أن سليمان

يقرآن

تزّوجها عند ذلك و أسكنها الشّام قاله الضّحاك، و قيل تزّوجها و ردَّها الى ملكها باليمن و كان يأتيها على الرَّيح كلّ شهرٍ مرّةٍ فولدت له غلاماً سمّاه داوود مات في زمانه، و قيل لم يتزّوجها سليمان و قيل غير ذلك من الأقوال التي لا دليل على صحتها و قد أشبع القرطبي كتابه من هذه الأقوال الرّكيكة مثل ما نقله عن رسول الله وَلَيْ أَنّه قال كانت بلقيس من أحسن نساء العالمين من حيث السّاقين وهي من أزواج سليمان في الجنّة، فقالت عائشة هي أحسن ساقين مني فقال الله الله القيثري إنتهي المنتفية المنال الله المنال المنالة الم

أقول أنظروا يا أهل الإنصاف الى ما ذكروه في تفسير كلام اللّه فأقضوا ما أنتم قاضون به، ثمّ أنّ القرطبي قد أطال الكلام في المقام بما لا فائدة في نقله بل لا يجوز نقله و أن شئت الإطّلاع على ما ذكره فعليك بكتابه الذي سمّاه الجامع لأحكام القرآن وليت شعري ما الّذي دعاه الى نقل هذه الموضوعات مع أنّ الّذي صرّح به القرآن و وردت به الأثار هو أنّها أسلمت على يد سليمان و صارت مسلمة مؤمنة بعد كفرها و تابت الى الله من عبادة الأوثان توبة نصوحاً و أمّا أن سليمان تزوّجها أو لم يتزوّجها فلا دليل عليه و اللّه أعلم.

#### تنبية:

نذكر فيه إجمالاً من أحوال سليمان في حياته و هو أنّه كان من أنبياء بني إسرائيل و كان يعتكف غالباً في مسجد بيت المقدس فلمّا بلغ من العمر ثلاثاً و خمسين سنة أي بعد أربعين سنة من توّليه الملك و ذلك لأنّه توّلاه و هو إبن ثلاثة عشر سنة، أحبَّ يوماً أن يصعد الى أعلى قصره و يتأمّل وحده بناء مسجده من عل فأمر أن يمنع دخول أيّ شخص وراءه حتّى و لو كان من خوّاصه و جنوده شمّ صعد وحده حتّى بلغ أعلى مطل تحت القبّة المصنوعة من قوارير و أطل على العمّال و هم يشيّدون المسجد و كان قد بقى من مدّة كمال بناءه ما يقرب من سنة و فجأة نظر فلمح شجرة خرنوب من ناحيةٍ من نواحي البلدة و كان متّكاً على عصاه فأضطربت جوارحه لأنّ اللّه تعالى كان قد عرّفه أنّ آية موته خروج شجرة عصاه فأضطربت جوارحه لأنّ اللّه تعالى كان قد عرّفه أنّ آية موته خروج شجرة

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷

خرنوب من بيت المقدّس و بعد هذا الإضطراب الذي أصابه إلتفت فرأى شابّاً جميل الوجه في زيًّ حسن يخرج اليه فغضب و قال من أدخلك هذا القصر و من الذي سمح لك في دخوله و من أنت فقال أمّا الذي أمرني بالدُّخول فهو صاحب القصر و أمّا الإستئذان عليك فلم يكن لي عادة أن أستأذن في الدُّخول على السّلاطين و الملوك فعلم سليمان أنّه ملك الموت فسأله سليمان فيم جئت قال جئت لأقبض روحك و عند ذلك سأل ربّه أن يخفي على الجنّ موته لجهتين: الله ولي: ليداوموا أعمالهم في عمارة بيت المقدّس.

الثانية: ليعلم هم و الإنس أنهم لا يعلمون الغيب و أنّ علمه عند الله فأجابه الله تعالى و قبض عزرائيل روحه و قومه ينظرون إليه و هو متّكيّ على عصاه و هم يحسبونه حيّاً مدّة سنة كاملة و كان وزيره أصف بن برحنا خلال تلك المدّة يدّبر أمر المملكة و ينظّم أعمال الجنّ و الإنس فلمّا كمل بناء المسجد بعد سنة أرسل الله تعالى دودة الأرض فأكلت العصا فسقط و في هذه القصّة عبرة لأولى الأبصار إن إعتبروا بها ولكن ما أكثر العبر و أقل الإعتبار فإذا كان سليمان بن داود مع نبوته و عظم ملكه و تسلطه على الجنّ و الإنس و الطّير و الوحش و السّحاب و الرّياح و غير ذلك ممّا لم يوجد لأحدٍ قبله و لا بعده عاقبته الموت فما ظنّك بغيره قال أميرالمؤمنين النبيّا في

وَلَوْ اَنَّ اَحَداً يَجِدُ اِلَىٰ الْبَقَاءِ سُلَّماً اَوْ لِدَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلاً لَكَانَ ذَٰلِكَ سُلَيْمَانُ ابْنُ دَاوُودَ عَلَيْكِ الَّذِي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ مَعَ النَّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ. فَلَمَّا اسْتَوْفَىٰ طُعْمَتَهُ وَاسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ رَمَتْهُ قِسَى الْفَنَاءِ بِنبَالِ الْمَوْتِ وَاصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً وَالْمَسَاكِنُ مُعطَلَّةً وَوَرِثَها قَوْمُ آخَرُونَ. وَاِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِرةً الخُلِانِ.

باء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ هُمُ } المجلد الثاني عنا

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخْـاهُمْ صَـالِحًا أَن ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَريقانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٥) قَالَ يَا قَوْم لِـمَ تَسْـتَعْجِلُونَ بِـالسَّيِّئَة قَـبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (۴۶) قَالُوا أَطَّيَّرْنَا بِكَ وَ بِـمَنْ مَـعَكَ قَالَ طْآئِرُكُمْ عِنْدَ ٱللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (٤٧) وَ كَانَ فِي ٱلْمَدينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَ لَا يُصْلِحُونَ (٤٨) قَالُوا تَـقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنَّبَيِّنَّهُ وَ أَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَ إِنَّا لَـصَادِقُونَ (٢٩) وَ مَكَـرُوا مَكْرًا وَ مَكَرْنًا مَكْرًا وَ هُمْ لَا يَشْـعُرُونَ (٥٠) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةً مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَ قَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِقَوْم يَعْلَمُونَ (٥٢) وَ أَنْجَيْنَا ٱلَّذِينَ اٰمَـنُوا وَ كَـانُواً يَــتَّقُونَ (٥٣) وَ لُوطًا إذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ ٱلْفَاحِشَةَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجْـالَ شَـهْوَةً مِنْ دُونِ ٱلنِّسْآءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (۵۵)

#### ◄ اللّغة

نَمُودَ: بفتح النّاء و ضَمّ الميم قيل هو عجّمي و قيل هو عرّبي و تـرك صـرفه لكونه إسـم قبيبلةٍ و هو مفعولٌ من الثّمد و هو الماء القليل الّذي لا مادّة له و منه قيل فلان مثمود ثمّدته النّساء أي قطعت مادّة ماءه لكثرة غشيانه لهنّ، و ثمودٌ إذا كثر عليه السّؤال حتّى فقد مادّة ماله قاله الرّاغب في المفردات.

آطِّرُّنْ: التَّطير التَّشأم و هو نسبة الشَّوم إلى الشَّيُ على ما يأتي به الطّير من ناحية اليد اليسرى و الأصل في، أطيّرنا، تطَّيرنا، دخلت فيه ألف الوصل لمّا سكنت الطّاء للإدغام.

لَشَيِّتَنَّهُ: قرئ بالنُّون و التّاء.

خاوِيَةً: أي خالية فارغة.

#### ◄ الإعراب

فَإِذَا هُمْ إِذَا هِنَا لَلمَفَاجَأَةَ فَهِي مَكَانَ، و هُم مبتدأً و فَرِبِقَانِ الخبر و يَخْتَصِمُونَ صفة و هي العاملة في، و رَهْطٍ إسم للجمع و لذلك أضيف تسعة إليه و يُفْسِدُونَ صفة لتسعة أو لرهطٍ تَفَاسَمُوا أمرٌ أي أمر بعضهم بعضاً و قيل هو فعل ماضٍ خاوية حال من البيوت و بما يتعلق بخاوية.

#### ◄ التّفسير

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ اِلِى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ فَـاإِذَا هُــمْ لَــمُ فَريقَانِ يَخْتَصِمُونَ إِنَّا هُــمُ إِذَا هُــمُ إِذَا هُــمُ فَريقَانِ يَخْتَصِمُونَ إِنْ اللَّهَ عَلَيْهِ اللَّهَ عَلَيْهِ اللَّهَ عَلَيْهُ اللَّهَ عَلَيْهُ اللَّهَ عَلَيْهُ اللَّهَ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُوا لِمُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُوا عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَّا عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَّا عَلَّا عَلَيْهُ عَلَّا عَلَالَّهُ عَلَيْهُ عَلَّا عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَّا عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُوا عَلَالَّا عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَاهُ عَلَيْكُوا عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَا عَلَّا عَلَّ

أخبر الله تعالى أنه أرسل إلى قوم ثمود أخاهم صالحاً، يعني في النسب لأنه كان منهم أَنِ آعْبُدُوا ٱلله موضع أن، نصب و تقديره أرسلناه أن أعبدوا الله، فَإِذا هُمْ فَريقانِ يَخْتَصِمُونَ، منهم مؤمن بصالح و منهم كافر به و قيل معنى الكلام أن كلّ فرقة قالت نحن على الحقّ دونكم و قد مرَّ الكلام في قصّة صالح مفصّلاً فلا نعيد الكلام بذكرها ثانياً.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷

اله و بم

قَالَ يُا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلا تَسْـتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

أي قال صالح لقومه لم تستعجلون بالعذاب قبل الرَّحمة قاله مجاهد و على هذا فالسّيئة هاهنا المراد بها العقاب سمّاها سيّئة لما فيها من الألام و لأنّها جزاء على الأفعال السّيئة و قيل السّيئة العمل القبيح الّذي لا يجوز لفاعلها فعلها و نقيضها الحسنة هكذا قيل و يحتمل أن يكون المراد بالسّيئة الإنكار و الكفر بالتوحيد و النّبوة و بالحسنة الإيمان بالله و بما جاء النّبي و عليه فالمعنى لِمَ تؤخّرون الإيمان الّذي يجلب إليكم الثّواب و تقدّمون الكفر الّذي يوجب العذاب و قيل معنى الكلام لم تفعلون ما تستّحقون به العذاب لا أنّهم إلتمسوا تعجيل العذاب و قوله: لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ ٱلله من الشّرك لعلكم ترحمون، أي لكي ترحمون لأنّ التَّرجي لا معنى له في حقّ الله، و الشّرك لعلكم ترحمون، أي لكي ترحمون لأنّ التَّرجي لا معنى له في حقّ الله، و لولا زيدٌ لأتيتك فخرجت إلى الإنكار لإمتناع الشّي لكون غيره كقولك لولا زيدٌ لأتيتك فخرجت إلى الإنكار لإمتناع الشّي لفساد سببه فقال لولا تستغفرون منه.

## قَالُوا آطَّيَّرْنَا بِكَ وَ بِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَآئِرُكُمْ عِنْدَ ٱللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ

لمّا دعاهم صالح إلى عبادة اللّه و عدم الإستعجال بالسّيئة قبل الحسنة و أمرهم بالإستغفار أي طلب الغفران من اللّه، قالوا في جواب صالح النّبي، أطّيّرُنا بِكَ وَ بِمَنْ مَعَكَ، الهمزة للإستفهام و الأصل فيه تطّيرنا، كما مرّ في شرح اللّغات، قبل أنّهم كانوا قد قحطوا و لمّا لاطفهم صالح في الخطاب أغلظوا له و قالوا: أطّيّرُنا بِكَ وَ بِمَنْ مَعَكَ، أي تشائمنا بك و بالذين أمنوا معك و دلّ هذا العطف أنّ الفريقين كانوا مؤمنين و كافرين لقوله: وَ بِمَنْ مَعَكَ و جعلوا سبب قحطهم هو ذات صالح و من أمن معه فرّد صالح عليهم بقوله: طَآئِرُكُمْ

ضياء الفرقان في تفسير المقرآن

فرآن کے العجلا الثانی عشر الدیکا

ياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ مَمْ ﴿ إِ

عِنْدَ ٱللّٰهِ أي حظّكم و نصيبكم في الحقيقة من خيرٍ أو شَـرٍ هـو عـند اللّـه و بقضاءه إن شاء رزقكم و إن شاء حرمكم.

و قال الزَّمخشري و يجوز أن يريد و عملكم مكتوبٌ عند الله نزل بكم ما نزل عقوبةً لكم و فتنةً، و منه قوله: طائركم معكم، وَ كُلَّ إِنْسُانٍ أَلْزَهْنَاهُ طَآئِرَهُ في عُنُقِهِ (١) و قرئ تطَّيرنا بكم على الأصل.

قال بعض المفسّرين الشّؤم النّحس و لا شئ أضَّر بالرّأي و لا أفسد للتّدبير من إعتقاد الطَّيرة و من ظنَّ أنّ خوار بقرة أو نعيق غراب يرّد قضاءً أو يدفع مقدوراً فقد جهل و إلى هذا أشار الشّاعر بقوله:

طيرة الدّهر لا ترُّد قضاً فأعذر الدّهر لا تشبه بلوم أيُّ يـــوم يـخصّه بسـعود و المنايا ينزلن في كلّ يومً ليس يــومُ إلاّ فـيه سـعود و نحوسُ تجري لقوم فقوم

و قد كانت العرب أكثر النّاس طيرة و كانت إذا أرادت سفراً نفّرت طائراً فإذا طار يمنة، سارت و تيَّمنت و إذا طار شمالاً رجعت و تشأمَّت فنهى النّبي اللَّهُ اللَّهِ اللهُ وَاللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ ال

و قوله: بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ، كلمة، بل، للإضراب و الإفتنان الإمتحان و المعنى بل أنتم تمتحنون، و قيل الفتنة هاهنا قولهم: ما زيّن لهم من الباطل، وقيل معناه تعذّبون بذنوبكم.

# وَ كَانَ فِي ٱلْمَدينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَ لَا يُصْلِحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَ لَا يُصْلِحُونَ

و كان في المدينة أي مدينة صالح و هي الحجر تسعة رهطٍ أي تسعة رجالٍ من أبناء أشرافهم و كان هؤلاء التسعة عظماء أهل المدينة و كانوا يفسدون في

اء الفرقان في نفسير القرآن ﴿ عَمْ ﴾ ﴿ عَمْ الْعُوانُ فِي نَفْسِيرِ القَرآنِ ﴿ عَمْ الْعُمْ الْعُوانُ فِي الْعُمْ الْعُرَانُ

الأرض و يأمرون بالفساد فجلسوا عند صخرة عظيمة فقلّبها الله عليهم، وقيل أنهم كانوا يقرضون الدّراهم والدّنانير و ذلك من الفساد في الأرض، و قيل فسادهم أنهم كانوا يتبعون عورات النّاس و لا يسترون عليهم و هكذا و الحقّ على ما يفهم من الآية أنهم كانوا من أوجه القوم و أقناهم و أغناهم و كانوا أهل كفر و معاص جمّة و جملة أمرهم أنهم كانوا يفسدون و لا يصلحون و الرّهط إسم للجماعة فكأنهم كانوا رؤوساء يتبع كلّ واحد منهم رهط و هؤلاء المذكورون كانوا أصحاب قدار عاقر النّاقة و إختلف في أسمائهم فقال الغزنوي، أسمائهم، قدار بن سالف، و مصدع، و أسلم و دسما، و ذهيم، و ذعماء و ذعميم، أسمائهم، قدار بن سالف، و مصدع بن مهرع فأتبعهم سبعة و قد ذكروا في أسمائهم غير ذلك و الكلّ لا دليل على صحته و لذلك أعرضنا عن نقل الأقوال و لا يهمنا معرفة أسمائهم و أنّما المهم معرفة أوصافهم أعرضنا عن نقل الأقوال و لا يهمنا معرفة أسمائهم و أنّما المهم معرفة أوصافهم و قد جمع اللّه أوصافهم المذمومة في جملة واحدة و هي قوله: يُقْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَ لَا يُصْلِحُونَ، و الفساد في الأرض يشمل الكلّ.

قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّننَّهُ وَ أَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَ إِنَّا لَصَادِقُونَ

قيل يجوز أن يكون، تقاسموا، فعلاً مستقبلاً و هو أمرٌ أي قال بعضهم لبعضٍ أطغوا، و يجوز أن يكون ماضياً في معنى الحال كأنهم قالوا متقاسمين بالله، و دليل هذا التّأويل قراءة عبد الله تقاسموا بالله و ليس فيها، قالوا.

و أمّا قوله: لَنُبَيِّننَّهُ وَ أَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ، فقراءة العامّة فيها بالنُّون و إختاره أبو حاتم و على هذا فقوله: لَنُبَيِّننَّهُ، و قرأ حمزة و الكسائي بالتّاء فيها و ضمّ اللاّم و التّاء على الخطاب أي أنّهم تخاطبوا بذلك و إختاره أبو عبيد، و قرأ مجاهد و حميد بالياء فيهما و ضمّ الياء و اللاّم على الخبر و البيان مباغتة العدّوليلاً و معنى، لوَّليه، أي لرهط صالح الذي له ولاية الدَّم.

قيل لمّا طالت المشاجرات و المخاطبات بينه عليَّا لِلهِ و بين القوم و لم يؤمنوا به إتَّفقت كلمتهم على أن يهجموا عليه في داره بياتاً و يقتلوه ثمّ ينكروا ذلك فلمّا أن ان اللَّيل قام جماعة منهم و دخلوا على صالح في ظلمة اللَّيل ليقتلوه فأنزل اللَّه تعالى عليه ملائكة من السّماء رموا كلّ واحدٍ من أولئك الكفرة بحجر فـمات بساعته حتّى قتلوهم على أخرهم و إليه أشار اللّه تعالى بقوله: وَ مَكَرُوا مَكْرًا وَ مَكَرْنَا مَكْرًا وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ كماسيأتي الكلام فيه.

و أمّا قوله: مَا شَهِدْنًا مَهْلِكَ أَهْلِهِ بفتح الميم و اللاّم علىٰ قراءة عاصم و في رواية حفص بفتح الميم و كسر اللآم، و قرأ الباقون بضّم الميم و فتح اللآم و لكُلِّ وجهٌ وجيه و حاصل معنى الآية أنَّهم تقاسموا أي تحالفوا على قتل صالح بياتاً أي ليلاً كما ذكرناه و أن يقولوا، لوَّليه، أي لوَّلي الدُّم، مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِه، أي موضع هلاكه و إنّا لصادقون في قولنا و لمّا كان هذا من المكر قال الله تعالىٰ: وَ مَكَرُوا مَكْرًا وَ مَكَرْنًا مَكْرًا وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ المَكر صرف الغير عمًا يقصده بحيلة و ذلك ضربان، مكرٌ محمودٌ و ذلك أن يتَّحرى بـذلك فعلَّ جميل و على ذلك قوله: و ٱلله خَيْرُ ٱلْماكِرِينَ.

و مذمومٌ و هو أن يتَّحرى به فعل قبيح.

و قال بعضهم المكر من الله إمهال العبد و تمكينه من أعراض الدّنيا و لذلك قال أميرالمؤمنين المُنْ الله من وسَّع عليه دنياه ولم يعلم أنَّه مكر به فهو مخدوعٌ عن نزء ٩ الى عقله إذا عرفت هذا فقد جمع الله المكرين أعنى بهما الممدوح و المذموم في هذه الآية التّي نحن بصدد تفسيرها، فقوله: وَ مَكَرُوا مَكْرًا، من المذموم لأنّهم أراد به قتل صالح و الإنكار بعده و لا نعني بالمكر المذموم إلاّ هذا، و أمّا قوله: وَ مَكَوْنًا مَكْرًا فهو من الممدوح لأنّ اللّه تعالى قتلهم و لولا ذلك لقتلوا صالحاً فقتله إيّاهم صار سبباً لحياة صالح النّبي و بقائه و هو ممدوحٌ و إلى هـذا أشــار بقوله:

## فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَ قَوْمَهُمْ أَجْمَعينَ

أي كان عاقبة مكرهم أن قتلوا جميعاً ففي الحقيقة مكرهم رجع إلى أنفسهم و فيه إشارة إلى أنّ من حفر بئراً لأخيه وقع فيه و من مكر في حَق غيره فقد مكر به من حث لا يحتسب.

و قال بعض المفسّرين، المكر من الله هو الجزاء على المكر فقوله: وَ مَكُرْنًا مَكُرُا أي جازيناهم على مكرهم و جعلنا وباله عليهم و قال بعضهم يحتمل أن يكون المعنى في، مكرنا، أنجينا المؤمنين بالمكر بالكفار بكلّ ما يقدرون عليه من الأضرار بهم و إلجائهم الى الإيمان و إنّما نسبه إلى نفسه لما كان بأمره.

## فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا إِنَّ في ذَٰلِكَ لَاٰيَةً لِقَوْمِ يَعْلَمُونَ

أي فتلك بيوتهم خالية فارغة عنهم بما ظلموا، أي بسبب ظلمهم و فيه إيماء الى أنّ الظّلم يوجب محو الظّالم و آثاره عن صفحة الوجود و لذلك قال: إِنَّ في ذٰلِكَ لاَيَةً لِقَوْم يَعْلَمُونَ سوء عاقبته في الدّنيا و الآخرة و سَيَعْلَمُ ٱلّذين ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَب يَنْقَلِبُونَ.

## وَ أَنْجَيْنَا ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ

أي أنجينا المؤمنين المتَّقين عن العذاب الذي نزل بالكفّار في الدّنيا كما هو مقتضى العدل و قد تقدم كيفية العذاب الّذي نزل بقوم صالح عند عقرهم النّاقة في سورة الشّعراء.

### وَ لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهٖۤ أَتَأْتُونَ ٱلْفَاحِشَةَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ أي تعلمون أنّها فاحشة ثمّ بيّن الفاحشة بقوله:

أَيِّنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ ٱلنِّسْآءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ

أي تفعلون أفعال الجهّال لجهلكم بمواقع نعم الله عليكم و قد مرَّ تفصيل ذلك أيضاً في سورة الشّعراء عند قوله: أ**تَأْتُونَ الذّكرانَ**(١).

هذا تمام الكلام في الجزء التّاسع عشر و يتلوه الجزء العشرون.

	4	سُورَةُ ٱلْمُؤْمِنُونَ.
	٩	الأيات ١ الى ١١
	٩	اللّغة
	1•	الإعراب
	1	التّفسير
	<b>m</b>	الآيات ١٢ الى ٣٠
	<b>٣</b> 7	اللّغة
	<b>m</b>	الإعراب
<u>.غ</u> .	<b>PF</b>	التّفسير
ضياء القرقان فى تفسير	۵۳	الأيات ٣١ الى ٤٤
	۵۴	اللّغة
المرآن	۵۴	الإعراب
_^_	۵۵	التّفسير
حجزء ۱۹	9V	الآيات ۴۵ الى ۶۷
<u>م</u>	9	اللّغة
المجلد الثانى عشر	99	الإعراب
علا	99	التّفسير
	91	الآيات ۶۸ الى ۹۰
	97	- اللّغة

٩٢	الإعراب	
٩٣	التّفسير	
117	الأيات ٩١ الى ١٠۶	
111	اللّغة	
117	الإعراب	
111	التّفسير	
187	الأيات ۱۰۷ الى ۱۱۸	
187	اللّغة	
۱۳۳	الإعراب	
۱۳۳	التَفسير	
	•	
144	سُورَةُ النُّورِ	
	الآیات ۱ الی ۱۰	ضياء الفرقان في تفسير
	اللّغة	.al
		القرآن
	التّفسير	^¬
190	ري الآيات ١١ الى ٢٠	<b>چ</b> ز۔ ۹
	اللّغة	<b>₹</b>
	الإعراب	، العجلد الثانى عشر
	J-	عثير
175	الآيات ٢١ الى ٣٨	

اللُّغة ...............

	١٨٠	الإعراب
	١٨٠	التّفسير
	YY9	الآيات ٣٩ الى ۴۶
	YYV	اللّغة
	YYA	الإعراب
	YYA	التّفسير
	YF1	الأيات ٤٧ الى ٥٤
	747	اللّغة
	747	الإعراب
	YFY	التّفسير
	YST	الآيات ۵۷ الى ۶۱
	Y۶۴	اللُّغة
	790	الإعراب
<u>.ē</u> .	790	التَّفسير
ضياء الفرقان فى تفسير القران	YV*	الأيات ٤٢ الى ٤٤
نع نع	YV*	اللّغة
ر القران	7٧٥	الإعراب
^¬	7٧٥	التفسير
<b>چ</b> زء ۹	•	
<u>ځ</u> _		
العجلد الثانى عشر	YA1	سُورَةُ ٱلْفُرْقَانِ
غ <b>ا</b> ر ي		
	YA1	لآيات ١ الى ٢٠
	YAT	اللّغة

الإعراب	
التّفسير	
الآيات ٢١ الى ۴٠	
اللغة	
الإعراب	
التَّفسير	
الآيات ۴۱ الى ۶۰	
اللّغة	
الاعراب	
التّفسير	
الآيات ۶۱ الى ۷۷	
اللّغة	
الإعراب	
التَفسير	
نطور دون نوع نوان نوان نوان نوان نوان نوان نوا	
نطب. بی	
🗐 سُورَةُ اَلشُّعَزَاءِ 🚍	
_^	1
تزء 19 الح الله ٣٠	ر خ
¥	,
اللغة	
والمنافعة المنافعة ال	
الآیات ۱۳۱لی ۵۱	
***	

	<b>*</b> ***********************************	الإعرابا
	fY1	التّفسير
	<b>۴Υ</b> Λ	الآیات ۵۲ الی ۸۹
	FY9	اللّغة
	۴۳۰	الإعرابا
	۴۳۰	التّفسير
	¥¥A	الآيات ٩٠ الى ١٢٢
	<b>**</b>	اللّغة
	۴۵۰	الإعرابا
	۴۵۰	التّفسير
	<b>Y</b> 5 <b>Y</b>	الآيات ١٢٣ الى ١٧٥
	<b>*</b> 555	اللّغة
	<b>†</b> 99	الإعراب
<u>.j</u> .	<b>†</b> 99	التّفسير
ضياء الفرقان فى تفسير	YAV	الأيات ۱۷۶ الى ۲۲۷
نع نع	¥A9	اللّغة
ر القرآن	44	الإعراب
_^_	¥91	التّفسير
خزء ۱۹ <u>خ</u>	•	
> المجلد الثانى عشر	۵۱۹	سُورَةُ ٱلنَّمْلِ
	۵۱۹	الأيات ١ الى ١۴
	۵۲۰	اللّغة

۱۲۵											 					•								•		ب	إد	(ع	الا			
۵۲۲					•					•	 															ر	٠	نفس	الأ			
۵۳۵											 														٠,	۴	ر	الح	۱۵	ت	یار	الأ
۵۳۷											 																. :	لَغة	ال			
۵۳۸						•					 										 	 				ب	راد	(ء	الا			
۵۳۸											 							 			 	 				ر		تَف	31			
۵۶۷											 							 				 			. Ĉ	۵	ر	الح	40	ت	ٔیار	الأ
۵۶۷																		 					 					غة	Ú			
۵۶۸																		 					 			ب	راد	(ء	JI.			
۸۶۸																												:	:1			

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

